

Àncora imparò



العدد ٨ مجلد ٢ شجاع الحكمة يجذبنا إليك ابريل ١٩٢٨

٥٨٠٩ - ٤٨

الاسرلوغيا

أى التنجيم وأثره فى تحديد التصورات الانسانية على مرالعصور

١ - تمهيد

لقد كان للاساطير والخرافات آثار ظهرت فى التاريخ الانسانى حتى ليخيل الينا أن هذه الاساطير قد تأصلت جذورها فى صميم النفس الانسانية وانها قد بلغت منها الاعماق. فان ضعف الانسان عن أن يحتمك فى سير الحوادث الكونية، ويحجزه عن أن يهيم للظواهرات مساراً يرضى تصوراتيه وأحلامه، وعدم قدرته على أن يدرك مصيره وقلبه، جماع هذه الاشياء قد غرست فى ذهنه فكرة أنه ليس أكثر من العوينة تتقاذفها أيدى قوية قاهرة، بعيدة عن ادراكه، قصية عن مدار معرفته، حتى لقد تعذر عليه، مع تصوره هذا، أن ينظر فى تلك القوة القاهرة بظلال القانع بأنها من الاشياء التى يمكن أن تتحد مع الحياة ذاتها وتكون جزء منها. فلماذا، مثلاً، يمكن أن يحطم هذا الهيكل الانسانى على كمال بنائه ومبانيه تركيبة،

بل لماذا تنفى الحياة ذاتها ، اذا هي اصطدمت بأتفة توافة الطبيعة التي لا نخلص من التأمل فيها إلا بالسخرية منها، ومع هذا فالإنسان عاجز عن أن يقاومها أو ينتصر عليها في معركة يشهرها، أو حرب يعلنها، ولو في خطرات الوهم، ومصورات الخيال ؟ ومع هذا فإن كل ما يتضمن هذا الكون الفسيح من الظواهر له قواعد وسننه، التي لا تحدث إلا خضوعا للسببيات الطبيعية التي لا تتبدل ولا تتغير. أو بالأحرى يمكن القول بأن ما يدعى «مصادفة» ما هو إلا خيال ووهم لا حقيقة له. ومع هذا فإن لنا أن نتساءل . اذا كان من الصعب على الذين عرفوا قواعد المنطق واستوعبوا النظريات، وعلى الذين رقفوا على نواميس الطبيعة وقضايا الفلسفة، أن يفقهوا حقيقة المبادئ الأولية التي تخضع لها تلك القوات العظمى والحوادث الكبرى التي تترك في الحياة الإنسانية آثارها المحتومة البعيدة النتائج ، فإلى أى حد تذهب هذه الصعوبة بالذين لم يتشققوا ولم يعرفوا شيئا من مبادئ العلم الأولية ، وبالسلاسل الإنسانية التي هي أقل ذكاء وقدرة ذهنية من السلاسل العليا ، والتي عاشت خلال عصور التاريخ الأولى، اذا أراد أهلها أن يفقهوا على بعض تلك المبادئ التي تربط بين الظواهر الطبيعية في أبسط حالاتها ؟

* * *

٢- أصل الاساطير والخرافات

ان عجز الايمان عند ادراك وجوه الارتباط التي تصل بين ظواهر الطبيعة المختلفة ، هي الاصل الذي نشأت منه الاساطير . فالقوات السرية ، والخير والشر ، والارواح ، كل هذه الاشياء وملاساتها ، انما تحتكم في الغايات التي يرمى اليها الانسان في الحياة وفي مستقبله بعد الموت ، بوسائل تختلف بمقدرة الانسان في ادراكها باختلاف الحالات والظروف . لهذا كدّن من الضروري أن يستدرج الانسان تلك القوات الخفية ليربح عطفها عليه وان يعقد معها معاهدات السلام والتفاهم ، بان يبحث عن أصولها الخفية التي تبعث بها عليه فتنزل به الكوارث أو تحبوه السعادة والنماء .

* * *

٣- نشوء الاسترولوجيا أى التنجيم

الاسترولوجيا ، لدى الواقع ، هي مجموعة تلك المرافقات والاساطير التى يرتبط الانسان بينها وبين النجوم. وهى فى حقيقتها تقوم على تصور عقلى يمكن أن يقال فيه إنه أقرب الاشياء تأسلا فى عقل الانسان فى حالاته الفطرية الاولى. فإن النجوم إذ تستوى من فوقنا على عرشها السماوى وفي عظمتها وبعثتها وأبهتها المغرية، وانفرادها بذلك العالم الذى أن يتناول اليه شىء من الارضيات، ولا يمكن أن تتطال اليه يد البشر أو وهامهم، فى عزلتها الابدية وفي أغوار الانهائية، لابد من أن تكون قد كونت من التصورات الانسانية صوراً أوحى الى الانسان الاول، عند ما بدأ يتأمل فى الزمان والحياة والنظام الطبيعى، بأن تلك العوالم التى لا تزيد على الايام إلا بهاء ولا يشب الزمان إلا ليجدد من شبابها وعظمتها، لها الاثر الاكبر فى الاشياء والنظومات الارضية، فى تصريف الرياح وتحديد المناطق وفى غل المائرات وفى صعود الانسان ونحوسه، وفى نجاحه وانهيائه، على نفس الصورة التى نلاحظ بها تأثير الشمس والقمر فى تغيير مناخ الكرة الارضية وفى احداث المد والجزر على تواتر الايام وكر الاعوام.

على أن فى العقل الانسانى نزوة غريبة تدفعه الى معرفة المبادئ والنواميس التى تعود اليها الظاهرات والحوادث الطبيعية، ونزعة تسوقه الى أن يعثر على الحلقات التى تصل بين ما يحدث حفافيه من الظاهرات التى قد تقع على وجه التواتر والاطراد حيناً، وعلى وجه التناقض والتضاد حيناً آخر.

فاذا حدث أن وقع جليد وبرد قارس، ثم تبع ذلك زلزال محطم وهزات أرضية محتاجة، فإن الانسان مسوق بطبيعته لأن يصل بين بعض هذه الظاهرات وبعض. وكذلك الحال اذا ظهر مذنب يضيء الليل بوهجه وضياؤه وتراعى فى جوانب الفضاء، ووقع مع ظهوره وباء قاتل أو مرض يذهب بالارواح ولا يبقى على شىء، فإن العقل فى حالاته الفطرية الاولى كان ينزع دائماً الى أن يجعل لظهور المذنب ضلع من المسئولية فى ظهور الاوبئة والحوادث الجسام التى يمانىها أهل الارض. كل هذا وتلك النكرات السديمية السابحة فى الفضاء تدور فى أفلاكها الابدية

بريئة من ذنوب أهل الأرض بعيدة عن أن تحمل مسؤولية ما ترميهم به الحياة من أكرارها وأحزائها ، سابعة في علمها لا تثيرى المألوف بالجمال الفتان الذى لم يعرف بعد ما هى الأرض ولا ما تحمل من خلائق بشرية أو غير بشرية .
ولامراء مطلقا في أن الاسترولوجيا قد نشأت من مشاهدات مثل هذه حاول الإنسان أن يربط فيها بين ظاهرات السماء وحوادث الأرض . ولقد اتخذ المنجمون بضعة من النجوم الشديدة الضياء ومن الكوكبات المتقاربة ومن واقع السيارات والقمر والثوابت ، مواضع يستخلصون منها ما ينكبون به العالم من نبوءات . ولقد استحكم هذا التصور من عقول الناس في العصور القديمة استحكما رعى بأسم من أرقى الأمم التي شهدها الأرض ذكاء ومقدرة في أحضان الاسترولوجيا فاضلتهم أزمانا طويلا واحتكمت في عقولهم دهورا مديدة .



٤ — تقدم الاسترولوجيا

لقد نشطت تصورات الاسترولوجيا وربت وتأت أكلها بين الأمم الشرقية منذ أقدم العصور . ولم يكن علم الاسطرنوميا — الفلك — في تلك الأيام بأزيد من وسيلة لقياس الزمان وتحديد الاوقات ، او بالآخرى « علم ميقاتى » ، ولم تستخدم رصد الكواكب في شىء اللهم إلا في تحديد الازمان وحسابها لمعرفة أيام الاعياد والحصاد . أما الاسترولوجيا — وهي تلك التصورات التي يمكن أن تعتبر الاخت العاقر لعلم الاسطرنوميا — فكانت في منزلة ، لا يحسدها عليها علم الفلك وحده ، بل قد تحسدها عليه بقية العلوم والمعارف الانسانية جمعاء . اما اقدم المنجمين الذين يروى لنا التاريخ اخبارهم فنشؤوا تحت سماء بلاد الكلدان القديمة ، ومن ثم ذاع فن استقراء النجوم بين المصريين والبابليين . ومن هنالك غزى ذلك الفن بلاد الاغريق والامبراطورية الرومانية ، وفي أواخر العصور الوسطى ، انتشر في بقية بقاع أوروبا . وكان العرب والفرس والصينيون من انبع الأمم في قراءة النجوم ، ومنذ عهد قريب كمنت تجمد في البلاط الملوكي

لعاصمة بلاد الصين وظائف كثيرة يملؤها نفر من الذين كان يطلق عليهم هنالك اسم «المنجمون الملكيون» يؤدون وظيفة التنجيم للامبراطور الصيني، ويستقرؤون له في صحفة السماء الصافية اكدار مائلي عليهم تصورات الوهم وخطرات الخيال. بل أنك كنت تجد في الجامعات التي قامت في جنوب أوروبا معاهد لتدريس الاسترولوجيا، رس فيها اساتذة اعترفت تلك الجامعات بأستاذيتهم، ولم تبلغ تلك المعاهد الا في اواسط القرن السابع عشر، في حين أن الملوك والامراء الذين احتكوا في رقاب الناس في تلك الأيام، لم يقربوا من عروشهم الا أولئك الذين كانت تزيع نظراتهم في فضاء الكون الاوسع ليستخلصوا من النجوم سر الموت والحياة، ومستقبل الامم الانسانية، دون العلماء الذين عكفوا على درس اسرار الطبيعة وقضوا أعمارهم في الفقر والحاجة إرضاء لنزعات عقولهم الكبيرة، فكانت للانسانية من يؤسهم وشقايم شينان متناقضان: سبة الأبد، والسعادة العارلية.



٥ — الاعتماد في كشف الطوالع

يدعى كشف الطوالع في الغرب «هوروسكوب» - Horoscope - ومحصل هذه الخرافة الشائعة أن المنجمين يعتقدون أن مواقع النجوم لدى مولد أى إنسان تؤثر اثرًا محتومًا في كل حياته. ولقد تدخلت النجوم من هذه الطريق في كل الاعمال الانسانية. فلم يكن لانسان أن يقدم على مشروع كبير أو يبدأ رحلة من الرحلات الكبيرة أو يتزوج أو يرفع دعوى أو يعمل أى عمل من الاعمال ذات الاثر الواضح في الحياة، من غير ان يستدرجى النجوم. ولقد اعتقد فضلا عن هذا بان النجوم لها ضلع كبير في المسائل الطبية وفي التأثير في انتشار الامراض وعلاجها. وفي خلع الاسنان المريضة، وفي تركيب الديدان الطبية والفصد، اذا احتاج العلاج لامر منها. حتى لقد قيل بان وقوع القمر أو الشمس أو السيارات بالقرب في من موقع كوكبة من كوكبات السماء أو في برج من الابراج يكون له تأثير على بعض أعضاء من الجسم الانسانى دون بعض.

واتد عهد كل الملوك والامراء وعظام القواد الى المنجمين يستمدون منهم

النصح والهداية في اعمالهم الدنيوية ، حتى انه لم يقدم قائد من القواد على أن يبدأ معركة من المعارك الكبيرة قبل أن يستمد الرأي من أحد كبار المنجمين . وكذلك كانت الحال لدى ولد أى طفل لعظيم من العظماء ، وإن كشف طالعه كان من الاعمال الاولى التى تتوج بها حياته الدنيا . وكانت العادة أن يسجل فى دائرة تدعى دائرة كشف الطوابع ، كل ما يتعلق بحياة الشخص المكشوف من طالعه ، ليستبدى بما توحى اليه به هذه الدائرة الخرافية فى كل أعمال دنياه .

٦ - كيف يرسم الموروسكوب .

يبحث أولاً عن تلك النقطة من منطقة دائرة البروج أو كما يدعوها البعض سمت الشمس ، التى كانت ترتفع فوق الافق فى نفس الثانية التى يقع فيها ميلاد الشخص المراد كشف طالعه . ثم تقسم السماء الى اثني عشر منزلة أو برجاً ويسمى كل قسم من هذه الاقسام باسم يقابل حالة من حالات الحياة الانسانية ، فقسم للحياة ، وآخر للحظ ، وثالث للصحة ، ورابع للزواج ، وخامس للأسرة ، وسادس للدين ، وسابع للموت ، وثامن للعظمة والمجد الدنيوى ، وتاسع للصداقة والعداء وهكذا الى أن تتم تسمية الاقسام جميعها . أمام واضع هذه المنازل السماوية فكانت ترسم فى دائرة تدعى دائرة كشف الطوابع ، ثم تعين عليها مواقع السيارات والقمر والشمس ليحصل الرائي بذلك على صورة عامة لمختلف المواقع التى تنزل فيها النجوم ونسبة أوضاع بعضها لبعض . وكان المعتقد أن كلا من تلك الاجرام فيها قدرة على إحداث تأثيرات عالمية قد تحدث سعوداً ونحوساً فى حظوظ البشر . غير أن احداث هذه التأثيرات كان يتوقف حيناً على المنزلة التى يقع فيها الجرم ، وحيناً على علاقته الموضعية واقترباته بغيره من الاجرام .

ولقد تعدت هذه المعتقدات الى الفنون فظهرت آثارها فى النوش والزخارف حتى إنك لتجد أن أحد الشعراء قد اشار الى هذه الاشياء فى ابيات من اشعر قال فيها :

« ليست السماء منبتاً للورود وحدها ، بل فيها تنبت الاشواك أيضاً . فإن

ماتعقده الزهرة ، مقسمة المخطوط الحسنه السخية ، يحله مارس ، نعم النحوس ، ويمزقه أجزاء وقطعاً . »

وأشار بعض شعراء العرب ، واستشهد بقوله الفارابي الفيلسوف المعروف ، الى المعتقدات القديمة التي ورثوها عن خرافتهم الاولى ، وان المنة الآلهية قد بدلتهم منها بالتوحيد فاصبحوا يستدرون النير من الله دون أجرام السماء وسياراتها فقال

أصبحت أرجو النير منك وأمتري زحلا ونفس عطارد والمشتري
وكان الناس يمتقدون أن زحلا والمريخ من كواكب النحس ، وأن المشتري
والزهرة من كواكب السعد . وأن للقمر تأثيرا يتراوح بين السعد والنحوس ،
وهكذا كل بقية الاجرام . ولا جرم أن وضع دائرة الطالع كانت تختلف باختلاف
الأمم ، لان لكل أمة وجهها من وجوه الاسترلوفيا تختص به دون غيرها من
الامم . بل غالب ما كان يختلف المنجمون أنفسهم في طرق الكشف عن مخبات
المستقبل وحظوظ الامم والافراد .

٧ — مشاهير المنجمين

من المرجح أن يكون أشهر منجمي العصور القديمة كاهن « بعل » المسمى
« بيروسوس » (١) — Berosus — الذي تروى المدونات التي وصلت اليها عن
حياته أن كل نبوءاته قد تحققت وأن فراسته لم تخيب في شيء . وكان بيروسوس
من الموهوبين بالطبيعة . فكان قوى العقل واسع الحيلة بعيد النظر ذا معرفة
بالقوات التي تسير نظام الطبيعة بمقدار ما عرف في زمانه ، وكان له نظرات في
الاشياء المستقبلية يبنينا على أسباب ونواميس لها بعض المبررات العقلية . ولقد
أقيم له تمثال عند موته احياء لذكراه واحتفاظا بأثره الذي خلفه في أهل زمانه .
أما أكبر من ظهر من المنجمين في العصر الروماني فوجلي يدعى « فرمانوس »
Firmanus — يقال إنه استقرأ النجوم فعرف منها اليوم الذي أسست فيه
مدينة روما وعرف اليوم الذي سوف تهدم فيه . ومن الحقائق التي لا يمارى فيها أن
صولا Sul'a قد أخبر « كاليغولا » Caligula تحقيقا عن الساعة التي سوف يموت فيها .

(١) كاهن بابلي ذبحت شهرته سنة ٢٧٥ ق . م .

أما الطرق الأسترولوجية - التنجيمية - التي ذاعت خلال العصور المتأخرة فمن المرجح أن يكون « فرميكوس ماترنوس » Firmicus Maternus أول من نشرها ووضع أسسها ، إذ كان يلقي فيها دروسا أقبل الناس عليها اقبالا كبيرا . أما شهرة العراف « نوستراداموس » — Nostradamus — وهو أكبر منجمي القرن السادس عشر ، فقد تنقلت في منازل الزمان حتى وصلت الى عصرنا الحاضر . ولقد خصه ملكان من ملوك فرنسا بعطفهما وحبواهما بحبهما واحسانهما . أما نبوءاته فقد طبعت في كتيب أكب العالم المتحمدين على قراءته . وعلى الرغم من أن نوستراداموس قد مات سنة ١٥٦٦ فإن تحقيق نبوءاته قد اعتقد بصحتها وانتظر وقوعها في أوائل القرن الثامن عشر ، والظن الغالب أن اعتقاد الناس بصحتها كن يظل ثابتا أزمانا طويلة بعد هذا التاريخ ، ولم يصدر أمر بابوي في بداية القرن الثامن عشر ، حظر نشر هذا الكتيب ، لانه تنبأ فيه بسقوط البابوية . على أنك لا تستطيع أن تدرك مقدار ما تأثرت العقول بمثل هذه الاساطير منك اذا عرفت أن رجلا ممتازا كبير العقل واسع العلم مثل « كبلر » Kepler قد شغل نفسه زمانا بفن الأسترولوجيا . ولكن الظاهر أن اشتغال كبلر بهذا الفن لم يأت الا من طريق الفقر والحاجة طلبا للقوت ، وطالب القوت ما تعدى ، كما يقولون . ولنا في ذلك الامر بابي معشر ، العالم العربي ، أسوة . فانه اشتغل بالتأليف في تحويل المعادن الى ذهب ابتغاء الرزق ، وللاستعانة بذلك على مواصلة تجاربه الكيميائية المعروفة . فكأنه استعان بما فقمت سوقه ، على ما كسدت تجارته . وهكذا الناس في كل العصور انما تستغويهم الاساطير وتستبويههم السماسف دون الحق الثابت ودون الابحاث العميقة التي ترفعهم فعلا فوق افق الحيوانات ، أجدادهم الاقربين .

ولقد صنع كبلر دائرة لكشف الطوالع للقياد مارشال « وولنشتين » Wollinstein وكان من كبار المعتقدين بصحة هذا الفن ، ومن أشدهم اقتناعا بصدق موحياته ، ولكن على الرغم من اطالة النظر في مواقع السيارات على دائرته التي حملها ليل نهار ، فاتها مع الاسف لم تنذره « بالمدية » المحدودة التي اغتالت

حياته في « البحر » أجدي مبدئ « بوهيميا ». ولا تزال تلك « الدائرة » محتفظا بها إلى الآن ، وهي مصنوعة من الذهب الخالص ، وكان القائد الكبير يحملها على الدوام في عنقه كحليته وكمويدته يتقي بها شر ما تخبأ الأيام .

* *

٨ — مساويء الاسترلوغيا

ومن الطبيعي أن فنا كالأسترلوغيا ، بعيدا عن كل ما تقوم عليها حقائق هذا الوجود، يحدث كثيرا من المساويء والشروء، لانه في الواقع لا يساعد ذوى العقول الضعيفة على ادراك حقيقة يسترشدون بها ، أو الاستنارة بشيء من القواعد التي تنير لهم سبيل الحياة . ولن يكون أثر الاسترلوغيا سيئا بقدر ما يكون في زمان تملكنت فيه العقول فكرة أن الشر واقع وأن المصائب لا محالة حالة بالأمم والأفراد . فكم من دم أهرق وكم من حياة اختطفها الموت ، تحت تأثير الاعتقاد بنبوءات لا يقبلها العقل ولا تسلم بها البديهة .

ولقد يروي لنا التاريخ أن منجمي الأبلطة الملوكية كانوا يمهرن عادة في فن إبعاد الأعداء وإقصائهم والتخليص منهم . فمن المعروف مثلا أن منجم بلاط « تيبيريوس » Tiberius الروماني قد استطاع أن يقضي على أعداء ذلك الطاغية بأن أوقعهم في أشياء امتدت اليهم من طريقها فأس الجلال . ومن الذائع أن الملك إريق الرابع عشر Eric XIV قد أعدم وزيره « ستور » Sture وكل أعضاء أسرته سنة ١٥٦٧ للأسباب إلا لان منجما قد أخبره انه سيعزل عن عرشه ، وان الذي سيعزله رجل اشقر الشعر يعيش في بلاطه . ومن سوء الحظ أن الوزير وكل أهله كانوا شقرا ، فامتدت اليهم يد الموت من حيث لا يعلمون . على ان امثال هذه الحوادث هي لدى الواقع من أبسط الحوادث التي يرويها التاريخ ، إذا قيست بحوادث كبرى كانت فنون الاسترلوغيا سببا فيها ومنبتا لها .

* *

٩ — الفرع من انتهاء العالم

إن النبوءات المتوالية عن انتهاء العالم وفساد النظام الكوني ، قد أجدت من

المساويء والكوارث ما يطول بنا شرح آثاره . على أننا نأتى هنا على بعض الامثال التى تفصح عن حقيقة ما أخذ الناس من خوف ورعب وما تملكهم من فزع وهلع عند ذبوع نبوءة كاذبة يلقي اليهم بها منجم مفتون .
 في سنة ١٥١٨ اذاع ستوفلر Stoeffler وهو اذ ذاك من أشهر المنجمين المعروفين الدائى الصيت فى أنحاء أوربا ، نبوءة بان طوفاناً عظيماً سيفنى الارض في سنة ١٥٢٤ ، وانه لا بد من أن يخرّبها ويذهب بما عليها من حياة .
 ولقد حدى أن السيارات زحلا والمشتري والمريخ ستجتمع جميعاً فى برج الحوت فى شهر فبراير من تلك السنة ، وان هذا فى وهمه ، لا بد من ان يحدث طوفاناً بمخارح وكوارث مخربة .

واقدم ملك الجماعات من جراء هذه النبوءة فزع شديد وهلع مضم ، وكان كلما اقترب موعد الكارثة زاد هلع الناس واشتدت مخاوفهم ، بل كاد كثير من الناس يفقدون توازنهم العقلى . فوقف دولا ب التجارة والمعاملات ، وترك الزارع حقولهم نهب الخراب والبوار ، وامتنع الناس عن العمل فى كل مكان ، ولم يف أحد من الناس ما عليه من دين ، وأخذ المكنترون يسرفون فى تبديد ما جمعت أيديهم فى تحصيل ما يستطيعون تحصيله من لذائذ آثمة . وحاول الاغنياء أن لا يقاموا الفقراء المستضعفين نهايتهم المحزنة . فهاجر بعضهم الى رؤوس الجبال يمتصمون بها حيث لا عام من مدي ذلك الطوفان ، وابتنى البعض الآخر سفناً كبيرة الاحجام قوية الدروع على نسق سفينة نوح . وعمد بعضهم الى عيش البذخ والاسراف لينفق آخر فلس يملكه قبل حلول الكارثة . ونزلت على البعض الآخر سكينه التقوى والخشوع فاستسلموا للقضاء والقدر . وكان الدنيا فى خلال هذه السنوات التسع التى مضت منذ النبوءة بحلول الكارثة حتى ساعة حلولها ، قد اقلبت بيارستاناً عاماً ما ترى فيه من شيء اللهم الا صور التطرف ، إما الى الرذيلة القصوى ، وإما الى جنون العبادة والتقوى .

وحل من بعد ذلك شهر فبراير سنة ١٥٢٤ ، ثم انقضت أيامه يوماً بعد يوم والدنيا تسير فى هدوئها الابدى كما سارت منذ أبعد الأزمان ، فلم يأت طوفان

ولاحلت كارثة . وهنا تنفس أهل الدنيا الصعداء ورجعوا الى دنياهم بعد أن انصرفوا سنوات الى أخراهم .

وكان يواكيم الاول الالماني — Joachim 1 أمير البلاتينات منجماً ، وأسس له مرصداً في أحد أبراج قصره . وفي ساعة من ساعات الشؤم والويل أخبره منجمه « يوهانس كاريون » Johannes Carion وكان يثق به كل الثقة ، أن « ستوفلر » قد أخطأ في حسابه ، وأن الطوفان الذي تبدأ به سيقع في يوم ١٥ يولية سنة ١٥٢٥ ، وأن هذا الطوفان لا يعم سطح الأرض كما قال ، ولكنه سينغشي أرض ألمانيا وبرلين كولن Berlin-Coln على الاخص ، وهو القصر الذي كان يعيش فيه الأمير . فصدرت الاوامر المشددة بأن تظل هذه النبوءات في طي الكتمان الشديد ، حتى اذا كان أصيل يوم ١٥ يولية سنة ١٥٢٥ . ظهرت غيوم ملبدة في الافق الغربي منذرة بويل شديد . ففتح باب القصر الملكي على مصراعيه وخرج منه عدد من المركبات الملوكة والخيول تعدو بها ملء فروجها ميممة شطرتل « كروزبرج » بجوار برلين ، كانت للأمير وأهله وحاشيته بمثابة جبل أارات الذي آوى اليه الناس اتقاء لطوفان نوح ، ولقد ظل العوام ينظرون الى هذه الحركات نظار المشنوم انماثف الذي يتوقع كارثة لا يعلم أين منبتها . ولما عرف السبب الذي من أجله فرت الاسرة الملوكية والحاشية والوزراء تسرب الفرع الى القلوب وتملك الملح الافئدة ، وامتزج الخوف بشعور من الاحتقار والسخرية من الأمير الذي أراد أن ينجو بنفسه من غير أن ينذر رعاياه بالخطر المحدق بهم ، بل تركهم يموتون وحشرات المدينة ، كأنهم سواسية في القيمة عنده . وعند ما بدأ الليل يرغى سدوله هبت عاصفة ليست بذات شدة . ولما ودعت شمس ذلك اليوم قمة « كروزبرج » بدأ الشخص الوحيد الذي يحق لنا أن نتعته بوصف الرجولة ، وكان من الاسف سيدة من يضرب بشجاعتين الامثال ، وهي اليصابات Elizabeth أميرة «البلاتينات» يشك في حقيقة النبوءة ويشجع بقية الجمع على العودة الى القصر ، قائلة بأنه من الظاهر أن نهاية العالم لا تقع في ذلك اليوم .

ورجعوا يجرّون ذبول الخنزى صرّوقين من الرعية بعيون تمّ عن الاختقار
والسخرية . ولكن صودف أن عربة الأمير لم تكّد تدخل فناء القصر حتى انقضت
صاغقة قتلت سائق المركبة وجيادها الأربعة . فحمد الدم في عروق الأمير ،
وكاد يذهب غمية وهمه وتخيالاته الغريبة .

*

* *

١٠ — استخدام الاسترلوغيا .

لم يقتصر الاعتقاد بمن الاسترلوغيا على العوام وحدهم ، بل أن رجلاً من
أكبر من يذكر التاريخ سعة في العقل وشجاعة في القلب ورسوخاً في الإيمان ،
وكان منهم لوثر ، قد آمنوا بتأثير الكواكب ، وفيما يتنبأ به المنجمون . على أن
من رجال الكنيسة ومن الأمراء فئة لم تكن تعتقد بصحة ما يوحى به المنجمون
وكثيراً ما نفى منجمون من بلاد كثيرة كان من حسن حفظها أن يقوم عليها رجال
من هذا الطابع على رأس الحكومات وفي الكنائس .

على أن جنون الوهم الذي كانت تبته فتون الاسترلوغيا قد ظل مؤثراً آثاره
المحتومة حتى أواخر القرن السابع عشر . ويعتبر جان باتيست موران
Jean Baptiste Morin الذي توفي بباريس في سنة ١٦٥٦ آخر من يذكر التاريخ

من كبار المنجمين .

غير أن للاسترلوغيا وجهاً واحداً من وجوه النفع لا يجدر بنا اغفاله . فإن
هذه القنن ساعدت على ترقية علم الفلك — الاسطرثوميا — وعلى وضع قواعد
الأولية . مثل الاسترلوغيين في هذا كمثل الألكيماويين Alchemists الذين
سعوا عبثاً في معامليهم وراء الحصول على « حجر الفلاسفة » الذي كان من شأنه
أن يحبب الناس بالحياة الخالدة على معتقدهم ، وفي تحويل المعادن الدنيا إلى ذهب
خالص ، فأنهم نجحوا أحياناً في استخلاص بعض قواعد في علم الكيمياء لا يزال
يعترف الآن بما لها من الشأن والخطر . فإن تحديد مواقع النجوم وحساب دوراتها قد
وضعت القواعد الأولية لعلم الاسطرثوميا من طريق الاشتغال بالتنجيم .

* *

١١ - انتعاش الاسترولوجيا في القرن العشرين

ولكن بأي شيء نغفل انتعاش هذه الفنون في عصرنا الحاضر ؟ بأي شيء نغفل ذبوعها اليوم وسط تلك المستكشفات العلمية والفنية التي نحبونها بها ابحاث العلماء كل يوم ؟ ولا جرم أن انتعاش هذا الفن انخرافى في القرن العشرين لمن أعجب ما يقع عليه الباحث في خصائص العقل الانسانى .

فكثيرا ما نقرأ في الجرائد تحت عناوانات كتبت بحروف كبيرة كلمات تسترعى النظر ، مثل فلان يقرأ مستقبلك ويعرف ماضيك ، والنجوم تحكم سير الظواهر الطبيعية ، والكواكب تقسم الحظوظ ، الى غير ذلك من الكلمات الجوفاء التي تدل على سفاهة ما بلغ اليها الناس في المصور الاولى . فان هذه الاعلانات تظهر في كل مكان وفي أرقى النشرات الدورية وبين ارق الامم . بل الظاهر ان الذين يتخذونها وسيلة لترويج بضاعتهم ينجون من رواها ربحاً طائلاً . وبهذا نرى أن فن كشف الطوالع وقراءة الحظوظ الذى هو من مخترعات القرون الوسطى ينتعش مرة أخرى في القرن العشرين ، عصر العلم الطبيعى القائم على التجربة والاختبار . قال برونوفلوجل الفلكى المعروف .

« منذ عهد قريب عين أحد الفلكيين الحديثى العهد فى أحد المراصد الفلكية بمرتب « ملكى » قدره خمسة وأربعون جنيهاً فى العام ، ولما ناقش الذين عينوه فى ضؤولة المرتب قال له أحد مشهورى العلماء المعروفين « خير لك من الاشتغال بالعلم أن تؤسس بيتاً للتنجيم فى نحو من الاحياء الشهيرة فى المدينة ، وأنت تجمع ثروة كبيرة فى أقرب حين » وهذا الكلام صحيح من كل الوجوه



١٢ - الاسترولوجيا كما هي اليوم

لقد ذاع في أكبر عواصم أوروبا منذ عهد قريب مثل لندن وباريس وروما وبرلين ضرب من الاسترولوجيا قثم به منجمون ووجدوا من كثير من المتعلمين صدراً رخيصة روجت بضاعتهم وأعلنت جنماً بكل الوسائل ، على أن حفظ النساء من حيازة

المنجمين كان أضعاف حظ الرجال . ولقد جرت عادة أحد المنجمين في لندن أن ينشر خطابات كتبت اليه من رجال وسيدات من أنبل أبناء هذا العصر وسيداته الذين يشغلون في المجتمع الانجليزي أ كبر مكانة ولم أعظم احترام . على أن هذا المنجم لم يقتصر في نشراته على اذاعة الخطابات التي ترد عليه بل كان يختم كل نشرة بما يأتي :

« أرسل شلنا واحداً ومعلومات كافية عن تاريخ ميلادك ، فيصلك كشف طالعك ، ولا شك أنك ستدهش بما سوف تجد من دقة وضبط في معرفة ماضيك والكشف عن مستقبلك »

ومن السهل على غير المؤمنين بصحة هذه الصناعة أن يقابلوها ببسات الاحتقار والسخرية . غير أن انتشار الفكرة في التنجيم والاعتقاد بصحتها انتشاراً كبيراً في هذه الايام يدعو الى شديد الانتباه من أن تنال الجماعات موجة من موجات الجنون بالاساطير شبيهة بتلك التي جرفت أمامها الجماعات في القرون الوسطى .

١٣ — ماهي الحقائق الراهنة

ان الفكرات المادية التي أخذت تستمكن من العقول خلال العقود الاخيرة من القرن التاسع عشر ، قد أحدثت في نفوس الناس شعوراً بالحاجة الى النزوع الى الناحية التي تقابل جهود الماديات من التصورات الذهنية . ولقد عانى علماء الفلك المشهورين في أوروبا في الاعصر الحديث أشد المتاعب مما كان ينبغي عليهم من خطابات يسأل فيها مرسلوها عما يعرف علم الفلك من تأثير السيارات التي تجوب السماء في زمان من الزمان . ولا شبهة من أنهم ينزعون بهذا الى فن التنجيم متخياين أن علماء الاسطرنوميا في استطاعتهم أن يزودوهم بما تدل عليه حركات النجوم في السماء من نحوس أو شعور . على أن بعض المشتغلين بالاجتماعيات من علماء الفلك قد دعوا بمثل هذه الخطابات عناية خاصة وأخذوا يجيبون عليها ليرشدوا مرسلوها الى أن النجوم والسيارات بعيدة عن الارض بعيداً عظيماً بحيث لا يمكن أن يكون لها تأثير ما على أهل هذا السيار . بل زادوهم علماً بان الجرم الوحيد الذي يمكن أن يكون له

علاقة مباشرة بالأرض هو الشمس. بدليل أن حرارة الشمس هي التي تبعث الحياة وإن الأيام التي يكثر فيها الجلو وتغييب الشمس يأخذ كثير من الناس انقباض شديد وحزن عميق لا تعرف من باعث له، وإن حوادث الانتحار تكثر عندما تغييب الشمس عن أفق الأرض أو تحجبها الغيوم الملبدة. وكذلك القمر فإن له تأثيراً ضئيلاً على تغيرات المناخ والطقس ولكنه تأثير جزئي لا يحدث من أثر كبير في الحياة الإنسانية.

وعلى الرغم من هذا فإن هذه الحقائق لم تكن كافية لأن تصرف الناس عن غيهم وأساطيرهم. ولا جرم أن هؤلاء المنجمين يباشرون صناعتهم هذه وهم أشد الناس اقتناعاً بأن الناس أحرص على أن يندعوا منهم على أن يرشدوا.

« * »

١٤ - تأثير كبلر

ولا مزية مطلقاً في أن من المنجمين فئة كانت تعتقد في صحة فن الاسترولوجيا اعتقاداً بريئاً عن الخداع والوقعة بالناس. أما حكمتهم التي ياجأون إليها فكامة شكسبير المعروفة. «إن في السماء وفي الأرض من العجائب يهوراشيو، أكثر مما في أحلام فلسفتكم». ولا جرم أن الحقيقة تبعد عن هذه الأقوال الشعرية التخيلية بقدر ما كانت تبعد فكرة شكسبير عن الاسطرنوميا. غير أنه مما يجعل موقف رجال الاسترولوجيا قوياً أن رجلاً من أكبر رجال العلم الحديث كان منجماً. ونعني به كبلر المعروف. وفي الحق أن هذا العالم الكبير قد اشتغل بالتنجيم زماناً، ولكن عن عقيدة وإخلاص. وليس أدل على هذا من رسالة نشرها سنة ١٦١٠ ولقد عاش كبلر من سنة ١٥٧١ إلى ١٦٣٠ وكان صورة مكبرة من نزعات عصره ومثالاً للخيالات التي قامت في أذهان أهله. غير أنه لا يداخلنا شك مع هذا في أن كبلر لم يلجأ إلى الاشتغال بهذه الأساطير إلا مسوقاً بحكم الجوع والفقر. فإنه على الرغم من سعة علمه ونبوغه وكتابة الجدي على البحث العلمي كان معدماً، ولا شك في أنه كان يموت جوعاً لو لم يلجأ إلى مثل هذه الوسيلة ابتغاء أن يعيش بكسره يسيغها. فإن وزير المالية كان قد قطع عنه مرتبه في زمان اشتدت فيه الحروب

واستحكمت حلقات الازمة المالية . ولقد هجر صديقه المارشال وولنشتين عن أن
يمد له يد المساعدة في محنته . وفي سنة ١٦١٠ اضطر كبلر الى أن يسافر الى دريجنسبرج
مدفوعا بعامل الموز وخشية أن يموت جوعاً . غير أن هذا الانهك أثر في صحته فمات
هذه صورة من معتقد غشى على العقل الانساني ازمانا طويلا وكان له أكبر الأثر
في تصوير الاتجاهات التي اتجهت فيها الجماعات . على أنه مما كان في هذه
الصورة من أثر ، فإن الصورة التي تخلفها في العقل حقيقة أن كبريات من الجوع
والفقر ، وهو بعد ذلك العالم الكبير المتجرد عن الدنيويات ، الراضى من الحياة بكسرة
يتبلغ بها ، ثم لا يجدها ، ليس من شأنها أن تعطينا فكرة حسنة في حقيقة النزعات
الانسانية

اسماعيل مظهر



النبوغ السجين

الى الشاعر المعقري الاستاذ عبد الرحمن شكرى

اذا جحد الفد النبوغ . ما ند
 ففى الكون من بر النبوغ حسيب
 وأنت برغم الصمت أفصح شاعر
 يئن فتبكي للآنين قلوب
 وينتقص الحساد آيات خلده
 فيزداد مجدا فى الملود يطيب
 تبسم ولا تحزن بدنيا عبوسة
 فأنك قبلى للنفوس طيب
 ولا تشك من اثم الانام فانما
 شهادة نبل أن تدم أديب
 تقبل اذا وفى تهانى شلص
 على القدح ، فهو المدهح ، وهو عجيب
 مضت زمر الأعوام والدهز عاصف
 وقلبي على مر الزمان حبيب
 وما خذل الالباب مثل تحاسد
 فذلك داء للنبوغ مذيّب
 لقد حفر الشانى بدمك قبره
 ويفعل غر ما يعاف لبيب
 وعير حيناً بالشذوذ وما درى
 بانك فى أقصى الشذوذ أديب
 فعد يانبي الشعر للشعر هاديا
 اتسكت والشعر الكريم غريب؟

سجننت نبوغا عاش طلقا بطبعه
 فكل محب يرتجيك كئيب
 وقد راح عهد كان للوهم بأسه
 ونحن بعهد لا يسود مريب
 اذا انت خاصمت الوجود بجميعه
 فلي بوفائي من هواك نصيب !
 واني الذي يبكي على جرح غيره
 ومالي غير جرحي الدفين نحيب !
 وأحد غيري إن اجاد وبزني
 فاني لتقدیس الجمال طليب
 وكل فتوح للجمال اعدھا
 فتوحی ، وخصمی ان اجاد نسیب !
 فكيف بمن اخلصته الود غائبا
 وهیهات عن ابی نداه یغیب ؟
 تحيك - رغم السخط - كل سنية
 من الـكون ، والـكون الشکور رقیب
 فحظك مستور ، وفي اسمك رمزه
 وكم لك من شكر وليس خطیب !
 فدعنی اذن اهدی الثناء مبرا
 عن الفن ، فهو الـكون ، وهو خصیب
 ودعنی ارجی من وداك عودة
 الى الفن ، فالفن العزیز سلیب
 وأنت شاموی الشـمور ومن له
 شعورك - للـحب الصمیم یحیب
 ابو شادی

(مذكرات أنا)

بقلم (ي)

— ٣ —

واستعرت نار الحرب العظمى فظنناها لا تدوم الا أشهر قليلة فاتبعنا الخسكة القائلة « لا تهتم بالغد فان الغد بك يهتم » ولم تسمح الظروف للحلفاء بتضييق الخناق على منطقتنا في بادىء الأمر فتمتعنا برخاء غير منتظر لهبوط الأسعار فالخاصلات المحلية لم يمكن تصديرها وجلبها من الضروريات واما الواردات من الثياب والاثاث فقد استغنى عنها الناس لاعتقادهم بان الحرب ستنتهى بعد قليل لاحالة

ولكن سرعان ما خاب الرجاء وأخذنا نشعر بالضغط الذى أخذ يتزايد عندما بدأت السلطة العسكرية تحتكر المواصلات وتجنبد الشبان وتأخذ حاجات جحافلها من المحاصيل وغيرها من السلع فهاجم الجوع بادىء ذى بدىء مهج الفقراء وعشنا حاولوا سد جوعهم من النظريات الاخلاقية فاداروا لها ظهورهم وشغلوا في اقتناص المال بكل الوسائل التى تخاطر بياهم فاصبح العفاف لا يستحق نقطة مداد واحدة تهرق من أجل صيانتته وكانت حاجتنا ميسورة لدرجة ما فأخذنا ننتقد ونقيس القوضى التى نراها بمقياس الخير والشر وكيف لانفعل ذلك وكنا نسمع بالجوع دون أن نشعر بفتكه ولم يكن يخطر فى بالنا وجود شيء اسمه الحرمان التام وتسليم الروح على قارعة الطريق بعد أن تفتخ البطن وتديق الاطراف كما تجلى ذلك لنا فيما بعد فدفعنا المروءة لمديد المساعدة ومكافئة عدو الانسانية الفتاك فجدنا بالقليل الذى كنا فى غنى عنه ولكنه لم يكن أكثر من قطرة أردنا بها ارواء سهل فسيح عطشان ، والفت آذاننا فسمع انات المحتصرين ومرات أعيننا على رؤية الاعراض تنهك جهازا فاختلت فينا قدرة الموازنة الاخلاقية وعلمنا أن العادة أصل والظروف دوافع اذا اجتمعت هيات الفكر البشرى لتفهم الخير والشر بصورة مخصوصة وتبين لنا ان الوعظ والارشاد لا يردان الواقف أمام الموت وجها لوجه

وعدت علينا عوادي الجوع فبدأنا نناضل من أجل الحياة في بادئ الامر
ولكننا لم نلبث حتى الفناء فاستسلمنا وبقينا كبقية الناس نأكل الخبز جافا دون
ادام حين كنا نحظى بقليل منه وتسربلنا بخناق الثبات ومست أجسادنا الأرض
وهي نتيجة كنا نهرب الوصول اليها ولكن الآن اصبح بأنتى أحد القليان
الذين اختبروا مبلغ السعادة التي يرفل البؤساء فيها. فليس البائس هو الذي
يجوع فاذا ما عثر على لقمة التهمها بلذة تفوق الوصف. ولا يمكن ان اختبرها
تفهمها نأذى لم يتمتع بذوقها ولو مرة واحدة في العمر. وليس البائس هو الذي
يشقى طيلة يومه حتى إذا ما جن الليل استسلم للنوم الخفيف دون أرق وبيدا عن
مداعبة الكابوس

التعيس هو الذي يأكل وينام حتى الملل. فالراحة المستديمة هي التعب
بذاته وليس ملء البطن في كل وقت من الا مر الذي يهذي الناس فيه. ليس من العجب
ان نتألم لمشاهدة الفقراء يتقلبون في حياة ملذة واليس من الغرابة بمكان أن لا يقدر
المساكين النعمة التي يرفلون فيها ويمسدوننا على حياتنا المملة الغير متباينة؟
الراحة بعد الشقاء جديرة بان تسمى راحة ولكن الراحة المستمرة فليس لها
لدى من اسم غير الشقاء. الا ترون العاطلين يروحون عن انفسهم باجهد ذواتهم
في الصيد والقتص فالعمل عندهم لذة وبالعكس يشعر الفقراء بلذة عدم العمل؟
ولكن اللذة لا تدوم فاذا دامت الفناها وتطلعنا الى ضدها للترويح عن ذواتنا

هكذا حطمت الحرب صرح الأخلاق وكان بأس الغرام قد زعزعها وازادت
كذبة الأستاذ احتقاري ايها، وبالفعل حنقت عليها فانهزت هذه الفرصة
لأقف على اطلالها وقمة المنتصر الشامت أطاها بقدح غير مهم ولا عابىء
بتلك النفوس التي كنت اكنسح عزتها في طريق وما زلت دائماً على سخريتي
الى أن ألت تلك الحياة الجديدة فتحولت عنها الى غيرها ولكن كان بغضى
للقديم لا يزال على ما كان عليه وشق على أن لا أجد لنفسي نظاما واجب الاتباع
فالتمط في يدي عندما لم يخطر ببالى ما يجب أن افعل بعد، وكيف يخطر لي
ما لم أمرن عليه وقد نشأت على الأتسكل واليس الابتكار ومرنت على أن لا

أحيد عما أفهمونه قيد شعره

ولكن الانسان ميال بطبيعته للاشادة فاخذت ، ابني صرحا من الحقائق
التي لا تقل سخافة عن الحقائق التقليدية وهل الحقيقة الا اوهام وتخيلات لا أثر
لها الا في ادمنتنا ؟

— ٤ —

وفي ذلك الوقت كنت قد انتهيت عهد الدراسة وتسلمت تلك الوريقة التي
تسبب الانغماس في الرعونة لاؤئك الشبان السذج الذين بمجرد استلامها يعتقدون
بانهم نفضوا عنهم الجهل وتسربلوا بسر بال المعرفة الغير محدودة

واذكر انني ودعت عهدي المدرسي بدمعة هي آخر ما سكبته عيناى من
الدموع الشبه بريئة ولم يكن سكبى اياها لشيء ، اللهم الا لاني بدأت اشعر شعورا خفيا بأني
أقدمت على توديم عهد واستقبال آخر وكن لشورى بحاجتى الى كلمات التشجيع
والتهنئة وكنت محروما . منها وبيذا كان رفاقى محاطين بالآل والاحباب يقبلون
تهمانيهم القلبية او اللسانية كنت أسير فريدا مطرقا نحو غرفتى والدمع يتفرق
في عيني وهناك القيت بنفسى على الفراش واستسلمت لدور طويل من الضعف
وبعد ذلك رجعت لنفسى وأخذت افكر طويلا فتضاربت الأفكار في دماغى
وبت نشطا فاصلحت من شأني واتجهت الى حيث كان مطلوب منى القاء خطبة
وبالفعل القيتها وكانت مملوءة بالتكلم على المستقبل وما ينتظر ان نفعل فيه
وبدأت أظن ان أرباب المصالح سيتهافتون على ويفتحون أمامى ابواب
الأمل فبدأت أرسم مشاريع مؤلفاتى المقبلة وأدون مقترحاتى الاصلاحية التي
ظننت اننى سأفاجئ العالم بها فادهش المخلوقات الغارقة في سباتها بما التيه عليهم
من طرائف الافكار

ولكن ذهب اتظاري عبثا فلم يلمس منى رجل مقاسمته فى ما يملك
ومصاهرته كما كنت أتصور وهكذا مرت الاسابيع تلتها شهور فبت أحرق الارم
وتملكتنى السويداء حتى خطر ببال صديق أن يرشحنى لوظيفة ضابط مدرسة
فتمنعت قليلا وأخيرا قبلت وأنا أغش نفسى مدعيا ان الحكومة لم تجد من هو

أ كفاً منى لىء هذا المنصب الكبير . وكانت الوظيفة حقيرة وبدون أجر سوى الطعام والنوم بلا مقابل فالتحقت بها وقت بدعوى طويلة عريضة أثبتت بها لرفقائى أتنى أكتسب عشرات من الجنيهات واكبرت من النفوذ الذى أسند الى فتمنى كل لنفسه ولو نصف هذه السعادة .

وكأنى خالمت لا كون ضابط مدرسة وأظن أن الدافع الاول لى للعمل هو أن المجال كان متسعاً أمامى كي أظهر على شئرى من المخلوقات مهما صغر شأنهم . وكان يثلج قابى اذا ما أشار الى الاولاد أو اذا استشهدوا بأقوالى أو اذا التجأوا الى لتسوية مشاكلهم البريئة ولكن ساعدتنى الظروف فالتزمت أن أنظر الى مهنتى بغير العين التى كنت بها اتطلع اليها . فقد توا كل الذين القيت اليهم مسئولية ادارة المدرسة فرمى المدير بحمله على وكيله وهذا على رئيس الضباط الذى تنحى عن المسئولية تماماً للضابط الثانى ففضانى هذا عن ذاته وهكذا اكتفى السكل بالامضاء وقبض المرتبات وابتقوا لى العمل المضنى بلا أجر

ولكنى عملت بقلب قوى وجنان ثابت لسته أشهر حاولت فيها تطبيق خيالات عن التربية متحاشياً ما كرهته أيام تلمذتى معزراً ما أحببته وكم كان سرورى عظيماً عندما نجحت بعض النجاح وكوفئت برتب ضئيل فأنحصرت لذتى فى عملى ولم أمل من متابعة العمل من منتصف الساعة السادسة صباحاً كل يوم الى منتصف الحادية عشر مساء . ولم يخطر ببالى أبدا الاستفادة من أجازتى الاسبوعية وكانت لا تزيد عن ست ساعات من يوم الجمعة مع ليله . وهكذا كانت لذة العمل سبباً فى انتزاعى من هوة التدهور الاخلاقى التى كادت تبتلعنى دون رحمة ولاشفقة هكذا اتضح لى أن التعاليم المدرسية اذا لم تطبق تعود بالضرر على معظم الشبان فإن الشاب الذى لا يرى إلا وجهة واحدة من أوجه الحياة وتعملاً رأسه بخيالات واصطلاحات يعتقد أنها دون غيرها الصحيحة لا يلبث حتى تختل موازنته عند ما يجد العالم غير ما كان يظنه وقد يصاب بصدمة تحول مجرى حياته الى هوة لا يجد من يغيثه وهو يتحدر نحوها

وكانت أسئلة تلك القلوب الصغيرة اليائسة تجبرنى على التظاهر بالنفاؤل الى

ان تعودت عليه ونسيت تلك الشهور التي قضيتها متشائما . وهكذا رجعت
 فجددت عهدي مع الانسانية الطفلة وانهمكت في درس رغباتهم ونزعاتهم
 وكم فكرت منذ ذلك الوقت في مهمة ضابط المدرسة والمسئولية الملقاة على عاتقه
 فهو الملازم للطلبة طول الوقت وهو الواقف على ما يفعلونه، فعليه تقع مسئولية انشاء
 النشء بعقلية جديدة. ولا يجب أن ينحصر همه كما هو الحال في مصر في تأدية
 أعماله آليا من تنفيذ العقوبات والقيام بحفظ النظام. ومن الغريب أنه بينما يتكلم
 الوالدان على المدرسة إتسكالا تاما في مسألة تربية النشء تجد ناظر لمدرسة
 منزويا في غرفته مغلقا بابه دون تلك الافئدة البريئة المحتاجة الى مرشد ومشجع،
 هذا في الوقت الذي يكون فيه المدرس كقرص الحاكي ينقل ماملأ به دماغه من
 محتويات الكتب على اتماع صفوف الطلبة ويمتقد أنه بذلك يؤدي وظيفته.
 فبين المنزل والمدرسة يضيع الشبان ويخرجون شرا مما دخلوا

الا أن الطفل آلام من الواجب وجود من يستمع لها ويساعده على تفريجها
 وأن له أسئلة يتطلب من يصغي ثم يجاوب عليها. ويحتاج الى من يرشده الى تفهم
 العالم كما هو. ولا بأس من أن يدلى اليه بعد افهامه الحقائق بما يتصوره عن كيف
 يجب أن يكون العالم الكامل في اعتقادنا حتى اذا ما أنهى الطالب سنى الدراسة
 بجده واقفا على مجريات الاحوال بحسناتها وسيئاتها فلا يدهش من العالم الواقعي
 اذا وجده مخالفا للعالم الذي يتشبه به الاخلاقيون والخياليون

* * *

ملخصه بتصرف

نور الجحيم

سونيته غنائية

إذا كنت أبكي لعسف الحياة
 فبهيات أبكي لقلبي الحزين !
 لكنني أشجى لمن قد شجاء
 من عيشه طول العذاب الدفين
 لقد ذقت صرفاً ضروب الالم
 فصارت لنفسي كبعض النعيم !
 فان كان بشي حليف النعم
 فياربما النور بعض الجحيم !
 على اتني زاهد في سروري
 فقد خلق القلب معنى السرور
 وحول من صبره في شعوري
 تعاسة نفسي وفي الحبور !
 فرجعته في بكائي غناء
 يعزى الوري وحجبت الشقاء

أبو ساري

مقياس الذكاء

أكثر الجرائد المصرية في هذه الآونة من التكلم عن الذكاء وعن الأطفال الغير أذكىاء واذكر أن إحدى الجرائد نشرت نبذة من كتاب لطبيب يذكر فيها أن من المستحسن امتحان ذكاء الأطفال حتى اذا ما اتضح أن للبعض ذكاء دون المتوسط وجب الفات نظر والديه الى تعليمه صناعة لعدم امكان الاستفادة من المدارس وفي هذا القول تخطيط واضح فاولا لم يتيسر حتى الآن لعملاء التربية تعريف معنى الذكاء وكثيراً ما يخطئ المربون بين الفهم والحافظة وسرعة الخاطر وترتيب الافكار وحسن الاخلاق وسرعة الفهم وهي كلها مجتمعة مثل ما يسمونه الذكاء الذي لا يقتصر على احداها . فلننسك موضوع الفهم مثلاً لبحثه وعندئذ يتراءى لنا أن الفهم أيضاً له حالات فهناك من يفهم عن طريق اذنه ويسمى فهمه سماعياً وآخر يكون فهمه بصرياً أى يجب أن يرى ليفهم وثالث فهمه آلى أى تجريبي وما عليك الا أن تلاحظ القراء لتقف على الحقيقة السالفة فكثيراً ما نعتز على رجل يقرأ لذاته الجريدة بصوت عال لدرجة تتضايق منه فتسائل نفسك عن سبب هذه الجلبة وتدهش لعدم قراءته كما يقرأ بقية الناس ولكنه معذور فهو يفهم عن طريق أذنه . كذلك هناك من اذا قرأت عليه مقالا وسأله عن محتوياته بعد انتهائك منه لا يجير جواباً بل يطلب منك الجريدة ليقرأ الموضوع بنفسه وغير هذين الشخصين يوجد من لا يترك كتاباً دون أن يسطر تحت جملة أو يكتب له الملاحظات أو يأخذ عنه ملخصات . ولا يقتصر الناس على واحدة من هذه بل هناك من يشركون السمع بالبصر أو السمع باللمس أو ثلاثهم معاً وهناك فكرة أخرى حديثة قرأتها في كتاب الاستاذ منروهي أن للذكاء فترة حددها بعشر سنوات تقع في أى جزء من حياة الشخص أما في الصغر أو في مقتبل العمر أو في عهد الرجولة أو الكهولة أو في أواخر العمر وفي هذه الفترة يبلغ الشخص أقصى ما يصلح له من مستوى ذكائه وأقل هؤلاء فائدة هم الذين تقع هذه الفترة في طفولتهم لان التدليل يطفى هؤلاء الأطفال الاذكىاء من جهة ومن جهة أخرى لا يستفيدون فيها فائدة تذكر لأن قواهم العقلية تكون غير ناضجة

بعد. والحسن الحظ هو الذي تمر به هذه الفترة وهو على باب الرجولة لان اختباراته تسمح له بالاستفادة والاكتناز من التجارب والمعلومات

هناك أيضا النمو فانه من الملاحظ أن كبار الاجسام لا يظهر ذكائهم إلا متأخرا وذلك لان الجهد يتوجه الى النمو المادي ويمكن ملاحظة أن صغار الاحجام هم نوجه عام أظهر ذكاء في صغرهم من الضخام

كذلك للبيئة دخل عظيم فان الوسط العقلي يستدعي أعما الفكرة واشتغال العقل وفيه نموذج يمكن أن تبني عليه التجارب بالقياس فان ابن الرجل المثقف أكثر قابلية لمسيرة الثقافة عن ابن الغير مثقف وليس معنى هذا أن الولد يرث ثقافة أبيه بل فقط يهيء الوسط فيه القابلية للاندماج

كذلك يلاحظ أن هضم الناس للعلوم المختلفة أو الآراء المختلفة يتوقف على استعدادهم لقبوله. فالتلميذ الذي يرغب في درس الرياضة لا يميل الى درس الطبيعيات أو اللغات أو الاجتماعيات مثلا والعكس

فهل يمكن والحالة كما ذكرت فحص ذكاء الأطفال في سن معين؟ وهل القاعدة المنبذة في الوقت الحاضر من جعل العلوم واحدة اجبارية تعود بالفائدة على النشء؟ أليس الأفضل ترك الشخص ليختار ما يريد ان يدرسه لأنه يقدر عليه أكثر من غيره؟ وهلا يجب أن تقرر العلم النظري بالعمل لنعطى للصغير فرصة لمتابعة أمياله؟ كذلك هل نحن محقون في تجديد سن طلبة المدارس بكذا من السنين مع العلم بان فصلنا للطفل من المدرسه قبل ظهور فترة الذكاء فيه نجعلها تخبو؟ ان من المشاهد ان سنين السبوع لا تبدأ في وقت واحد فالبعض يظهر نبوغهم سريعا في حين ان نبوغ البعض الآخر لا يظهر الا في سن متقدم وكثير من فطاحل العالم كانوا في صغرهم كباية ضج من تاريخ حياتهم معددين من الأغنياء الذين لم يكن منهم أمل يرحى

اننا في حاجة الى نظام تربية عام قوامه المحاضرات العامة والنشرات كذلك يجب علينا تغيير منهج الدراسة القديم الفائدة الذي نتبعه اليوم

عمر عنايت

الملك والملكة

الافراد

الى مسز آرثر سيهور

« الملك والملكة » احدى روايات طاغور التي قرأها الملايين من الناطقين بكل لغات الارض الحية . فقد ترجمت الى كثير من لغات أوروبا و اكثر لغات آسيا . وهي رواية تمثيلية تدعو الى الحرية، وتوحى اليها بأسرار الطبيعة الانسانية التي تنازع فيها المشاعر العقل ، وان هذا النزاع لا بد من ان ينتهي بحقيقة هي تحرير ارواحنا من الاستعباد المادي والمعنوي . »

* * *

الملك والملكة

الفصل الأول

في حديقة القصر — الملك فكرام والملكة سومترا

فكرام — لماذا تأخرت عن القدوم الى طويلا يا حبيبتي ؟

سومترا — ألا تعرف أيها الملك أنني لك وحبك من دون الناس أجمعين ، أينما كنت وحيثما حللت ؟ وما أخرجني عنك الامنزلك وخدمتي فيه . تأخرت عنك بجسمي ، ولو أنني معك بروحي .

فكرام — اتركي البيت وخدمته . إن قلبي لا يستطيع أن ينفك عنك ليشغلك بدنياي . إني أغار غايك من مطاليت الدنيا التي تكاد تسلبك مني . سومترا — لا أيها الملك . ان لي منزلتي في قلبك كحبيبة ، وفي دنياك كملكة .

فكرام — وأسفاه أيتها العزيزة . أين ذهبت تلك الايام التي ملئت حبورا وجذلا ، عند ما التقينا لأول مرة ، إذ كانت بين الدنيا عنا نائمة وسنانة ؟ ولم يكن لدينا سوى ذلك الخيط المضيء الذي أشع في فجر دلائقنا فتغافل خلال قلبينا في سكون وصمت ؟ لقد كان بين أجفانك وميض من الخجل العذب ، أشبه شيء بقطرات الندى إذ تقف حبري على بتلات الزهرة ، وبين شفطيك

مخايل ابتسامة حلوة ، مايشبهها الا مصباح ضئيل في ليل تتلاعب بالسنة
نيرانه الرياح . وإنى لأتذكر ضمت حبك الحارة ، عند ما كان يفاجئنا الصبح
بنوره فنضطر الى الافتراق ، وخطواتك المغتصبة المثقلة خولا حاملة ايك بعيداً
عنى هنة بعد هنة . أين كان اذ ذاك البيت وأين كانت خدمته ، وأين كانت
واجبات هذه الدنيا ؟

سومترا — اننا حينذاك لم نكن أكثر من صبي وفتاة . أما اليوم
فالملك والملكة .

فكرام — الملك والملكة ؟ أسماء مجردة . اننا أكثر من هذا . اننا عاشقان
سومترا — أنت ملكي وزوجي . وأنا قاعة بأن أتبع خطواتك . لا تخجلنى
بأن توقفنى حاسرة أمام جلال ملكيتك .

فكرام — أوترفضين حبي ؟

سومترا — انما يكون حبك لى ثابتاً صحيحاً ، اذا أنت لم تذهب الى حد
المبالغة والافراط . لان الحق من المستطاع أن يكون بسيطاً ساذجاً .
فكرام — انى لا استطيع أن أفهم قلب المرأة .

سومترا — أيها الملك . انك اذا بذات كل شيء تملكه وبذرت فيه من
أجلى ، فلا رية في أنى سأحرم يوماً ما .

فكرام — أيتها الملكة . لا تفوهى بأكثر مما فهمت به من هراء القول . ان
عشوش الطير صامتة ساكنة لان الحب يرف عليها . فلتقف الشفاة على الشفاة
رقية ، لتلا تستوى عليها الكلمات فتتحرك بها .



يدخل الخادم

الخادم — ان الوزير بالباب يطلب مقابلة جلالتك ليعرض أمراً خطيراً
يخص الدولة .

فكرام — كلا . اصرفه الآن .

— يخرج الخادم —

سومترا — ياهولاي . مره بالحضور .

فكرام — ان الدولة وشؤونها تستطيع الانتظار . أما ساعات الحظ فقليل لا ما يغرد هزارها . انها لساعات هشة كالازهار . أما إرجاء القيام بالواجب فجزء من الواجب نفسه .

سومترا — ياهولاي . انى أفرع اليك أن تنصرف الى مهامك .

فكرام — أعودين الى هذا أيتها المرأة القاسية . أتظنين انى أتبعك دائماً طمعاً في أن أنال رضاك غير المنال ، وان اتسقطه قطرة فتطرة ؟ فلا تركك اذن .
يخرج

*
*
*

يدخل ديثاداتا وهو برهمنى صديق الملك .

سومترا — خبرنى ياسيدى عن حقيقة تلك الاصوات التى تتعالى من وراء بابنا .

ديثاداتا — هذه الاصوات ؟ مرينى وأنا بقوة الجند أطرده هذه الاصوات بعيداً عنكم . أصوات المرأة يأكل البرد جسومهم ، والباوعى يهش الجوع أحشاءهم .

سومترا — لا تهراً أبى . خبرنى ماذا حدث .

ديثاداتا — لاشيء . انه صوت الجوع لاشيء غيره . الجماهير جائعة من الفقر . وقطعتان البرابرة الذين يكارون يموتون جوعاً تصيح بأعلى أصواتها ، حيث أزعجت الطيور المظلمة فى وكناتها على أشجار حديقتهن الملكية ، فخلقت فى طباق الهواء فازعة مرعوبة .

سومترا — خبرنى ياأبت من هم الجائعون ؟

ديثاداتا — هذا من سوء حظهم . ان رعايا الملك الفقراء كانوا قاندين بأن يعيشوا منذ زمان طويل على نصف وجبة فى اليوم ، ولكنهم لم يمرنوا بعد على أن يموتوا جوعاً . ان هذا المنتهى الغرابة !

سومترا — ولكن ياأبت مالى أرى الارض تكسوها حقول القمح الناضج

فلأى شيء يموت رعايا الملك جوعاً ؟

ديقاداتا — إن القمح لمن يملك الأرض . أنه ليس للفقراء المعدمين . أنهم
لكلاب الغريبة في عيد الملك ، تنزوى في الأركان ، منتظرة أما فتاتاً من الخبز
وأما لكرات قويه تسدها إليهم الأقدام .

سومترا — أ معنى هذا أن ليس فوق هذه الأرض من ملك ؟

ديقاداتا — لا ملك واحد ، بل مئات من الملوك .

سومترا — أليس عمال الملك أيقاظاً ساهرين ؟

ايقاداتا — من في استطاعه أن يلوم عمالكم ؟ أنهم يقدون علينا من البلاد
الأجنبية وهم في أشد حالات إلحاص . فهل يعقل أنهم يمدون إلى رعايا الملك
بالرحمة أيد خاوية الوفاض ، بادية الانفاض ؟

سومترا — من بلاد أجنبية ؟ أهم من أهلى ؟

ديقاداتا — نعم أينها الملكة .

سومترا — ماذا تعلم عن جاسن .

ديقاداتا — أنه يحكم مقاطعة سنجار بعناية فائقة ، حتى أن كل البقايا
المكوتة من غذاء وكساء ، قد أبعثت عن البلاد ، ولم يبق فيها إلا الضروريات ،
من جلود تكسو العظام .

سومترا — وشيلاً ؟

ديقاداتا — أنه يعنى بالتجارة . أنه يكفى التجار مؤونة المشقة في حمل
أرباحهم ، فيرحمهم بأن يحمل العبء وحده على أكتافه الغليظة .

سومترا — وأجيت ؟

ديقاداتا — انه يعيش في فيا يركوت . انه يبتسم ابتسامته الحلوة ، ثم يضرب
الأرض ومن عليها بيده الثقيلة ، وكل ملامسه من الحطام يجمعه بكل عناية .

سومترا — أى عار هذا ؟ يجب على أن أبعدها الوباء عن بلادى وأنجى
شعبى . اتركنى الآن فإن الملك قادم .

يدخل الملك

سومترا - انى اعتبر من أفراد شعبى في مكان الام الرؤوم . ولذا لا أحتمل
أن أسمع صرخاتهم . نجهم أيها الملك .

فكرام - أى شىء تريد أن أفعل ؟

سومترا - ابعد عن أرضك الايدى التى تستبد بالشعب .

فكرام - أو تعلمين من هم ؟

سومترا - نعم أعرف .

فكرام - انهم أبناء أعمامك .

سومترا - انهم ليسوا بأحب الى من شعبى . انهم لصوص ، يتوارون وراء
عرشك ، ليسلبوا ضحاياهم في الظلام .

فكرام - انهم چاسن وشيلا وأجيت .

سومترا - يجب أن تتخلص منهم بلادى .

فكرام - انهم لا يخرجون الا بالحرب .

سومترا - إذن حاربهم يا مولاي .

فكرام - أحارب ؟ انى أحاول أن أغزوك أنت أولاً ثم أغزو أعدائى .

سومترا - اسمح لى يا مولاي بصفتى ، ملكة هذه البلاد أن أنقذ الشعب بنفسى .

- يخرج -

فكرام - هكذا تملئين قلبى حيرة وارتباكاً . أنت تجلسين هنالك على

عرش عظمتك ، حيث لا أستطيع أن أصل اليك . أنت تذهبين لتقومى بواجب الخدمة
لأهلك ، وعبثاً كل ما أنفق بحثاً عنك وتثقيباً .

يدخل ديفاداتا

أين الملكة يا مولاي ؟ لماذا أنت منفرد ؟

فكرام - أيها البرهمى . هذه هى مؤامرتك . أنت تأتى الى هنا لتحدث

الملكة عن شؤون الدولة ؟

ديفاداتا - ان الدول تحدث عن أخبارها بتلك الصرخات العالية التى طرقت

أذننى الملكة . لقد وقعت الدولة فى مأزق يخشى أن تتخرج من بعده الحوادث حتى
لقد تذهب بهنائك وراحتك .
لا تخف منى أيها الملك . لقد أتيت هنا لأسأل الملكة أن تؤدى الى إتاقى
البرهمية . فان زوجي فى حرج لانها بنير مؤونة . وفى البيت جملة من
الاحشاء الخاوية .

(يخرج)

فكرام - انى لا معنى كل سفادة لشعبي . لماذا تكون آلام ؟ ولماذا يكون ظلم ؟
ولا شىء يلقى الاقوياء بنظراتهم النارية على ما بين يدي الضعيف المستكين
من حاجات قليلة .

(يدخل الوزير)

مر بنى كل هؤلاء الاصوص الاجانب من ملكتى فى هذه الساعة . انى
لا احتمل أن أسمع صياح المظلومين يملأ جوانب الفضاء مرة أخرى :
الوزير - أيها الملك . انك لا تستطيع أن تقتلع جذور الرذائل التى نمت
وتشعبت مع مضى الزمان فى يوم واحد .
فكرام - أضرب فى أصولها بقوة وبأس ، واقطعها بفأسك الحادة فى يوم
واحد : استأصل تلك الشجرة الخبيثة التى أخذت فى النمو منذ مائة عام مضين .
الوزير - اننا فى احتياج الى سلاح وجند .

فكرام - اين قائد زحفى ؟

الوزير - انه اجتبى مثلهم .

فكرام - اذن قاذع الجائعين • افتح خزائنى • قف هذه الصرخات
بالغذاء ، وارسلهم الى حيث يشاؤون بالمال . اعطهم كل ملكي ان ارادوه
واكن ليأخذوه فى سلام . وليكونوا سعداء .

(يخرج)

*

**

(تدخل سومترا وديفادانا)

الوزير - تقبلي ثحياتي وخضوعي يا مولاتي .
 الملكة - ائنا لانستطيع ان نترك الشقاء يكتسح بلادنا من غير ان
 نحاول صد تياره .

الوزير - ماهي اوامرك يا مولاتي .
 الملكة - ادع باسمي كل الحكام الاجانب بأسرع ما في استطاعتك .
 الوزير - لقد فعلت ذلك . لقد أخذت على عاتقي أن ادعوهم الى
 العاصمة باسم الملك من غير أن احصل على إجازة منه ، لأنني خشيت أن
 يرفضوا طابى .

الملكة - متى أرسلت اليهم رسلك ؟
 الوزير - عما قليل يوافي شهر آمن الزمان . واني انتظر اجوبتهم بين ساعة
 وأخرى : ولكن اخشى أن لا يجيبوا دعوتي .
 الملكة - لا يجيبون دعوة الملك ؟

ديفاداتا - لقد اصبح الملك في نظرهم عبارة عن اشاعة خيالية ، قد
 يصدقون وجود حقيقة لها أو لا يصدقون ، حسب ماتتجه إرادتهم .
 الملكة - اعد جندك واجعله على استعداد أيها الوزير عند تقدم هؤلاء
 القوم . ولسوف استجوبهم بنفسى باعتبارهم من أهلى ودمى .

(يخرج الوزير)

ديفاداتا - انهم ليسوا بقادمين ايها الملكة

الملكة - اذن فدوف يحاربهم الملك .

ديفاداتا - والملك سوف لا يحارب .

الملكة - احاربهم أنا .

ديفاداتا - انت ؟

الملكة - سأذهب الى اخي كوارسن ملك كشير وبمساعده احارب
 هؤلاء الثوار الذين هم لعنة على كشير وسيئة لها .

ساعدنى يا أبت على الفرار من هذه المملكة وقم بواجبك ، اذا ما تخرجت

أخال وبلغ السبيل الزبي .

ديفاداتا — يأم الشعب الرؤوم . لك منى التحية والسلام .

(بخرج)

✽ ✽

يدخل فكرام

فكرام — لماذا تذهبين بعيداً عنى أيتها الملكة ؟ إن صبايتي الحارة قد سمرت لك عارية في حال الفقر والحاجة . فهل لهذا تلوين بوجهك عنى استهزاء وسخرية ؟

سومترا — أنى لاشعر بأشد الخجل إذ أتصور أنى بمنردى املك قابلات في حين أنه ملك لكل الناس .

فكرام — أحق أيتها الملكة أنك تتفنين على قمة استعلائك الشائخة بينما ارى نفسى زاحفا فوق الثرى في استكانة وذل ؟ كلا فانى اعرف قوتى وبلىتى . إن فى وابعيتى منصرفا لا يمكن أن يذل وينحضع للقوة . وهذا العنصر قد تحول فى قلبى حباً محترماً

سومترا — ابغضنى أيها الملك ابغضنى . انسى وامح من قلبك ذكرى . أنى استطيع أن احتمل هذا بشجاعة . ولكن لا تحطم جلال رجولتك أمام مفاتن امرأة .

فكرام — أمثل هذا الحب ، يقابل بمثل هذا الكفران ؟ ان فتورك وقلة كثرائك كمدية حادة تقطع فى جنبات صدرى لتترك الحب الدامى عارياً بغير حجاب . ومن بعد تلقى به الى حضيض الثرى .

سومترا — أنى أعفر وجهى تحت قدميك يا حبيبى . ألم تعف لملكيتك مرة بعد أخرى عن اخطاء ارتكبتها ؟ فلماذا اذن كل هذا الغضب فى موقف انا فيه غير ملومة ؟

فكرام — انهضى يا حبيبتى : وحلى فى قلبى لتحولى بين حياتى وبين كل الاشياء الاخرى لحظة واحدة ، وحوطى بذراتيك عالماً هو لك وحدك ملك

لا شريك لك فيه .

* * *

(يسمع صوت فى الخارج)

ايتها الملكة !!!

سومترا — انه ديفاداتا . لبيك يا أبت . اية رسالة تحمل الى ؟

يدخل ديفاداتا

ديفاداتا لقد عصوا أوامر الملك ! عصبة حكام الاقاليم الاجانب . وهم الآن يتأهبون للثورة .

سومترا — اسمعت ايها الملك ؟

فكرام — ايها البرهمى . ان حديقة القصر ليست دارا لمجاس الشورى . ديفاداتا — يا ولأى . اننا قليلا مانرى ملكنا في دار مجاس الشورى ، لان ذلك المجاس ليس له من مكان في حديقة القصر .

الملكة — هذه الكلاب المتاعسة التى تودعت سمنا بما كان يلقى اليهم من بقايا مائدة الملك ! أيجروؤن ولو حاملين أن ينبجوا فى وجه سيدهم ؟
ايها الملك : أهذا هو الوقت الذى يجب عليك فيه أن تعالج الامر في مجاس الشورى ؟ اليس الطريق مبهوداً جلياً امامك ؟ اذهب بكامل زحفك وحطم هذه الحشرات تحطياً .

فكرام — ولكن قائد زحفنا أجنبى .

الملكة — اذهب بنفسك اذن .

فكرام — أنا فى هذه الدنيا بلعائى الوحيدة أيتها الملكة ؟ أنا السلم المنزع والشوكة الحادة التى تؤلم قلبك ؟ كلا . فليست بتارك هذا المكان أبداً . بل سأعرض عليهم شروط الصالح والسلام . من هوذا الذى سبب كل هذه الكوارث ؟ البرهمى والمرأة . تأمرأى ايقظنا الافعى الواسنة فى وكرها . قن كل الذين يمتدحون لضعفهم عن ان يدافعوا عن أنفسهم ، يكونون عادة اقل الناس تفكيراً فيما يسببون من كوارث لغيرهم .

الملكة — يالك من بلاد تعيسة سيئة الخط . ويلها من امرأة عائرة الجده
ملكة هذه البلاد .

فكرام — الى أين انت ذاهبة ؟

الملكة — ساغادر مثواك .

فكرام — أتركينى ؟

الملكة — نعم ذاهبة بنفسى لاحارب الثوار .

فكرام — ايتها المرأة ؟ التسخرين منى ؟

الملكة — الوداع . الوداع .

الملك — كلا فلست تشاركى . أتجربين على هذا ؟

الملكة — انى لأستطيع أن أظل بجانبك اذا كان قربى منك يوهن عزك

ويوهي جلدك :

الملك — أذهبي أيتها المرأة المتكبرة . اذهبي فليست بسائلك العودة ثانية .

ولكن لا تنتظري اية مساعدة منى .

ديفاداتا — أيها الملك . اتركها تذهب بمفردها ؟

الملك — انها لن تذهب . فليست بمصدق ماتقول

ديفاداتا — أظن أنها جادة غيرهازلة

الملك — هذه غشادعها النسائية . انها تريدنى بينما تريد أن تقذف بى فى

معامع الحروب . انى أكره وسائلها . يجب أن لاتظن ان فى استطاعتها أن تتلاعب

بى من طريق حبي لها .

آه يا صديتى . أجهولزام أن ألتقى درسا جديدا اعرف به أن انب لا يجب أن

يكون لملك ؟ وأن ألتقى هذا الدرس من امرأة أحبها ذلك الحب الحار الذى

خبأته لى الاقدار ؟

ديفاداتا / لقد نشأت وريت معى منذ الحداثة . ألا تستطيع أن تنسى

برهة انى ملك ، وأنى بشر له قلب يعرف الألم كيف يكون ؟

ديفاداتا — أن قلبى قلبك يا صديتى . وانه لكامل الأهمية لان يتلقى

حبك ، كما يتلقى غضبك .

الملك — اذن فلماذا تجر الافعى الى عشى الساكن ؟

ديفاداتا — ان بيتك كانت تندلع فيه السنة الذهب . ولم افعل من شيء سوى انى نقلت الاخبار ، وأيقظتك من سباتك العميق . فهل ألام من أجل هذا ؟

الملك — ما هي الفائدة في أن توقظني ؟ اذا كان كل ما حولي مجرد احلام ، فدعني أختار منها حلما قصيرا لذيذا ، ومن ثم أموت . خسرنا ما طويلا قضيتنا ! فمن ذا الذى يتذكر مسرات تلك الفترة وأحزانها ؟

اذهب . اذهب ديفاداتا ، واتركنى وحيدا غارقا في وحدتى المسكية الالهية .

يدخل احد رجال البطانة وهو اجنبى

الرجل — انا نستجدي العدل من يدك أيها الملك . نحن الذين قدمنا الى هذه البلاد مع الملكة .

الملك — العدل في أى شيء ؟

الرجل — لقد سمعنا أن وشايات القيت اليك ، لالسبب الا لاننا أجنب عن هذه البلاد يا مولاي .

الملك — من ذا الذى يعرف أن هذه الوشايات غير صحيحة ؟ ولكن الا تستطيعون أن تظلموا ضامتين بلا جلبه مادتم تتمتعون بثقتي ؟ هل وجهت اليكم يوما بمسبة تعبر عن شكوكي فيكم ؟ تلك الشكوك التى تربى كالديدان في قلوب الجبناء ؟

لست أخشى الخيانة لانى أستطيع ان أسحقها تحت قدمي . واسكن الذى

اخشاه هو أن اغذى الدنيا فتزكو في طيات عقلى

اذهب الآن واتركنى

يخرج رجل البطانة

*

**

يدخل الوزير وديفاداتا

الوزير — مولاي . لقد تركت الملكة القصر ممتطية جوادا .
 الملك — ماذا تقول ؟ أتركت قصرى ؟
 الوزير — نعم أيها الملك .
 الملك — لماذا لم تمنعها ؟
 الوزير — لقد سافرت سرا .
 الملك — من ذا الذى زودك بهذا الخبر ؟
 الوزير — الكاهن . لانه رآها ممتطية صهوة الجواد أمام بناء الهيكل .
 الملك — أرسل فى طلبه .
 الوزير — يا مولاي . انها ان تكون بعيدة من هذا . انها غادرت القصر منذ هنيهة . وانك تستطيع أن تلاحق بها فترجعها .
 الملك — إن رجوعها ليس بذى بال . أما الحقيقة المأولة ، فانها تركتني .
 تركتني !
 اتعجز كل جنود الملك ومعاقله ، وكل سجنونه واصفاده الحديدية عن أن تربط الى جانبه قلب امرأة ضعيف وامهي القوى ؟
 الوزير — وأسفا أيها الملك . إن المثالب كالفيلضان عند مات كسر السدود فينقض من كل مكان .
 الملك — مثالب ؟ فلتجف السنة الخلق بما فيها من سم .
 ديماداتا — في أيام السكوف يجرأ الناس على أن ينظروا من خلال القطع الزجاجية المسودة بالباب الى نور الشمس العظيمة فى رائغة النهار .
 أيها الملكة العظيمة . أهكذا يلوث اسمك الكريم ماوكا في الالسنه منتقلا من فم الى فم ؟ ولكن كفى بضوئك الكبير منارا يحجوا المثالب ، كما يحجوا النهار أية الليل .
 الملك — احضر السكاهن الى .
 (يخرج الوزير)

ومع هذا أستطيع أن اقتص أثرها وارجمها الى حظيرتي ثانية . ولكن . أهذا

واجبي المؤبد؟ أواجبي محصور في ان أمضى باحثا وراء القلب الثائر كلما تركني
ومضى؟

اذهي اينها المرأة . ليلا ونهارا . اذهبي وكوني بلاسكن ولا حب ،
ولا راحة ولا سلام .

(يدخل الكاهن)

اذهب . اذهب . لقد سمعت ما يكفي . ولا أود أن أعرف أكثر ، ما عرفت
(يتأهب الكاهن للخروج)

عد الى . خبرني : هل أنت الى الهيكل لتصلى وعينيها غارقتين في
الدموع ؟

الكاهن — كلا يا مولاي . لحظة واحدة ، أوقفت فيها حصانها ثم ترجلت
مولية بوجهها شطر الهيكل حانية رأسها ، ثم امتطت الجواد ففرق بها مروق البرق
الخطاف . انى لا أستطيع أن أعرف اذا كانت الدموع قد بللت عينيها . فان
النور داخل الهيكل كان ضعيفا .

الملك — الدموع في عينيها . انك لا تقدر أن تتصور مقدار ما في هذا من
خطورة ؟ كفى ! اذهب

(يخرج الكاهن)

يا لهي — انك خير من يعرف ان كل ما آتيتها من شر انى أحببتها . وكنت
على استعداد لان اضحي آخرى ودنياى في سبيل حبها . ولكن الآخرة تخوننى
وكذلك الدنيا !! كلا . لم يخنى سواها .

(يدخل الوزير)

الوزير — مولاي لقد أرسلت فرسانا يتتبعونها .

الملك — استدعهم ثانية . لقد انقضت الاحلام . اين يمكن ان يعثر بها
فرسانا ؟ جهز زحفى . فنى سأذهب بنفسى لإطفاء الثورة القائمة .

الوزير — أمرك أيها الملك

(يخرج)

فكرام - ديفاداتا !!! لماذا تجلس صامتاً حزينا ؟ لقد فر اللص بالغنيمة
وأنا الآن افك قيودي واستعيد حريتي . ان هذه لساعة حبور وجذل .

خطأ خطأ كل كفاى يا صديقى • فان الالم ينحرق قلبى •

ديفاداتا - ليس لديك وقت للآلم ولا للحب الآن • يجب ان تفيض حياتك
كلها في سبيل العمل ، وان تحمل قلبك الملكي بين جوانبك الى حيث يلقى
غزوته الكبرى •

فكرام - ولكن قلبى لم يخلص تماماً من اصفاده • انى لا أزال اعتقد انها
سوف ترجع الى ثانية ، عند ما تجد ان الدنيا ليست لها فى مكان العاشق الحب
وان قلب الرجل هو المكان الاوحد الذى تاجأ اليه المرأة • سوف تعرف كيف
تكون نتائج علمها ، عند ما تشد الحب فلا تجده • وسوف يدسم زهائى ، عند
ما تفارقها الكبرياء ، وتعود الى ، فتبدأ تتودد لى بغيرتها الحارة •

*

* *

(يدخل المادم)

المادم - خطاب من الملكة

يعطيه الكتاب ويخرج

الملك - انها بدأت تستغفر سريعاً •

(يقرأ الخطاب)

هذا لاغيره . سطران فقط لتخبرنى بانها ذاهبة الى أخيها في كشمير ، لتسأله
ان يعضدها في اطفاء نار الثورة التى تكتسح بلادى • ان هذه لاهانة ! انها لمسة !
أعون من كشمير !!!

ديفاداتا - لاتضع وقتك في ان تخيب ظننا - وليكن هذا انتقامك منها •

الملك - انتقامى . سوف تعرفه !

الفصل الثاني

مراوى فى كشمير

فكرام وقائد الجيش

القائد — تقبل عذرى يا مولاي فى أن ألقى اليك بنصيحة فيها للمساكتك
وثدة .

فكرام — تكلم

القائد — لقد اطفئت نيران الثورة فى بلادنا، والثائرون أنفسهم يحاربون فى
صفوفك، فلماذا تنهك قوانا وتنفق وقتنا فى كشمير، بينما مصالح دولتك تتطلب
وجودك فى عاصمتها ؟

فكرام — ان الحرب لم تنته هنا بعد .

القائد — ولكن كومانرسن، أخا الملكة، قد عوقب العقاب الكافى جزاء
تهور أخته . فاقدم تشتت جيشه . واختفى هو مختبئاً يطلب النجاة بحياته، فى حين
أن عمه شندراسن يتطلع بشغف الى العرش الخالى . نصبه ملكاً . وارك هذه
البلاد التعميسة ليرف على ربوعها السلام .

فكرام — إني ما أتيت هنا لآعاقب، بل لآحارب . لقد أصبحت الحرب
عندى كالوحة المصور . يجب أن أضيف إليها خطأ هنا، وخطأ هنالك، وأتمتها
بالألوان الزاهية، وازيدها كملاً يوماً بعد يوم . ان عتلى اينداد إكبابا عليها حالا بعد
حال، كما اتضحتم صورها وقاربت النهاية . واسوف اتركها متهداً تنهدة الاسف
عند ما أتمها .

ان التخریب والهدم من موادها الاولى، التى سوف تستمد منها ما تستكمل
به صورتها . انها فن وايداع . وانها فوق ذلك جملة كباقات زهر «البلاش» الحمراء،
التي تلوح من روعتها كثورة الخمار في رؤوس السكران، فى حين أن كل زهرة منها
تعبر عن كامل الوداعة وحسن الصورة .

القائد — مولاي . ان هذه حال ايس من المستطاع استمرارها . ان لديك
واجبات اخرى . فان الوزير قد بعث الى بالرسالة تلو الرسالة، يسألني أن أساعدك على فهم

حقيقة الحال وكيف أن هذه الحرب تجر الخراب والدمار على بلادك
فكرام — انى لا أستطيع أن أرى في الدنيا من شيء سوى هذه الاشياء
التي تزهو وتسمو بين يدي. وسيبقى السيوف! وتلك الملاحم الكبيرة التي تضغط على
صدرك بشدة كضربات الحب الحار. اذهب اليها القائد. فان لديك أعمالا أخرى
يجب عليك القيام بها. ان نصائحك انزداد اشعاغا على ظبابة سيفك .

يخرج القائد

ان هذا لتحرير للنفس وعشق لها. ان الاستعباد قد فرهاربامن ذات نفسه ،
تاركا الاسير حرا. ان الانتقام لا قوى نزوة في رأس من خمر الحب النقي. الانتقام
هو الحرية. هو عشق من المواطنين والشبهوات.

يدخل القائد

القائد — أرى عربة قادمة نحو السراشق . فلعلها تحمل رسولا يعرض علينا
شروط السلم — وليس وراءها زهط من الجنود المسلح .
الملك — السلم يجب ان يتبع الحرب . خير ان وقتله لم يحسن بعد .
القائد — لنسمع ما يقول الرسول اولا — ثم
الملك — ثم نستمر في الحرب.

يدخل جندي

الجندي — لقد حضرت الملكة وهي تطلب أن تتحدث اليك .
فكرام — ماذا تقول ؟

الجندي — حضرت الملكة .

فكرام — أية ملكة ؟

الجندي — الملكة سومترا !!!

فكرام — اذهب أيها القائد وانظر من القادم .

يخرج القائد والجندي

الملك - هذه هي ثالث مرة قدمت الى محاولة أن تبعدني عن هذه البلاد منذ أعلنت الحرب في كشمير. وهذه هي ثالث مرة أردتها خفية. ولكن هذه ليست احلاماً، انها مواقع ذهوية .

ليست هي احلام في سنة استيقظ بعدها لأجد نفسي في قصرى وحديثي وأزهارى وملكتي ، وتلك الايام الطويلة التي كنت أقضيها متنهداً ، صعداً الزفرات ، مع قصر فترات اللذة التي كنت أشعر بها .

كلا . وألف مرة كلا . لقد أتت لتأسرنى مرة ثانية . أتت لتتزعجني من ميدان الحرب غنيمة تعود بها الى ردهة القصر . ان قبضها على الصواعق لا قرب اليها من هذا .

(يدخل القائد)

القائد - نعم يا مولاي . انها ملكتنا وتريد أن تراك . وان قلبي ليتصدع اذا لأجد في استطاعتي أن أتركها تدخل اليك بكامل حريتها .
الملك - ليس هذا هو الوقت ولا المكان الذي أستطيع أن أقابل فيه امرأة .
القائد - ولكن يا مولاي .

الملك - كلا . كلا . أصدر أوامرك للحراس بأن يكونوا على أتم الأبهة في قيامهم على حراسة سرادق . لا من الاعداء ، ولكن من النساء .

(يخرج القائد)

* *

(يدخل شنكر)

شنكر - أنا شنكر . خادم الملك كيمارسن . ولقد احتفظت بي أسيراً في معسكر .

الملك - نعم أعرفك .

شنكر - ان ملكتك تنتظر خارج هذا السرادق .
الملك - سوف تنتظرني في مكان أبعد من هذا كثيراً .

شكر - انى لاشعر باشد انجل اذ أقول أنها قدمت اليك في أشد حالات التواضع والخضوع لتسألك العفو والمغفرة . وإذا تعذر عليها أن تنال هذا ، فأتوفى ما يستحق من عقاب بين يديك . انها تعترف بأنها هي وحدها الملوثة ، وعليها تقع كل المسؤوليات . لقد أتت تسألك بكل ما هو لديك مقدس عزيز ، أن تترك أخاها ومملكتة .

المملك - ولكن يجب أن تعرف أيها الشيخ أنه حرب عوان ، وأن هذا الحرب قائم ضد أخيها ، وليس ضدها . وليس لدى من وقت انقته في مناقشة ظروف الحال وتعرف وجوه الخطأ فيها من وجوه الصواب مع امرأة . غير انك كرجل ينبغي لك ان تعرف ان الحرب اذا اشتعلت نيرانها مرة ، سواء اكان ذلك خطأ ام صوابا ، فان كبرياءنا هي التي توجب علينا ان نمضى فيها حتى النهاية ، مهما كانت العواقب .

شكر - و.كن الا تعلم يا مولاي انك انما تقوم بالحرب ضد امرأة وانها فوق ذلك ملكتك ؟ ان ملكنا لم يفعل من شيء سوى أنه نصرها لأنه اخاها . واني لا جراً بعد هذا ان اسألك امن شيم الملوك أم من خلال الرجولة ان ينفخ الانسان في خلاف عائلي كبره الوهم وضخمه الخيال ، حتى تكبر فمقايمه فتنفجر عن حرب دموية تبتلع الممالك وتترك الدول ؟

المملك - خذ حذرک ايها الشيخ فان لسانك قد بدأ ان يكون خطراً عليك . وبممكنك مع هذا ان تقول للملكة باسمي اذا سلم اخوها كومانسن نفسه واعترف بالهزيمة ، فهناك نستطيع ان نتكلم في مسألة العفو .

شكر - ان ذلك مستحيل ، كما يستحيل على شمس الصباح أن تقبل تراب الافق الغربي . فاني اعرفه ان ملاكي ان يسلم نفسه حيا بين يديك . كما ان خته لن تسمح به مهما تنكرت الحوادث .

فكرام - اذن فلحرب سجال . ولكن الا تظن ان الشجاعة تمسك عن أن تكون شجاعة بمعناها الصحيح عند حد تبلغه الحالات من المخرج ، فتصبح تهوراً

وحمقاً ؟ ان ملكك لن يفهم من بين برائتي . لقد احطت به من كل الجهات ،
وانه يعرف ذلك .

شكر . - نعم انه يعرف هذا . ويعرف ايضاً ان هنالك فجوة كبرى
في السياج .

الملك - ماذا تعنى ؟

شكر - اعنى الموت ، باب النصر والفخار الذى سوف يابجه قارا من بين
يديك . هذا اذا لم تخنى فيه فراستى . وهنالك ينتظرك انتقامه

(يخرج)

* * *

(يدخل خادم)

الخادم - مولاي . بالياب شندراسن وريقاتى ، عم كومارسن وزوجته
يطلبان المشول بين يديك .
الملك - ادخلهما .

(يدخل شندراسن وريقاتى)

الملك - تقبلا احترامى .

شندراسن - أعطيت الملك وطول العمر .

ريقاتى - وكذلك النصر والفخار

شندراسن - اى عقاب قرضت عليه ؟

الملك - اذا سلم نفسه نانى اخذوه عنه

ريقاتى - هذا وحده ، لاشىء . اذا كان ثمة عفو منتظر ، فلم كل هذه
الاستعدادات ؟ ان الملوك ليسوا صبياناً كبار الأجسام ، والحرب ليست من الاغيب
الأطفال

فكرام - لم يكن السلب من غرضى ، بل كان مراعى أن أحامى عن شرفى

فان الرأس الذى يحمل التاج لا يحمل الاهانة .

شندراسن - أعف عنه يا ابني . لأنه لم ينضج بعد ، لامن ناحية الحكمة ولا من

ناحية العمر . قد تمنع عنه حقه في العرش ، او تنفيه من البلاد ، ولكن أترك حياته الملك — ما فكرت مطلقاً في أن أحرمه الحياة .

ريفاي — إذن فلماذا مثل هذا الجيش والسلاح ؟ إنك الآن إنما تقتل الجند الذين لم يضرؤك بشيء ، في حين أنك تترك الجاني !
فكرام — اني لا افقه ما تقولين .

شندراسن — لا شيء . انها نائمة على كومانرسن لانه أوقع البلاد في هذا الاضطراب ، ولانه اثار غضبك علينا ، وأنت أقرب من يمت لنا بقرابة فكرام — سوف يأخذ العدل معه مجراه عندما يقع أسيراً
ريفاي — لقد أتينا لنؤكد لك بأننا لا نتستر عليه حذر أن تأخذك من ناحيتنا الشكوك . ان الشعب هو الذي يخبئه . أحرق محاصيلهم وقراهم . ونؤايبهم بالجوع ، وهم لا محالة مخرجونه اليك

شندراسن — ترفقي — زوجتي ترفقي . احضر الى القصر يا بني ، فان كشمير كلها في انتظار مقدمك

الملك — اذهبا الى هنالك الآن وسوف اتبعكما

(يخرجان)

يالك من لسان مندلع من نار جهنم الحمراء . ذلك هو الطمع والحقد ينبعثان من قلب المرأة

هل رأيت صورة وجهي منطبعة في وجهها ؟ يا عجباً . اترسم على جبيني مثل هذه الصور ؟ أو تلوح على وجهي آثار تلك الحروق الجهنمية التي تطبعها تلك النار الخفية ؟ وشتاي ، هل احدثت في ضمور كما رأيت شفتيها فكانتا كهدية القاتل الاثيم ؟

كلا ان شهوتي قد انحصرت في الحرب — . لم يكن بي نهمة الى الطمع ولا نزعة الى القسوة

انما نار الحب كنفار الحرب لا تعرف قيماً ولا ترضخ لقانون ولا تحسب ، لينذل حساباً . انها نار تأكل بعضها بل وجميع ما تلمس ، فيتحول الكل إما الى لهب ، وإما الى رماد .



(يدخل المادم)

المادم — لقد قدم البرهمى ديفاداتا وهو يرغب فى المثل لديك
الملك — ديفاداتا ؟ احضره • كلا • كلا . قف دعنى افكر قليلا فتنى اعرفه •
لقد حضر لينتثنى من يدان الحرب
أيها البرهمى ! لقد الغمت شواطىء النهر بمفرقاتك . والآن ! لما انسابت
المياه ، اتيت لتقف بين يدى فى خضوع وخشية تسألنى أن تروى حقولك ،
ثم ترجع من حيث أتيت . ولكن الاتخشى ان يفيض المساء فيكتسح بيوتكم
ويحطم البلاد ؟
إن جذل هذه المفزعات اعمى . انه قصير البقاء ، ولهذا يجب ان يجمع
غنائه سريعا ، ويحصد هاوشيكاً ، كفيل جن جنونا ، فيقتلع نبات النيلوفر
الجميل من اعماق البرك الراكدة .
سوف يأتى وقت تصلح فيه النصيحة الصادقة ، بعد ان تضع حمل القوى
وتنهك السواعد .
كلا . لا اريد ان ارى البرهمى •



(يدخل أمارو فارس التلال فى تريشور)

امارو — يا ولى . لقد حضرت الى ساحتك كامرك ، معلنا ان ليس لى
ملك سواك .

الملك — أنت فارس هذا المكان ورئيسه ؟

امارو — نعم فارس تريشور . وانت ملك الملوك وانا عبدك الخاضع . إن لى
ابنة اسمها ايلا . وهي لاتزال حديثة السن ، وعلى جانب من الجمال عظيم .
ولا يسبق الى حدسى أنى اخذتك اذا قلت لك بانها جديرة بك . انها تنتظر فى
الخارج . اسنح لى ايها الملك ان ارسل اليك بها كاحسن هدية تعبر بها هذه الارض
الفائضة بالازهار عن شكرها .



(تدخل ايلاد وصيغتها)

الملك - آه . هاهي قادمة . كفجأة الفجر الوضاح في اللحظة التي تسبق انبثاقه
اذ تلوح كأنها ليل أليل . تقدمى ايتها الذراء • فانك قد نسيت ان هذا الميدان
ميدان حرب • ان كشمير قد سددت الى سهمها الصائب . ولكن في النهاية
ليخترق قلب آلهة الحرب

لقد جعلتني اشعر كأن عيني قد مضت تبخشان في قفر الوجود ، حتى سقطتا
على ما كانتا تطلبان • ولكن لماذا نقفين في هذا الصمت ، منكسة الرأس ؟ وكأني
أرى رجفة من الألم تهز من شدتها اطرافك الجميلة •

(ايلاد راكمة)

ايلاد - لقد سمعت بانك ملك عظيم • فاسمح لي ان اصلى صلاتي
الملك - انهضى ايتها العذراء الجميلة . ان هذه الارض غير خليقة بان تمسها
قدماءك • لماذا تركمين في التراب ؟ فليس في هذه الدنيا من شيء انا عاجز عن ان
اهبك اياه .

ايلاد - لقد وهبني ابي اليك ولكن أمت اليك ان تفك اسارى وترجعني
الى حيث كنت . ان لك ثروة لا يحصرها وهم ، واما لك لا تمدها الترخوم .
فاذهب واتركني في التراب . فليس في هذه الدنيا من شيء أنت في حاجة اليه .

الملك - اسمح ان ليس في هذه الدنيا من شيء انا في حاجة اليه ؟
كيف أقدر على أن اكشف لك عن قلبي ؟ اين هي الثروة ؟ اين هي الاملاك
الشاسعة ؟ كل هذا فراغ بلا نهاية • فلم يكن لي دولة وملك ، وبقيت أنت
وحيدك

ايلاد - اذن فانتزع حياتي اولا من بين جنبي ، كما تنزع حياة غزال الغابة
المتوحش ، مخترقا قبلة بسهامك المسددة .

الملك - ولكن لماذا يا ابنتي • ولاي شيء كل هذا الامتهان ؟ الست جديراً
بك ؟ لقد غزت ممالك ودولات بقوة سلاحى وعددى ؟ • الأعجز عن أن آمل
أن اتوسل الى قلبك في ان يكون لي •

إيلا - ولكن قلبي ليس لي . لقد وهبته لشخص تركته منذ أشهر ، ونحن
على وعد بان يعود ثانية الى حيث نتقابل تحت خلال غابتنا القديمة . فالأيام تجري
وإننا على حذر الانتظار ، حتى لقد بدأ سكون الغابة أن يكون ممضاً . فإذا لم يجدني
عندما يقفل راجعاً !!! وإذا لم يعد أبداً و بقيت خلال الغابة تنتظر تلك الساعة
التي سوف يتم فيها لقاء الحب الذي لن يتحقق الى الابد !!!
أيها الملك . لا تنزعني من وكني . اتركني له . ذاك الذي تركني ليعود فيلقاني
فكرام - ما أسعد ذلك الرجل .

ولكن اخذرك ايها الفتاة ، فان الآلهة شيرى من حب البشر . أنصتي واسمعي
سري . لقد مر على حين من الدهر تركت فيه الدنيا وما فيها ، ماعدا الحب . ولما
صحبوت من حالي ، وجدت ان الدنيا وحدها كئنة ، وأن الحب هو الذي انفجر
كمنقاعة من الماء .

١ . ما انتم ذاك الذي تنتظرين ؟ .

إيلا - انه ملك كشمير . واسمه كومارسن .

فكرام - كومارسن !

إيلا - هل تعرفه ؟ انه اشهر من نار على علم . فأت كشمير ذاتها قد
وهبته قلبها .

فكرام - كومارسن ؟ ملك كشمير ؟

إيلا - نعم هو . يظهر انه صديقك .

فكرام - ولكن ألا تعلمين أن شمس سعدة قد أخذت في الافول ؟ اني قد
كل أمل فيه . انه الآن كالحيوان المصيد يجري ثم يجمي . من جحر الى جحر .
وإن أشد المتولين فقراً لأسعد منه حالاً .

إيلا - يذهب على أن أفهم ما تقول أيها الملك .

فكرام - أنتن أيها النساء لا تكن في مكان اللهم الا في حنايا قلوبكن حيث
تخبين . انكن لا تعرفن ما يجري حولكن من أحوال الدنيا وكيف تفرقع جانيها .
في حين أننا معشر الرجال نكتسح مع تياراتها الجارفة في كل الجهات .

انك بعينيك السوداءين النجلاوين المملوءتين دموعاً تظاين منتظرة يا قطة
 الفؤاد ، متعلقة بأسباب الامل . ولكن يجب عليك أن تعرفي اليأس يا بنيتي .
 ايلا - أصدقني أيها الملك . لا تغدربي . اني ضئيلة حقيرة . ولكني له وحده
 بكل ما في .

أين ؟ وفي أي القفار الموحشة بهم على وجهه حبيبي ؟ سأعود لأبحث عنه .
 أنا التي لم أغادر بيتي لحظة واحدة . دلتني على الطريق .
 فكرام - ان جنود عدوه تتبعه - : انه شاقط لا محالة .

ايلا - ألسنت له صديقاً ؟ ألا تنجيه ؟ ملك في خطر . وأنت كملك تحتمل
 هذا ؟ ألا يقضى عليك الشرف والنبيل أن تمد اليه يدك ؟
 اني أعرف أن كل الدنيا تحبه . ولكن أين هم أهل الدنيا ؟ أين هم في زمان
 بلواه وحين الكارثة ؟

مولاي . أنت شديد القوى ذو مرة . ولكن في أي شيء تنفع قوتك ، اذا
 أنت لم تساعد العظيم أظلاته الحادثات ؟
 هل تستطيع أن تنفض من الامر يدك ؟
 اذن فاهدني الى الطريق . سأضحى حياتي من أجله . انا بمفردي . امرأة
 ضعيفة واهنة القوى .

فكرام - أحبيه . أحبيه بكل مالدريك ! - أحبيه ، مالك قلبك وسالب لبك .
 اني فقدت ملكوت حبي . ولكني لاسعد يوماً بان احبلك سميدة . وما كنت
 لانهر حبك . فان الفصن العاطل لا يؤمل ان يزهر بأن يقترض الازهار .
 ثقي بي . أنا صديقك . سأرجعه اليك ثانية .

ايلا - يالك من ملك نبيل . اني مدينة لك بحياتي وبسعادتي .
 فكرام - اذهبي وتأهبي بلباس العرس . سأغير توقيع أنعامي .

(تذهب ايلا)

لقد بدأت الحرب أن تكون مضطراً . ولكن السلم مخلة .
 ايها الطريد الشريد . انك لاسعد حظاً مني . فان حب المرأة كمين السماء ،

ثراك أينما ذهبت في هذه الدنيا وأية سلكت ، فتحول هزيمتك انتصاراً ، وسوء
حظك سعداً ، كالغمام الذي يظلل الشمس عند غروبها .

*
*
— يدخل ديفاداتا —

ديفاداتا - نجني من يتقبونني .

الملك من هم .

ديفاداتا - فرسان حرسك أيها الملك . لقد ظلوا من حولي أيقاظ الادين
حوالي نصف ساعة . ولقد تكلمت اليهم في الادب وفي الفنون . فتملكهم الجذل
وأخذ منهم الحبور . وظنوا بأنني أهزأ بهم لاسيهم ، ثم أخذت أعيد على سمعهم
ما قال « كاليداس » من أناشيد ، حتى لقد مر على خواطرهم كالسحر فاخذت العيون من
الكرى سنة هنية ، وعلى الرشم منى ما تركت خيمتهم لأمثل بين يديك .

الملك - يجب أن يعاقبوا هؤلاء الحراس الذين يهوم بجفونهم النعاس عند
ما ينشد اليهم سجين شيئاً من أشعار « كاليداس » .

دايفاداتا - سنفكر في العقاب فيما بعد . والآن يجب علينا أن نفرض هذه
الحرب ونهود الى الاوطان . كنت أظن أنه لا يموت من ألم الفراق الا أولئك الذين
ربوا في حجز النعمة وخدمهم الحظ . ولكنني منذ غادرت وطني لاحضر الى هنا ،
قد عرفت أنه ليس يبعد أن يقع برهمي فقير مثلي فريسة لخالب الحب الغصوب !!
فكرام - ان الحب والموت كلاهما لا يعنيان باختيار فرائسهما .
انهما لا يباليان .

نعم ايها الصديق . لنعد الى بلادنا . وليس امامي سوى شيء واحد ازد ان
اتمه قبل الاياب . اجتهد في ان تعرف من فارس تريشور اين نخبأ كومانرسن ؟
واذا التقيت به فاخبره بأنني لم أعد عدوه . وكذلك يا صديقي ، اذا التقيت
بشخص آخر معه : فقل لها .

ديفاداتا - نعم . نعم . أعرف الباقي . انها دائماً في ذا كرتنا ، ولو انها أبعد
من ان تصل اليها كلماتنا . نعم ان حرناها ولا مربية كُن عميقاً متيسراً ينباله قلبها

فكرام : ايها الضديق . لقد اتيت الى كما تهب اول ثبات الربيع الشجية .
والآن سوف تفتح ازهارى ، مع ذكريات الالام السعيدة التى فرطنا عقدها .
— يخرج ديفادانا —

— يدخل شندراسن —

فكرام : عندي اخبار تسرك . لقد عفوت عن كومارسن .
شندراسن : يمكن ان تكون قد عفوت عنه . غير انى الآن وانا أمثل
بلاد كشمير فانه سوف يتلقى عدل بلاده من يدى . انه سيتلقى عقابه منى .
فكرام : أى عقاب .

شندراسن : سوف يحرم من عرشه .

فكرام : ان هذا مستحيل . سأرد عليه عرشه .

شندراسن : أى حق لك فى عرش كشمير ؟

فكرام : حق المنتصر فى ميدان الحرب . ان هذا العرش هو لى الآن .

وسأرده اليه .

شندراسن : أنت تعطيه اليه ؟ الست اعرف كومارسن المتكبر الفخور منذ
جداثه ؟ اظن انه يقبل ان يسترد عرش أبيه كعطية منك ؟ ان يحتمل انتقامك
ولكنه لا يقبل تحنيك عليه .

(يدخل رسول)

الرسول : لقد وصلت الاخبار بان كومارسن قادم فى عربة مقفلة ليسلم نفسه
شندراسن : خبره كذوب . أيا فى الاسد اقدم يديه للاصفاد ؟ وهل الحياة عزيزة
الى هذا الحد ؟

فكرام : ولماذا يأتى فى عربة مقفلة ؟

شندراسن : كيف يمكن أن يظهر نفسه ؟ إن أعين الناس فى الطرق تخترق

كالبهام فى سرعة نفاذها .

أيها الملك . اطفئ المصباح عند ما يحضر واستقبله في الظلام . وفرغايه
إهانة لقياد تحت ضوء المصباح .

(يدخل ديفاداتا)

ديفاداتا : سمعت أن الملك . كومار سن قادم لياقاك بمحض إرادته .
فكرام : سألقاه بكل ما هو جدير به من مظاهر الأكرام والاحترام ، وأنت
معي كممثل للدين .

عرف قائد جيشي بأن يأمر الجند ليقوموا بحفلة زفاف بأهرة .
(يدخل البراهمة)

الكل : لك النصر وطول العمر .
البرهمي الأول : سمعنا أنك استدعيت ملكنا لترد عليه عرشه . وكذا
حضرنا لتباركك ونحيطك بهانينا .

(يدخل شنكر)

تلقاء ما غرت به بلاد كشمير من جند وسرور .
البراهمة يباركونك وهو يتخنى لهم . ويخرجون
شنكر (إلى شندراسن)

مولاي ، أصبح أن كومار سن قادم . إيسلم نفسه إلا أعدائه ؟

شندراسن — نعم ، حق ما سمعت .

شنكر — ان هذا لا حق من كل الأكاذيب المنتشرة في أرجاء العالم بمجتمعة .
يا ملكي المحبوب انا خادمك القديم . نحمات من الآلام ما لا يعلمه إلا الله
ومع كل هذا لم أشك مرة واحدة . فكيف بي احتمل ما أسمع ؟ أسمع أنك تجوب
كل طرق كشمير من مشرقها إلى مغربها لتدخل القفص طائعا مختارا ؟ لماذا لم
يأت خادمك قبل أن يأتي هذا اليوم الأسود ؟

(يدخل جندي)

الجندي — المركبة بالباب .

الملك — ليست القيثارات والدفوف على استعداد ؟ فليعزفوا صوتاً مبهجاً

(يقترعون من الباب)

أهلا بك يا صديقي الملكي . أهلا بك من كل قلبي .

تدخل سومترا وبين يديها طبق مغطى

فكرام — سومترا ! ياملكتى !

سومترا — ايها الملك فكرام . لقد تعقبته ليلا ونهارا بين التلال والاحراج ،
وكننت اينما سرت انتشر وراءك الخراب ناسيا شعبك وشرفك ، واليوم يرسل
اليك معى رأسه المنفصول عن جسمه . الرأس الذى يجلس من فوقه الموت بجلال
اين منه جلال التاج .

فكرام — ملكتى !!!

سومترا — يامولاى . لم اعد بملككتك بعد . لان الموت الرحيم قد انتشاني
من بين يديك

(تسقط ميتة)

شكر — ياملكى . ياسيدى . ياولدى العزيز . حسنا ما فعلت . قد جلست
على عرشك الابدى . ولقد شاء الله لى ان اعيش لاراك في هذا المجد الباقي . والآن
قد انتهت أيامى فوق الارض ولم يبق لخادمك الا ان يتبعك الى حيث ذهبت .
(تدخل ايللا في ثياب الزفاف)

ايللا — ايها الملك انى اسمع موسيقى زفاني . فاني حبيبي ! لقد تهيأت للقياء .

* * *

كيف الحد

قصة الشيخ مسين وكيف ملك ثم الحد

كان صبياً صغيراً مهمل اللحم تكاد أن لا تفرق بين طوله وعرضه، نشأ كما ينشأ
عموم الأطفال في وسط عليه مسحة دينية . وبالرغم من أن والده كان مسيراً
لمصره يطوف البارات حيناً ويقضى أوقاتاً في مجامع السرور كانت عصبية تمنعه
من الظهور في منزله بالمظهر الذي يعيش فيه بين خلانته . ولست أدري بالضبط
ما الذي كان يدعو الوالد إلى تضيق الخناق بدروس الدين الإضافية على أولاده
في حين كان للدين نصيب في برنامج المدرسة .

ولاجل أن يوفق الوالد بين رغبته في تثقيف أولاده ثقافة دينية صرفة وبين
عدم الانفاق بلا حساب، استحضر لهم قتيلاً بأجر بسيط حضر عليه الأولاد
دروساً في أصول الدين . وبالطبع لم يفتح عقل الشيخ عليه بأكثر مما يمكنه فهمه
فأتى الأولاد بمجموعة من الكتب « الدينية » ذوات الأوراق الصفراء، فمن
كتاب توحيد إلى كتاب في فقه أبي حنيفة إلى كتاب قصص الأنبياء
إلى مجاميع قصائد كالأبردة .

وكان اسم الصبي حسينا . لم يترك جسده لعقله فرصة للنمو فبينما كان يخاله
الرائي قد أنهى الخامسة والعشرين وهو في الرابعة عشر كانت له عقلية ابن السنين
الخمس . وكان قابل الحركة ميالاً للاستلقاء على ظهره منصتاً إلى « دأته » السودانية
وهي تقص عليه قصص « عقلة الصوب » و « الشاطر حسن وما فعله مع الغول »
و « بنت زرع الكون » وخلافه . فلما ارتبط بالشيخ برباط « العلم » وجد في كتاب
قصص الأنبياء مادة لاتنضب من القصص الملهمة . ولم يكن يسر من قراءة قصة
النبي بلوقيا وكيف ركب الحية طائراً إلى السموات حيث قابل الملائكة وهي
تطير صائحة « لبيك اللهم لبيك رب الكعبة لبيك » وكيف أن الأفي أهدت
النبي المذكور « حقاً » من الدهن إذا مسح قدميه منه تمكن من قطع ألوف

لألف من الفراسخ في غضة عين سائراً على سطح الماء . هذا نوع مما يحويه كتاب
قصص الأنبياء الذين .

ذن حسين يقرأ لهذا القصة من المرة بعد المرة فلا يتألك من اشراك أو الامية
مع في العلم . فيقص عليها القصص الدينية فتظهر هي وانادات دلائم الدهش
المزوج بالورع فيتمتع بالصلاة على النبي اذا ورد ذكره ولو عرضاً وبالرضا
على الأنبياء والرسل والصحابة اذا سئحت لمن فرصة .

وأصبح الصبي دائرة معارف « دينية » متقلة يستشار فيما اذا كان أهل
الكهف ستة أو أربعة وما كانت أسماؤهم وكم سنة ظلوا في الكهف وهل كان كلهم
مؤمناً ؟ ولم يلبث صديقنا كثيراً حتى أجمع وسطه على منحه شهادة العالمية وأصبحوا
لا يفرقون بينه وبين أصحاب الفضيلة فأسموه شيخنا . وظنوا أن في امكانه اخراج
الشعابين من جحورها بتماؤيده . وكان الجيران يطلبونه لقراءة الفاتحة قرب فراش
المرضى فيشفون بأذن الله وبركة أنفاسه .

وكما أن للأولياء والقديسين معجرات فقد اكتشف أشياع شيخنا الصغير
له معجزة ، كيف لا وقد كان « يته » في كلامه والكثرة ما كان يدرده من أنواع
الكل الذي كان يقدمه له الأهل دون حساب ابتغاء مرضاته ، ذن يتناثر رشاش
من لعابه ممزوجاً بمئات الطعام على وجود السامعين فيسرعون بأيديهم إلى الأثر
الظاهر يذنون به كافة الوجه ثيماً وتبركا .

وحذى الصيت الذي ناله الشيخ حسين بوفرة علمه وعظم اطلاعه في العلوم
الظاهرة والباطنية به إلى التمدد في قراءة كتب الدين ليتيسر له الافتاء في مسائل
الصوم والطهارة وهكذا كانت كتبه تفصل بين الحرام والحلال ، ومن يدرى فربما
اتبعت فيه شكلة ذكاء أو أن التطور هو الذي مال به إلى مطالعة كتاب كريمة
ودرة وقصص ألف ليلة وليلة مع حكايات عنتر والوزير وغيرهما ، فكان يلقي
محتوياتها على سامعيه بعد أن يكتبوها مسحة من القداسة . كل هذا حق لا تبور
بشاعته ولا يتقدم مركزه العالي بالانبياء من الأفضاء بكل ما حوته قصص الأنبياء اذا
أن الشك انطوى بها نقلاً عنه .

وكان والده قد سمع شيئاً عن كراماته وعن « استقامته » فخطر بباله أن يرسله الى الأزهر « لاتمام علومه » وليته فعل حتى كان يصير الشيخ حسين من أصحاب الفضيلة الذين يدينون الناس حسب أهوائهم فيقررون كفر وإيمان الملائق كأنما بيدهم حق تقرير المصير قبل يوم القيامة فيعينون رجال النار وأصحاب الجنة ، أجل ليتهم فعل ذلك حتى كان يتنعم ابنه حتى الآن بتقبيل اليدين وبالطعام الشهى على موائد المؤمنين ومائدة المتدوب السامى دون اجهاد ولكن « تعب كلها الحياة » . ففي وسط هذه الحياة المتعبة ألقى الأب بابنه ، اذ أغشى عن جعله أزهرياً ، ولست أعرف السبب الذى حدها الى تغيير فكره فلم يرسله الى الأزهر ليصبح على حد قول الأفرنج « دكتوراً فى اللاهوت » .

وواظب الشيخ حسين على الصلاة الخمس فى أوقاتها وعلى الصيام فى شهر رمضان والستة الايام البيض وخلافها وكذلك على قراءة الأوراد والانضمام الى حلقات الذكر وهم كان يتيه عجباً لاستقبال المذاكرين له اذا ما اهل للانضمام اليهم فتد كان كلهم من حشالة الشعب يكبرون انضمام أحد أبناء الحكم البكوات لهم فى عملية ذكر الله وقد أعد المؤمنون هذا « التواضع » كرامة ما بعدها كرامة شهرت الشيخ حسين أى شهرة . وكان يقوم بفروضة هذه آلياً

وأذكر أنه خرج عن دائرة اختصاصه ذات مرة فتكلم فى السياسة ولما يبلغ الثامنة عشرة من عمره . فقد وقع خلاف بين الحكومتين العثمانية والبريطانية بخصوص حدود القطار المصرى من جهة العريش وكان المصريون متحسين جداً التحمس لدولة الخلافة خصوصاً عند ما ذكرت التلغرافات أن الدولة الثانية قد ارسلت سفنها الحربية صوب قناة السويس فأنسرع الشيخ حسين الى أطلس الجغرافى وبعد أن أطل فيه برهة توصل الى حل بسيط للأزمة فخطب رهطاً من التلامذة مبيناً كيف سيكون موقف الخليفة الأعظم فى الأزمة . وسحب الأطلس من تحت أبطه وأشار الى الرسم المصرى قائلاً ان الخليفة (مكرر) فعند ما اتصل مراكب الكفار هنا (وأشار الى ميناء سعيد) يتسارع مراكب الدولة لتصطف هكذا (ورسم باصبعه خطأً وهمياً يصل الدردنيل بميناء الاسكندرية)

فلا يمكن للإنجليز الاقالات لان المسافة بين كل دوئمة وأخرى لن تزيد على بضعة
أشبار فما كان من أحد السامعين الا أن صفعه بكفتا يديه مثبتا له بالقول جبهه
الفاضج فاعتناظ الفتى وادعى بأنه رأى ما أدلى به في رؤيا آلهية وأن الله سيحقق
الرؤيا عما قريب .

وكان هذا الادعاء فائمة نبوءات وأحلام لاعداد لها كان الشيخ يتخذها سلبا
لطلب المأكول الفاخر والنقود الوفيرة من أمه البسيطة القلب .

وصاحب شيخنا ذات مرة بعض الشبان الى سوق المدينة حيث اشترى
أحد الذين معه (فسيخاً) فلم يضبط الشيخ نفسه بل شاركه الطعام على نية أنه
سيصوم بدل اليوم يومين ، وكان ذلك في رمضان ، وكم كان ألمه عظيما عند ما حل
موعد الافطار فأنبه ضيقه أشد انتانيب على مخالفته لأبسط قواعد الدين وبات
ليلته كالللسوع خوفا من أن يمسخه الله قرداً أو عموداً من ملح كما ذكر في بطون
الكتب . ولكن الشمس أشرقت فقام على رجله . ما في فلعمت عيناه استهزاء
بمخاوفه التي لا محل لها فغرق في الافطار ماشاء له نومه وكما انقضى يوما شعر بأنه
أقل شعورا بعظم خطيئته من يومه السالف وانقضى رمضان والاهل يبحثون عن
سارق المأكولات بين أولادهم ولم يخطر ببال أحدهم أن الشيخ المفيق هو اللص .
وقرب وقت امتحان الشهادة الابتدائية فدخله (صاحب الفضيلة) وأسنانه
ترعد فرقا من السقوط فيه المرة الثالثة . فزين له الشيطان ، على حد قول العلماء
الاعلام ، أن يوقف الصلاة طيلة مدة الامتحان ليحرب حظه دون صلاة . وبالفعل
أشاح بوجهه عن مقام السيدة الطاهرة الذي طالما قصده قبل دخول الامتحانين .
السابقين متشفعا عساها ترشد يديه لكتابة اجابات صحيحة . وفي ذات ليلة بينا
كان منفردا بأحد أترابه ائتين نالوا حظا من الجمال ، سولت له النفس الأمانة
بالسوء أن يرتكب أمرا إذا فعل مدفوعا بيب سوداء أعمت عينيه عن الطريق
السوى . وكم تألم بعد أن هبطت اللذة الجامحة . فقضى اسبوع الامتحان في شرح حال
ولكنه فوجيء بيشري النجاح في الامتحان . فسر كل السرور زين سوء الحظ
أوصاه عقله الى الاعتقاد بأن حسن السيرة لا يؤثر الانسان للنجاح أو بالاكل أنه

لا توجد صلة بين هذا وذاك وهكذا قطع صلته بفروض الله ولكن في الشك والسبب في ذلك أنه وجد التظاهر بالايان خير درع يتقى به المراقبة . وتحت قناع الدين أخذ يرتكب شر أنواع الفسق والفجور دون رادع .

وحدث ذات مرة أن كلمه والده بأخذ مقدار من النقود من جيبه كي يشتري به شيئاً معلوماً فأخطأ من حيث لا يدري وأخذ قطعة ذات قيمة تربو عشرة أضعاف قيمة القطعة التي كان يقصد أخذها ولم كان خوفه غالياً عند ما أفضح له ما فعل بخوفه من اكتشاف والده جلالة الامر . ولكن الايام مرت وهو على وجل دون أن يشعر الوالد بالنقص . فشمّر (الاستاذ) عن ساعديه وأخذ يتتربف من مال والده دون حساب الامر الذي جعل الوالد يشتبه في أحد اخوة شيخنا الفاضل فجازه أشد جزاء ولكن لم يقف السارق عند حده بل تمادى فيه الى أن أطبق عليه الفخ . ولم يكتف بهي والده عند ما ظهر له أن السارق لم يكن الا ذلك العصام الراكع المبتهل لله ومن ذلك الوقت سقط فضيلة الشيخ من ذروة مجده وأصبح مهاناً محترقاً من الجميع .

ولما قرأ حسين في كتاب علم الطبيعة أن الثقل النوعي لأجسام البشر يزيد عن الثقل النوعي للماء سواء كان حلواً أو أجاباً استنتج أن قصة النبي بلوقيا وخبر سيره على صفحات الماء ليس أكثر من كذبة وجره اكتشاف هذا الى أن يتيسر كل ما وعتة ذاكرته مما سطر في كتب الدين بمقياس العقل فوجد أن كل المعجزات ليست الا خرافات وسخافات وهكذا طلق الدين ثلاثاً وأصبح ملحد . هذا ما أفضى به الى الشيخ (سابقاً) ذات يوم وأنا أسأله عن علة ذلك الانقلاب العجيب . وقد سبب لي إفضاء هذا السر انشغالا ووجدت من ذاتي دافعا للبحث عن أسباب هذا التحول فتوصلت الى ما يأتي :

- ١ - مزج الدين بالاخلاق مع الادعاء بأن اتباع الشر يؤدي الى الشقاء وأن الخير اذا اتبع أنال السعادة . وهكذا يقع الانسان في الشك اذا ما ارتكب مخالفة ولو دون قصد لانه لا يجد الشقاء الذي وعده به بل تظل الحال على ما هي عليه
- ٢ - الانغماس في الوصف والنادي في المقالة عند تصوير حادث أو ضرب

مثل برجي منه العبرة وبوضع ليكون قدوة حسنة . أليس أغلب الاذكياء والعقلاء يضحكون من الدين لما تحويه كتبه من السخافات التي يزجها رجاله فيه للاكبار من شأنه دون أن يشعروا بأنهم يصورونه بصورة مضحكة غير مقبولة تظهر بشعة تدعو الناس الى احتقاره .

٣— جهل العلماء المطبق في العلوم وتصميمهم على أن ما حفظوه هو الصحيح في حين أن المشاهدة تثبت خطأه .

انتا اذا أردنا تحسين الاخلاق يجب أن نظهر تعاليمنا للنشء دون غاو ولا مبالغة مجتهدين أن نبين للشباب أن تبادل المنفعة يقتضى اتباع هذا الطريق دون غيره : فاذا عينا السرقة فذلك لانها تدعو الى الفوضى الامر الذي لا يستتب معه الامن وفيه خطر على مصالح الانسان ..

كذلك يجب أن لا نغير ماسطره القدماء من الخطأ جهلا منهم بما توصلنا اليه اليوم بواسطة الاكتشافات والاختراعات أى أهمية لانه اذا اتضح للشباب أن هذا خطأ محذور عليه اصلاحه ضرب به عرض الحائط . ولا يقف هنا بل يتأدى في غيه را كضا وراء ميوله الجامحة .

نحتاج الاديان في الشرق الى عقول تنقيها من السخافات التي لصقتها بها الجاهلاء المدعو العلم ، لان لكل منها بالاقل أساس له ولو لدرجة ما نصيب من الصحة وهذا الذي يمكنك ملاحظته اذا سبرت غور الاديان العملية كالا سلام والاديان النظرية كالمسيحية فالاول اشيد على نظام اجتماعي والآخر على نظرية روحية ان مصيبة الاديان تتجث من جهل الدواب التي تحمل الاسفار الدينية دون أن تعي ما فيها من غث وسمين .

وبالله ما الذي تنتظره من (عالم) ينهمل مبادئ علوم النفس والاجتماع والاعضاء والاقتصاد فاذا ما كملك اذار لك (اسطوانة) تحوى آراء سخيفة ارتآها شخص عاش منذ قرون خلت حين لم يخرج العلم عن ان يكون تهويشا .

مستمع

الديانة العصرية

أو

مفيدة البرهانية

« رد على الباحث الاديب
السيد عمر عنایت »

بدأت الحركة البابية سنة ١٨٤٤ في العجم وكما كان يوحنا المعمدان صوتاً صارخاً في البرية يعد الطريق للمسيح، « كذلك كان ميرزا علي محمد »، المعروف « بالباب » أي الباب الذي يوصل الى معرفة الحق الآلى ولد « الباب » في « شيراز »، بمجنوب العجم، في العشرين من شهر اكتوبر من سنة ١٨١٩ - أول محرم سنة ١٢٣٥ - من نسل النبي محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام :

أما أباه فكان تاجراً من تجار الصوف ، توفي وميرزا بعد طفلاً ، فكفله عمه ورباه واشركه معه في التجارة عندما بلغ الخامسة عشرة ، وقد اشتهر بالجمال والتقوى وعاش خاضعاً لروح الدين الاسلامي ..

وتزوج في الثانية والعشرين ، ولم يرزق إلا مولوداً واحداً ، توفي طفلاً وعند ما بلغ الخامسة والعشرين أعلن أنه يحمل رسالة من الله ، واطلق على نفسه « الباب » ويقال ان ذلك كان بعد غروب الشمس بساعتين وربع ، في الثالث والعشرين من شهر مايو سنة ١٨٤٤

ونادى أنه سيخلفه من هو أعظم منه ، وأنه سيكون فتحة عصر جديد في الدين والمدنية .

وانضم اليه ١٨ تلميذاً فرسايهم يكرزون ببشارته في أنحاء شتى من العجم وتركستان ، وكانت بشارته واضحة صريحة . فكان ينادى بتوحيد الاديان والسلام العام ، والاخوة ، وأنه ليس إلا رسولا يعد الطريق لعلم عظيم سيعقبه وقصد مكة فوصلها في ديسمبر سنة ١٢٤٤ وقد سخط عليه جماعة المسلمين النقاديين ، وقامت قيامة رجال الدين ، وتأمرؤا مع الحاكم « حسين خان » ، وكان من انصاره من المؤمنين بالله وطالبوا منه أن يقضى القضاء المبرم على هذه الهرطقة !!!

وبعد محاكمة صورية ، رمى بالرصاص في تبريز في التاسع من شهر يوليو سنة ١٨٥٠ يوم الجمعة ٢٨ شعبان سنة ١٢٦٦ هـ !!

وكان قد طلب سكرتيره محمد علي أن يقتل معه ، فعلقا بالحبال من أبطيها ، بحيث كانت رأس محمد تستند على صدر سيده !

وصدرت الاوامر ، قبل الظهر بساعتين ، الى جنود فرقة أرمنية ، أن تطلق النار فطلقتها ، وبعد أن صفا الجو ، واختفى الدخان وجد أن «الباب» وسكرتيره ، مازالا على قيد الحياة ! فان الرصاص قد مزق الحبال دونهما ، فسقطا على الارض ، ولم يصبها أذى ، ووجدوها في حجرة قريبة ، يتحدان مع صديق !!

وعند الظهر ، علقا ثانية ، ورفضت الفرقة الاولى أن تطلق النار ، فاتوا بفرقة جديدة ، وصدرت لها الاوامر ، فطلقتها ، فتمزق جسميهما تمزيقا ، ولكن لم يصب وجهيهما بشيء !

وكم كان سرور أعداء «الباب» اذ ظنوا أن الشجرة قد اقتلعت من جذورها ، ولكن سرورهم لم يكن إلا مؤقتا اذ كانوا لا يعلمون أن شجرة الحق لا تسقط بفأس ! بل انهم خدموا هذه الحركة من حيث لا يدرون ، فان اعدام «الباب» قد ملأ قلوب أتباعه بالحماس والغيرة .

وبعد اعدامه رميت بقايا جسمه في خندق خارج سور المدينة فحملها أتباعه ليلا وأخذوا ينقلونها من مكان الى آخر سنين عديدة الى أن استقر بها الامر في جبل الكرمل بحيفا من مدن فلسطين .

وقد كان بين الشخصيات البارزة من تلاميذه السيدة « قرة العين » وقد عدت بعده بسنتين اثباتها على ايمانها . وهي المرأة الاولى التي جاهرت بتعاليم «الباب» سافرة

وقد بقي «الباب» يجاهد جهاد الأبطال ست سنوات كاملة ، واعدم وهو في الثلاثين من عمره . وقيل اطلق عليه الف رصاصة !!

أما بهاء الله فهو المؤسس للحركة البهائية وهو الذي تنبأت عنه النبوات جميعها وقد قورمت دعوته مقاومة عنيفة ، واضطهد واضطهدا مبرأ . وقد كان ميرزا حسين

على ، الذى لقب نفسه بيهاء الله ، أكبر أبناء ميرزا عباس ، من وزراء الدولة ، وكانت عائلته من الاسر العريقة المثرية ، وبين رجالها من شغلوا وظائف عليا في حكومة المعجم

ولد في طهران ، عاصمة فارس ، بين الفجر وشروق الشمس ، في الثانى عشر من شهر نوفمبر سنة ١٨١٧ — ٢ محرم سنة ١٢٣٣

ولم يدخل مدرسة من المدارس ولكنه تعلم بعض مبادئ العلم في داره وقد أظهر وهو بعد طفلا ذكاء نادرا ، وتوفى أبوه وهو طفل ، وتركه مسؤولا عن اخوته وأخواته ، والاهتمام بشؤون العائلة

وقد بشر برسالته سنة ١٨٤١ وهو في السابعة والعشرين ، وسجن مرتين ، وحدث في ١٦ أغسطس سنة ١٨٥٢ — ٢٨ شوال سنة ١٢٦٨ — أن أحد اتباعه « صادق » حاول الاعتداء على الشاه بعد الغروب بساعتين ، وقد كان الشاه متمطيا جوادا فلم يصبه أذى ، وقبض على الشاب ولاقي حتفه في الحال وعد الباييون جميعهم مسؤولون عن هذه الجريمة ، واتهمهم ظلمة رجال الدين لتغلغلهم في السياسة ، وقامت قيادة الحكومة ، فسجنت بعض البايين ، وقتلت كثيرا من زعماء هذه الحركة

وقد نتج من وراء هذا الاضطهاد ، حقيقة ناصعة ، على غاية من الخطورة وهي ان الاضطهاد دائما يخدم القضية التي يراد هدمها ، ولا يزيد النار إلا لهيبا ، فقد كشف التعذيب عن قوة الحركة البائية الخفية ، وهذا الايمان المعجيب الذى كان يجعل الآباء يثابرون عندما كانوا يرون فلذة الكبادهم يذبحون ذبحا أمام عيونهم !! حقيقة لقد روى التاريخ من اخبار الاضطهادات التي وقعت على المسيحيين ، ما يشبه هذا الاضطهاد ، ولكنه لم يذكر لنا شيئا أفظع منه !! وقد سجن « بيهاء الله » وعاقب بقية المؤمنين ثم أسرع وسلم نفسه مسرورا !!

وقد ثبت أن « بيهاء الله » لم تكن له يد مطلقا في المؤامرة على الشاه لاعتلال صحته واعترت صحته ضربات ظن أنه قد يفارق معها الحياة ، وعليه فقد اكتفى الشاه بنفيه الى بغداد ولم يعدمه

وبعد أسبوعين ، سافر مع عائلته ، وقد كان الشتاء قاسياً فقاموا من البرد
كثيراً ووصلوا بغداد في حالة يرثى لها !

وقد تركت القافلة «طهران» في شهر ربيع أول سنة ١٢٦٩ أو بين آخر
سنة ١٨٥٢ وبداية سنة ١٨٥٣ ووصلت في ربيع ثان ، وقد استغرقت الرحلة بين
أربعين وخمسين يوماً

وبعد أن تحسنت صحة «بهاء الله» ، ابتدأ ينشر دعوته ، ووصل أخوه
«ميرزا يحيى» المعروف بصبح الازل وكان شقيقاً عفيفاً بين الأخوين ،
وقد أضر ذلك بهاء الله ضرراً باليغاً ، إذ أنه كان يدعو إلى الاتحاد والسلام !
وقد لحق به طوعاً عدد كبير من أتباعه ف قضى سنة كاملة يسير لهم أوورهم
المعاشية ، ولما انتهى من ذلك ، اعتزل في الجبال ، وطالت مدة اعتزاله سنتين
كاملتين ، وساءت حالة جماعته فالتوا عليه أن يرجع فرجع ، واندعشت الحركة من
جديد . وأقبل كثير من البايين ينضمون إلى جماعة بغداد وزاد عددهم ونفوذهم
حتى خاف رجال الدين على سيطرتهم

وبعد مخاضات عديدة بين حكومة العجم وحكومة تركيا دعاه سلطان
تركيا إلى القسطنطينية

فاخذ أفراد عائلته ، وكان عددهم اثني عشر ، وبعد مسيرة يوم واحد ، ساق
به ٧٢ من أتباعه فضلوا أن يصحبوه إلى هذا المنفى الجديد .

وصرف اعوانه معه جميعاً اثني عشر يوماً في بستان الرضوان . اعلن فيها
تبعائه انه « بهاء الله » ، وأمرهم ان لا ينظروا بعد الآن إلى «الباب» على انه نبيهم
بل ينظروا اليه . لان النبوة قد تمت فيه ، وانه مختار من الله وانه المهدي المنتظر ، الذي
تنبأت عنه كل الانبياء !

وظهرت عليه دلائل الهيبة ، والوقار ، والقوة . فامتلاء أتباعه من الحماس
وقدوت الجماهير تقدم له الاحترام والتبجيل ! !

وقد نسينا ان نذكر انه عندما ترك بغداد ودعه كل اشرافها ، حتى الحاكم
نفسه جاء بحبيبه ويودعه !

وقد قابهم الناس بمقابلة ودية غير منتظرة ، ووضعت الحكومة تحت تصرف بهاء الله ، وعائلته ، بضع منازل

ولم تنقض اربعة اشهر الا ونفوا الى ادرنة . ومع ان هذه الرحلة القصيرة لم تستغرق أكثر من أيام قليلة ، الا انهم قد لاقوا احوالا جساما وتعرضوا للمجاعة لقلة الغذاء والسكاء

وحشد بهاء الله وعائلته في ثلاثة غرف صغيرة ، ولكنهم عادوا قرأوا به واعطوه دارا فسيحا

وقد قضوا في ادرنة أكثر من اربع سنوات ونصف . وتابع بهاء الله نشر تعاليمه ومبادئه ، فالتقت حوله جماعة كبيرة ، ولكن فئة صغيرة انضمت الى أخيه . وحدثت قوضي كبيرة ، فرأت الحكومة التركية ان تنفي الاثنين من « ادرنة » فنفت بهاء الله وجماعة الى سكا من مدن فلسطين وقيل انهم وصلوها في ٣١ أغسطس سنة ١٨٦٨ ونفت ميرزا يحيى المعروف بصبح الازل وجماعته الصغيرة الى قبرص

وكتب بهاء الله كتبه المشهورة لكثير من ملوك أوروبا ، وإلى البابا وإلى نابليون الثالث وإلى شاه العجم ، وحكومة الولايات المتحدة ، يلشرفها دعايته ويطلب مؤازرتهم وتمضيدهم لديانته الجديدة التي يدعو فيها الى السلام الدولي ولم ينس أن يذكر في خطابه الى الشاه مالاقيه اتباعه من الاضطهاد القاسي ، ويعترض على ذلك اشد اعتراض ، فما كان من الشاه الا ان انتقم من حامل الرسالة قاصر باعدامه في الحال فاعدم بعد أن كوا جسمه بقوالب طوب حامية . . . وقد كانت عكا سجنا في ذلك الوقت لا فسد أنواع المجرمين الذين تنقم عليهم الحكومة التركية شرققه

وصل بهاء الله وجماعته ، وعددهم ٨٤ من الرجال والنساء والأطفال فحشروا في مكنتات الجيش القذرة ولم تكن بها ابسط انواع الأهبة وكان لا يقدم لهم غذاء كافيا فكانوا يضطرون الى اللحاح في طلب الخروج لشراء بعض الأطعمة ، وانتشرت بينهم الملاريا ، والديزنتاريا ، وبعض الأمراض الأخرى ، ومرضوا

جميعاً ، وبقوا يقاسون من العذاب ألواناً مدة سنتين كاملتين كان لا يصرح لهم فيها بمغادرة أبواب السجن إلا أربعة منهم يخرجون يومياً مع الحرس يشترطون بعض الأطعمة

كما أنه لم يكن يسمح للزوار أن يقابلوا بهاء الله أو يجتمعوا به ، حتى أن عدداً كبيراً من البهائيين في المعجم ساروا على أقدامهم حتى وصلوا إلى عكاز يقابلوه فلم يصرح لهم بالاقتراب من سور المدينة فكثرت يكتفون برؤيته من النافذة عن بعد فيمكنون ثم يعودون وهم في أشد ما عرف من الحماص والغيرة والتضحية والخدمة ...

وقد احتاجوا إلى هذه الشكائب العسكرية ، لبعض الفرق التركية ، فسمح لبهاء الله أن يكن داراً على أن يظل تحت ارقابة

وبقي محاصراً سبع سنوات ، ولكنه كان يقابل زواره ولما كان في السجن كان يرسل ما يعطيه به من قلوب اتباعه ويصبرهم فيقول لهم « لا تخافوا ستفتح أبواب السجن ، وسنخرج وسننصب الخيام على جبل الكرمل » ...

وقد أصيب بهاء الله بالحمى ففارق الحياة في الثاني والعشرين من شهر مايو من سنة ١٨٩٢ بعد أن عمره ٧٥ عاماً

عباس أفندي أو عبد البهاء

أما « عباس أفندي » الذي أطلق على نفسه « عبد البهاء » ، فكان ابن بهاء الله الأكبر ولد في طهران ، في الثالث والعشرين من مايو من سنة ١٨٤٤ -- ٥ جمادى الأولى سنة ١٢٦٠ -- في نفس الساعة التي أعلن فيها الباب « رسالته » وبعد أن سجن ٤٠ سنة أفرج عنه في شهر سبتمبر سنة ١٩٠٨

وبعد أن أفرج عنه قام برحلة إلى العالم الغربي في أغسطس سنة ١٩١١ وزار لندن في أوائل سبتمبر وكان يقصده عشرات الرجال والنساء يومياً . أما في باريس فكانت تعقد اجتماعات يحضرها الهنود والفرس ، والمعجم ، والعرب ، والألمانيون ، الروس ، والفرنسيون ، والأمريكيون . وقد اهتم أهالي

لندن بالبهائية من الوجهة الاجتماعية الروحية ، واهتمت باريس بمحتويات
البهائية العقلية وقوة تعاريفها المدهشة

وظل يجتمع باكثر من ١٥٠ رجلا وامرأة يوميا لمدة شهرين ، ثم قصد
مصر في ديسمبر ، ووعد ان يزور الولايات المتحدة في السنة التي تليها ، بناء على
الحاج كثير من الامريكيين وقد بر يوغند ووصل نيويورك في ابريل سنة ١٩١٢
وظل يتنقل في المدن الامريكية سبعة شهور يحط في طلاب الجامعات والكنائس
والجمعيات ، للمسيحيين ، والمسلمين ، واليهود ، للرجال وللنساء ، في جمعيات السلم
وفي جمعيات المطالبة بحقوق النساء السياسة ، وفي التحكيم الدولي ، وفي فلسفة
الدين خطبا قيمة تناسب المقام ...

وفي الخامس من شهر ديسمبر اقلع قاصدا انجلترا حيث قضى ستة اسابيع زار
فيها لفربول ، ولندن وبرستول وادنبره

وقد خطب من ادنبره جمعية الاسبيرانتو وذكر لهم انه قد شجع البهائيين في
الشرق على درس لغة « الاسبرانتو » حتى تزداد الصلة بين الشرق والغرب

وبعد ان قضى شهرين في باريس قصد المانيا وعقد عدة اجتماعات في
Stuttgart و بودابست وفيينا . ثم رجع الى مصر في شهر مايو سنة ١٩١٣ ومنها الى
حيفا في الخامس من ديسمبر من السنة نفسها وقد بلغ السبعين من عمره

وعندما اشتعلت نيران الحرب زرع مساحات كبيرة من اراضيه من « طبريه »
غللا وكان يقدم خيراتهما الى فئات الفقراء في حيفا وعكا ، من جميع الاديان ،
وفوق ذلك كان يقدم لهم مبالغ صغيرة من النقود يوميا 171

وفي يوم الجمعة ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٢١ صلى صلاة الجمعة في جامع حيفا وقرأ
الصدقات على الفقراء بيديه الطاهرتين وبعد الغذاء املى بضع خطابات واستراح
قليلا ثم تمشى في الحديقة وتحادث مع البستاني

وفي المساء بارك أحبه اتباعه الذين تزوج في ذلك اليوم وقدم له بعض
النصائح الغالية

وفي نحو الساعة الواحدة ونصف من يوم الاثنين ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٢١ قرأ

الحياة وقد ترك اربعة بنات، وطير خبر وفاته في جميع انحاء العالم وساروا بجنازته
يوم الثلاثاء في ٢٩ نوفمبر ١١١١ .

وقدر ثاه تسعة من المسلمين والمسيحيين واليهود ! وقد ترك وصيته ان يتولى
امور البهائية حفيده شوق افندي رباني

وقد نجحت البهائية نجاحاً سريعاً ، ولما دراكز هامة في المعجم وتركستان ،
وامريكا ، والهند ، وبرما ، واليابان ، وفرنسا ، والمانيا ، وروسيا ، ومجلات
تدافع عن هذه الحركة وتلشر مبادئها

وبعد ان كتبت ما كتبت في البهائية ، طلعت علينا مجلة « العصور »
الفراء ، وفيها مقال للباحث الاديب السيد عمر عنايت عن البابية ويظهر انه لم
يطلع على المصادر الموثوق بها فلم يأت لنا بصورة واضحة كثيراً .
وقد « داعب » قراء المجلة « مداعبة » لطيفة فقال

« ومن يدر فقد تضع ضمن تعاليمها وجوب حل الاوقاف الاهلية ، طرد
الصهيونيين من فلسطين ، الغاء المحاكم المختلطة ، حل مشكلة عمال الاسكندرية ،
سوق كونترات القطن بعد ان اتى بمحتويات البطاقات المطبوعة سنة ١٩١٣ : ،
سنة ١٩١٩ ، ١٩٢٤ !

ونحن بدورنا لا ننكر ان البهائية ديانة عصرية ، اجتماعية ، تتابع سنة التطور ،
وايس يضرها ذلك ، ونقول له مداعبين ايضاً واعلم لا يرى « ثقلاً » في « مداعبتنا »
نعم نتمنى له ان يوفق الى زيادة هذه الاغراض الخمس التي ذكرها ويجعلها
اساساً لبهائية جديدة يدشر بها سكان المريخ !

واننا نطمئن ونسرجد السرور ان نبشره ان بطاقة سنة ١٩٢٦ تتضمن
الاغراض السامية الآتية :-

(١) البحث المطلق عن الحقيقة ، ونبتذ كل الخرافات والتحزبات بجميع
ضروبها !

.. (٢) وحدة العالم الانساني ، الناب اوراق شجرة واحدة واغصان في
شجرة واحدة ! ..

- (٣) الدين مولد للحب والوفاء والا لا يمد ديننا .
 - (٤) اسس كل الاديان واحدة .
 - (٥) يجب ان يساير الدين العلم
 - (٦) السلام العام ، تأسيس عضبة امم جامعة ، حل المضلات عن طريق التوجيه الدولي ، وبرلمان دولي
 - (٧) تعميم التعليم الاجباري وخصوصاً النسوي
 - (٨) المساواة بين الجنسين في الفروض ، والحقوق ، والامتيازات
 - (٩) العبادة هي العمل
 - (١٠) منع الفقر المدقع ، والغنى المفرط ، والعناية بالمعوزين .
 - (١١) لغة اضافية تدرس في جميع مدارس العالم
 - (١٢) وحدة الله وطاعة اوامره
- ولعل الاديب يقرأ بين السطور واحدة من أغراض يوتوبيته «المنتظرة» !!



ذكر « ومن رفض البهائية كان يعدم » ؟ والذي نعلمه انهم كانوا مضطهدين شر اضطهاد قاتل للضطهاد هذه التوبة؟ وكيف يبشرون بالحب والسلام ويعمدون؟ أما ما قاله من أن اتباعه ينفون قتله ويؤكدون رؤيتهم إياه وهو صاعد الى السماء ان هي إلا خرافة بحثة ينكرها الواقع وربما قد اجتمع الأديب بهائي «مخرف» قنص عليه هذا الادعاء المضحك الكاذب

ذكر أن لهم مدفنًا باسمه في طهران . وقد اجتمعت خصيصا ببعض الطلبة الطهرانيين فأكدوا لي أنه ليس لهم مدفنًا بطهران «قلباب» له مزار في حيفا على جبل الكرمل .

« وبهاء الله » له مزار في «عكا»

« وعبد البهاء » في الكرمل في الحبل المعروف «بالمقام» .



* :

وانتا تؤكد له أن لا بهاء الله ولا عهد البهاء قد فكر في أن يعلم اللغة الفارسية

ويجعلها دواية وإنما البهائيون يطالبون بأمة دولية ليست أية لغة من لغات الأمم
(كلاسبيرانتو مثلاً)

وقد آلمنا أن يطعن البهائية بهذه الطمعة المؤلمة فيتهم «بهاء الله» بأنه حرض
الاتباع على قتل الشاه !!

والتاريخ شاهد عدل على بطلان هذا الادعاء !!!
إن بهاء الله لم يحرض «صادق» ، ولا غير صادق على الاعتداء على الشاه
ناصر الدين في مايو سنة ١٨٩٦ واتنا نحمله على الانسكاو بيديا بريتانىكا ليطاع على
مقال ممتع بقلم Edward Granville Brown أحد اساتذة جامعة كيمبردج وقد
ذكر ما يدحض به هذا الادعاء الكاذب ، والذي نعلمه أن البهائيين ظلوا
وسيفلون مخلصين لحكوماتهم المحلية كل الاخلاص .

ومن الفكاهات المضحكة التي ذكرها الاديب «وهناك اتفاقاً على أن يختفى
صبح الازل ليقول البهاء ان اللاهوت قد حل فيه ثم عرج الى السماء» ، واننا
لا نريد أن نتعب أنفسنا بالدحض ويكفى أن نقول انها خرافة مزرية !!

وقد أضاف حضرته كلمة شيخ لعباس افندى والذي أعلمه أنه لم يكن معروفاً
إلا بعباس افندى «حاف» أو عبد البهاء . ولعله يريد له تسمية جديدة

أما ادعاؤه أن بهاء الله جن في أواخر أيامه فلا تؤمن به ولم يذكر لنا دليلاً على
صحته ، فقد ظل الى أواخر أيامه متمتعاً بقوة العقلية .

وقد ذكر أن عبد البهاء قضى خمس سنوات في أوروبا وأميركا والحقيقة أنه
قام برحلته في أغسطس سنة ١٩١١ ، ورجع الى حيفا في ٥ ديسمبر سنة ١٩١٣
فهل يريد أن يمتدى حتى على التاريخ القريب الذي بين أيدينا ؟

ونحن نود لو أن حضرته قد أبان لنا كيف خدم قضية الحلفاء حتى انعمت عليه الحكومة برتبة فارس الامبراطورية البريطانية والذي نعلمه أنها انعمت عليه بهذه الرتبة لانه خدم فقراء شككا وحييفا من جميع الاديان خدمة لن تنسى في أشد أوقات الحاجة.

وكل من اجتمع به يعرف تمام المعرفة أنه لم يتعرض لا لقضية الحلفاء ولا غير الحلفاء ، فإن ذلك يخالف مبادئ البهائية السامية



وقد يكون ما كتبه عن الثواب والعقاب، والروح، مكتوبا في «البيان» ولم اطلع عليه ولكن الذي أدهش له لماذا يقتبس عن «البيان» ولا يقتبس عن «الاقديس» وهو أهم بكثير ولماذا لا يأتي لنا بتعاليم البهاء ؟ ! !

لقد شير بهاء الله كثيراً مما جاء في «البيان» فإذا كان يريد حضرته أن يرجع الى أعقق تعاليم البهائية فليرجع ان أراد الى «الاقديس» لا الى «البيان».



أما اتهمه البهائيين بانهم يحرضون على هدم مكة وبيت المقدس وبقية الاماكن المقدسة فخرافة لا تستحق ان نعيرها أدنى اهتماما ، بل ان مجرد الاتهام تضليل كبير وجناية لا تغتفر .

ومن يفهم ما يكتب لا يتهم البهائيين هذه التهمة الشنيعة وليعلم مطلق العلم انها تحترم أماكن العبادة كلها كل الاحترام .

أما ذكره انهم يحيزون الزواج «بالاخت» فخرافة جديدة

ولا ندري من أين استقى كل هذه المعلومات الكاذبة ۱۱۲

أما قوله يتزوجون باثنتين في وقت واحد، فغالطة، اذا الحقيقة أنه يجوز للبهائي أن يتزوج ثانية اذا مرضت زوجته ويشرطون أن تمرسنة وأن توافق زوجها الاولى على الزواج .

أما أن يتزوج اثنتين ؟ . — فتضليل ظاهر .

أما ان وحده الله مكونة من ١٩ اقنوماً فخرافة جديدة ، فليس هناك سر في العدد ١٩ الا ان تلاميذ «الباب» كانوا ١٨ وهو التاسع عشر فما دخل الله عز وجل في المسألة ؟ ١١

وقد ذكر أن البهائي مسلماً مع المسلمين ، مسيحياً مع المسيحيين ، ما جدياً مع الملحدين ..

واننا نقول له ان من كان بهائياً لا يكون مسلماً أو مسيحياً أو يهودياً ، بل بهائياً ، وبهائياً فحسب

ومن كان بهائياً حقيقة انكشفت عن عينيهِ السخابة التي تحجب عنه الحقيقة ، وزال عنه التعصب الذي يفصل المسيحي عن أخيه المسلم ، والمسلم عن أخيه المسيحي ! ان البهائي رجل عصري ، يحترم الاديان جميعها ، يصلي معك في الجامع ، ويدخل معي الى الكنيسة ، ويذهب معي الى الكنيس !!!

روح سامية ربانية ، ستغير من العالم وتخلقه من جديد ، .. ملكوت الله على الارض ...

ولا غرابة اذا انتشرت البهائية من كليفورنا الى اليابان ومن ادنبره الى رأس الرجاء

وانى وان كنت لست بهائياً . إلا انى اعجب بمبادئها وقد ذكرت ما ذكرت لمجرد الحقيقة والتاريخ

كامل صموئيل مسيحه
جامعة بيروت

مول البهائية

زد على المقال السابق

يمكن للقارئ أن يستدل بسهولة على أن محتويات هذا المقال لا تختلف في موضوعها عن محتويات المقال الذي نشرته إلا في كون صاحب القلم الجديد يكتب عن البهائية بعواطفه في نفس الوقت الذي يقول لك فيه أنه مسيحي فقط . هذا

ليس مهما في نظري بقدر قوله «ووصل أخاه ميرزا يحيى المعروف بصبح الازل وكان شقاقا عنيفا بين الاخوين وقد أضر ذلك بهاء الله ضررا بليغا اذ أنه كان يدعو الى الاتحاد والسلام» وبانطبع كلنا يعلم أنه يجب أن يكون هناك طرفان لكل شقاق . وكذلك يقول الكاتب «وصدرت الاوامر الى جنود فرقة ارمينية أن تطلق النار فاطلقت وبعد أن صفا الجو وجدوها (الباب وسكرتيره) في حجرة قريبة يتحدان مع صديق «فهل يمكن أن يكونوا قد وجدوا ايضا اسم محمد دلي مكتوبا على ثمر القناء والخوخ لان هذه المظاهر الغريبة واجب الاكثار منها لاثبات الايمان بالمعجزات؟ ومن الغريب أن يذكر حضرة الكاتب أن بهاء الله سافر مع عائلته ووصلوا بغداد في حالة يرثى لها ولم يقل أنه انتقل على جناح النسيم ووصل الى بغداد محاطا باللائكة. ومن يدري فقد يكون هناك سبب مجهول مثل انه تحمل الالم لاجل خلاص العالم. كذلك يقول «وظهرت عليه دلائل الهيبة والوقار والقوة» فهل معنى هذا أنه كان بعيدا عن هذه المظاهر متحليا بضمدها ؟

وقد افرج عن عباس افندى (وكان مشهورا في حيفا بلفظة الشيخ فقط) في سنة ١٩٠٨ من سجن ضيق وليس لديه مال فهاذا قام برحلته حول العالم؟ ربما بمال زوده به ملايين الملايين من المقربين اليه. فاذا كان الامر كذلك فمن أين أتاه المال الذي أنفقه مدة الحرب — وكان حصار الحلفاء لفلسطين شديدا لدرجة لا يتيسر معها امداده بالمال بسخاء على المحتاجين بصرف النظر عن ديانتهم حتى استحق تمسك سير من الحكومة البريطانية. بل من أين له المساحات الكبيرة التي زرعها غلالا وقدم خيراتها الى فئات الفقراء؟ وهل تعصب فئة مستضعفة تمنعها ارتكاب الاجرام حتى ينفي خبر اعدام البهائيين المخالفينهم بقوله اني للمضطهد هذه القوة؟ وقلت أشك في أنه اختار الفارسية لغة دولية وقد تناسي حضرة الكاتب كلمة الشك هذه

قال « أما ادعائه أن بهاء الله جن في أواخر أيامه فلا تؤمن به » هذا ما يقوله شخص مسيحي يدعى أن من كان بهائيا لا يكون مسلما أو مسيحيا ... ومن كان بهائيا حقيقة انكشفت عن عينيه السحابة التي تحجب عنه الحقيقة ...

البهائي رجل عصرى .. يصلى معك في الجامع ويدخل من الكنيسة .. البهائية روح سامية ربانية .. ملكوت الله على الارض .. هذه هي أقوال احد (المسيحيين) الذي يقول في نفس الوقت «وانى وان كنت لست بهائياً»

كذلك يساء لى لماذا اقتبست عن «البيان» ولم اقتبس عن «الاقديس» والجواب بسيط ينحصر فى أنى لم أكن أدري بان «عبد البهاء قد غير كثيراً مما جاء فى البيان» وما دام الامر كذلك أعترف بان الواجب على هو انتظار ماسياتى به شوق افندى أو من يخلفه ما دام كل مبدأ معرض للتغير بمشيئة الزعماء والمبادئ البهائية كما كوام الرمال .. أليس كذلك ؟

هذا بعض ما أردت لفت نظر القراء اليه وعليهم أن يدققوا فى بقية المقال ليعرفوا أنه يعطى صورة مطابقة لى حاوات تصويرها لهم بأمانة

عمر عنابت



نورة فى صدر

بينما الليل يولى ظهره	تاركا للفجر اشباح الظلام
والدرارى داخلات كنها	فى هدوء الليل والناس ينام
ملاً الافق	دوى كالطبول
قلت ما هذا؟ ...	فلم اسمع سوى
صرخة من جانب القلب تقول :	
ايه ما هذى حياة انما	نحن نحيا فى قتام وظلام
لا ينير العين الا أمل	عالق ما بين ارض وسما
هو خيط لا يضاهى عوده	غير جسمى من تباريح الشقاء
فاتركينى يا حياه	وانبذينى بقيود (١)
نوف تفنين معى	غاية العيش اللحد

* * *

لم جئنا في حياة نحن فيها حائرون؟
 بتسلى بنعيم زاء ف مثل السراب
 ان هذا تخيال ان هذا الجنون
 ان نرى كاس حياة نحن فيها كالحياء!!
 ثم لا نبجسها الا قشورا واللباب سرها
 ثم لا تعرفها الا دهورا تتالى غيرها...
 ما الذى فوق الحياء؟
 اليه ما اقصى مداه!!

* * *

فرزقها يانفس شيء ساخر منا دواما
 يملك الالباب منا وهو خاف لا نراه!!

* * *

لا تحاول أيها الجسم صعودا في الفضاء
 لا تحاول أيها الجسم خلاصاً من رداء
 خاطئه العقل لنا منذ القدم فارتداه الجهل فينا والظلم
 فاتخذناه رفيقاً في الحياه
 فهو يملى محض جهل
 انها بتس الحياه...

* * *

سكت الصوت فحاولت بنفسى ان اراه ناذاه من فؤادى صاعد يرجو الحياه

عبدى كامل الصرغى

تأملات في الأدب والحياة

من الأشياء التي لا أؤمن بها حكم المصادفة في تسيير أعمال النوع الانساني. والمصادفة يدعوها الناس حظاً. فهل يمكن أن يكون للحظ كما يفهمه الناس أثر في تحديد الحالات التي تقع في الحياة ويكون لها أثر في اسعاد الجماعات والافراد أو في بؤسهم وشقاؤهم؟ من الجائز أن يكون لاتفاق ظروف الحياة وتوافق الاعمال الانسانية أثر في خلق ظروف تجعلنا ننظر في بعض الاحيان في الحياة نظرة القانع بأن ظروفها مجموعة من المصادفات التي ليس لنا من قدرة على الاحتكام فيها أو تصريف وجوها. غير أن في الحياة أشياء أخرى غير هذه من الممكن أن ننظر فيها هذه النظرة ذاتها. وهي مع ذلك ليست تتاجاً لمجموعة من الظروف التي تخلفها الاعمال الانسانية. بل تلوح لنا في صورة تجعلنا نوقن بأن لنظام الطبيعة الابدی ضلع كبير في إحداثها.

أحاطت مثل هذه الظروف بالعديد الأوفي من أبناء آدم منذ أن أشع في العقل الانساني أول شعاع من أشعة الفكر الخالد. غير أن الحظ لم يخدم إلا بضعة أفراد من أبناء آدم ليكونوا أول من يحنى ثمار الحظ الذي انطوت عليه أسرار الطبيعة الأبدية. ولا حاجة بنا لأن نذكر أسماء يغيب عن أذهان القراء ذواتها. بل نعلم الى أكبر من أبرزت البشرية من أصحاب العقول الفذة فلديك أولاً أرسطوطاليس. فإن وضعه لعلم المنطق فيه من الحظ بقدر ما فيه من النبوغ والمهارة. لانه لا يتكرر في التاريخ مطلقاً أن يجد شخص غير أرسطوطاليس عقلاً انسانياً يحتاج الى قانون يحكمه. وكذلك غاليليو. لانه لا يتكرر على الاطلاق أن يجد غيره نظاماً فلكياً معكوساً فيقومه. ثم نيوتن. فانه لا يتكرر في التاريخ أن يجد شخصاً غيره سيارات تدور حول الشمس محتاجة الى تعليل لعل دورتها. ثم داروين. لانه لا يتكرر أن يجد شخص غيره أنواعاً حية يحتاج العقل الى معرفة كيفية نشوئها.

أما أمثال هؤلاء قلائل في التاريخ البشرى . وهم ولا شك أكبر الناس حظاً ، كما أنهم أكثرهم عبقرية ونبوغاً .

* * *

الاستاذ الكبير مستر « فلنדרز بترى » المؤرخ الانجائزى المعروف نظرية في قياس المدنية وسقوطها صرف عليها اسم « نظرية الدورات المدنية » . والحقيقة أن الناظر في قيام المدنية وسقوطها على مر العصور القديمة يلاحظ دائماً أن المدنية كانت ذات دورات كاملة . وانها كانت متنقلة غير مستقرة فمن مصر الى روما الى الكلدان الى آشور الى الهند الى اليونان الى الصين . وكانت كل مدنية من هذه المدنية تدور دورتها الكاملة ثم تسقط سقوطاً فجائياً لا يستطيع أن تتلمس له من سبب أو تقع له على مصدر يقنع به العقل أو يرضى به المنطق . ومن غريب الأمر أن سقوط المدنية في تلك الازمان كان يعقبه احدى حالتين . فاما أن يبيد الشعب الذى تسقط مدنيته وتضمحل وإما أن يصيبه الجود الشديد فتتحجر ملكاته ومواهبه ويظل واقفاً حيث هو ، فلا يتقدم الى الامام خطوة ولا يفيد الانسانية بفائدة ما مادياً أو أدبياً . ومثال الحالة الاولى الشعب اليونانى والشعب الفينيقي القديم . فكلاهما باد تماماً ولم يتركاً من خلف يرث عنهما ميراثهما العظيم الذى اقسمته عنهما الانسانية . ومثال الحالة الثانية الشعب الهندى والشعب الصينى . وهما شعبان يمثلان حقيقة أن من السلالات البشرية فئة تتقدم مواهبها اذا اضمحلت مدنياتها وتتحجر مواهبها لاسباب غير معروفة . وهذا يحق لنا أن نتساءل هل يكون نصيب المدنية الحديثة كنصيب المدنية التى تقدمتها على مر العصور ، أم أن الاسباب التى كانت تفسد المدنية قد فنت مع تقدم العلم والمعارف واتساع مناطق الاستكشاف في كل قروعة المرافق الانسانية .

الحقيقة أن المنطق لا يحبونا إلا بأضعف أنواع القياس . ينودنا بما يدعوه المنطق قياس التمثيل ، ومما يطابق الحالات السابقة على حالات واقعة . وهو أضغف أنواع القياس المنطقى . على أنه يوهنا على أية حال بأن نصيب المدنية الحديثة

سيكون كنصيب غيرها من المدنيات القديمة .

ولقد مثل الاستاذ « مكدوغل » الانجائزى لدورات المدنية بخط منحن بأخذ في الارتفاع من نقطة ليبلغ الى أقصى القمة التي يمكن أن تبلغ اليها المدنية وهناك يشتد انحناءه ، فاذا بلغ الانحناء أشده انحط مرة أخرى انحطاطاً فجائياً يمثل سقوط المدنيات .

وأغاب ظني أن تمثيل الاستاذ « مكدوغل » غير صحيح . فإن « دورات المدنية » يصح لدى الواقع أن يمثل لها بخطوط منحنية تتسلقها الشعوب تبعاً بعد آخر خلال الأزمان ، غير أنه لا يصح مطلقاً أن يمثل لسقوط المدنيات بخطوط شديدة الانحدار تبلغ من انحدارها حداً يصل الى حيث بدأ خط الدورة في الارتفاع . لأن هذا إنما يدل على أن المدنيات كانت تبعد تماماً ولا تخلف وراءها من أثر تركه عنها المدنيات التي تتلحق بها وتأخذ عنها . والمعروف أن كل مدينة حديثة إنما هي مجموعة صور تستخلص من مدنيات قديمة بحيث تحدث ألفة جديدة . إذن فدورات المدنية يمكن أن يمثل لها بخطوط منحنية تأخذ في الارتفاع رويداً رويداً لتبلغ الى قمة الدورة . غير أنها لا تسقط فجأة بل تبقى حيث تصل ليبدأ خط منحن آخر في الارتفاع من نهاية القمة التي بلغ اليها الخط الاول . فالدورات المدنية على هذا عبارة عن خطوط ارتقائية يعاوا أحدها الآخر الى ما لا نهاية .

والدليل على هذا أن التاريخ لا يثبت مطلقاً أن شعباً تسلق خط المدنية مرة ثم رجع الى حالة من الهمجية كانت هي بعينها الحالة التي بدأ من عندها تسلق خط الدورة التي مثلت مدنيته . والحقيقة أن السلالات عندما تبلغ حداً من المدنية تتحجر مواهبها وصفاتها فيتعذر عليها التقدم وتقف عن السير الى الامام . وهنا تبرز سلالة أخرى تأخذ بيد المدنية الانسانية الى قمة أعلى من القمة التي بلغت اليها الاولى . وعلى هذا لا يكون من تقهقر مدني ، بل استحجاز وجود ينتاب سلالة من السلالات فيلوح لنا كأنه انحدار ومساد .

ولا شبهة مطلقاً في أن هذه القاعدة سوف تسرى على المدنيات الحديثة . غير أنها ستكون أقل ظهوراً . لان حركة التسلق كانت في الأزمان القديمة تسريعة

ولأن ميراث المدنية لم يثقل كاهل الشعوب بما يثقله به ميراثها الحديث . وكذلك كانت نسبة السرعة في الاستحجار والوقوف . أما في عصرنا هذا فسيكون التساق بطيئاً وكذلك ستكون نسبة السرعة في الاستحجار . ولهذا ستلوح خطوط الدورات المدنية قل انحناء ولكن أعلى قماً . وكذلك سيكون تعاون الأمم على حمل بعضها البعض في مدرج الارتقاء أكبر آصرة . لأنه من المستحيل عندي أن تستطيع سلالة بمفردها أن تتساق خط الدورة المدنية وحدها في الزمن الحاضر . ومما هو أشد استحالة عندي هو أن تستمر سلالة وحدها في التقدم على بقية السلالات في التساق الى القمة من غير أن يحمل بها النصب وينتأبها الكلال .

* * *

يقول بارتلى سانت هيباير في مقدمته لكتاب الاخلاق الى نيقوماخوس مايلي :
 « فليس على علم الاخلاق اذن الا أن يستمر في عمله واثقا من أنه سوف يجنى ثماره حتى في أشد البقاع محلا بشرط أن يستكشف الحق أو يزيد في قدره »
 ونحن نتساءل هل يمكن لعلم الاخلاق أن يستكشف الحق ؟ بل هل يمكن لفرع من فروع المعرفة الانسانية أن يطمع في استكشاف الحق ؟ ان في ذلك لتقييد للنظرية الاخلاقية يخرجها من الحيز العملي الى حيز الغيبيات . واذا لم نستكشف الحق فكيف نستطيع أن تزيد من قدره في جهة ما من جهات المعرفة الانسانية ؟ لا جرم أن هذا يكون غير مستطاع . لان العلم بازدياد قدر شيء من الاشياء يستلزم أولا معرفة طبيعة الشيء في ذاته . . .

ثم تقتطع من تلك المقدمة عبارات أخرى فيها ما يدعو الى انعام النظر والتأمل فهو يقول مثلاً :

« لاشك في أنه لا يلزم البتة الخط من صحة العلوم الطبيعية ولا من صحة العلوم الرياضية على الاخص ، ولكنها لا تزال بعيدة عن صحة علم الاخلاق ! فان القضايا التي تعلمنا اياها هذه العلوم ، والحقائق التي تكشفها لنا ، هي امامنا زرع فيها واما مقتضية تفهمها ملكات ليست لجميع العقول . فاما اولاهها (العلوم الطبيعية) فاتها خارجة عن الانسان ، فتقتضي مشاهدات خارجية صعبة ومحوطة

بالشكوك غالباً ، بل مستحيلة أحياناً . والآخرى — (العلوم الرياضية) إنما هي
سلاسل طويلة من الاستدلالات لا يكاد يكون التمشي معها ميسوراً . «
وهنا تسأله : أليس هذا هو الحال بعينه في علم الاخلاق ؟ ثم يقول :
« وأما في علم الاخلاق فالامر على ضد ذلك . كل منا يحمل في نفسه جميع

ما يشتغل به هذا العلم من الموضوعات التي — لأنها كلها حقيقية — لا تنفك ماثلة
تحت أعيننا . فليس علينا أن نخرج عن أنفسنا لتعرفها ، بل حسبنا أن نسأل
أنفسنا بانتباه وإخلاص لنظفر بأجوبة لا يتطرق اليها الخطأ ، وما هذه الاجوبة
من قلب شريف عدل يعرف أن يخرس الاثرة والشهوة الا كأجوبة الوحي ،
حقيقة بالتصديق لأنها لا تخدع البتة . ومع التسليم بأن هذه الاجوبة كان
يمكن أن تختلف في العصور القليلة الرقي ، وأنها لا تزال تختلف بعضها عن بعض
عند الشعوب قليلة المواهب ، فإنها عندنا الآن أجوبة متماثلة ثابتة . لنسعد
جانبا تلك الاختلافات التي ان لم تكن فأسدة بالمرّة ، فهي على الاقل غير ثابتة ،
ولنؤكد من غير أن نخشى الزلل أن حقائق علم الاخلاق في الساعة الراهنة
عند الأمم المتقدمة ليست منذ الآن محلاً للجدال بين النفوس الفاضلة ، وأن
تلك الحقائق لا خوف دليها . يمكن أن يقع الجدل في النظريات ، ولكن لما أن
سلوك الناس الاختيار هو في الواقع واحد ، يلزم حتماً أن يكون بينهم قدر من الحق
مشارك يستند اليه كل واحد منهم ، من غير أن يستطيع مع ذلك في الغالب أن
يقف غيره عليه ولا أن يدركه هو نفسه . ومن النادر أن يقع اجماع الآراء على
طريقة بسط مذهب بعينه مهما أجيبت ومهما بلغت من الحق ، ولكن من الافعال
ما هو مقرر عليه عند جميع الناس . وبين أن هذا الاقرار العام سببه أن هذه
الافعال تابعة لمبادئ مسلاة عند الجميع وتقع على مقتضاها من حيث لا يشعر
الفاعل لها في غالب الاحيان . «

وهنا نسأله الا يحتاج البحث وراء تلك الموضوعات التي يشتغل بها علم الاخلاق وهي كدنة في تضاعيف النفس الانسانية الى ملكات ومشاعر ومؤهلات تجعل فهم هذه الاشياء على حقيقة بها غير ميسر ولا لفئة قليلة من الطبقة المنتقاة من الناس ؛ شأن العلوم الطبيعية والرياضيات ؟ ثم نسأله هل وجود (قلب شريف عدل يعرف أن ينخرس الاثرة والشهوة) كاف وعده لان يكون ميزانا لقياس نظريات علم الاخلاق ومعرفة أصولها ؟ وما هو القلب الشريف العدل ؟ وهل يمكننا قبل أن نحدد هذه المعقولات أن نقول إن علم الاخلاق أثبت أركاناً من العلوم الطبيعية والرياضيات ؟ ثم نسأله . اذا كان من الممكن أن تختلف أجوبة القلب (الشريف العدل) باختلاف الشعوب باختلاف الأزمان ، ألا يكون من اللازم لمن يقول هذا القول أن يعتقد بأن قواعد علم الاخلاق نسبية غير مطلقة ؛ وعلى الاخص اذا تذكرنا انه انما يتخذ أجوبة أهل المدنية الحاضرة مقياساً لا أقصى ما يصل اليه علم الاخلاق من رقى في المعقول والتطبيقات ؟ وماذا تكون قيمة قواعده هذه عند شعوب أرقى نفوساً وأكرم طبقة من شعوب المدنية الحديثة ؟

ان الانسانية لا تزال كما كانت منذ أقدم العصور لا فرق بين متحديتها ومنحطها من حيث التواضع الاخلاقي ، وعلى الاخص في الاتباع العملي للفضائل وما المدنية الحديثة لدى الواقع الا مدنية داوم لا مدنية أخلاق والمثل القديمة تكاد تكون بعينها المثل الحديثة بلا فرق بينها الى وجه التقريب . وما عدم لحاق الفضائل بالعدل من حيث الابتكار والتطبيق إلا دليل على ما نذهب اليه .

ثم نسأله : هل حدد معقول الفضيلة لنعرف ماهي النفوس الفاضلة ؟ ونسأله . هل وقوع (الجدل في النظريات) خير كف لان يستتبعه وقوع الجدل في العمليات ؟ وأين هم (الاخيار) الذين اتبعوا في الحياة طريقاً بينهما ؟ فان توسيع سلوك الناس الاخيار يقتضي أن يتناول ذلك حتى خطرات نفوسهم وجرائمهم الفكرية . فهل معرفة هذا الامر مستطاعة في الحقيقة ؛ وان دل الظاهر على وحدة الدارك عند الاخيار كما يقول سانهيلير ، مادام يعتقد أن علم الاخلاق كائن في

١١ - ٢ - ٨٠

تضام عيف الفطرة أى أنه عبارة عن درس الطبيعة الشاملة للنفس ؛ وأن هذا
 الدرس لن يتيسر الا بدرس ظواهر الساوك ؟ ١١١
 اللهم ان كان علم الأخلاق هو أثبت العلوم الانسانية وأشدّها وضوحاً ، وهو
 بعد على ما يصفه هذا الكاتب ، فانا ولا شك نقول على العلوم الانسانية السلام
 فيابونسي

اعجاز القرآن

أهدانا السيد مصطفى صادق الرافعي الطبعة الثالثة من كتابه اعجاز القرآن
 لنبدى فيها رأينا « كائناً ما كان رأى »
 وكانت « المصور » قد منلت كلها للطبع فلم يتسع لنا الفراغ لأن نجعل في
 الكتاب نظرة نقد تتفق ومكانة السيد الرافعي في العلم والأدب ، تلك المكانة
 التي تقدرها له كل تقدير والتي هي عندنا حقيقة بكل اعجاب . على اننا سوف
 نبدى رأينا في الكتاب في مقال خاص نشره في « مصور » ما يوافق
 ومقتناول الكلام فيه في فكرة « المعجزة والاعجاز » من الناحية العقائدية
 الفلسفية ، كما نبدى رأينا في اعجاز القرآن وهل هو اعجاز مطلق أم اعجاز نسبي ،
 متيماً بالكفاءة الانسانية .

ولقد كنت أود أن أبدى رأيي هذا في مكان اختاره لي الاستاذ من الكتاب
 نفسه ، لولا أنني أعتقد أن رأيي لا يتفق والغرض الذي طبع الكتاب من أجله
 هذه الطبعة ، فلم أبد عذري ولم أكتب . أما اليوم فمجال التول واسع رحيب .
 ولا أظن أنه يجدر بي في هذا الموطن أن أترك التول في الكتاب عند هذا
 الحد . بل أذكر أن رأى الدين في الشرق ، وفي مصر على الأخص ، قد انقسم
 الى قسمين هما بذاتهما القسمان الذين انقسم اليهما رأى المام في فرنسا وانجلترا
 خلال القرن الثامن عشر . وسيكون نقدنا للكتاب قائماً على هذه الناحية .
 ولا جرم أننا نعتقد بعد هذا أن الكلام في مثل هذا الموضوع يحس الكثير
 من مشاعر الناس . غير أننا لا نرى سبيلاً لاجتلاء الحق الا الشجاعة على ابداء
 الرأى ، وليقل بعد ذلك كل ناقد كلمته كيف يشاء وحيث يشاء .

النقد والتأليف

الدكتور الأردشير

رد على نقد

إلى... محرر (العصور)

اطلعت على ما كتبت (العصور) الغراء نقداً للدكتور (أردشير وحياة النفوس) وأناى لمغتبط بهذه العناية الجدية التي توجهها بجلتكم الى النقد الحر. ومثل هذا النقد يكاد يكون معدوماً في مصر، فمن الواجب على كل أديب غيور على حرمة الادب أن يرحب به ويشجعه. ومن أجل هذا فاني أؤكد لكم ترحيبي به وأستزيد منه حضرة الكاتب الناقد، وما أكتب هذه العجالة إلا لدفع سوء ظنه بي فقط، لاني لا أريد أن يسيطر هذا الظن — وبعض الظن اثم — على تفكيره، فتكون النتيجة أن يذهب هذا بجمال بحثه النقدي، فيقتضي الغرض الشخصي على نزاهة الحكم وتضييع الفائدة.

ليشق حضرة الناقد الفاضل أولاً بأني غير راض عن نفسي، وثانياً بأني لا أعرف الاعتداد بها إلا في موقف الدفاع فقط حينما أرى تعاملاً على، فاضطر الى المقارنة بين جهدي وجهد سواي، والشواهد على هذا كثيرة، فلو أحسن حضرة الناقد ظنه بي لوجد أن ما يعيبه على حسنة أحمد عليا، ولو وجد أن المقصود بتلك الفصول التحليلية في كتبي ليس التقرّيط بالذات — فقد لا تخلو من نقد بل من نقد شديد أحياناً — وإنما المقصود عرض دراسة جديدة للادب، بغض النثار عن قيمة تلك الدراسة، وما عاونني أي أديب بشبه دعوة الى تقرّيط بل بدعوة الى دراسة نقدية حرة، فكان الاجدر بحضرة الناقد أن يوجه لومه الى أولئك الكتاب على ما لا يرضيه من كتاباتهم بدل توجيهه الى. وأناى أوافق حضرة على أن هذه الكتابة لا تزيدني قدراً بمقال ذرة، ولكنهما لا تنقص من شأني، إذ أن المقصود منها كما ذكرت تشجيع البحث النقدي والتحليلي، فهي حرة إذن بالتشجيع بدل المؤاخذة.

وهي في الواقع مشكورة عند كثيرين من الادباء في الاقطار العربية ويرحب بها الادباء المستشرقون على الاخص ويعتبرونها جزءاً متمماً للتأليف.

لوتحلى حضرة الناقد عن هذا الظن الذي لا تبرره الشواهد — لا سيما وان أستم الاذواق لا يقبل نشر مقالات تقريرية بهذه الصورة المنتظمة رغبة في التقرير — لا أتفت الى الجوهر فأودنا بالاحظاته النقدية عنه. فبدل أن ينقل شيئاً من تقدير الاستاذ سعيد ابراهيم معرضاً به كن في وسعه مثلاً نقل ما كتبه حضرة الكاتب المذكور من نقد صريح وكان من المفيد أن يقول لنا رأيه في هذا النقد. فتصرفه هذا تحيز ظاهر يعاب شايه، ولو فرضنا أن نقده صحيح لما كان نقداً أدبياً بل لكان نقداً خلقياً بحتاً، وعلى هذا فاني أشكره على محاربة تأديبي وتهديبي ..

وهذه الاوبرا (أردشير) — التي هي موضوع النقد — تنحصر مقدماتها في ما يأتي : (١) كلمة تصدير (٢) مقدمة الكتاب وفيها نقد مفيد للرواية (٣) فصل في تلحين الاوبرا (٤) موضوع القصة ، ويتبع ذلك بيان موجز عن أشخاص القصة ونسق التمثيل . فكيف يكون هذا داعياً للوم بدل التحبيذ والتشجيع حتى تصبح مثل هذه الشروح مألوفة في التأليف الادبية المصرية ؟ وهل لا يكون النقد نقداً إلا اذا تجرد كل التجرد من التقرير ؟! وهل التقرير التحليلي في ذاته — وان يكن خدأً — عديم الفائدة الادبية ؟ ان ضياع الخبر والورق انما يكون في الكتابة المبهمة ، وفي القديم المعاد الذي شعبنا منه ، وفي محاولة تشويه الحقائق الناطقة . فما بال حضرة الناقد ينسى اولئك الذين يعيشون للشهرة والشهرة فقط ويحاولون تسخير الصحافة للملم واهوائهم .

اذا صح أن حضرة الناقد الفاضل متضلع من الادب الاوروبي عامة كما أحسب فمن الغريب جداً ان ينكر على أخيلة ومعاني أتظر من مثله تقديرها ، وان لم أتظر ذلك من اقتصر محصوله الادبي على الشعر والنثر العربي . على أن هذه مسألة روحية وذوقية فلا تجتمل المناقشة كثيراً، وانما الذي اعترض عليه باسم هو تحدته عما يسميه خشواً أو تفككاً في نظمي ، لان مثل هذا النقد جدير بهسواي ، فهو على عكس طبيعي تماماً ، وتقيض مذهبي وغايتي .

وانى دائماً أعتبر التعيين فى النقد محمداً وفائدة، فلننظر فى المثل الذى ذكره
 حضرته كشاهد على صحة دعواه: فهذا الفصل الاول يبدأ بمنظر الايوان والعرش فى
 قصر الملك السيف الاعظم شاه فى شيراز؟ وقد انتظم كبار الحاشية سيدات ورجالاً
 لافتين الى مدخل الايوان لاستقبال الملك والمملكة وولى العهد والوزير عن جاني
 العرش، وحينئذ تنشد الحاشية نشيد الاستقبال وفي مطالعه اشارة عادة الى الملوك
 والملكات ثم اشارة صريحة الى الملك ثم اشارة اخرى الى المملكة ثم تنويه بولى العهد
 فما ذكره حضرة الناقد انما هو الاشارة العامة في مستهل النشيد، فلماذا لم يعرضه كله
 — وهو غير طويل — لحكم القارىء ما دام يريد أن يميز اتهامى بانى شغف بالحشو
 والتفكك؟ جاء فى أول النشيد:

الجلال والسيادة للملوك * الاكابر
 والجمال والعبادة لا الشوك * للازاهر

فلو ترجمنا هذا حرفياً الى الانجليزية لكانت الترجمة مشعرة بان المقصود فى
 هذا الموقف وفي هذه المناسبة انما هم الملوك العظام والملكات الحسان وما شق على
 أى أديب فهم كلمة (Doubts) وهى ترجمة «شكوك» بل لوجد فيها معنى شعرياً دقيقاً
 فليقل إذن حضرة الناقد أن فى نظمي روحاً أوروبية لا يرضى عنها وإيهاماً أو اغراباً
 لا يسره، وليقل ما شابه هذا النقد المقبول، وأما تحدّثه عن حشوى وتفكك نظمي
 فلاولى به السادة المحافظون خلفاء السلف الصالح، فهم أعداء الاقتصاد اللفظي
 وأعداء الوحدة التنظيمية التي أحرص عليها بل أقدمها، وأغابهم مانع، قلد لا شاعر
 مطبوع.

ومن العجب أن ما لا يفهمه حضرته يفهمه ويتأمله أهل التثليل الغنائى
 والمحتزون، ولا خلاف بيني وبينهم إلا فى المسائل المادية قطعاً وفيما بيني وبينهم
 اعتبارات، وهذا الاصالة له بالأدب.

إنى لا أطلب جزاء ولا شكوراً، ولست فى ضميرى راضياً عن نفسي، وهذا
 ما يدعنى الى مواصلة العمل نحو غاية أسمى، من أن هذا لا يبهزتكى استئنافاً، فلو
 أحسن حضرة الناقد ظنه بي وتحملى عن نفوره لما شق عليه أن يرى تهمة العظم فى

هضم قصة طويلة شاقة كهذه ثم في وضعها وضعاً فنياً بكل أمانة، بحيث لم أكن مؤلفاً وشاعراً فقط بل مخرجاً فنياً أيضاً، ولأدرك مبلغ شغفي بالتجديد في الأوزان ومزج البحور ونصرة الشعر المرسل والشعر الحر، وكيف أن أوضاعي التنظيمية مساعدة على التلحين الأوروبي النزعة وملهمة للمحنيين بدليل اعترافهم أنفسهم بذلك وهذا نتيجة شغفي شخصياً بتلحين شعري أثناء نظمه . ولكن حضرة الناقد نسي أو تناسى هذه الحقائق بينما أعمل مستقلاً في موضوع جديد لا مشق له في الأدب العربي غير أنني لا أقول في ذمة الأدب جهدي، فلست من يعادي النقد العادل وإن أسفت للتجاهل والتجامل، وتكفيني لذتي الفنية وإخلاصي، ولن يكون سروري بانتاج غيري القيم بأقل من سروري بتوفيقى

احمد زكي ابوشادى

الاسكندرية في ٢٣ مارس سنة ١٩٢٨

المصور — نتمنى أن يبلغ الاستاذ أبى شادى ذلك الشاؤم الذى يطلبه من وراء جهده ونجل فيه العمل لوجه الفن خالصاً من كل الأغراض الأخرى. غير أننا مع هذا لا نجد في عباراته من برهان يقنعنا بعكس ما ذهبنا اليه في نقدنا الاول. فإن كلمة « شكوك » في النشيد لم توضع إلا للمجرد « سد الفراغ » لاشيء غير هذا. ولا أدري كيف يمكن أن يستقيم المعنى استقامة اتساق ذهني مع وجودها كلعثرة في وسط الطريق الممهودة . أما استدلاله بكلمة Doubts فاستدلال مع الفارق البعيد. لانه لا يستطيع مطلقاً أن يثبت أن ما يدرك الانجليز من معانى مفرداتهم ادراك وجدان هو بذاته ما ندرك من الكلمات التى وضعناها لتقابلها في لغتنا. أما اذا كان هذا معنى التجديد عند الاستاذ، فإني ولا شك أكون أول المقتنعين. بانه تجديد ولكن الى الهاوية . وليلاحظ الاستاذ دائماً أن نقل معنى من لغة الى لغة يجب أن يراعى فيه أصول اللغتين والمعانى التى تنطوى عليها مفرداتهما. فاننا اذا لم نراع الفرق السكونية بين الاصول اللغوية ومشتقاتها ومعانى مفرداتها كما تقوم في أذهان أصحاب اللغة أنفسهم وما تنقل من دقيق التعبيرات الوجدانية، لا المعانى الظاهرة وحدها، يكون تجديدنا أشبه الاشياء بنقل الروح من جسم الى جسم ، لا يؤمن استيعابها منه ونفورها من تقاطيعه المستجدة عليها .

فهرس الحريسة

قبل الالهة لبريطاني وبعده

لعبد العزيز بدر

سامنى صاحب ومحرر العصور هذا الكتاب قائلا «هندسه» وبعد ما أقيمت
نظرة على الغلاف ومررت عيناى على b.sc «هندسة» فهمت المقصود . وبما أن
صاحب الكتاب اختصاصى فى فن صناعة الورق فلا بد لى من أن ادلى بفرط
اعجابى لذوقه الذى ظهر فى انتقاء الورق . كذلك يجب أن أضيف بأن (المكنة) قامت
بعملها خير قيام بنظام ونظافة

أخرجت الكتاب من جيبى واكسبريس الفيوم يتحرك وغصت فى القراءة
وانا اجهل اذا كان الذى استقله أو الذى اقروءه هو الاكسبريس فقد حاول رئيس
الجمعية المصرية بمنشستر (سابقا) أن يجمع شوارد تاريخ مصر من محمد على الى الآن فى
أربع محاضرات وثلاث الاحق بين خلاف ١٧٠ صفحة صغيرة انتهيت من قراءتها
وقد وقف القطار على محطة «العياط»

ازلت العرق الذى تضرب من جيبى واذا بعينى قد وقعتا على جملة من
النسخة «١٠ قروش صاغ» فحمدت الله لانى لم أقترف جريمة شراء هذا الكتاب
والا لكنت الآن مغنى على ولذمة المناسبة أقترح على الاطباء بحث ما اذا كان
الكتاب يصح أن يكون (روشته) تجلب النعاس وأرجو أن لا يغضب الصديق
فهو قد زود الآلة بمرجل (قران) هائل دون أن يزودها (بصمام الامن) ص ١١٠ ولذلك
وجب أن اخفف عن نفسى شيئا من النصب والعناء الذى سببها لى كتابه بنشر
هذا «التقرير»

وكما أنه لا يمكنك قراءة الكيلومترات على جانبى السكة الحديد وأنت
مسافر بالقطار السريع كذلك لا يمكنك الوقوف على أية وقائع معينة فى الكتاب
ويظهر أن محاضرات الجمعية المصرية بانجلترا وايراندا لم يلق بنظرة إلا الى كتاب
مستر بلنت وكانت نظراته لهذا الكتاب سريعة واعتمد تمام الاعتماد على السمع
ثم (فيرك) أرقاما تعزز آراءه، اذا شئت بصحتها، فاعليك إلا الرجوع الى عهد محمد

على لمراجعتها والتثبت منها، ومن يدري فربما يكون قد استغفل الحاضر مستهويه من
شعبة العمال بمنشستر وغيرهم وهم أعضاء حزب العمال بأسره الذين شغفوا بتعرف
الحقائق؟ وها انا ابسط نتفا من هذه الحقائق للقارىء بامل أن يشغف هو ايضا
بالوقوف عليها ويصدر حكم «علاج الامراض العقلية والمنطق والاقتصاد السياسى.
لو بحثتم عن كل ذلك لوجدتم الدور الكبير الذى لعبه أجدادنا وأجداد أجدادنا»
ص ٢٠

«لا يظنون أن مصر ليست سوى مصر التى قرأوا عنها القصص فى الانجيل؟
ص ٢١

«الذى شجع محمد على على الالتحاق بالجيش التركى علمه بأنه سمين (قائمًا)
ص ٢٨

«إلى حد أن الاسطول الانكازى لم يتردد فى صب قنابله على الميناء وتهدايمها
بمجرد حدوث بعض القلاقل فيها على أثر نزاع وقع بين أحد الحمازين وأحد
الرعايا الملطيين ص ٤٣ (ليس فى سنة ١٨٨٢ بل سنة ١٨٤١ عند ما أملى الحلفاء
شروطهم المسماة بمعاهدة لندنوا على محمد على)

«ان (محمد على) كعلاء الدين؟ أو بالأحرى فى طبيعة كبار حكام مصر ص ٤٦
«نشر محمد على التعليم فى طول البلاد وعرضها وبين سائر الطبقات ولم يقف عند
هذا الحد بل جعله مجانا واجباريا ص ٤٦

«أعاد (محمد على) زراعة القطن فى مصر... لم ينس أن زرع الغابات يغنى البلاد
ووجه عناية تامة الى تربية المواشى... اعتاد أن يجىء بالاختصاصيين من سائر أنحاء
العالم لادارة المشروعات التى أنشأها ص ٥١

«ومن الاجحاف بمجد محمد على وبمصر أن يقال ان حكومته كانت اوتوقراطية
فان مشروعاته واصلاحاته قامت على قواعد دستورية ص ٥٤
«وفضلا عن ذلك فان (محمد على) لم يرم أمراً إلا بعد استشارة اخصائه
فى الامر ص ٥٥

«فمؤلاء القوم (قدماء الفراعنة ١٣٨٠ ق.م) مع حذقهم ومهارتهم بدلا من

يصال البحرين مباشرة أوصلوها بواسطة قناة تفرعت من النيل الى البحر الاحمر وهو دليل على ادراكهم الخطر الذي يتهدد البلاد لو فعلوا غير ذلك ص ٥٧ (وهذا يذكرني بقول ظريف من أن دلسبس لم يعد فتح قناة الفراعنة خوفاً من أن المياه المالحة التي تعلق بجوانب السفينة تجعل ماء النيل اجابجا)

« ثم انشأ (اسماعيل) على النيل نحو ٥٠٠ كبرى ص ٦١

« ان الصادرات زادت من ٧٠٠٠٠٠ ر ٤٠٠٠٠٠ جنيه في عهد محمد علي الى

٨٧٠٠٠ ر ٢١ في سنة ١٨٨٠ ص ٦٢ »

« وهد اسماعيل من خطوط السكة الحديدية ما طوله ٣٣٠ ميلا هذا عند محاولته

مد خط آخر يخترق افريقيا طوله ١١٠٠ ميلا ومع انه انفق على هذا المشروع لاخير ٤٠٠٠٠٠ جنيه لم يستطع اتمامه لتفقاته الهائلة ص ٦٣ »

ونحوفى من أن « ابرجل » القارىء بهذه المعلومات الطريفة افضل الوقوف هنا خصوصا والقطار قد قارب الوصول الى الفيوم مدينة الفحم الايض وحاول فكرى (الذيرفنى) أن يتصور كيف يمكن الاستفادة من قوة المياه لادارة المحركات فجزء ذلك لجهلى الشنيع بالهندسة. هذا من جهة ومن جهة أخرى لعدم اهتمام مهندسينا بدرس مواضيعهم والكتابة فيها. فهل يظن حضرة عبد العزيز بدر B.sc (هندسة) رئيس الجمعية المصرية بمانشستر (سابقا) اختصاصى فى فن صناعة الورق امام شعبة حزب العمال بمانشستر، ان كراسات تلامذة السنة الاولى الابتدائية لا تحوى حقائق تاريخية اطرف وأصح من حقائقه ؟

التعريب فى اصول التعريب

للدكتور احمد عيسى بك ١٤٨ صحيفة من القطع الكبير

الكتاب فى مجموعه تحفة علمية تاريخية لا يستغنى عنها كل من يشتغل بالترجمة فى انحاء العالم العربى . ففضلا عن المقدمات المستفيضة المحققة على اخص الطرق الحديثة ، ووفرة المصادر التى ذكرها مؤلف الكتاب ، وحسن التبويب وطلاوة الاسلوب ، تقع فى آخر الكتاب على فصل طويل فى قواعد التعريب وهى بالطبيعة

القواعد التي اتبعها العرب في تعريب الأسماء التي صادفهم في درج ما نقلوا من كتب السريان واليونان.

على أن هذا الكتاب لا يعتبر في الحقيقة بحثاً علمياً لغوياً لا غير، بل يعتبر انتصاراً لمبدأ الذين يقولون بوجوب التعريب. وهو مذهب لا نجد من حاجة لأن نطنب في انكلام في إظهار حاجتنا إليه بعد أن أصبحت المصطلحات العلمية في كثير من العلوم لساناً عالمياً اصطلاحاً عليه ليكون الصلة بين المشتغلين بالعلوم في أنحاء العالم. ولا مزية مطلقاً في أن عكوفنا على طريقة الذين يقولون بالترجمة يبعدنا جهد البعد عن الاتصال بعالم من العلم كثرت فيه الأسماء الاصطلاحية كثرة لا يمكن أن تسعها لغة من لغات العالم، هما كثرت ووادها الأصلية.

على أننا إن عجبنا لشيء قائمنا فعجب من أن مثل هذا الكتاب الذي يصبح أن يتخذ قاعدة ينسج عليها المشتغلون بالترجمة، لم يدع بين الطبقات المتنورة من أهل العربية الذبوع اللاتني بنبالة موضوعه ومكانة مؤلفه في الاشتغال بالابحاث اللغوية. ولا ندري لماذا لا يتخذ مثل هذا الكتاب مبدأ لدراسة الترجمة والتعريب ولماذا لا يتلقاه الطلاب لدى دراستهم الترجمة إلى اللغة العربية. فإن ذلك ولا شك يثروهم بقوة كبرى يتغلبون بها على ما يصادفهم من مصاعب الترجمة إذا ما صادفتهم أسماء اصطلاحية في درج ما يعلقون على نقله إلى العربية من المؤلفات الحديثة.

وقلما نجد في كتاب آخر من الكتب التي تصدى أصحابها إلى الكلام في حركة النقل والترجمة منذ بدء العصر العباسي من التحقيق ما تقع عليه من الصفحات التي أفردتها المؤلف للكلام في أصل النقل عند العرب. فإنه بدأ الكلام في موضعه الذي لا يجب أن يبدأ من غيره راجعاً مبدأ الأمر إلى الكلام في النزعات الكنسية التي أدت إلى انفصال النساطرة واليعاقبة عن الكنيسة الرومانية. على أنه لم يقتصر على هذا بل تنكلم في انفصال فئات أخرى غير تينك الفتيين. وهي فئات لم يكن لها من أثر كبير على حركة النقل والتعريب عند العرب.

ولا شبهة مطلقاً في أننا إذا اتبعنا القواعد التي استنبطها المؤلف للتعريب

استطعنا أن نخرج في بعض سنين معاجم كبرى تتضمن أسماء الاعلام التي يقوم عليها العلم الحديث في أوروبا.



التفصيص المبرر

تأليف يوسف غصوب في ٩٦ صحيفة من القطع الكبير ، تمتنى بطبعه فناية لم نرها في غيره من دواوين الشعر

تقع في الصفحة الثانية في هذا الديوان على عنوان « من آثار المؤلف » وفي الصفحة الرابعة أن المؤلف يقدم هذه « النفثات الى النفوس الموحشة المتألمة » . وكلا التعبيرين لا يصح أن يقولهما مؤلف في كتاب له . ونود لو أن المؤلفين يقلعون عن هذه الصيغ التي لا ترى لها من أثر في المطبوعات الأجنبية ترفعاً بهذه الصناعة النبيلة عن أن يزل اصحابها مثل هذه الزلات

والديوان ديباجة ومقدمه . اما الديباجة فقد عبر فيها كاتبها عما أحس من انفعال لدى قراءته الديوان . وهذا مالا تناقشه فيه لأنه جرى في نقده على قاعدة « سانت بيث » بل يكاد يذهب في جريه على هذه القاعدة الى حد المبالغة . وأما المقدمة فنأخذ على كاتبها رأيه في أنه يربأ بالمؤلف أن يكون احتذى مثل الافرنج الشعرية وعلى الأخص الفرنسيين . فقد ذكر للمؤلف قوله :

هذه غاية الأمانى ! هلا رقدة في ظلالها بسلام

تتلاشى انفاسنا في هدوء دون ما خسارة ولا آلام

مثلاً تفقد الزهور شذاها حائئات في جنة الأحلام

وذكر للشاعر الفرنسي « البيرسامان » قوله

Où l'on s'en aller sans violence,
S'évanouir sans qu'on y pense,
D'une suprême défaillance...
Silence.... Silence.... Silence

ظاناً أنه اذا برأ المؤلف من احتذاء هذه المثل يكون أعلى من قدره . وفي ظني أن القدرة على النقل أو احتذاء المثل الشعرية بمثل هذا لا تقل في القيمة عن قرض الشعر عفواً بلا احتذاء للمثل الأجنبية . ولعمري أن قلا كهذا خير عندي من آلاف من القصائد التي لا تقع فيها الا على الفاظ لا ترابط بينها ولا تؤلف من

معنى نأخذك روعة

أما الشعر فجيد على وجه عام وفيه من المعاني المبتكرة أو التي تقول تجاوزاً
نمّا مبتكرة ، الشيء الكثير . غير أن في بعض مواضع من الشعر ضعفاً لا يتفق مع
الروعة التي تجدها في مواضع أخرى . ولعل نفوس الشعراء ونزعاتهم اعتقد الأشياء
درساً وتاملاً

والديوان في مجموعه مثال لتلك النزعة التي نسميها نزعة التجديد ، فالأسلوب
والمعاني حتى وعناوين القصائد مثل ناطق لهذه النزعة .

أما الصناعة فلا توافق بينها وبين صناعات القدماء . وكذلك مطالع القصائد
فإنها ليست من الروعة بقدر ما تتطلب الصناعات التي كان يكب عليها القدماء
وهذا عندي نقص يجب إصلاحه في شعراء « التجديد » لأن المطلع ذي الروعة
أثر في النفس لا يزول . وكم من قصيدة في الأدب العربي كانت ولا شك تنسب
وتنوت لولا الروعة الكبيرة التي تقع عليها في مطالعها وكان يعتبر ، ويجب أن
يعتبر ، من الدعامات التي تقوم عليها هذه الصناعة



حديث فياسوف

فى اللحاد والادمانه

وهو مثل من الامثلة العليا فى المناقشة المذهبة التى تدور حول
أجل الموضوعات وأدعائها للمباغضة انصرف بمدى المتعادنان
على أصنى ما يكون من الود .

بقلم د. روبرتو الفياسوف الفرنسى المعروف

كرودىلى — جهد استطاعتى .	قصدت المارشال . . . فى أمر
المرشالة — كيف ! ألا تسرق ،	فألفيته غائباً ، واستأذنت على المرشالة
ألا تقتل ، ألا تختلس ؟	زوجته ، وهى امرأة فاضلة حسناء فى
كرودىلى — نادر جداً .	تقوى الملائكة يتلأل وجهها بشراً
المرشالة — إذا فيم يفيدك عدم	وإيناساً ، رخيصة الصوت ساذجة الحديث
إيمانك ؟	كانت فى غرفة هندامها فجلست إليها
كرودىلى — لا شئ . ياسيدتى	ودار بيننا الحديث التالى ، لم تختف معه
المرشالة . وهل يؤمن الانسان لامر	دهشتها لانها كانت تعتقد أن من ينكر
يفيده ؟	الثاوث المقدس مجرم يستحق الشنق .
المرشالة — لا أدرى . لا بأس	قالت المرشالة — ألسنت السيد
بالفائدة فى هذا العالم وفى العالم الآخر .	كرودىلى ؟
يحزننى الا أرى الناس خيراً مما هم عليه .	كرودىلى — بلى ، ياسيدتى .
ولكن ألا تسرق أبداً ؟	— إذا أنت الذى لا تؤمن بشئ ؟
كرودىلى — كلا . أقسم بشرفى .	— أنا !
المرشالة — اذا لم تكن لصاً ولا	المرشالة — أراك فى أدب المؤمن
سفاها فاعترف أنك على الاقل است عاقلاً	كرودىلى — ولم لا يكون ذلك ،
كرودىلى — ولماذا ؟	إذا كان ذلك المؤمن رجلاً فاضلاً ؟
المرشالة — اذا لم يكن لى ما أرجوه	المرشالة — وهل تعنى بالوفاء
ولا ما أخشاه فليس أحرم نفسي ملاذ	لهذا الادب ؟

الحياة . انى اعترف انى « بصلاتى
وتقواى » أقرض الله قرضا حسنا .
كرودىلى — أنت واهمة .
المارشالة — ليس ذلك وهما انما
هو حقيقة .

كرودىلى — وهل يمكن أن أسالك
مأى الملائكة التى كنت تستبيحينها لو
كنت غير مؤمنة .

المارشالة — لا . لا . هذا يدخل
في باب الاعتراف .

كرودىلى — أما أنا فلا أبقى على
شئ .

المارشالة — ذلك شأن المسرفين .
كرودىلى — هل تفضاين أن
أكون « مرايباً » ؟

المارشالة — نعم . ليقرض الانسان
الله ماشاء ؛ أنه لا يؤثر على خزائنه . ولئن
كان هذا لا يدل على رقة فلا خطر منه .
الا إن الغرض هو الوصول الى الجنة بأية
وسيلة . فالواجب أن يعد الانسان لها
نفسه ولا يهمل شيئا في سبيل نفعها . على
أننا مهما قدمنا لا تكون تقدماتنا سوى
أشياء لاتذكر في جانب ما ننتظره . أما
أنت فلا تفتظر شيئا ؟

كرودىلى — لا شئ !

المارشالة — محزن جدا . يجب أن
تقرب معى اذن أنك أحد رجائين . أما شرير
بالطبع وأما معتوه .

كرودىلى — الحقيقة انى لا أستطيع
الاعتراف بذلك ياسيدتى المارشالة .

المارشالة — ماذا يحمل الجاحد على
الصراح اذا لم يكن مجنوناً ، أريد أن
أعرف ذلك ؟

كرودىلى — أقوله لك .

المارشالة — تجمعانى ممنونة .

كرودىلى — ألا تعتقد من الممكن
أن يكون انسان ، حسن المولد ، طيب
الارومة ، كريم الطبع ، يذله عمل الخير ؟
المارشالة — أعتقد .

كرودىلى — وأن يكون قد تربى
تربية سامية قوت ديمه الطبيعى الى الخير ؟
المارشالة — مؤكدا .

كرودىلى — وأن اختبارات
الحياة أقنعت ذلك الانسان أن الافضل
لسعاده فى هذه الحياة على ما فيها أن
يكون كريما لاوغدا لثما . ؟

المارشالة — كيف يمكن أن يكون
كريم النفس وهناك مبادئ أثيمة
تسحقها باتحادها مع الالهواء الطبيعية
الى الشر . ؟

- كرو دالى — ليس التعقل المطرد
من طبيعة الانسان وهل هناك ظاهرة
أكثر وضوحا من عدم التعقل المطرد ؟
أى اتباع التفكير المعقول ، نتيجة
لاحكام العقل .
- المرشالة — حقيقة يؤسف لها .
قد يكون الانسان مؤمنا ويعمل عمل غير
المؤمن .
- كرو دالى — وقد يعمل غير المؤمن
عمل مؤمن .
- المرشالة — حسن جدا ، وما يمنعه
أن يتخذ الدين سببا لعمل الخير والاحاد
سببا للبعد عن الشر ؟
- كرو دالى — لا مانع ، اذا كان
الدين سببا لعمل الخير والاحاد سببا
لعمل الشر .
- المرشالة — وهل في ذلك شك .
الليست روح الدين هي مقاومة أهواء هذه
الطبيعة الفاسدة . وروح الاحاد ترك
الحبل على الغارب واطلاق النفس بلا
خوف يمتلها .
- كرو دالى — سيجرنا هذا الى
بحث طويل يا سيدتى المرشالة .
- المرشالة — وما علينا في هذا .
ان المارشال لا يعود الآن وخير لنا أن
- تقضى الوقت في بحث معقول من أن
تقضيه في النيل من أعراض اخواننا .
- كرو دالى — اذا يجب أن نرجع
بالوضوع الى أصله الاولى .
- المرشالة — ابدأ من حيث شئت .
المهم أن أفهم ماتقول .
- كرو دالى — اذا لم تفهمى ما أقول
يكون الخطأ خطئى .
- المرشالة — هذا تطف منك .
انما يجب أن تعلم أنى لم أطلع سوى
كتاب الصلاة ولم أعن بغير قراءة
الانجيل ورعاية اولادى .
- كرو دالى — واجبان أحسنت
أداءهما .
- المرشالة — أما الاولاد فانك ترى
حولنا الان ستة . وسيكون السابع بين
يدى قريبا . لنبدأ حديثنا .
- كرو دالى — هل يوجد ياسيدتى
المرشالة في هذه الدنيا خير لا ضرر معه ؟
- المرشالة — كلا .
- كرو دالى — وهل يوجد شر لا نفع معه ؟
- المرشالة — كلا .
- كرو دالى — اذن ماهو الخير وماهو
الشر فى عرفك ؟
- المرشالة — الخير ما زادت حسناته .

على سيئاته . والشر ما زادت سيئاته
على حسناته .

كرو دلي - هل تكرم سيدتي
المرشالة بحفظ ما حددت به الخير والشر .
المرشالة - سأذكر ذلك . وهل
تدعو عبارتي تحديدا ؟

كرو دلي - نعم .
المرشالة - اذن هذه فلسفة ؟
كرو دلي - فلسفة حسنة جدا .
المرشالة - وأنا أتفلسف .
كرو دلي - اذن أنت متقدمة أن
حسنات الدين أكثر من سيئاته ولذلك
تدعينه خيرا ؟

المرشالة - نعم .
كرو دلي - أما أنا فلا ريب
عندي أن وكيل اشغالك يختلس من
أموالك بعض الشيء عشية الفصح وغده
وان الدين لا يمنع صاحبه أن يأثم أحيانا
كثيرة وقد يحسن في بعضها .
المرشالة - رويدا . رويدا .

كرو دلي - هل تظنين أن ما أحدثته
الديانات من الويلات فيما مضى وما
ستحدثه في المستقبل يوازي تلك الجسنت
التي لا تذكر ؟ اذكرني أنها خلقت
البغضاء والشحناء بين الأمم ، فما من

(مؤمن) لا يتقرب الى الله ونبيه بقتل
(من هو على غير دينه) . اذكرني أنها
أشعلت الشقاق بين أهل البلد الواحد
اشتعالا لم تطفئه سوى الدماء . وفي
تاريخنا الحديث مالا يحصى من العبر
المشؤومة . اذكرني أنها أوقعت النفرة بين
الوطنيين وبين أبناء الأشر والأقرباء
ولقد قال المسيح أنه جاء ليفرق بين
الزوج وزوجته والام وأبنائها ، وبين
الاخ وأخته . وبين الصديق وصديقه .
ومن المحزن أن نبوءته قد تمت على
الوجه الاكمل .

المرشالة - هذا سوء استخدام
الامر . لا الامر ذاته .

كرو دلي - هذا هو الامر ذاته
مادامت السيئات من لوازمه .
المرشالة - وكيف تقنعني أن
سيئات الدين من لوازم الدين ؟

كرو دلي - سهل جدا . اذا أراد
الد أعداء الجنس البشري الاضرار بهذا
الجنس هل يستطيع أن يخترع لاذاته
نكبة أدهي وأمر وأنكي من الايمان
بذات لا تدرك ولم يوفق الناس الى أمر
بشأنها ، على أنهم يعلتون عليها مالا يعلتون
على حياتهم من أهمية وخطر . ؟ اذن هل

حيًا . وفائوس الذي يجب أن يسجن ،
وماركو الذي يجب أن يهجر داره في
مستشفى المجاذيب .

المارشالة — وهل يستوى عندك
أن تكون مسيحيين أو وثنيين ولا
تكون مسيحيين خيراً منا وثنيين ؟ .

كرودلى — هذا ما أحبه . على
أننا قد نكون ونحن وثنيين أكثر
انسراحاً . وأنعم بالا .

المارشالة — لا يمكن .

كرودلى — وهل يوجد مسيحيون ؟
إني لم أر منهم أحداً .

المارشالة — وتقول ذلك لي أنا ؟
كرودلى — لا لك أنت ياسيدتى
إنما أقوله لأحدى جارأتى التى هى سيدة
فاضلة تقية مثلك . تعتقد باخلاص ، كما
تعتقدين ، أنها مسيحية .

المارشالة — وأثبت لها أنها على
خطأ ؟ .

كرودلى — بابط ما يكون .
— وكيف ؟

كرودلى — فتحت كتاب العهد
الجديد وتلوت منه على سمعها خطبة
الجليل وأنا أسألتها عن كل عبارة :
«أتقنين ذلك ؟ وهذا ؟ وهذا

يمكن الفصل بين القول بالله وبين عدم
فهمه وتلك الأهمية العظمى ؟ .

المارشالة — كلا .

كرودلى — أترك لك استخراج
النتيجة .

المارشالة — أستنتج أنها فكرة
لها أثرها فى رأس المجانين .

كرودلى — يضاف إلى ذلك أن
المجانين كانوا وسيكونون السواد الأعظم
وأن شرهم من أذهبت الديانات بعقله
وهم الذين يستخدمهم مزعجو الديانة
الاجتماعية كلما سنحت لهم الفرصة .

المارشالة — ولكن لابد من رادع
يخيف الناس ويمنعهم ارتكاب شر
لا يناله عقاب القانون . وإذا هدمت
الدين فماذا تقيم بدلاً منه ؟

كرودلى — إذا لم يكن لدى
مأحله محل الدين فالت زواله ينقص
الآلهام وهما خطراً ، إذا صرفنا النظر
عن أن الآراء الدينية لم تكن فى عصر
من العصور ولا بين أمة من الأمم قوام
الأخلاق القومية . أن الآلهة التى كان
يعبدها اليونانيون والرومان ، وهم أشرف
الشعوب ، لم تكن سوى أدنى ما يكون من
الشر . جوهر الذى يستحق الحرق

أديناً . « واسترسلت في التلاوة . كانت فوق تقواها حسناء ولم تكن تجهل ذلك . وكانت ناعمة البشرة ، لاتعلق أهمية على هذه النعمة ، الا أنها لم تكن تأبى سماع الثناء عليها وكان جديها من أجل ما يكون ولكنها مع تأديها وتواضعها لم تكن ترى بأساً أن تلفت اليه الابصار .
المرشالة — بشرط الا يتعدى ذلك زوجها .

كرودلى — أحسب أن زوجها يعرف ذلك أكثر من سواه . ولكن المرأة المسيحية جداً ، لاتكتفى بذلك . ثم قلت لها ألم يرد في الانجيل « من انتهى امرأة قريبه فقد زنى بها في قلبه . » ؟

المرشالة — وأجابتك نعم ؟
كرودلى — وقلت لها ألا أن الزنا عن طريق القلب يوجب هلاك صاحبه كالزنا بطريقة أخرى ؟

المرشالة — وكان جوابها نعم ؟
كرودلى — قلت اذا كان الرجل الذى يزنى في قلبه هالكا . فما يكون نصيب المرأة التى تدعو كل من يدنو منها الى هذه الجريمة ؟ فخطرت لهذا السؤال .

المرشالة — أفهم ، انها لم تكن تحكم ستر ذلك الجيد الجميل .
كرودلى — حقيقة . ولقد أجابت أن ذلك أمر عادى كما أن من العادى أيضاً أن يدعو الانسان نفسه مؤمناً وهو ليس كذلك . وأنه لايجب أن لاتلبس المرأة ثياباً تدعو للسخرية . وكان من المعقول أن تقارن بين سخرية نافهة بالهلاك الابدى للرجل ولامرأة قريبة . وأنها تلبس ما تقدمه اليها الخياطة كأن الاستعاضة عنها ليس أكثر من مخالفة دينها . وأن تلك رغبة زوجها . كان الزوج يبلغ به العتة أن يكف زوجته نسيان اللياقة والواجب . وأنه من المحتم على الزوجة المؤمنة أن تطيع جنون زوجها حتى فيما يخالف أوامر الله
المرشالة — كنت أتوقع سماع هذه المخالفات الطفيفة وإيما قلتها لك كما قلها جارتك . وعند ذلك أكون أنا وإيها ضيعتى الايمان . ولكن ماذا فعلت جارتك بعد هذا اليوم ؟
كرودلى — كان غده هذه المحاورة يوم عيد فقابلت جارتى التمية الحسنة ذاعبة لحضور القداس .
المرشالة — فى ثوبها العادى ؟

كرو دالى — علة ذلك أنه من المحال إخضاع شعب كامل لقوانين لا تلائم الاطائفة من المستأئين الناقين استمدوها من خلقهم هم . ان مثل الديانات كمثل الانظمة « الديرية » التي تنتهى الى التراخى مع الزمن . جنون لا يقوى على مقاومة الدواعى الطبيعية التي تضعنا لسانها . اجعل خير الفرد مرتباً مع خير الجنوع . بحيث لا يضر الانسان المجتمع دون أن يضر نفسه . اضنى للفضيلة جزاءها كما تضنى للشر عقابه . افتحى للجدارية ، بلا تمييز بين الديانات والظروف ، أبواب ارقى . فلا تجدين من الاشرار الا عددا لا يذكر من فطروا على غرائز ضرورية تسوقهم الى الشر ولا عاصم لهم — ياسيدتى المارشالة . ان التجارب قريبة جدا وجنهم بعيدة جدا . فلا تعتمدى على تشريع حكيم يس من آرائه الشاذة قوانين لا تؤثر الا في الاطفال . تبقى الجرائم بسبب رالة الكفارة عنها . لا تكلف المجرم سوى طالب العفو من الله عن جرم ارتكبه ضد انسان . وتشين الواجبات الطبيعية والادبية بالاستعاضة عنها بواجبات وهمية .

كرو دالى — في ثوبها العادى . ابتسمت وابتسمت ووردنا كتمفالكثف دون أن يكلم أحدنا الآخر . امرأة فاضلة وذومنة تقيّة . فما هو ياسيدتى المارشالة يد هذا المثل والآف غيره ، التأثير الحقيقى للدين في الاخلاق ؟ لاشىء وهذا حسن .

المارشاله — كيف انه حسن ؟ كرو دالى — نعم ياسيدتى ، لو خطر لعشرين الف من سكان باريس أن يسيروا طبقاً لموعظة الجبل . . . المارشالة — لو فعلاه تسترت الاعناق الجيلة .

كرو دالى — ويكثر عدد المجانين حتى يضيق رجال الشر بهم فرداً لان مستشفيات المحاذيب عندنا لا تكفى . يوجد في كتب الوحي طائفتان من المبادئ الادبية والاخلاقية . الاولى عامة ومعروفة بين جميع الامم والديانات ويسير الكل تقريباً على مقتضاها . والاخرى خاصة لكل أمة ومذهب ، يوعظ بها في الهياكل ، ويتحدث عنها في البيوت ولا تنبع أيداً .

المارشالة — وما هي علة هذا التناقض ؟

للمارشالة — لا أفهم ما تقول .

كرودلى — أشرح لك ذلك .
واسكن عربة المارشال جاءت لتحول بيني
وبين كبة طائشة .

للمارشالة — قل . قل . كلمتك لن
أسمعها لأنى اعتدت ألا أسمع إلا
ما يرضانى .

كرودلى — دنوت منها وهمست
فى أذنها :

أسير الى الامام . أى الجريمةتين
أشد فحشاً ، تدنيس أثر دينى أو تشويه
سمعة سيدة فاضلة . انه ليصيح بك
عند سماع الجريمة الاولى بالنجاسة
والدنس . وذلك القانون المدنى الذى
لا يكاد يهتم بتشويه السمعة . ويعاقب
التدنيس بالقتل . ان هذا من شأنه أن
يوقع الاضطراب فى الازهان ويفسد
النفوس .

للمارشالة — أعرف غير واحدة من
النساء تحجم عن الافطار أيام الصوم ...
أوشكت أقول أنا أيضاً كلمتي . استمر .
كرودلى — سيدتى . لا بد لى أن
أحدث المارشال . . .

للمارشالة — تمهل قليلاً ثم نذهب
معاً لمقابلته . انى لا أجد جواباً ولا كلمتك

لم تقنعنى .

كرودلى — لم أقصد قط الى
إقناعك . إن الدين كالأزواج . فالزواج
الذى يشقى به الكثيرون جعلك أنت
والمارشال سعداء ، وخيراً فعلتما . كذلك
الدين الذى خلق ويخلق وسيخلق كثيراً
من الاشرار قوى فيك روح الفضيلة ،
فمن الاناير أن تحرصى عليه .

لقد حسن لديك أن تتخيلي
بجانبك وفوق رأسك ذاتا عظيمة قديرة
تراك تمشين على الارض ، وهذا الفكر
يثبت قدميك . فاستمرى يا سيدتى
وأنعى بهذا الحارس الجليل . بذلك
الرقيب ، بتلك القدرة السامية .

للمارشالة — كأنك است مصاباً
بجنون اجتذاب الاتباع .

كرودلى — أبداً .
للمارشالة — أكبر فيك ذلك .

كرودلى — انى أبيع لكل أن
يفكر كما يريد على أن يتركبى الناس
أفكر كما أريد . ان الذين تميل بهم
فطرتهم الى التخلص من هذه الاوهام
ليسوا فى حاجة الى من يرشدهم .

للمارشالة — هل تعتقد أن الانسان
يستغنى عن الاوهام ؟

المارشالة - ولكن هذا العالم من

خاقه ؟

كرو دالى - أسألك عن ذلك .

المارشالة - الله .

كرو دالى - ومن هو الله ؟

المارشالة - روح .

كرو دالى - اذا كانت الروح تخلق

المادة فلماذا لا تخلق المادة الروح ؟

المارشالة - ولماذا تخلقها ؟

كرو دالى - ذلك لاني أراها تخلق كل

يوم . هل تعتقد ان للحيوانات ارواحا ؟

المارشالة - ، وكذا .

كرو دالى - وهل تستطيعين ان تقولى

لمثلا الى أى شيء تتحول روح افعى ببرو

وهي تجف وتبقى معالمة في مدخنة عرضة

للدخان سنتين متواليتين ؟

المارشالة - التحول الى ماتشاء ، ماذا

يعنى من هذا ؟

كرو دالى - ذلك لان سيدتى المارشالة

لا تعلم ان هذه الافعى التى تجف تبعث

وتحيا .

المارشالة - لأصدق ذلك .

كرو دالى - ان « اوجيه » وهو رجل ماهر

يؤكد ذلك .

المارشالة - ان رجالت يكذب .

كرو دالى - كلا ، مادام جاهلا ،

جبانا .

المارشالة - اذا كان ولا بد من

الارهام قلوبها ما خيرا من غيرها .

كرو دالى - لأظن ذلك .

المارشالة - قل الحق . ألا يسؤك

أن تكون « لاشيء » بعد موتك ؟

كرو دالى - أفضل البقاء . على انى

لأعرف لماذا ذلك الخالق الذى أتمنى

بلا سبب ، لا يتلبنى بفعلة ثانية .

المارشاله - بصرف النظر عن هذا ،

اذا كان الامل في حياة عتيده يترأى

لك مغريا ولطيفا ، فلماذا تريد أن

تنزعه منا ؟

كرو دالى - لأامل في ذلك . لم

يحملنى الترق الى هذه الكبرياء الفارغة

ولكنى لأنزع هذا الامل من أحد .

لو استطاع انسان أن يعتقد أنه سيربى

بعد أن لا يكون له عيون . ويسمع

بعد أن لا تكون له آذان . ويفتكر

بعد أن لا تكون له رأس . ويحب

بعد أن لا يكون له قلب . ويحس بعد

أن لا يكون له مشاعر . ويوجد بعد

أن لا يكون له وجود . وأن يكون شيئا

لا امتداد له ولا مكان ، فليقبل .

كرو دالى — واذا كان على حق
المارشالة — اكنفى بالقول أن
الحوانات آلات ميكانيكية
كرو دالى — والا لسان، وما هو سوى
حيوان أكثر اتقاناً. ولكن، جناب
المارشال.

المارشالة — بقى لى سؤال واحد وهو
الاخير. هل أنت مطمئن لعدم إيمانك
كرو دالى — على أحسن ما يكون

المارشالة — واذا كنت مخدوعاً؟
كرو دالى — اذا كنت مخدوعاً؟

المارشالة — اذا كان كل ما تكذبه صحيحاً
وتكون من الهالكين. انه لا مفرط جيداً
يا سيد كرو دالى أن تكون من الهالكين
فيكون جزاءك النار الابديه. وما أطول
الابديه.

كرو دالى — كان لافونتين يعتقد أننا
سنكون هناك كالسمك في الماء

المارشالة — نعم. نعم. ولكن لافونتين
رجع الى الجد في آخر أيامه وهناك انتظرك
كرو دالى — لا استطيع الجواب على
شئ متى ذهب عقلى. أما اذا مرضت
مرضى الاخير بداء لا يمس رشدى فانك
سترىنى في ساعتى الاخيرة كما ترىنى الان
هادئاً لا افزع لشيء

المارشالة — انى لا اعجب لهذه الجراءة
كرو دالى — أرى أعجب منها،
مريض مشرف على الموت يعتقد أنه سيف
امام قاض قاس يحصى عليه حتى خطرات
وهمه. مقام يستولى الرعب فيه على
اعدل الرجال خشية أن تخف موازينه.
اعجب من أن يخير بين أن يفنى ويتلاشى
وبين أن يعرض على تلك المحكة ولا
يبتار، الفناء هذا اذا لم يكن عديم الصواب
كرفيق القديس برومو، أو سكران من
خمر الاعتقاد باستحقاقه مثل بوهولا

المارشالة — قرأت سيرة رفيق برومو
ولكنى لم اسمع شيئاً عن بوهولا

كرو دالى — ذلك يدعى من اخوان
«ينسك» فى ليتوانيا ترك عند موته علبة
ملأى مالا وفيها خطاب كتبه وأمضاه
بيده.

المارشالة — والخطاب؟

كرو دالى — فيه ما يأتى: أرجو الى زميلى
العزير الذى يستولى على هذه العلبة أن
يفتحها عندما أجرى المعجزات وينفق
ما فيها من المال على الاحتفال «بتطويبي»
ولقد اودعتها منذ كرات حقيقية تثبت
فضائلى وتكون عوناً لنا فى المن يكسب
سهرنى.

لا يسمعون صوت الحق الذي يخاطبهم.
كرودالى - لو كان لهم الخيار في أن
يؤمنوا أولا يؤمنوا فربما كانوا خير
المؤمنين .

المارشالة - لقد رأوا عجائب لو
زاهها سكن صور وصيدا لا آمنوا
كرودالى - قد يكون أولئك أغبياء
وهل يعاقب الأغبياء من خلقهم أغبياء ؟
لقد قصصتك. الآن قصة وأريد أن
أروى لك أخرى عن فتى مكسيكي
ولكن جناب المارشال .

المارشالة - أسأل إذا كان يمكن
مقابلته. وما هي حكاية ذلك المكسيكي.
كرودالى - تعب ذلك الفتى من عمله فخرج
يتنزه على حافة البحر فرأى لوحة طرفها
في الماء والآخر على الشاطئ . جلس
فوقها ومد بصره إلى الأفق الفسيح المنبسط
أمامه. وقال في نفسه « لا شك أن جدتي
العجوز كانت تهذى فيما كانت ترويه ،
عما كنت أعلم من أناس ، ولا أعلم في أي زمن
جئوا هنا ، ولا أعلم من أي مكان ، وراء
بحارنا هذه. ألا أرى البحر متصلا بالسما ؟
هل يمكنني أن اعتقد عكس ما أشاهده ،
خرافة لا يعرف لها تاريخ ، فينسبها كل على
هواه ، وما هي إلا نسيج حوادث غامضة

المارشالة - مضحك جدا .

كرودالى - يضحكني أنا ، أما أنت فإن
آهلك لا يعرف مزاحا .
المارشالة - صدقت

كرودالى - من السهل جدا أن يقع
الإنسان في الخطيئة ضد شريعتك
المارشالة - أوافق

كرودالى - والعداثة التي تتحكم في
محاكماتك صارمة جدا
المارشالة - حقيقة

كرودالى - ولو سمعت إلى أقوال التقية
لأريت المنتخبين قليلين جدا
المارشالة - أنت ممن يعتقدون ذلك .

أني أعرف المسيح قديا وشفيعا
كرودالى - هل تحكمين بالهلاك على
سقراط وقوسيون وأريستيد . وكاتون
وتراجان ومارك أوريل ؟

المارشالة - لا يرى هذا سوى الوحوش
الضارية . قال بولس الرسول سيحاكم
كل إنسان حسب شريعته وهو قول حق
كرودالى - وبأية شريعة يحاكم
الملحد ؟

المارشالة - هذه مسألة أخرى. إن
مثلك مثل أولئك الذين اغمضوا عيونهم
حتى لا يروا النور وسدوا آذانهم حتى

باطلة يتناهاشون من أجلها القلوب ويسملون
العيون؟ وبينما هو غارق في تأملاته كانت
المياه تلاطم لوحته فنام . هبت الرياح
وقذفت الأمواج اللوحة الذي تمدد عليها
فاذا بصاحبنا المفكر يسبح في اليم فوق
لوحته.

المرشالة - يالأسف هذه حالنا، كل
على لوحته . تهب الرياح ثم تقذفنا الأمواج
كردوالى - وما استيقظ إلا وهو
بعيد عن اليابسة . فمن الذي أصابته الدهشة
إذ رأى نفسه وسط البحار؟ هو
المكسيكي . ومن الذي زادت به الدهشة؟
هو بعينه أيضا إذ لم يعد يرى الشاطئ الذي
كان يتنزه فوقه من برهة مضت . رأى
البحر متصلا بالسما من كل جانب . داخله
الشك في أنه كان مخدوعا وإن الرياح لو
وقفت به هناك لاحتملته إلى أرض بين
أولئك السكان الذين كانت تحدثه عنهم
جدته.

المرشالة - لم تقل شيئا عن اضطرابه
كردوالى - لم يضطرب بل قل في
نفسه المهم أن أصل إلى الشاطئ . لقد
فكرت تفكير البلهاء . ليكن . ولكنى
كنت مخلصا وهذا كل ما يطلب منى .
« إذا لم يكن العقل من الفضل فقد انه ليس

جريمة » استمرت الرياح في هبوبها والرجل
ولوحته طافيان ولاح الشاطئ المجهول ،
فوصل وصعد إليه

المرشالة - سنتقابل يوما ما يا سيد

كردوالى .

كردوالى - أتمنى ذلك يا سيدتى المرشالة

وفي أى مكان سيكون من واجبي
أن اتقرب إليك . ما غادر الفتى لوحته
ووطئ الرمال حتى رأى إلى جانبه شيخا
وقورا ، سأله أين هو ومع من يتشرف
بالتحدث . أجابه الشيخ أنا سيد هذه
الملكمة . هل انكرت وجودى؟ - حقيقة
- أنى اعفوعنك لأنى أرى أعماق القلوب
وقرات دخيلة قلبك فعلمت أنك كنت
صادق الضمير سليم النية . ولكن افكارك
وأعمالك لم تكن بريئة؟ أخذ الشيخ الذى
أمسك بأذن الفتى يقص عليه جميع أخطاء
حياته . والفتى ينحني عند ذكر كل منها
ويقرع صدره ويسأله الغفران . والآن
اجعلى نفسك أيتها المرشالة مكان ذلك
الشيخ وقولى ماذا كنت تعملين؟ هل
كنت تجتذبين ذلك الشاب من شعره
وترضين بتعذيبه إلى أبد الأبدى على
الشاطئ

المرشالة - كلا

وللمارشال ولي وللشباب المكسيكي والشيخ
فلست أدري ماهي ولا أدري كيف يحسن
الشباب أو يسيء.

هنا جاءنا الخادم يخبرنا أن جناب
المارشال في انتظارنا فقدمت يدي الى
المارشالة وهي تقول لي .

ان هذا لما تضطرب له الرأس .
أليس كذلك ؟

كرودلى - ولماذا ، مادامت سليمة ؟
المارشالة - وجهة القول يجب أن
يسير الانسان كأن ذلك الشيخ موجوداً
كرودلى - حتى ولو كان غير موجود
المارشالة وان لا يعتمد على رحمته
متى اعتقد بوجوده

كرودلى اذا لم يكن هذا ادخل في باب
التأديب فانه أكثر ضماً
المارشالة - قل لي لو سألك الحكام عن
مبادئك هل تقررها أمامهم

كرودلى - أعمل جهدي لا أفر شأبيهم
ارتكاب فظيعة. المارشالة - نذل ، وإذا
كنت على وشك الموت هل ترضى أن
يحتفل بالصلاة عليك في الكنيسة ؟

كرودلى - لا أتأخر عن ذلك

المارشالة - تبالك من نذل مرء

ترجمة . مخائيل بشاره داود

كرودلى - وإذا كان أحد ابنائك
يعود اليك بعد هربه من البيت وارتكابه
أفزع الجبهالات ؟

المارشالة - أسرع اليه وأضمه بين
ذراعي واغسله بدموعي ولكن والده
المارشال ان يقابله بهذا اللطف

كرودلى - ليس جناب المارشال نمراً
المارشالة - طبعاً

كرودلى - قد أتمنع ولكنه يعود
فيعفو

المارشالة - ولا شك

كرودلى - لاسيما اذا لاحظ أنه قبل
أن يخلق هذا الفتى كان يعرف جميع
تفاصيل حياته وأن لا فائدة من عقابه على
اخطائه لاله ولا للمذنب ولا لاختوته

المارشالة - الشيخ والمرشال شخصان
كرودلى - تتوابعان المارشال افضل
من الشيخ ؟

المارشالة - حاشا لله . أقول اذا كان العدل
في نظري غيره في نظر المارشال فمن المحتمل
أن يكون العدل في نظر المارشال غيره في
نظر الشيخ .

كرودلى - انك يا سيدتي المارشالة
لا تحبين لنتيجة هذا الجواب حسابها .
اذا لم تكن العدالة واحدة بالنسبة لك

رجال الأعمال

تنشر مكتبة هانشت الباريسية مؤلفات قيمة عن رجال الأعمال تبسط مايتصل بكل منهم في ايجاز وجلاء . وقد صدر من تلك المجموعة الثمينة طائفة صالحة عن السياسى . (البوليطيقى) والسياسى (الدباوماطيقى) والفلاح . والصانع . والمالى . والمحامى الى غير ذلك . تقدم اليوم لحضرات القراء :
رجل السياسة الداخلية

السياسى

بقلم

لويس بارنو

السياسى الفرنسى المشهور

قال في مقدمته: أن السياسى رجل عمومى لا يشغل منصباً بل يؤدي مهمة . فكل كلمة وكل حركة من حركاته وكلماته لا تخاو من رقيب ناقد حتى سكوته لا ينجيه من تأويل ، وهو لذلك غرض لا راء متظاربه وأحكام متفاوتة في الشدة واللين . على أنه مطالب على الدوام ان يقدم حيايه للجمهور . فهو وان سما مركزه وترأى للناس سعيدا فقد أجس ويحس وسيحس معانى الخيبة والالم والنحس ، لذلك تراه جديرا أن يرثى له .

ثم أخذ في تعريف السياسى مبتدئا بعبارة أرسطو « إن الانسان حيوان سياسى » بمعنى أنه شديد الميل للاتلاف وأنه الوحيد من أنواع الحيوانات الذى أبتنى المدن وأقام الحكومات .

واذ كان لابد للحاكم أو السلطان من اعوان يعينونه في ادارة شؤون البلاد اصطنع اناسا لينوبوا عنه ومن هذا نشأت السياسة الداخلية . ونشأ السياسى . وهو وطنى القيت اليه مقاليد الشؤون العامة . ولذلك امتدت السياسة الى كل شىء وكل مكان وايس شأن السياسى شأن الناخب والمتمتع ب لان هذه حقوق تؤخذ أو تهمل اختيارا . اما هو فلا يستطيع التهاون في حقوقه . انه يعيش بها ولها .

وعلية يمكن تعريف السياسى بأنه من يشتغل بالسياسة طبقاً لأوامر قرارات البرلمان وهي شغله الشاغل

ودائرة السياسى اليوم، البرلمان والوزارة. وقد يشوم البعض ان الروح السياسية وراثية ولكنها على التحقيق شهوة نفسية او هي كما يقولون شىء في الدم . فالسياسة هي شهوة الحكم تتقدمها الصناعة والإدارة . بحس صاحبها انها الزام حياته لا يبالى بما يعترضه في سبيلها من صعاب وآلام . وقد قال بعضهم انها كالمخفية «موضع حبي وبغضى» ولن ترى أشد من السياسة هوى أعلق بنفس صاحبه

وقد يعلتها الشاب وهو طالب ثم يبدأ المران عليها في مجالس الاقاليم والبلديات فاذا كان يقظاً لطيف المشر صادق الخلدمة ذاعت شهرته وكثر أصحابه ومهد لنفسه الطريق الى البرلمان ، يتعرف الى أصحاب الامر من حاكم ومدير ومهندس ومراقب ويحتمل لقضاء حاجات ناخبيه ..

وأكثر ما يتوفر النجاح في الانتخابات النيابية هو للمجاهدين والاطباء لاتصالهم بالجمهور، هذا عن طريق الطب وما يسدى من المعروف والرحمة بالمرضى، وذلك بما يؤدي من الخدم لزيائنه. ومن هؤلاء تتكون عصبة الناضحين ، على أن أبواب السياسة مفتوحة للجميع من كل صناعة وطبقة . من الحق أن الشر قديم وأن هناك أناس لا يستحقون شيئاً من الاحترام يحتالون انيل تلك المناصب السامية يتخذونها مغنماً لمطامعهم الذاتية ولا يبالون بالمصلحة العامة ولكنهم لا يلبثون أن يفتضح أمرهم ، والخطأ في ذلك واقع على من يجبن أمام معتزلة الانتخابات من الاكفاء . يحجمون وبذلك يتركون المجال فسيحاً لغيرهم ، فالواجب على من يفار على المصلحة العامة أن يتقدم في شجاعة الى المعركة وأن يعلم أن لاسبيل لبلوغ أمنيته بلا تعرض لصدمات القتال .

في البرلمان

قد يحدث غالباً بعد الحوادث الكبرى أن يقتحم المجلس كثير من الشباب الناهض القوى الصادق العزيمة فيمكتسح كثيراً من مقاعد الشيوخ الخنثىكين وهناك تصطدم حمة الشباب بخبرة الشيوخ فلا يسعد حال المجلس بل يتمثل

عمله . الى أن يكتسب حديثو العهد بالأعمال السياسية شيئاً من الخبرة تعلمهم أسرار العمل النافع وتكسر من حديثهم وتقربهم الى الحقائق العملية . وقد يرجع الفضل في ذلك ان يضمهم المجلس من الخبراء والخمسين الذين هذبهم الايام وعلمتهم التجارب وشربهم ما تبلى به المجالس السياسية أن تنقسم على نفسها فلا يكون التنازع بين أعضائها تنافساً للاخذ بالاحسن بل يكون صراعاً يراد منه التناحر والفناء

العمل

بعد أن يجتاز النائب عقبات الانتخاب ومعاركه لا تسب عن سروره عند اجتيازه عتبة المجلس حيث أصبح نائباً وأصبح من رجل السياسة ، حيث يشعر بتهنئات اخوانه ونظرات بعض حساده . بعدها تبدأ مسألة اللجان التي يعرف منها مقدار منزلته ويتعرف تفاصيل ذلك النظام الداخلي ويمحس أثر الاحزاب عليه ويشعر بواجبه نحو حزبه وما تقتضيه اللجنة التي انتخب فيها ويمحس واجبه نحو المصلحة العامة ومقدار المسؤولية الملقاة على عاتقه ، وكيف ينظر الى المقترحات سواء من جانب الحكومة أو من جانب اللجان والنواب . مشاق لا بد له من أن يتمرس بها فلا يفتوته أن جمهور الأمة سيحكم عليه بما يقول وما يلقي قوله من التوفيق أو الخذلان ولا يهيم الجمهور شيء مما يدور بين جدران اللجان وما يعانیه من أحكام الاحزاب ولا مقدار ما بذل من جهد إذا لم يكن نصيبه التوفيق . لذلك كان أول ما يتطلع اليه النائب الجديد هو المنبر .

المنبر النيابي

إن تاريخ الأمة النيابية هو تاريخ منبرها النيابي في كثير من الاحايين . ان المنبر هو الهيكل المقدس الذي يجب ألا يتقدم اليه الانسان الا وهو بين التهييب والايمان . ذلك أن الخطبة هنا عمل لا كلام فقط ، عمل له مسؤوليته وخطورته فذ أقدم عليه انسان بلا هيبة ولا تأثر ولا إيمان لا يستطيع تحقيق غرضه . ان مثل الخطيب عند اعتلائه المنبر كمثل من ينزل الى البحر لا بد من أن يسبح ولا بد من أن يصل الى الشاطئ . سواء بدأ عمله بين التصفيق أو الصفيق ، ولا بأس عليه أن

يوفق أولاً يوفق المهم في ذلك ان يكون صادق اليقين لا يكذب على سامعيه ولا على نفسه

من الخطباء من يقرأ خطبته مكتوبة ومنهم من يتلوها محفوظة ومنهم من يرتجلها ... على أن القراءة أكثر ما تكون ملة للسامعين لاسيما إذا رأوا أوراقها غديدة . غير أن بعض القارئين من الخطباء يحسن الأداء الى درجة لا يشعر معها الحضور بسآمة . كذلك الحال فيمن يتلو خطبته المحفوظة اذا لم تعنه ذاكرة واعية وجاش ثابت فقد يضطرب عليه القول لاية حركة أو اعتراض يبدو من جانب السامعين ، ومن هؤلاء أيضاً من لا تؤثر فيه المعارضة فيستمرون فيما رسموا لأنفسهم مطمئنين . أما الارتجال فأقل ما يقال فيهم أنه مخاطرة قد تعرض صاحبها للسخرية ولكن القاعدة في ذلك عند قول الخطباء ألا يرتجلوا القول في أمر اذا لم تكن لهم به معرفة سابقة ودرس عميق كأن اطلعوا على دقته وتعرفوا بجميع نواحيه وكونوا لهم فيه رأياً خاصاً اعتقدوه الصحيح ، في هذه الحالة فقط يصح الارتجال . وأما اذا كان الارتجال لجرد الرغبة في الكلام فكثيراً ما يضيع على صاحبه قدره وان كان عظيماً .

وسواء أكانت الخطبة كتابة أم حفظاً أو ارتجالاً فلا بد من أن يراعى فيها الشروط الآتية .

- أولاً — لا تكثر من الاستشهادات ولا تعتذر عنها .
- ثانياً — لا تكرر التأكيد بأنك صادق مختص فيما تقول .
- ثالثاً — لا تقل لأريد أن أكون وزيراً .
- رابعاً — لا تنقطع الا عند ضرورة وبمحكمة .
- خامساً — لا تصنع للاعتراضات ولا تجارب عليها الا اذا رأيت فيها ما يفيد غرضك .

سادساً — لا تعل صوتك لتسكت الحضور . انتظر .

لا يكون الاستشهاد نافعا الا اذا كان ضروريا وقد دل الاختيار أن المجلس يحله لاسيما اذا كانت القراءة غير جلية أو كان الاستشهاد طويلا ، ذلك لأن المجلس

يصفى الى المتكلم الذى يحمل مسؤولية ما يعرضه. واذا لم يكن بد من ذلك ، فعلى الخطيب أن يفصل بينها بشيء من الشرح يذهب عن السامع ملله . كذلك الحال في تلاوة الارقام ومن الملاحظ أن الاعتذار عن تلاوة شاهد لازم ، لا يخلو من ضرر .

كذلك الصدق والامانة فانهما لازمين في المجلس لزومهما في كل أمر على أن لا يلح الخطيب في تكرار الشهادة لنفسه بها فقد يكون ذلك مبدعة للريب . وما الفائدة من أن يقول النائب الخطيب أنه لا يريد أن يكون وزيراً وهو حق من حقوقه . قد يهتم الوزير نائباً بالرغبة في أن يحمل محله ولكن ذلك لا يدفع الحق . انما يجب أن يكون النقد خالصاً للمنفعة العامة . فالمعارضة مشروعة في جميع المجالس النيابية .

ولا تكون المقاطعة الا اذا اقتضاها الحال لاصلاح خطأ أو ازالة سوء تفاهم . على أنها كثيرة الحدوث بين مقاعد الحكومة والخطيب وقد تغنى عن خطاب على أنها يجب أن تكون مقرونة بالحكمة متى كانت بين نائب ووزير أو بين نائب ونائب ومن لم يقاطع كان من حقه ألا يقاطع .

وقد يعرض المقاطع نفسه للسخرية وايس أدعى للحزن والاسف من أن يجعل النائب نفسه أضحوكة .

وقد لا تكون مندوحة عن الاجابة على مقاطعه وقد تكون الاجابة جادة صائبة يخرج منها الخطيب أقوى برهانا وأملك لنفوس سامعيه . كما انه في بعض الاسئلة مالا يجد الخطيب معه جواباً خلغته أو شدته تخير له ألا يصفى اليه ويمضى في حديثه لا يظن الخطيب أنه بأعلاء صوته يسكت أصوات معارضييه . ان الخضوضاء لا تكن انما يخشى ان يفقد الخطيب صوته فالواجب فعله في هذه الحال ان ينتظر حتى تمر العاصفة

هذه خلاصة اختبارات سياسية عرك الحياة النيابية جعلها نصب عينيها واخذ نفسه بالمزان علمها

هذا ولا بد من مراعاة قواعد اللغة واصولها في الكلام وان كان الكثيرون

من النواب لا يميلون لذلك ولا يفتقرون الاساليب العالية في الخطابة فقد ادت مراعاة هؤلاء الى شيء من الانحطاط في العبارة والاسلوب الا ان الحسن بل الواجب الا يغفل شأن اللغة في اكبر مجالسها

الوزارة ورئيس المجلس

ان الصراع النيابي جهاد غايته الوصول الى الحكم. هذه طبيعة الانسان، لم تغيرها المنظمات. ففي دست الحكومة يتمكن الانسان من اجراء ما يريد من اصلاح وسن القوانين لذلك ترى النواب في حل من اتخاذ كل وسيلة اليها يمهدون لانفسهم السبل اليها سواء بالحيلة او الوساطة او الاصدقاء، لذلك تجد الكثيرين ممن لم تدع لهم شهرة برلمانية أو اعمال معروفة قد انضموا تحت الوزارة ولا تلبث عن حالة المستوزرين عند تأليف وزارة جديدة. وكيف يتسابقون الى استرضاء الرئيس فقد تزدحم الطلبات عليه الى ما يفوق اضعاف اضعاف العدد المطلوب كل يتوقع قبولا وكل ينتظر دقة التلفون. وكل يرقب عربة الرئيس أو احد رجاله وم يكن أسف من يفوتهم الحظ شديداً، وم يكن فرح الموفقين شديداً. وم يلزم هذه الحركات من مدارات وتمنيات وانتقادات وتمسك أحزاب وتسامح طلاب. الى غير ذلك

وأخيراً متى تشكلت الوزارة كان أول همها وضع البرنامج الوزاري، على أنه من أحكام العرف لا من الضروريات اللازمة. ان تأليف كل وزارة برنامج خاص فالأولى انتظار الامثلة التي تستجلى بها الحال لا أن يقدم برنامج تصطنعه الحكمة والابهام. على ان خيرهم اقصره. وقد يقوم باعداده الرئيس وحده وقد يشترك فيه وقد يشترك فيه جميع الوزراء حيث يعتمد كل وزير الى الاقضية في شئون وزارته. غير أن الوحدة في وضعه خير من الشراكة. وقد جرى العرف أن يتلو التصريح بالبرنامج الوزاري. استجواب يتبعه اعلان الثقة لتوطيد قدم الوزارة. فقد يكون الوزراء موافقين في الاجابات فتستقر بهم مراكرهم كما يمكن أن يكون العكس. أما تمسك الوزراء وبعض وكلائهم بلقب «معالي الوزراء» فقد اصبح امراً مألوفاً

في مجلس الوزراء

وفي مجلس الوزراء تنافس الأعمال كبيرها وصغيرها وتقرر مواقف الوزراء أمام البرلمان عند المناقشة . كل يجري على سجيته من لين أو شدة أو احتيال أو تقرب . ان الحكم تجربة خطيرة ترى داخل دائرته الصعاب وتتأهبها على غير ما ترى في الخارج والنقد أيسر من العمل . لا توجد قواعد عامة ولا ضوابط أكيد للحكم . الامر في ذلك للزمن والظروف . فهمة من يتولى الحكم هي في الغالب اختيار أهون الضررين و متى عرض أمر ظهرت مصاعبه الخفية التي تكون الوزارة قد احتاطت لها من قبل وحسبت لها حسابها وممها تكن المعارضة فليس من شأنها أن تغير ما استقر عليها رأى الوزارة فغاية الوزير ألا تميل به المعارضة حيث تميل ، بل يقف لما اعتقد فيه المصلحة وقفة الثبات والعزم وما أسعد البلاد التي تجد في ظروفها العصبية مثل هؤلاء الوزراء .

فلو حدث مثلاً أن دولة موالية باتت في خطر يهدد كيائها وان العدو الذي يهاجمها قد يبعد في مطامعه فيقابل الوزير بين خطر التدخل وخطر الامتناع وإذا قرر هذا أو ذاك كانت مسؤوليته جسيمة — اذا جاء حكمه خاطئاً صبت على رأسه لعنات التاريخ — وإذا جاء حكمه صائباً وانتهى التدخل مثلاً بانقاذ الدولة الصديقة وانقاذ المدينة ، فقد أصبح من رجال التاريخ العظام وذاع صيته بين جميع الشعوب وعرف له الجميع فضله

قد يكون الوزير الوطني إبان الحروب واختارها صلب العود شديد المعارضة يعمل للنصر ويكامل النصر جهوده ولكنه قد يكون عند السلم شير بصير بفوائد بلاده العملية أو غير عليم بنفسية خصمه يتخذ لمكره فيعقد معه عهداً لا خير فيه وقد يكون شرة لمزيلي الحكم بعده . على أن السياني المحنك لا يعدم وسيلة لاصلاح الخطأ سواء بان يأخذ خصم البلاد بالشدة أو يضيع عليه ما اراده من خداع لا يعرف السياسي إلا عند العمل . حيث تكون كلماته قوة عاملة للمصلحة العامة . وهناك فرق بين الدعي أو الدساس وبين السياسي . كلفرق بين السياسة وبين الدميسة . يعيش الدساس في ظل السياسة يستغلها لمصلحته ولا يرى خيها إلا فيما

نجر عليه من كسب . هذا دأبه وان كان من الخطأ البين في عرف السياسة . قد يتخذع السياسي . أما الدساس فدأبه ان يتخذع سواء . للسياسي اغراض وخطط ونظرات بعيدة ، أما الدساس فليس له سوى وسائل . ذاك يستمد حياته وعمله من السياسة وهذا من الدسياسة . واذا كان بينهما من شبه فهو ان كلاهما مطبوع على المضي في طريق لا يصلح لسواهما . وهذا لا يجيز لنا الخلط بينهما . لا بأس من ان يكون السياسي ماهرا وماكرا . ان المهارة والمكر من الصفات اللازمة للسياسي ولكن المهارة ليست هي الدسياسة بولا المكر هو الخبث والرياء .

على أنه من الأسف ان لا بد للسياسي من اولئك الدساسين يجعل هو في دائرة الواجب ، ويدفع بهم في المغامرات ، فلا بد للوزراء من اللثام مهما حسنت نيات اولئك . فقد تعرض ظروف تجعل الحاجة اليهم ضرورية . ان الشرف والفضيلة والضمير صفات محترمة ولكنها قد تكون عديمة الفائدة . وقد قال « بوسيه » ان الفضيلة لا تصلح للاعمال . لا بد من الملاينة لا كتساب رضى الجمهور . ليس الغرض من هذا تحبيذ الاثوم انما نقصد الى القول بان السياسة كلها ليست من صنع الفضلاء وحدهم . لا بد من استخدام جماعة الدساسين بحذر وحكمة لا لخطاء الامور سيرها المقصود . وقد عيب على بعضهم استخدام هذه الوسائل المعيبة فقال ليس لحكومة . مهما شرفت ان تستغنى عنها . لا يمكن ادارة حكومة الناس بالفضائل وحدها . من الطغام مالا يطيب بلا توابل (بهار)

يعيبون على السياسي تبديل آرائه . يعدون ذلك عليه سيئة لا تغتفر والحقيقة ان تطورات الظروف وتقدم السياسي في اختبارات الحياة لا بد من ان يكشف له اليوم عما لم يره بالأمس . يصح هذا في السياسة الداخلية كما يصح في السياسة الخارجية . يضاف الى ذلك ان المعارضة تنتقد ، اما الحكومة فثأنها العمل .

قال ميرابو ان رفعة الانسان ازمة تشق مابه من امراض وتجتلب عليه سيواها وليس الغرض امتداح التقلب والتغير انما الغرض تقرير حقيقة طبائع الاحوال وطبائع الناس . قال هيجوانك لا تمدح انسانا إذا قلت له انه لم يغير رأيه مدى اربعين سنة . لان ذلك معناه انه لم يستفد شيئا من اختبارات الأيام وانه لم يمتحن

امكانها ولم يستطع أن يلائم بينها وبين الوقائع . فكأنك تدمج ماءً اسناً أو شجرة ميتة، أو كأنك تفضل المحار على النسر . ان الآراء بطبيعتها قابلة للتغير ولا شيء في السياسة مطلق ثابت . . . وهل يصح في نظر العقلاء ان تتبدل الوقائع والظروف ولا يتبدل معها نظرتنا اليها . . . وم سياسي كان نجاحه في اصلاح خطئه

هل يجب ان يكون السياسي متزوجاً؟ هذه مسألة لها خطرها فقد تكون زوجة الوزير مشاطرة له آراءه وقد تكون على رأى آخر . وقد تميل الى حزب زوجها كما يمكن ان تكون حليفة مع سواه . وقد تكون شديدة التدهس لزوجها في سياسته أو محبة للظهور وقد تكون على العكس من ذلك وقد تكون من الماوتى لا يهمهم سوى اعمالهم البيئية عدا انها قد تكون عرضة لمظان سوء كذبا أو حقاً . وقد يؤثر هذا في زوجها فالمسألة من الوجهة الحيوية خاضعة لما يماثلها شأن الوزير فيها شأن سواه . على ان الزواج من المسائل الطبيعية والسعيد من اسعده التوفيق .

وهناك تهمة اخرى تلصق بالسياسي وهي الخساسة او التسفل . وهذه ليست من العيوب التي يتفرد بها السياسي فقد يجرم الامام الديني ويختلس المال ويخون المحامي او الطبيب ولكن ليس معنى هذا ان رجل الدين والمالية والمحاماة والطب كلهم فاسق دنيء . لا تخلو بلد ولا صناعة من الذين تنحدر بهم طبائعهم الى اسفل المركات . وكفى الوزير نفرا ان يخرج من وزارته اقل ثروة من يوم دخولها

خارج البرلمان — ليس عمل سياسي محصورا في البرلمان وحده . فقد يكون حاكماً اقليمياً (مديراً) حاذقاً يحسن سياسة اقليمه ينهض فيه العلم والعمل ويدبر شؤونه الاقتصادية ومجاله البلدية على ما فيه السعادة والتقدم . كما يمكن أن يكون رسولا صالحا بين وطنه ودولة أخرى . يقرب بينهما ويصل بين مصالحهما بما يفض من مشاكل ويوثق من روابط . كما يمكن أن يكون مفوضا حكما يحسن القيام بما يعهد اليه من مهام . فالسياسي الحكيم الصادق أداة خير لبلاده ومورد حياة لسعادة وطنه .

السياسي والامل — على أن أهم ما يمتاز به السياسي الخبير هو أنه لا يعرف لليأس معنى ولا لاخلاصه حد ولا لخدمته نهاية تحثي النفس الاخير . والسياسي رغم كل عقبة وخيبة

يؤمل . ويؤمل . ويؤمل .

بنك مصر

ان من دراعى الغبطة لهذه المجلة أن تسطر بسرور خبر نجاح البنك في مدة السبع سنوات التى عاشتها والاعلان عن تقدمه تقدماً سريعاً الامر الذى يثلج صدورنا النية . ويعزز أملنا فى أن تقدمه للامام أخذ في الاسراع بخطى ثابتة بفضل جد رجالنا الاقتصاديين .

ان بنك مصر شاهد حى على امكان أخذ هذه الامة بأسباب الحضارة بفضل وجود أيد مدبرة قوية تعمل للصالح العام .

ولسنا في مجال الدعاية للشخصيات حتى كنا نسى رجال مصر المالىين رداً فرداً لاننا نعهد فيهم النواضع والعمل بسكون . بدأ البنك عمله خلال عام ١٩٢٠ برأس مال قدره ٨٠٠٠٠٠ جنيهه وقسمة الى ٢٠٠٠٠ سهم قيمة الواحد ٤ جنيهات . ولم تبدأ سنة ١٩٢١ حتى زاد رأس المال ٩٥١٠٨٠٠ جنيهها فاصبح ١٧٥١٠٨٠٠ جنيهًا ثم زاد ٢٥٤٢٠٠ جنيهها وأصبح في أول عام ١٩٢٢ ٢٠٠٥٢٨٠٠ جنيهها وزاد خلال تلك السنة ٦٨٦٥٦٠٠ جنيهها فكان رأس المال أول عام ١٩٢٣ يبلغ ٢٦٩١٨٤٠٠ جنيهها ثم زاد خلال السنة المذكورة ٤٤٠٤٤٠٠ جنيهها فبلغ أول عام ١٩٢٤ ٣١٣٢٢٨٠٠ جنيهها وفي خلال تلك السنة أيضاً زاد ١٦١٦٩٦٠٠ وهو نصف رأس المال السابق فقفز مجموع رأس المال في أول سنة ١٩٢٥ الى مايقرب من نصف مليون فبلغ ٤٧٤٩٢٤٠٠ جنيهها وبلغت الاكتتابات مبلغاً كبيراً لعظم ثقة الناس فيه مدة تلك السنة فبلغت ٢٤٥٠٧٦٠٠ وبذلك صار رأس المال عام ١٩٢٦ مايقرب من ثلاثة أرباع المليون أى ٧٢٠٠٠٠٠ جنيهها واكتفى مجلس الادارة بهذا المقدار مؤقتاً وانتبه الى تشجيع الصناعات المحلية وإنشاء دار نفخة تليق بالبنك وتكون اعلاناً حياً عنه ولما تم لها ماأرادت طرحت ٢٨٠٠٠٠ جنيهها للاكتتاب سنة ١٩٢٦ فغطاها المصريون في مدة وجيزة وبذلك أصبح رأس مال البنك مليوناً واحداً من الجنيهات الان وانا ننتظر بفارغ الصبر أن الملايين الثلاثة المقررة كراس مال للبنك تغطى في أقرب فرصة حتى يقوم باسكتر ممايقوم به في الوقت الحاضر من الواجبات . وكل من له صلة بالبنك يشعر بمقدار الفائدة

التي عادت على الامة من وجوده خصوصا في تفريج أزمة القطن . هذا بخلاف المشروعات الاقتصادية التي أنشأها وشجعها . ونظرة بسيطة تلقيها الى بيان صافي أرباح البنك في المدة من آخر ١٩٢٠ الى آخر سنة ١٩٢٧ تمنعك بأن البنك يخطو خطوات واسعة ولنسبة هي كالاتي : ٣ و ١٣ و ٣٠ و ٦٣ و ٨٦ و ١٠٨ و ١١٨ و ١٣٦ ألف من الجنيهات اذ بلغت الارباح ٣٢٤٩ جنيها آخر سنة ١٩٢٠ و ١٣٥٧٢ جنيها آخر العام الماضي

أما ثقة المتعاملين به فتتضح للقارىء من مقارنته ازدياد الودائع فيه فقد كانت ٩٦٠ ر ٢٠٠ عام ١٩٢٠ وأخذت تزداد كالاتي ٤٠٥ ر ٤٠٥ و ٢١٧ ر ٩٨١ و ٣٥٥ ر ١٧٦٩ و ٩٥٣ ر ٢٦٢٣ و ٩١٩ ر ٣١٨٩ و ٧٠٧ ر ٤٢٤٢ وأخيرا وصلت الى ٨١٥ ر ٥١٧٠٥ جنيها في عام ١٩٢٧ أي خمسة ملايين ونصف وكانت السلف والاعتمادات سنة ١٩٢٠ تبلغ ٨٥٦٥٠ جنيها فأخذت تزداد كالاتي ٢٥٣ ر ٦٥٣ و ١٩٠ ر ٦٥٣ و ٢١٧ ر ٨٦١ و ٨٢٤ ر ١٦٢٢ و ٣٠٤ ر ٤٢١ و ٤١٨ ر ٢٧٨٦ الى أن وصلت الى ثلاثة ملايين وثلاثة أرباع المليون عام ١٩٢٧ أو بالضبط ٦٦٢ ر ٣٧٥١ جنيها

أما المتعاملون مع البنك فكثرتوا ٤٩٢ عام ١٩٢٠ فأخذوا في الازدياد الى ١٧١٧ و ٥١١٤ و ٨٧٠٥ و ١٢٧٩٥ و ١٧٠١٧ و ٢٣٦٨٠ وفي سنة ١٩٢٧ بلغت الحسابات الجارية ٢٩٣٣٥ حسابا

واذا تابعنا قيم املاكه وعقاراته نجد انها ارتفعت من ١٢ ر ٧٠ عام ١٩٢٠ الى ٣٧ ر ٧٨ عام ١٩٢٤ الى ١١١ ر ٣٠٢ عام ١٩٢٥ ووصلت سنة ١٢٩٧ الى ٢٧٦ ر ٦٠٣ جنيها

وقد استورد البنك من الاثاث خلال هذه المدة بمبلغ ٦٨١٧٤ جنيها استهلك من ثمنها ٤٨٨ ر ٣٣٦٣١ ج أي النصف تقريبا

ووردت الى شحونه ١٦٥٤ بالة من القطن الشعير عام ١٩٢٠ ثم أخذ الوارد بالازدياد على مر السنين كالاتي ٤٧١٩ و ١٥١٠٨ و ٢٥٢٣٩ و ٣١٠٣٣ و ٤٩٣٢٨ و ٧٧٩١٠ وأخيرا عام ١٩٢٧ بلغ الوارد ١٠٧٥٨٢ بالة وابتداء من سنة ١٩٢٢ أخذ

ترد قطن الزهر الى شون البنك وأول رقم هو ٢١٥٤٣ كيسا وازداد كلاً في ٣٧٨٤٥ و ٨٤٣٥٢ و ٨٧٩٢٢ و ٦٣٦٤٦ و ٤٧١٧١ كيسا سنة ١٩٢٧ وفي ١٩٢٥ بدأ القطن الزهر يورد للمحاج باسم البنك فبدأت السكية بالكياس عددها ٣٦٣٥٢٢ ثم ٦٣٥٧٤٣ و ٧٧٥٤١٠ كيسا فكانت حركة اليرود في آخر السنة الماضية هي ٨٢٢٥٨١ كيسا و ١.٧٥٨٢ بالة أي ان البنك تعادل سنة ١٩٢٧ بما يقرب من مليون قنطار أي ثلث المحصول المصري تقريباً في تلك السنة

والبنك احتياطي قانوني كان ٩٧٢ م وج ١٦٢٢ ج سنة ١٩٢١ فأخذ في الازدياد كلاً في ١١٣ م و ٤٦٦٠ ج و ٢٢٨ م و ١٠٩١٢ ج و ٩٩٧ م و ١٩٥٤١ ج و ٥٩٦ م و ١٢٨٧٩ ج و ٣٦٩ م و ١٢٤٥٣٤ ج وفي سنة ١٩٢٧ بلغ ٦٥٥ م و ٢٧٨٢.١ جنيهاً وعندما سمحت ارباحه أخذ في تكوين احتياطي ثانياً له فبدأ سنة ١٩٢٢ بمبلغ ١٠٠٠ جنيه وازداد كلاً في ٢٠٠٠ و ٣٥٠٠٠ و ٥٠٠٠٠ و ٧٠٠٠٠ وفي سنة ١٩٢٣ سمحت ارباحه الكبيرة بإيجاد احتياطي ثالث أيضاً بلغ تلك السنة ٢٠٠٠٠ جنيه وتزايد كلاً في ٥٠٠٠٠ و ٨٠٠٠٠ و ١٠٥٠٠٠ و ١٤٠٠٠٠ ونخص هذا الاحتياطي للاستثمار في انشاء الشركات الصناعية والتجارية

وقد بلغ عددها الآن سبعة هي شركة مصر للحايج وتجارة الأقطان شركة مصر للنسج الاقطان شركة مصر للنسج الحرير شركة مصر للنقل والملاحة شركة مصر للنسج الكتان شركة مصر لمصائد الأسماك وبالطبع اكتب لها المصريون برؤوس أموال تقرب من مليوني جنيه اذ أضيف الى رأس مال البنك واحتياطيه الذي بلغ في آخر سنة ١٩٢٧ ٨٣٣ و ٥١٣ جنيه واصل الى ٣٥٠٠٠٠٠ خلقها البنك من العدم واستثمرها لصالح المصريين سواء كانوا معطين أو آخذين

وفي هذه السنة ١٩٢٨ فتح البنك فرعاً مخصصاً للترفيه ومع ان مدة ثلاثة اشهر لم تنته عليه منذ تأسيسه بلغت دفاتر التوفير المأخوذة منه ١٠٠٠ دفتر تقريباً وسيزداد الاقبال على هذا الفرع ازدياداً سريعاً كما هو المشاهد

والبنك ما يقرب من العشرين فرعاً ومكتباً موزعة في انحاء القطر ودرجتها في نشاء غيرها

وكذلك سعى سنة ١٩٢٧ في إنشاء بنك شقيق له في فرنسا باسم « بنك مصر - فرنسا » وقد أخذ هذا البنك الشقيق في السيطرة ويدا ويدا على التجارة المصرية الفرنسية وقد بشر مجلس الادارة أعضاء الجمعية العمومية بأنه سينشئ بنكاً شقيقاً له أيضاً في إنجلترا وسيكون مركزه في لندره أما في مدينة منشستر فيوجد فرع للبنك الشقيق المذكور وبهذا سيفوز والبنك أيضاً ساحة التجارة المصرية البريطانية ويحاول الهيمنة على تجارة القطن فتخف نكباته لدرجة كبيرة

وهل بعد هذه البيانات نجد لدينا مجالاً للتشديد مفاخرين حين أن الأرقام المذكورة تنطق لذاتهم بدون أن نترك مجالاً للاعتقاد بأن هناك مغالاة في المدح الذي نحب أن نسطره من عندياتنا

حقيقة أن بنك مصر خطوة كبيرة عملية نحو الاستقلال الصحيح الذي تعمل له هذه البلاد بكل ما فيها من جهد

ويجب أن أقول بأن سعر السهم الواحد في البورصة حين يكتب هذا المقال قد بلغ م ٣٧٥ ر ٦ بعدما كان - ر ٤ في سنة ١٩٢٠ أما الأرباح التي توزعت فهي كالآتي ابتداء من سنة ١٩٢١ : ٢٠٠ و ٢٥٠ و ٣٠٠ و ٣٢٠ و ٣٣٠ و ٣٤٠ و قرر صرف ٣٥٠ ملياً رباحاً على السهم الواحد عن سنة ١٩٢٧ و بمعنى آخر أن الذي اشترى السهم باربعة جنيهات عام ١٩٢٠ استلم ٢٠٩٠ ملياً رباحاً في السنوات السبع الماضية أي بمئة وسط ٣٠٠ ملياً في السنة أي ٧ ونصف في المائة ربحاً سنوياً في المتوسط ذلك خلاف ٢٢٧٥ ر هو فرق ثمن السهم في الوقت الحاضر من ثمنه الاساسي عند الشراء

بين الصحف والمجلات

السياسة الاسبوعية

(١) « رجل التاريخ المصرى الحديث لكاتب كبير »

اظن ان المقال المعلن جرجى زيدان ليس اكثر من دسيسة للمدرسة القديمة ضد المدرسة الجديدة التى تعان السياسة الاسبوعية أنها تنطق بلسانها. وكيف لا يكون هذا المقال دسيسة وقد نشر الكاتب الكبير في جريدة تحاول ان تكون منطقية جهدها قصة نعى فيها منعى قصص الزير وعنترة الى آخر ما جادت به القرائح القديمة؟ أظن أن القارئ قد قرأ ما كان يفعله كل من عنترة والزير وغيرهما من اعمال البطولة الخارقة كقتل الف بضربة سيف واحدة وكثشتيت شمل جيش كبير بصرخة واحدة. ولكن الكاتب الكبير لم ينح هذا المنحى لانه والله الحمد لم يكتب عن البارودى والسر هنك، ولكنه كتب عن عالم صحافى اديب ولذلك نعى منعى آخر

الم تقرأ عن ذلك الذى كان يسمع اتقصيدة المكونة من الف بيت مرة واحدة فلا يلبث حتى يعيدها بالحرف؟ الم تسمع قصة الذى كان يحفظ الف الف قصيدة لا تنقص انيات احداها عن الف بيت كلها من روى وقافية واحدة؟ الم تسمع ان السموأل كان يرتجل كذا، الامر الذى نراه مسطرا امامنا بنصه في هذا اليوم، ومع ذلك ننكر ان فن الاختزال كان مجهولا في عهد السموأل؟

ان مترجم جرجى زيدان قد نعى هذا المنحى الاخير وهل هنالك شك في انه لاجل اثبات ان جرجى زيدان كان من رجال التاريخ المصرى يجب ان يكون اسطورة مملوءة بالخرافات والمغالاة؟ واذا لم تصدق فاعلم ان المرحوم «نشأ اميا واخذ مبادئ العلوم ولكن الاحوال ارغمته على هجر المدرسة صغيرا لمساعدة ابيه وهو لا يزال

في الثانية عشرة من عمره اليس معنى هذا انه قد الم بمبادئ الكتابة والقراءة ومبادئ الحساب ؟ الى هنا لا انتقاد لي على هذا التاريخ . ولكن أقرأ « درس اللغة الانجليزية في احدى المدارس الليلية في مدة لم تزد على الخمسة الا شهر وفي أثناء درسه لتلك اللغة ليلا كان يقوم بعمله طول النهار وبعض ليله وكانت أكثر أوقات درسه في المزيج الاخير من الليل اذ لم يكن يعرف التعب ولا يكل من العمل وكثيراً ما كان يصل اثناء الليل باطراف النهار ويكتب مقالة أو يدرس عضلة أو يراجع كتاباً »

فهل المقصود من درس اللغة الانجليزية في مدة لم تزد على الخمسة الا شهر انه الم بمبادئها كما هو المعقول ؟ اذا كان الامر كذلك لم يكن هناك داع لذلك . ويظهر لي انها وضعت قصدا لكي يثان القارى بالساذج ان المرحوم اصبح انجليزيا بعد دراسة « اللغة المذكورة في أقل من خمسة أشهر » أليس ذلك هو يشايزيده بشاعة قول الكاتب الكبير ان المرحوم لم يكن يعرف التعب وكثيراً ما كان يصل اثناء الليل باطراف النهار . فهل يعنى بهذا أنه قد صب في قلب غير قلب الناس ؟

كذلك درس المرحوم « العلوم الاعدادية كلها على احد اصدقائه في نحو شهرين ونصف شهر . واذا وقف القارى على معنى « العلوم الاعدادية كلها » لجز رأسه استغراباً . فهل من المعقول ان رجلاً لما بمبادئ الكتابة والقراءة ومبادئ الحساب يمكنه درس برنامج شهادة الدراسة الثانوية للقسم العلمى (أو أكثر من هذا البرنامج) في خلال شهرين ونصف لا أكثر بدلا من ثمانية (أو ست سنوات) بالاقبل ؟ أو بمعنى آخر انه اتم برنامج الحساب والجبر والهندسة وحساب المثلثات والطبيعة والكيمياء والحيوان والنبات وطبقات الارض وعلم الصحة ووظائف الاعضاء والتاريخ قديمه وحديثه مجاولا والجغرافيا الطبيعية والسياسية بالتطويل خلافاً لثلاثة لئات ، كل ذلك في شهرين ونصف لا أكثر . اليس معنى هذا باغه سهله ان المرحوم كان لا يثبت ان يلتقى نظره على صفحتى كتاب الطبيعة أو الكيمياء أو ... أو حتى تطبع الكلمات في ذاكرته ؟ وانى اقسام ان عمالية أخذ محتويات الكتب المقررة للقسم الاعدادى بألة التصوير الشمسى نحتاج الى أكثر من

شهرين ونصف لنقلها وتثبيتها . قضى المرحوم ١٨٠٠ ساعة في اثناء دراسته البرنامج . فلوسا لنا انه كان يصل « اثناء الليل باطراف النهار » في الدرس دون ان ينفو أو يأكل أو يتنزه أو يقضى حاجة لوجب أن يدرس عشرين صفحة بين كيمياء وأدبيات لغة وطبيعة وحساب مثلثات في الساعة دون ملل . فهل هذا ممكن ؟

أو بعد ذلك يمكن لاي كان أن يقول بان مقالة جرجي زيدان ليست دسيسة من المدرسة القديمة للمدرسة الجديدة ؟ ألم يكن الاجدر ان يقال بان المرحوم ولد واكضا وان شاربه ظهر قبل ان يبلغ شهراً من عمره ، فقد يعد ذلك من الخوارق والمعجزات التي يجب ان تلازم رجال التاريخ الحديث كما كانت من لزوميات رجال التاريخ القديم ؟ ع...

(٢) رجال التاريخ المصري الحديث (في عدد ٢٤ مارس الماضي)
نشرت السياسة الاسبوعية تحت هذا العنوان ، والظاهر انه عنوان رزى
مرتين في عديدين متوالين من السياسة الاسبوعية لسر لا يعلمه الا الله ، ما يأتي :
(٣) ملك هانم حفي ناصف

باحثة البادية

على انها من (رجال) التاريخ المصري الحديث . ولكن ليطحنن السيدات
الفضليات فانا لا نريد أن نقتصب بمنن نابغتهن الاولى ، فان كل (رجل) مصر
يعرفون انها من النابغات لامن النابغين ، ماعدا محور السياسة الاسبوعية
والله اعلم .

(٣) رسالة الحكاية — بيروت . من مقال تحت عنوان النظرية العلمية وقيمتها
من قلم باسم أفندي فارس ب . ع . مدرس الطبيعيات في كلية غوبرت بالقدس
لغة هذا المقال ضعيفة جدا بل وتستطيع ان تقول بأنه بن الصهب ان يسيع
الباحث كثيراً من جهله . واذا تجاوزنا عن هذه المنقصة في السياق فلا نستطيع

أن تتجاوز عنه في تعريف يقصد به تحديد معقول ما تحديداً يقصد به تسهيل الفهم لما تقوم عليه القواعد الأولية . واليك مثال من ذلك . قال الكاتب لدى تحديد معنى « النظرية العلمية » .

« النظرية العلمية ماهي الا محاولة جمع ظواهر طبيعية ملاحظة تحت انظمة وقوانين عامة ربما كانت سببا لتفسير أو اكتشاف ظواهر أخرى غيرها ، أو ماهي المحاولة تقرير واسرار ظواهر مختلفة بكلمات وجمل مختصرة تعيننا عن وصف كل من تلك الظواهر على حدة » .

والظاهر لي ان الكاتب ترجم وأنه اساء الترجمة كما أساء فهم الاصل الذي ترجم عنه . ولا شبهة مطلقا في أن الاصل قد استعملت فيه كلمة Phenomena وترجمتها الحقيقية « ظاهرات » جمع ظاهرة . في حين ان الكاتب ذكر ظواهر وهي الترجمة التي اصطلح عليها لكلمة Appearances والسبب في ماذهب اليه ان الفرق كبير بين الظواهر والظاهرات . فاذا قلت مثلاً « الظواهر والحقائق » Appearances and Realities فهمت من هذا ان الظواهر تقيض الحقائق واذا قلت ظاهرات الطبيعة Natural Phenomena فهمت ان لهذه الظاهرات « حقائق » ثابتة على الرغم من عجزنا عن تعليلها اذا اتفق ان عللها قد خفيت عليها .

وقال في ١٧٨ : « ثم جاء كبلر وبسط قانونه أو نظريته في مدة دوران السيارات حول الشمس ولم يكن يعلم حينذاك أن هنالك قانوناً عاماً لا يفسر حركة السيارات فحسب بل ينطوي تحته حركة الاجرام السماوية فنظرية كوبرنيكوس اقتضت على القول بأن الارض والسيارات تدور من حول الشمس في افلاك ، ونظرية « كبلر » كانت عبارة عن جمع كل الظواهر المشاهدة في دوران السيارات في افلاكها حول الشمس تحت قانون واحد ينبئنا بمدة دوران السيارات وأبعادها ، ونظرية « نيوتن » شملت ماعدا هذه الظواهر ظواهر أخرى كتجاذب الاجسام المختلفة من سماوية أو أرضية وحركة بقية النجوم . وبناء عليه فقد صبح أن تأخذ بها ونترك قانون كبلر لأنها أعم وأشمل اذ تضم عدداً من الظواهر الطبيعية أعظم »

وفي هذه الاسطر عدة أخطاء واضحة . أقل ما فيها أنها توحى الى المبتدئين بوقائع تاريخية خير صريحة ، فضلا عن انحطاط العلمى . فان من يقرأ هذه الاسطر يعتقد استنتاجا أن بين قوانين كبار وبين نظرية نيوتن تناقضاً في الواقع ، واستتباعاً أن قوانين كبار قد حاولت ان تعال ما عائلته لنظرية نيوتن حتى تجوز المقابلة بين الاستكشافين ويجوز تقض أحدهما ورفضه وصحة الآخر ، في حين أن الحقيقة العلمية والتاريخية تؤدي الى عكس ذلك . فان كبار لم يحاول مطلقاً أن يعال حركة السيارات حول الشمس ، بل عرف قوانين دورتها في افلاكها وهي قوانين رياضية صرفة بعيدة عن نظرية الجاذبية جهد البعد . وهل تعلم بماذا عال كبار حركة السيارات حول الشمس وان دفاعها في الفضاء معللة في الاخير ؟ جارى في ذلك الرأى السائد في زمانه فقال مع العوام بان لكل جرم ملك سماوى يحرسه وان السيارات ذوات حية ! لانه عاجز عن تعليل الدورة . وهذا القول لا يصح أن يكون فرضاً فما بالك بنظرية علمية . أما قوانين كبار في الدورة - لاني سببها - فثلاثة من أبسط القوانين التي لاتزال ثابتة وستظل كذلك الى مالا نهاية لأنها كمبادئ اقليدس الاولى التي تبدأ بالقول بان « الشكل مجموع أجزائه » واليك هذه القوانين :

أولاً — تدور السيارات حول الشمس في افلاك اهليجية الشمس ثابتة في احدى محترقيها (وكان المعتقد من قبل أن افلاك السيارات دوائر لا اهليجات) ثانياً — تقطع السيارات في دورتها حول الشمس مسافات متساوية في أزمنة متساوية . ولقد طبق هذه القاعدة على السيار الارضى أولاً ثم قياساً على بقية السيارات .

ثالثاً — أن مربع أزمان الدورة الفلكية انحصاراً بأي سيار تكون دائماً بنسبة مكعبات معدل البعد عن الشمس .

ونشر هذه النتائج من كتابيه الذى نشر أولهما في سنة ١٦٠٩ وأسماه — *De Motibus Stellae Martis* وثانيهما حوالى سنة ١٦١٩ وأسماه *De Harmonice Mundi* ولست تجد في هذه القوانين أى تناقض بينها وبين

استكشاف نيوتن . لان نيوتن علل الدورة التي كان يعتقد كبلر أنها من فعل الملائكة في حين ان كبلر كان قد عرف قوانين هذه الدورة فكيف يمكن القول بأن نظرية نيوتن قد نقضت قانون كبلر؟ وكيف يصح لغة وعلماء أن تقارن بين نظرية وقانون؟ والفرق بين الاصطلاحين علماً ومعقولاً ولغة شائع بعيد؟ إنما تصح المقارنة بين نظريتين وقانونين وهكذا.

وانما تصح المقارنة في مثل هذا الموطن بين نظرية نيوتن ونظرية انشتين. فإن انشتين نفى وجود الجاذبية ويعال الدورة باسماء « انحناء المكان ». والكلام في هذه النظرية يضطرنا الى التوسع الذي لا محل له هنا . على اننا نقصد بهذا ان المقارنة بين نظريتين يصح علمياً . وأما بين نظرية وقاعدة أو قانون طبيعي ، كنظرية نيوتن مثلاً وقاعدة أن مجموع زوايا المثلث يساوي قائمتين، فما لا يصح من الوجهة العلمية .



(٤) مجلة السكاي ببيروت . عدد مارس الماضي . من مقال بعنوان السكيات العربية في اللغة الانجليزية . باعضاء الاستاذ « بيرون سميت » .

جاء في ص ١٦٢ عن الكلام في معنى كلمة من السكيات ما يأتي :
 « وارل من استعمالها بهذا المعنى من رجال الانكليز هوروجر باكون الشهير ، وذلك سنة ١٢٦٦ . وباكون هذا غير باكون (الفرنسي) مؤسس العلم الحديث »
 ونحن نقول مرحى بالاستاذ الانكليزي لغة ودما . والانكلي من كل هذا ان الاستاذ علي ما يظهر اختصاصي في آداب اللغة والفلسفة لان مقالته منشورة في القسم الخاص بهذه المباحث في المجلة . ولو كان استاذاً في فنون الاسترلوشيا أو اليازرجات أو تاريخ الاساطير القديمة لا غفرنا له هذا انحطاً ولا غفرنا له أن يقول بان باكون مؤسس العلم الحديث (فرنسوى) وهو بعد الفيلسوف الانكليزي الذي كان عضواً بمجلس النواب الانكليزي ووزيراً خبيراً للملكة اليبابات الانجليزية وصاحب الوثائق المشهورة في قتل اللورد اسكس صاحب الايادي البيضاء عليه . وهو الشخص الذي يكتب فيه

ما كولى (الكاتب الانجلىزى المعروف) مقالته المشهورة وهو صاحب كتاب «النظام الجديد» Novum Organum انذى يعتبر الآن اساس العلوم الحديثة وقد طالعنا جزء منه بإرشاد احد معلمينا الانجلىزى فى القسم الثانوى فى عهد دناوب المعروف فى وزارة المعارف ، وهو ابن السير نيقولاوس باكون حائل الختم الاكظم الانجلىزى ، من ثانى زوجاته المنماة حنا الانجلىزىة بنيت السير انتونى كوك وكنت زوجة لانتى اللورد بورغلى الانجلىزى ، وهو الذى ولد فى يورك هوس باندن فى ٢٢ يناير سنة ١٥٦١ وهو الذى توفى فى انجلترا ولم يبرحها كل سنى حياته على ما ظن فى ٩ أبريل سنة ١٦٢٦ ، وهو نوق ذلك صاحب تلك المقالات المعروفه Bacon's Essays والتي نعرف أنها تعتبر من أخص ما كتب فى آداب الانجلىز القديمة ، وهو بعد هذا وذاك من طينة الاستاذ ومن ارومته

اما روجر باكون ففيلسوف انجلىزى ظهر فى القرون الوسطى وعاش خلال القرن الثالث عشر ولد فى سنة ١٢١٤ ومات فى سنة ١٢٩٤ وله مذهب معروف على نسق المذاهب التى ذاعت فى القرون الوسطى . اما اذا اراد الاستاذ ان كذبنا فنرجع الى كتاب الاستاذ سورلى Prof. Sorely استاذ الفلسفة فى جامعة كمبردج ونضو الاكادىمى البريطانىة الذى طبع سنة ١٩٢٠ فى مطبعة جامعة كمبردج وليراجع ص ٤ ، ١٤ ، ١٧ . أو ليرجع الى دائرة المعارف السكبرى - الانسىكلوبيديا بريطانيا - فسيجد فى ص ١٣٥ الى ص ١٥٢ مادة فرنسيس باكون وهو مؤسس العلم الحديث ويجد فى ص ١٥٣ الى ص ١٥٦ مادة روجر باكون فيلوف القرون الوسطى ، وذلك كله فى المجلد الثالث ، وان كلاهما انجلىزى ، وله منا بعد ذلك الف جنيه أوسترلنزى ، كما يقول حملت ، اذا دلنا على فيلسوف فرنسى واحد باسم باكون .



٥ - المقطع مخر - عدد مارس الماضى : من مقال بعنوان « طرائق التساؤل فى اللوجى » بامضاء مصطفى الشهابى مدير املاك الذرة بدمشق .

ليس شأننا هنا بالموضوع نفسه فالكاتب اختصاصي فيه. ولكن شأننا بالاستعمالات اللغوية . فقد استعمل كلمة « التسافد » ليبدل على تلقيح الحيوانات الداجنة عامة وذلك في عنوان المقال ، ثم ذكر في أول سطر من مقال كلمة الضراب . ولا يخفى ان الدواجن منها ذوات اربع ومنها طيور قد تواضع العرب على ان يطلقوا كلمة التسافد على تلقيح الطيور والضراب على تلقيح ذوات الاربع وجرى على ذلك الجاحظ في كتاب حياة الحيوان والدميري في كتاب الحيوان وداود الاكهم في تذكرته وغيرهم . ولقد جرى الكاتب على وضع كل استعمال في مكان الآخر خطأ في كل مقاله فقال مثلاً « التخليط هو اسفاد الهجين بعضها بعضاً » . ثم قال تحت عنوان سياق كلمة « التبغيل » ونظن أن استعمال الكلمة خطأ ولم يرد في كلام العرب ولا في قواميسهم على ما اذكر والحقيقة « التبغيل » بالنون لا بالباء . واليك الدليل

جاء في قاموس الفيروز أبادي ص ٣٨٨ مجلد ثامن : « نغل الاديم كفرح فهو نغل فسد في الدباغ ، وانقاه ، والاسم النغلة بالضم ، والجرح فسد ونيته ساءت وقلبه على ضغن ، وبينهم أفسد ونم . وجوزة نغله متغيرة زينة . ونغل المولود ككرم نغولة فسد » فهذا يدل على أن النغولة في النسل الفساد . وهو قريب من معنى « هيبردزم » Hybridism في الانجليزية وما يقابلها في اللغات الأخرى . اذ معناها عقم الانسال الناتجة عن تلاقي نوعين بعيدين في النسب الطبيعي كالحمار والفرس ، فانهما ينتجان نغلاً أي نسلًا فسدًا إذن فاللغة تحتم علينا ان نصرف على الانسال التي لها هذه الصفة جمعاً لفظ « انغال » ترجمة الكلمة « هيبرد Hybrid » وزناً على بطولة وأبطال والمحقق أن « بغل » تحريف نغل جرى عليها العوام وشاواهم فيها العلماء .

*

* *

٦ - الهلال : مضر - عدد مارس الماضي من مقال بعنوان : « الأخلاق وهل يمكن تمييزها » . « مميزات علم النفس الحديث في هذا الموضوع الخطير »

استعمل الكاتب في ص ٥٤٦ اصطلاح « الغرائز الغشيمة » فنزل بذلك الى الاستعمال العامى الصرف مساواة بما يقال عن الخلمات المادية « كالشمع الغشيم » والحديد الغشيم ، وكما يقولون فلان غشيم أى أبله . في حين ان لدينا اصطلاح « الغرائز الفطرية » أى التى هي على الفطرة لم تؤثر فيها المؤثرات والعوامل الزائدة على الحاجات الاولى . فلماذا نقول « الغشيمة » ونجرد الاصطلاح من الروعة العلمية لننزل به الى هذا المستوى العامى الصرف ؟

هذا فى الاستعمال اللفظى . أما فى المبدأ العلمى فالكاتب من المؤمنين بان الوسط يغير الاخلاق . والحقيقة على الضد من هذا فان الوسط لا يؤثر الا فى الظواهر فقط أما الأخلاق فشئ أبعد من هذا غوراً فى تكوين النفس الانسانية . هي راجعة الى التكوين والى المركز العصبية وما فيها من خصائص خفية واسرار لم يكشف عنها العلم بعد . ومماثل تأثير الوسط فى الاخلاق الا كتأثير الاستنبات فى ازدياد انواع الوحشية فانها مهما ارتقت تحت تأثير الايلاف ترجع سرائاً الى صفات اصولها الاولى اذا تركت للطبيعة غير محمية بعناية الانسان ولا شك مطلقاً فى ان سىء الاخلاق قد يتأثر بالوسط لا لان الوسط فى الواقع مؤثر اولى فى صفاته الاخلاقية ولكن السبب فى هذا التأثير راجع الى أن للوسط قانوناً تقليدياً أو عادياً كقانون الذى كان يحكم الجماعات الاولى فى العصور الغابرة يضطره الى الخضوع لمجموعة من العرف قسراً لا اختياراً . ولا ريبه فى انه يفلت من هذا القانون عند اول فرصة تسنح له لانه يرجع اذ ذاك طافراً الى ما توحى اليه به مرا كزه العصبية وتكوينه الجرثومى : وهذا ابعد الاشياء عن الخضوع لما يقال من أن الوسط يغير من الاخلاق تغييراً ثابتاً على الزمان

فهرست

ص	
٧٨٥	الاسترلوغيا — أى التنجيم واثرد في العذل اسماعيل مظهر
٨٠١	التبوع السجين — قصيدة ابوشادى
٨٠٣	مذكرات أنا — ي
٨٠٨	نور الجحيم — سونيته غنائية . . .
٨٠٩	مقياس الزكاء عمر عنایت
٨١١	الملك والملكة — رواية تمثيلية كذالة لطاغور . . .
٨٣٩	كيف الحد مستمع
٨٤٥	الديانة المصرية أو حقيقة البهائية كامل صدوائيل مسيحة
٨٥٦	حول البهائية — رد على المقال السابق عمر عنایت
٨٥٨	ثورة في صدر — قطعة شعرية حسن دامل الصيرفي
٨٦٠	تأملات في الادب والحياة : فيلوبونس
٨٦٦	اعجاز القرآن للرافعى . . .
٨٦٧	السقد والتأليف — الاوبرا اردشير — ٨٧١ —
	مصر الحديث قبل الاحتلال وبعده — ٨٧٣ —
	التهديب في أصول التعريب — ٨٧٥ — القفص المهجور
٨٧٧	— حديث فليسوف في الاتحاد والایمان —
	لديدرو ترجمة مخائيل بشارة داوود
٨٩٠	— رجال الاعمال — السياسى — عن لويس بارتو . . .
٨٩٩	— بنك مصر — بحث اقتصادى ع . ع
٩٠٣	بين الصحف والمجلات — ٩٠٣ ، ٩٠٥ السياسة
	الاسبوعية — ٩٠٥ ، ٩٠٧ مجلة الكلية — ٩٠٩
	المقتطف — ٩١٠ — الهلال



مايو ١٩٢٨ جماع الحكمة يجذبنا اليك العدد ٩ مجلد ٢

علاقة الانسان بالله

ليست مباشرة بل بالتواسطة

الرأى الحديث

أولا — صور الانسان الله على مثال نفسه
ثانيا — أن الانسان حلقة في سلسلة الوجود
ثالثا — الرسل والانبياء مصلحون
يستمدون الوحي من مصوراتهم ابتغاء نفع
الانسانية وهدايتها
رابعا — لا غاية من وجود الانسان في الدني
وانه نتاج للنوايس المادية التي تضبط نظم
الكون وكذلك هو غيب لها

الرأى القديم

أولا — خلق الله الانسان على مثاله
ثانيا — ان الانسان خالق وحده ميزه
الله على سائر المخلوقات
ثالثا — ان الله أرسل الرسل والانبياء
ليهدوا الناس بحبا فيهم وشفقة عليهم
رابعا — ان الانسان مركز الكون
ومحور دائرة الوجود

مقريه

منذ أن ترام أول شعاع أرسل به الفكر ليجول في انحاء هذا الوجود، شعر
الانسان بأن علاقته بما يحيط به من الاشياء ليست مباشرة، بل هي علاقة مستمدة
من قوة أخرى تسخر له الموجودات. فكان يرى في الشجرة القائمة وفي الجبل
الشامخ وفي البحر المتلاطم الامواج وسائط تسخرتها له قوة غير مشهودة ولا مدركة
إلا في الوهم وخطرات الخيال، وان علاقته بما يحف به من الاشياء المادية انما هي
عبارة عن ارتباط روحي، ليس المادة فيه أي أثر، وان هذا الارتباط الموقوت قد

تفصيه القوة التي أنشأته أول مرة فتزول الحياة بزوال ذلك الارتباط الوهمي. فكان
العلاقة التي تصورها الاولون بين الانسان والحياة كانت معلقة على واسطة هي قدرة
الغيب ، وان العلاقة المباشرة انما تقع بين الانسان وبين تلك القدرة التي تسخر
الاشياء لخدمة الانسان ؛ وتسخر الانسان لخدمة ذاتها .

لم يسد هذا الاعتقاد بشيء الاديان الكبرى. بل هو اعتقاد تأصل في النفس
الانسانية منذ أبعد العصور . وهو بعد طبيعي يلائم ظواهر الاشياء ويرضى نزعة
الفكر الى البحث في مصادر الاشياء وغاياتها . ومثله كمثل الاعتقاد القديم في أن
الشمس تدور من حول الارض وان النجوم مصابيح يعلقها الواحد القهار في القبة
الزرقاء اذا جن الليل ، وانها تخزن في مخازنه السرمدية اذا تنفس الصباح. اعتقاد
يرضى نزعة النفس في البحث وراء الحقائق ويوافق ظواهر الاشياء. اذن فالاديان
العظمى انتحلت هذا الاعتقاد عن الخيالات القديمة التي قامت في العقل الانساني
منذ أبعد الدهور، وقضت بان علاقة الانسان بالله علاقة مباشرة، وأن علاقته بالحياة
وبالموجودات المادية علاقة بالواسطة المستمدة من قدرة الله على تسخير القوى التي
تربط الانسان بالمادة الى زمان محدود وتحلها بقدر مقدور .

على هذا سارت الانسانية وعلى هذا قامت الاديان منذ أقدم العصور. ولا شبهة
مطلقا في أن الاديان في انتحالها هذا الوضع عن معتقدات الاقدمين، انما تمثل الآن
ازراى القديم في علاقة الانسان بالله. ولهذا نمضى في شرح الرايين بقليل من الاسهاب
لنستطيع أن نقارن بينهما ونخلص بنتيجة نطمئن اليها .



الرأى القديم

أولا — خلق الانسان على غرار الله

للانسان حواسه الخمس . وله شهواته وارادته وقدرته وعظمته وجلاله . وله
بجانب هذا بدوه ونهايته. هو يرى ويسمع ويشم ويلمس ويذوق. من هذه الحواس
الخمس التي هي نتاج للحياة ولتركيبه على الصورة التي هو عليها، تؤدى الى بقية الصفات
المتخالطة التي تشترك في ايجادها حاستين أو أكثر من الحواس. لهذا خيل للانسان

أنه كامل العدة ليسخر الطبيعة لامره. لانه يفكر وهي لا تفكر. ولانه يريد وهي لا تريد. ولانه قادر وهي عاجزة. ولانه متحرك وهي جامدة. وكل هذه القياسات النسبية تكونت في عقل الانسان الاول على صورة استمد منها معتقده في أنه أكل المخلوقات وانه أرقاها خلقاً وأرومة. ومادام الانسان أكل المخلوقات التي ابدعتها القوة الخالقة، إذن فليس للقوة الخالقة أن تحتذى في خلق أكل المخلوقات الامثال الكمال الذي هو محصور في ذاتها. وعلى هذا خيل للانسان أنه خلق على مثال الله لانه ذات كاملة ولأن الانسان كامل نسبياً بالقياس على بقية المخلوقات.

هذه الفكرة التي تلائم ظواهر الاشياء وتسير على نمط من المنطق الانساني جدير بان يرضى نزعة العقل في غرارته الاولى، انتحلتها الاديان العظمى وبثها في تضاعيف تعاليمها وفضى الناس بها قانعين.

ثانياً — الانسان خالق وحده

خلق الله الانسان على غراره وفطره على مثاله ! فكرة آئمة وخيال آسن ورثه أهل الاديان عن خيالات أهل العصور الاولى وادمج في كل الاديان المعروفة فكان للاديان من ذلك الخيال ركيزة استندت اليها في القول بان الانسان سيد المخلوقات لانه أرقاها وكفى، بل انه مالكمها الاوحد ومسخرها الاعلى الذي نفث فيه الله روح السيادة فكان على العجاوات والجمادات سيداً مطاع الامر مرهوب الجانب ولا مريية مطلقاً في ان الفكرة الاولى، فكرة ان الانسان صورة مصغرة من الله، تؤدي بالعقل حتماً الى القول بان الانسان خلق وحده ونسبح في الطبيعة بذاته، لا يشاركه في هذه المنزلة شيء من الكائنات الاخرى حية أو غير حية. وبهذا انفصل الانسان عن الوجود المادي والحيوي، واصبح وهو حي يغتذى ويتزاوج و يلد ويمهرم ويموت كبقية الحيوانات، في عالم وحده، وان شارك هذه الكائنات في كل الصفات الاخرى التي لا تكون حياة بغيرها ولا يكون علم بشيء أو فكر أو خيال من غير أن يشاركها فيها الانسان.

وعلى الرغم من أن هذه الفكرة تلوح لنا بسيطة معقولة، فانك من الصعب أن تقنع بها رجالاً شيعت اذهانهم بآثار خلقهم فيهم الفكرة الدينية القديمة، على الرغم

مما استكشف العاملون في العلوم الحديثة من المبادئ والمشاهدات التي تجعل الاعتقاد بما اعتقد به أهل القرون الأولى ناييا عن محجة العقل والصواب . فإذا عرفت ان العقل الانساني كما قلت معرفته بالمبادئ الثابتة في العلوم جنح الى التعميمات والى تطبيق القواعد الجزئية على الكليات ، أمكنك أن تعرف مقدار ما ثبتت هذه المعتقدات في أذهان الناس في العصور الأولى ، ومقدار ما أثرت في روعهم ووجدانهم على مر العصور .

ثالثا - الانبياء والرسول

النبي مثال يحتذى والرسول مبلغ رسالة ربانية ، وكلاهما وسيلة للهداية وتعريف الناس ماهو الصراط المستقيم . على أن ظهور الانبياء والرسول كان محدودا في بقعة واحدة من بقاع الارض تحدها شمالا جبال طور وس وجنوبا صحراء اليمن وشرقا صحراء نجد وغربا بالبحر الاحمر . في هذه البقعة الصغيرة ظهر كل الانبياء والرسول الذين اختار الله أن يكونوا هداة للبشر منذ أبعاد العصور التي نزل فيها الوحي على قلب انسان . ولست تجد في ذلك من حكمة تقع عليها أو أثر للتدبير وحسن التصدد . فهل كانت الشعوب التي ظهرت فيها الانبياء والرسول الذين حملوا رسالة من الله ، هي أكثر شعوب الارض ضلالا وعدوانا ، واشدها كفرا وطغيانا ، ليستقوى الله عليهم بهذه المجموعة الكبيرة من الانبياء والرسول ؟ وهل كان سكان سوريا وجزيرة العرب أكثر استحقاقا لعناية الله من سكان الصين أو غرب أوروبا ؟ وهل هداية الشعوب التي سكنت هذه البقاع كافية لهداية شعوب الارض كافة اذا ما اهتدوا ؟

حقا إن هذا الظاهرة وحدها كافية لأن تبعث العقل على التأمل والاسترسال في سلسلة طويلة من التفكير لا ينتهى بها الا حيث انتهى فلاسفة فرنسا في القرن الثامن عشر .

قد نتساءل كيف ترك أهل الهند نهبا مذهبي بوذا وبراهما ، وأهل الصين غرضا لمذهب كونفوشيوس ، وأهل كل بقعة من بقية بقاع الارض خاضعين لاساطير وخرافات ما أنزل الله بها من نبي ولا رسول ؟ أكان هذا الحكمة لا تدركها

العقول البشرية ؟ هذا آخر ما يلجأ اليه اللاهوتيون ونهاية ما تنتهي اليه مجادلاتهم .
 ألم يقل لاهوتيو القرون الوسطى أن المعمور من الارض ينتهي الى حيث ذهب
 المبشرون لان في الكتب المقدسة ما يشير الى أن صوتهم سيذهب الى آخر
 المعمور من الارض ؟ ألم ينف القديس اوغسطين القول بنظرية الانقياس ، أي
 وجود خلائق في الناحية المقابلة للناحية التي نساكنها من كرة الارض ، لانه يتعذر
 عليهم رؤية المسيح هابطاً على الارض يوم القيامة ؟

كل هذه الاشياء تترتب على فكرة بعث الانبياء وارسال الرسل ، بل لانبالغ
 اذا قلنا بانها تفضي الى أشياء أكثر من هذه زكايه بفكرة الرسالة اذا ما استعمقنا
 في دراسات لاشان لنابها في هذا الموطن . على أن هذه الدراسات قد فرغ منها أهل
 الفكرة الحرة في واحة الارض وانتهوا منها بنتائج سوف نأتي على شرحها بالايجاز في
 درج هذا المقال

رابعاً - الانسان مركز الكون

كان من اثر ثلاثة المعتقدات السابقة أن تكونت في عقلية الانسان فكرة أنه
 مركز الكون ومحور دائرة الوجود . من أجله خلقت السماوات والارض ومن أجله
 سخرت الرياح والاشجار والحيوانات . ومن أجله وضعت الجبال لتلاطم به الارض
 ومن أجله جرت الانهار مترعة بالماء وغورت البحار لتصلح له جوكرته الارضية .
 ولعمرك أي شيء أكثر قرباً من بداهة العقل في غرارته الاولى من معتقد
 كهذا يقوم نتيجة لما ثبت في روع الانسان من انه خلق على مثال الله وانه خالق
 وحده مميز على جميع الكائنات وأن الله حبا فيه وشفقة عليه ، اخذ يرسل اليه
 بالرسول تلو الرسول ايدي الصراط السوي ولا يدخله وذرايه الى الجنة زمراً
 خالدين فيها أبداً . وانه أعد له هنالك الانهار تفيض عسلاً ولبناً وقصوراً بنيت
 بالفضة والذهب وحوراً عيناً لم يطهرهن قبله انس ولا جان ، ولدان مخلدون
 يطوفون باكوأب من فضة ؟

هذا الاثر الذي خلفته هذه المعتقدات في عقلية الانسان في العصور الوسطى ،
 كان نتاجاً لمعتقدات ذاعت في ديانات الوثنية ، في بابل واشور والسكندرية

ومصر والهند والصين ، ودمت اليه الميثولوجيا العربية قبل الاسلام والميثولوجيا اليونانية الرومانية قبل انتشار المسيحية ، فكان لهذه المعتقدات وكائنها التي ارتكزت عليها منذ اقدم العصور .

على انك اذا فكرت قليلا في فكرة الخطيئة وفي طرد آدم وحواء من الجنة وفي عقابهما بالنفي الى الارض وارسال الشيطان اليها يجول في جوها ليضل انساها على مر القرون ، لما تصور لك بدياً الا أن الارض جحيم مصغر هبط اليه آدم ليكفر عن خطيئته ، فاخذ يكذب ويعمل في سبيل العيش وانه لم يسخر له من شئ في هذا الوجود ، وانه حلقة من حلقات الطبيعة يعيش في جوفها عيشة غيره من المخلوقات ويشاركها بداياتها ونهاياتها على صورة من الدقة لا تترك مجالاً للاعتقاد بانفصال وحدة الخلق بين الانسان وبقية الكائنات

ولكن هكذا اعتقد الانسان وبهذا بشرت له الاديان فراح يجرى وراء هذه المعتقدات اشواطاً قطع في مضمارها مسافات بعيدة ، اسلمت به في آخر الامر الى حيرة لم تنقذه منها الا مبادئ العلوم الطبيعية التي أخذت يزورها الحقيقة تفرخ في أوائل القرن السابع عشر .

ولقد كان لهذه المعتقدات اسوأ الاثر في تكييف العلم الانساني . فقد قيل بان الانسان لا بد من أن يعيش في مركز الكون مادام أنه محور دائرة الوجود والغرض الذي رمى اليه الله من خلق العالم ، فاعتقد بان الارض في الوسط وأن الشمس وبقية السيارات يدورن من حولها . وكانت هذه الفكرة الخاطئة سبباً في أن يضل الانسان في ثمة قصى من الجهل المطبق ، اذ نزع العقل الى أن يطبق عليها كل الحالات التي يقوم عليها علمه وترتكز معرفته ، واتخذ الكتب المقدسة اساساً للعالم الانساني ، فقامت الاضطهادات تقتل روح الحرية وتبعد الناس عن اتباع الطريق الذي كان يسلم به حتماً ، كما أسلم به أخيراً ، الى تحديد علاقته بالله من ناحية وبالكون من ناحية أخرى .

الرأى الحديث

أولاً— صور الانسان الله على مثال نفسه

بشرت الاديان، ولها في ذلك أكبر العذر، بأن الله خلق الانسان على مثاله وفطره على غرارهِ . ولهذا أسباب: أولها: ان الانسان أكمل الكائنات نسبياً : ثانياً: ان الانسان لا يستطيع أن يخلص من تصوير ذات مريدة حكيمة إلا اعتماداً على ما يرى من ارادته وحكمته: ثالثاً . ان الوهم دفعه الى القول بان العالم مسخر له لان ارادته تستطيع أن تسخر الاشياء . الى غير ذلك من الاسباب التي يطول بنا القول فيها .

ولما شئ الفلاسفة يفكرون في المادة والخلق ، وأخذوا ينظرون في حقائق الاشياء نظرة أوسع مدى من تلك النظرة التي حددتها مهمة الكتب المقدسة خلال العصور المظلمة، بان لهم أن ليس في الدنيا من شئ هو أبعد عن الحقيقة من الفكرة القائلة بتزويد الله بشئ من الخصائص الانسانية . وأخذوا يبحثون هذه الفكرة بحثاً مستقلاً عن علاقاتها المذهبية، فبان لهم أن هذه الفكرة على بعدها عن الحقيقة وعلى مناقضتها العقلية لما يسلم به العقل قسراً عنه من الايمان بوجود صانع صنع الكون وأبدعه، فان الانسان لا يستطيع مطالقاً أن يدرك الصانع ادراكاً عقلياً ، وهو الحد المستطاع الذي يبلغ اليه في مثل هذه الحالات، إلا اذا قاس حالات القوة الخالقة بحالات نفسه. ووزج الصفات المادية التي يراها في نفسه بالصفات النفسية والاخلية التي أمد بها فكره، وراح يكون من مجموعها صورة قال بأنه خلق على غرارها وقطر على مثالها .

سميت هذه الفكرة في الفلسفة بالفكرة الناسوتية Anthropomorphism . أى الفكرة القائلة بتزويد الله بالخصائص الانسانية. ولقد عني كثير من الفلاسفة الاعلام بان يبعدوا عن هذه الفكرة جهد مستطاعهم لدى نظرهم في حقيقة القول بالالوهية. وكان أكثرهم جهداً الفيلسوف سبينوزا الكبير فاتتهى به البحث الى القول بان الله امتداد وفكر. Extension and Thought غير أن فكرته هذه ما لبثت أن نقضت اذ قيل « من أين أتى له أن الله امتداد إلا من النظر في حالات

جسمه الطبيعية، ومن أين أتى له أن الله فكر إلا بالنظر الى حالات عقله؟ ذلك لأن الامتداد والفكر من أخص الاشياء التي تتصف بها الاجسام والعقول .

اذن فلا انسان غير قادر على أن يكون أية فكرة في الله بعيدة عن القياس على حالات جسمه وصفاته الطبيعية. وعلى الرغم من أن هذه الفكرة من أبعد الاشياء عن الحقيقة، فإن الانسان مقسور عليها بحكم تكوينه الطبيعي الذي نعتقد أن العقل ليس إلا مظهرًا من أخص مظاهره. وعلى الرغم من هذا فإن المعتقدات القديمة بشرت بما يضاد هذه الفكرة وغرست في روع الناس أن البشر ملائكة مسخو اناسي جزاء الخطيئة، لا انهم حيوانات يتطلعون الى الاستعلاء الى عرش الملائكة !!

بهذا انقلبت الآية في القول بان الله خالق الانسان على مثاله، الى الاعتقاد الثابت بان الانسان قد صور التوة الخالقة العظيمة قياسا على الحالات التي أحس بها قائمة في نواحي تكوينه جسمانيا وعقليًا. وهذا عندي أكبر دليل يقوم على خطأ الذين يقولون بان للاجماع أية قيمة في وزن الحقائق أو الوصول الحقيقة .

* * *

ثانيا - الانسان حلقة في سلسلة الوجود

ترجع الانسان على ذلك العرش الذي خلقه من وهمه وزينه له خياله طوال تلك العصر التي لم يستطع فيها العقل أن يبدى اقل شك في حقيقة الظواهر التي كانت تقع تحت جواسه . لهذا متع الانسان دهورا بفكرة أنه سيد الوجود وأنه محور الخلق ومركز دائرة النظام الكوني . ان طلعت الشمس أو غابت ، او هملت السماء مدراراً او رذاذاً ، أو انبتت الارض ثمرًا حلوا او مرًا ، أو جرت المياه عذبة او اجاجا ، قائما كل ذلك من اجله ولتمتع بشمرات ما تجود به الطبيعة غير شاعر بأن ادنى الحشرات تتمتع بما يتمتع به وأن الطير يمتاز عليه بانه يملك الهواء وهو لا يملك الا الارض . وعلى الرغم من أن العظمت البالغة قد أحاطت بالانسان منذ أقدم عصوره حتى اليوم ، فإن المعتقد القديم قد أعماه عن ان ينظر في الواقع المحسوس نظرة يمكن أن تبلغ من نفسه بعضة أو تحور من معتقده بما يجعله يرى الحق كما هو كائن . رأى الاحياء تشاركه في الاستمتاع بكل ما تجود به الطبيعة عليه . استمتعت بالشمس

و بالقمر و بالماء و الغذاء و الازهار و الاحجار و الهوائ ، تلك الاشياء التي خيل اليه زورا و وهما أنها لم تخلق الا من اجله .

لا ننكر أنه سخر البهائم و العجماوات و استقوى عليها بعد جهاد طويل ، غير أن البهائم كانت تفنى من حياته بقدر ما يفنى من حياتها ، وكانت الطيور خارجة عن سلطان تسخيريه . مر على الانسان عصر كان فيه من أضعف المخلوقات الحية سلطانا و أكثرها استكانة . غير أن هذا العهد لم تنشأ فيه مطلقا فكرة أن الانسان سيد الوجود . و الراجح أن هذه الفكرة لم تنشأ الا متأخرة مع ظهور المدينيات التي سبقت المدينيات القديمة . تلك المدينيات التي لم تترك وراءها من أثر اللهم الا تلك الحفريات التي بدأ يستعملها الانسان ليكون سيد الوجود و محور دائرة الكون !!

كانت موحيات الاديان في صورها الاخيرة آخر ما كفل هذا الرأي لترضعه بلبان الكتب المقدسة و تغذيه بتفسيرات المفسرين لها . لهذا لا نتلصبا مطلقا في القول بان المعركة التي دارت حول اصل الانسان ، هي في الواقع معركة قامت بين العلم و الدين ، فانتصر العلم و هزم الدين ، و نزل الانسان عن عرش الملائكة الى عرش الحيوانات ، و تبدل الانسان من نسبه السماوى باعتباره خلقا وحده أبدعه الله على مثاله ، الى انه حلقة من سلسلة الوجود كبقية حلقاتها ، بل نسي أنه يرجع باصله الى الجنة ، و اعتقد بأنه حيوان قابل للارتقاء ، بعد أن كان انسانا كاملا آخذا في الانحطاط .

ثالثا - الرسل و الانبياء مصلحون

لم يكن للانسان في العصور الاولى من بد في أن يسلم بمجموعة من ظواهر الاشياء كما وقعت تحت حواسه التي كثيرا ما خدعته ، و بمجموعة من الاوهام كانت في الواقع من الضرورات التي تسليه عن كثير مما في هذه الحياة من آلام و شقاء و لقد عمد في تكوين المجموعة الاولى الى اختبارات اليومية التي كانت تنقلها اليه حواسه . و عمد في تكوين المجموعة الثانية الى ذلك السر العجيب الذي هو من اخص ما تمتاز به النفس الانسانية ، عمد الى «الامل» يرمى به لا الى الحاضر ولا الى المستقبل القريب منه ، بل الى السرمد و الابد ، الى الخلود ، و الى اللانهاية .

لهذا تحددت التصورات التي كانت سببا في بث المعتقدات الدينية على مدى

العصور في أشياء كثيرة أهمها

أولاً — اعتقاد الإنسان أن علاقته بالله مباشرة وابن لا واسطة بينه
بين الخالق

ثانياً — أنه محور الوجود وسيد الالكوان

ثالثاً — أنه يرجع بحياته الى أصل ابدى وينتهى الى لانهاية فهو خالد أولاً وآخراً

رابعاً — أن الله خالق العوالم من أجله وحده دون بقية المخلوقات

خامساً — أن اهتمام الله بشأن العالم قد سخر كله في سبيل صلاح الإنسان

وخلاصه في الآخرة

سادساً — أن الانبياء والرسل بشر مزودن برسائل وحيية لادنية، ترمى الى

سعاد الإنسان في الآخرة والاولى .

على هذه التصورات، وعلى كثير غيرها مما يجرى مجراها، قامت في العقلية
الانسانية فكرة أن الله انما يصب كل ما في معين المخلوقات من قوة ونشر لاسعاد
الإنسان، فإذا ضل هداه، وإذا جاع غذاه، وإذا عرى كساه، وإذا مرض أشفاه،
وإذا مات طهره من العلاقات المادية ثم أثابه أو جازاه . وعلى هذا قامت الفكرة
في النبوة والرسالة.

ولقد أخذت هذه الفكرة في التراجع شيئاً فشيئاً الى انها مجرد وسيلة لتعليل
ظاهرة النبوات والرسالات، لما ازداد الإنسان علماً بمحقائق الوجود وانسداد الخلق
وتفاصيل النظام الكوني. فلما ظهر للإنسان في العصور الاخيرة أن الارض التي
يسكنها الإنسان ذرة بسيطة في صحراء الوجود، وأنه لا يساوي أكثر من ميكروب
صغير جهد الصغر مقيساً بما في الكون من عظام، تراجع العقل الانساني مرة أخرى
أمام تلك العظمة النظامية التي وقع عليها مستصغراً أمر العناية بالإنسان في جانب
من خلق هذه العوالم وأودعها نظامها وسير نواحيها، وتنزع الى الاعتقاد بأن الانبياء
والرسل مصطحون صادقوا الايمان فيما اتوا به من أوامر ونواهي، قانعين بأن في اتباع
هذه الاوامر والنواهي رضا لبارئ الالكوان .

على أن نظام الكون المادي الذي يعتبر الإنسان في الواقع حلقة من حلقاته،
لا يتسع للاعتقاد بأن الله يعنى بامر الإنسان فوق الارض عناية تمتد الى أبعد من

تأثير النواميس التي بثها الخالق في المادة والقول بان وجود الانسان وفنائه راجع الى قواعد طبيعية مثل القواعد التي تحتكم في ايسط الظاهرات الكونية، وان نظام الطبيعة أبدى سرمدى، وأن المعجزة بمعناها المعروف، أى بمعنى انها خرق لنظام الطبيعة الذى وضعه الله على أن يكون ما هو، غير مقبولة لاعقلا ولا طبيعة. . .
وما منشأ الفكرة الدينية لدى الواقع إلا عجز الانسان عن تحديد علاقته بالله في العصور الاولى، وعدم قدرته على تحديد علاقته بالكون، اذا هو أراد أن يجعل لكل صفة من صفاته الانسانية وجهاً من العلاقة يحدده تحديداً تاماً. ولقد أخذ يتلمس الاسباب عقلا فلم يستطع ادراكها. لهذا نفر الى الايمان والاكتفاء من البحث بان يعلل كل شيء بقوله — «هكذا سبق في ارادة الله.»



رابعا - الغاية من وجود الانسان

هذا السؤال هو أعضل المشكلات وسر الاسرار.

اكتفت الاديان بالقول بأن الغاية من خلق الانس والجن هو أن يعبدوا الله. فكرة حسنة، ولكنها غير صحيحة. اذا لو صح هذا اذن لاعتقد بجانبه بان الله في حاجة لان يعبد به الانس والجن، ولظهر النظام الكونى في مجموعه بمظهر شيء ما خلق إلا ليعضد الحياة الانسانية التي يجب أن تسخر لعبادة الله. وهذا في معتقدى أبعد الاشياء عن أن يكون الغاية من وجود الانسان. لان في هذا من الغرارة بقدر ما في النظام الكونى من حكمة. ولا يتفق عقلا أن يكون للوجود طرفان أحدهما بالغ منتهى البساطة، والآخر بالغ منتهى الحكمة. بل ان العقل لا يسلم إلا بان الحكمة التي يقع عليها في نظام الكون لا تؤدي الى نتائج تخرجها عن الحيز الذى يدركه الانسان من معنى الحكمة.

ولقد تطورت هذه الفكرة على مر الازمان بتطور المذاهب وبنشوء الفكرات التي كانت تتجدد بتجدد الزمان. دلى أن الانسان حتى اليوم لم يقع على فكرة يطمئن اليها في الغاية التي من اجلها ووجد. فلا الاديان مهتد اليها السبيل ولا الفلسفة استطاعت أن تبلغ منها بقصده. وما المذاهب الفلسفية، وعلى الاخص مذاهب الفلسفة التي ذاعت

في علم الاخلاق ، الاجهد بذلته الانسانية ، رمت به الى تحديد الغاية التي من اجلها يعيش الانسان . على أن العلم قد انتهى الى نتيجة يصح السكون اليها وان كانت من أبعد الاشياء عما تعلمن اليه النفس الانسانية . أنتهى الى الاعتقاد بان علاقة الانسان بالسكون علاقة مباشرة ، وأن علاقته بالله لا تأتي الا من طريق النواميس التي بشها الخالق في المادة ، وان الانسان باعتباره حلقة في سلسلة الوجود ، لا يمكن ان يكون لوجوده من غاية تخرج عن الغاية التي يرمى اليها نظام الكون في مجموعه . في حين أن الوصول الى معرفة الغاية التي يرمى اليها النظام الكوني ، يتعذر على العقل أن يصل الى ادراكها

فالانسان يجرفه تيار الوجود الى غايات يسعى اليها نظام الكون في مجموعه وهو لا بد بالغ الى نهايتها الأخيرة ، لا باعتباره الفردى ، بل باعتباره النوعى ، وان الانسان نتاج لتفاعل النواميس الطبيعية ، وكذلك هو غرض لها ، ترميه بكوارثها ، بيد ان تحبوه بنعائهما .

الخلاصة

نخلص من هذا كله بالقول بان الانسان لا يمكن أن يعيش عيشة سعيدة فوق هذه الارض ، مادامت حقائق وجوده تتركز على ما أدلينا به من قول ، الا بان يعيش حرا عقلا وضميرا ، عالماً أن للطبيعة قوانينها التي يجب ان يخضع لها قسرا عنه بحكم وجوده ، وان يعتقد بأن نقائص هذه الحياة من لوازم كمالها ، وأن آلامها من لوازم سعادتها ، وان النظام السرمدى أبدي لن يخرق قانونه ولن يختل ناموسه ، وانه كلما وسط العقل في الحكم على حقائق الاشياء كان أدنى الى التفاهم مع ما يحيط به من نظم وظروف ، وانه لن يكون أكثر شقاء منه اذا عمد الى العواطف ينصبها حيث يجب ان يستوى العقل على عرش الوجود الانساني . لهذا نقول ونقول بكثير من الايمان —

« حرر فكرك من كل التقاليد والاساطير الموروثة حتى لا تجد صعوبة مافي رفض رأى من الآراء ، أو مذهب من المذاهب ، اطأنت اليه نفسك ، وسكن اليه عقلك ، اذا انكشف لك من الحقائق ما يناقضه ايمانك ومظهر

الامواج والشاطئ

سأل الشاطئ يوما بحره أيها البحر: أجبني كم حويتنا؟...
ود لو يكشف عنه سره بيد ان البحر قد حاول صمتنا

قالت الامواج للشاطئ ماذا تبتغى : من سؤالك
قال انى ابتغى ما غاب عني : من مدارك
فانشئت عنه بجزر ساخره

ثم عادت باندفاع نحوه : في اصحاب خاب مثل رعد
عاليات ، هابطات ، ترمى : فوق صخر من صلد
وعلى الشاطئ جاءت نائرة

قل انى رابض منذ وجدت : ووجدت
جاهلا سرى ، انى لست أدري : ما احتويت !!!
فانشئت عنه بجزر ساخره

ثم عادت ثانياً وهى تقول : أنت سرى، أنت سرى
سوف يحويك ضميرى : لا تسلفى، أنت سرى
ولأسرارى انى مضمرة...

واستمر البحر يمتد امتداداً وكذلك الموج يشتد اشتداداً
ثم رد الافق عيني حاسره

حسن كامل الصيرفي

الأدب العربي

وهل الأدب العربي إلا مجموعة مغالطات وأكاذيب مملوءة بالمغالاة؟ ولا أقصد بالأدب العربي إلا معناه الأوسع. فمن أبسط الأشياء أن يلاحظ القارئ أن ما كتبه العرب ليس بالصورة الحقيقية الدالة على تأخرهم في المعرفة بالنسبة لقدم زمنهم عن زمننا الحاضر، بل تجدهم يتعمدون قلب الحقائق رأساً على عقب، فيكيلون المدح جزافاً ويفرقون في الذم دون حساب شأنهم في كل شيء على وجه التقريب

أنت لو صدقت كما ذكره الأدب العربي على حالاته لتخيل لك أن كل عربي كان حاد الذهن سريع الخاطر يلتقط التصيدة الطويلة المكونة من مئات الأبيات «كما تلتقط الاسطوانة الطقطقة من المغني». كذلك تعتقد أن دماغ كل عربي كون وفي داخله مقياس للنظم. وهذا ليس بمقول فان التاريخ والمشاهدات لا تبرران الاعتقاد بأن في وسع كل شخص نظم القصائد والمقطعات والأراجيز حتى لو فسرنا الشعر بأنه كلام مقفى وزون لا أكثر. وهل في استطاعة الفلاح العادي نظم المواويل؟ وهل يهتم الناس اجمعهم لضرب واحد من ضروب الحياة هو الاستسلام لعالم الخيال؟ يقولون ان عنتره كان ينشد القصائد فهل كان يكتبها ثم يزيد. فيها ويحذف؟ فإذا كان الحال كذلك وكان شعراء العرب كذلك لكانت نسبة التعليم فيهم تزيد كثيراً عما يمكن تقديره خصوصاً وأن الزعم السائد هو ان كل عربي كان بالسليقة شاعراً مجيداً. أما اذا كان عنتره وغيره يرسل الشعر ارسالا لمناسبات دون ان يقيد حتى ولو على قطع العظام قصائده المطولة البديعة، فهذا أمر يدعو الى الدهشة ليس لان شخصاً واحداً اظهر هذا المظهر الخارق للعادة بضع مرات، بل لان دافة الشعراء وعددهم يزيد على رمال الصحراء، كانوا دائماً حاصين على هذه الموهبة الغريبة. وهنا التساؤل كيف تمكن الرواة من العرب التقاط القصائد العديدة وتناقلها واحداً عن آخر؟ فهل كانوا يكتبونها بطريقة محتزلة؟ وهل كانوا قد اكتشفوا في الاختزال أم كان على الشاعر

قصائده شكلة شكلة ؟ أما أن تقول أنه كان هناك رواية يثذكرون تمام التذكر
مائة الف قصيدة من روى واحد بقافية واحدة . — كما تقول كتب الأدب
— فاذن ما الذى تبقى من ذا كرتهم لتذكر القصائد المخالفة لهذا الروى والقافية ؟

ولقد يتسائل متسائل : من هو الذى نظم القصائد الضافية التى تعزى
للأعراب الأميين وكيف نقلت إلينا ؟ وهذا حق . وفى اعتقادى أن عهد العباسيين
على الخصوص وعصر الأمويين لدرجة ما وكذلك العصور التى تلت العصر العباسي
هى التى نظم المتأديون فيها هذه القصائد ثم رصدوها فى بطون الأوراق بعد أن
نسبونها إلى أسماء شعراء جاهليين أو غير جاهليين أو شعراء تخيلوا وجودهم والسبب
الرغبة فى عدم معرفة الناس بشخصهم ، أما حفظا لسمعتهم أو إبقاء على حياتهم

وإذا انتقلنا إلى التاريخ نجدنا واقفين إزاء ما سبق ووقفنا حيائه . فخطب
القائد نجدها مكتوبة بنصها . أمامنا كأنما كان يتبعه رهط من السكرتاريين
المختصين بنقل الخطب « الطويلة الممتلئة بلاغة » وكذلك قل عن خطب سفراء
العرب أمام كسرى وغير كسرى فهى فى اعتقاد المتأديين منقولة نقلًا أمينًا
لا ينقصها غير ذكر ما تفوه به كسرى ردا عليهم إذا كان كسرى قد وجد له متسع
أو كان يحيط به بعض العبقرين كالعرب ينقلون ما نطق به عفوًا لريحة حرفًا بحرف
ولكننا لم نعثر فى تاريخ غير تاريخ العرب بما هو أشبه بهذا التخبيط والله الحمد

وكانت الخلفاء تميز الشعراء والمهرجين ببدر من الذهب الأمر الذى لو حاولنا
تصوره فى الوقت الحاضر مثلاً فى إنجلترا لاصبحت بريطانيا العظمى أفقر منى .
تصور أن الملك جورج الخامس يسد فم كل شاعر وكل مهرج وكل سريع البداة
من الإنجليز فقط ، ولا أقول كل من قصده ببدر من المال كلما انشد له بيتاً من
الشعر يمدحه به ، ثم بعد ذلك أحكموا على هذا الهذيان العربى

لننتقل الآن إلى الجيوش التى يشبهونها بالغمام أولها فى مدينة بالعجم وأخرها
فى مكة مثلاً ، وحاولوا تصور كيف يرسل عمرو للخليفة فى الحجاز مراكب موثوقه
بالخيرات رداً على كتابه الذى قال فيه « فواغوثة ثم واغوثة » أولها عنده
(الخليفة) وأخرها فى مصر

وقال الله كيف يكون خراج مصر مئآت آلاف الآلاف من الدنانير قبل الف سنة
 في حين أننا الآن لا نجمع ثلث هذه القيمة ومعلوماتنا الهندسية والزاعية تزيد
 أضعافاً مضاعفة عما كانوا يعرفونه. هذا إذا كانوا يعرفون شيئاً يستحق الذكر
 حقيقة وجد في الإمبراطورية الإسلامية في أوقات مختلفة رجال أفذاذ
 أغلبيتهم العظمى من غير العرب ولكن عددهم ومآلوه ليس كما يحاول العرب أو
 الناصرين لهم تفهيمنا إياه

وكذلك عدد الجحافل قائمها لا تقل عن مائة ألف فارس كانوا منهم الليوث
 العوايس يصلون ويجولون كأنما توصل العرب إلى وسيلة أمكنهم بها خاق رجال
 حينما شاءوا. ومن الغريب أنهم يسمون المناوشات حروباً فهل يعقل أن حرباً
 يقوم أربعين سنة من أجل ناقة فيقولون إنها ثارات لامناوشات، لم يكن
 هضمها على الأقل؟

أدب

التصوف

بحث تحليلي انتقادي

١ - تمهيد

(١) ماهو التصوف ومن الصوفي

قال رويم بن احمد البغدادي « التصوف مبنى على ثلاث خصال: التمسك بالفقر والافتقار والتحقق بالبذل وترك الغرض والاختيار (١) » وقال السكرخي « التصوف هو الاخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق (٢) » والجنيدي « أن تكون مع الله تعالى بلا علاقة » (٣) وسمعون « أن لا تملك شيئا ولا يملكك شيء » (٤) قيل للحصري « من الصوفي عندك ؟ » فقال « الذي لا تملكه الأرض ولا تظله السماء (٥) »

« والصوفي واحد والجماعة صوفية ومن يتوصل الى ذلك متصوف والجماعة متصوفة »

(٢) من اشتق الاسم ؟

يرى أبو نصر عبد الله بن علي السراج الطوسي (توفي سنة ٣٨٧هـ) ان هذا الاسم ليس بمحدث لان الحسن البصري الذي ادرك جماعة من الصحابة (توفي سنة ٧٢٨م) رأى « صوفيا » يطوف بالكعبة. وأما الحقيقة الراهنة فتبين من هذه الجملة « وجد الاسم حتى في زمن الجاهلية ولكنه لم يتخذ المعنى المتعارف بالصوفي كاحد رجال النظام الصوفي الحادث في الملة الاسلامية الا بعد تأسيس سلطاتها »

أضف الى ذلك ان الحسن البصري لم يكن صوفيا عريقا في التصوف وانما كان من زعماء المتبتلين الزهاد حينئذ، ورئيسا للمجالس الجدلية الفكرية حينئذ، ولم يضعه

(١) الرسالة القشيرية في التصوف للقشيري — مطبعة دار الكتب في مصر ١٢٨٧هـ

ص ١٢٧ (٢) منه أيضا هي ١٢٧

(٣) كتاب اللمع في التصوف للسراج الطوسي (مطبوعة الاستاذ نيكلسون Nicholson

ليدن ١٩١٤) — ص ٢٥ — ٢٨

(٤) منه أيضا ص ٢٥ (٥) بروون أن أبا بكر قال « أي أرض تقاني وأي سماء تظاني »

القشيري في رسالته بين مشائخ الطريقة حتى ان اسمه لم يرد في كل الرسالة سوى خمس مرات . واما زعمهم ان التصوف وجد في عهد الرسول فاختلاق متصوفة العهد الاخير تبريرا لاعمالهم وارجاعا لها الى عهد الرسول واستنادا على مماشاة سنته الرضية (١) « وذهب بعضهم الى أن الاسم منسوب الى مسجد الرسول « صفة » وآخرون الى أنه اشتق من الصفاء أي الطهارة والبغية . قيل ان أصله صفوى نصحف « قصار صوفى » أو « الصف » زاعمين ان الله قد اختارهم ليكونوا قادة البشر وورثة الانبياء . واكثر القائلين بهذه الآراء من المتصوفة أنفسهم .

ويقول الطوسي « و الاظهر فيه انه كالتب واما قول من قال انه من الصوف فذلك وجه . ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف » ويقول القشيري « لا شهيد لهذا . الاسم اشتقاق من جهة العربية ولا قياس ، والظاهر انه لقب ، ومن قال اشتقاقه من الصفاء أو الصفة فبعيد من جهة القياس اللغوي وكذلك من الصوف لان القوم لم يختصوا بلبسه » (٢) .

وأما الباحثون المستشرقون فيميلون الى اشتقاقها من الصوف . وقد جارى العلامة ثيودور نلدكه Noldeke الالماني القشيري حينما رفض الرأي القائل باشتقاقها من الصفاء أو الصف أيضا لاسباب لغوية .

وقد حاكى العلامة نلدكه والاستاذ نيكاسون ابن خلدون في قوله « والظاهر انه قيل بالاشتقاق انه من الصوف . وهم يختصون بلبسه في الغالب لما كانوا عليه من مخالفة الناس في لبس فاخر الثياب الى لبس الصوف » (٣) .

واذن بات من الراسخ لدى العلماء اليوم ان الاسم مشتق من الصوف وان القوم اختصوا بلبسه تمييزا لانفسهم عن الطبقات التي اركنت الى البذخ وانغمست في الترف .

وقبل ان نترك هذه النقطة نورد رأيا مغايرا لكل ما ذكر آتفا وهو رأى العلاقة Vou Hammer « قون هامر » الذي يرى ان أصل الكلمة يوناني مشتق

(١) Literary history of the Arabs, R. A. Nicholson (London, 1923) P. 722

(٢) مقدمة ابن خلدون « بولاق ١٢٨٥ هـ » - منقولة عن القشيري - ص ٣٩٠

(٣) « « « ص ٣٩٠

من كلمة «سونس» ومعناها الحكيم Wise ولـ كن العلامة نلذكه المشهور نقض
هذا الزعم في سنة ١٨٩٤ م أيزم كان استاذافى جامعة شتراسبورغ Strassburg
٣ - أول من استعمالها وأول من أطلقت عليه .

يظهر أن أول من استعمالها من كتاب العرب هو الجاحظ (توفي ٨٦٩ م) .
فى كتاب البيان والتبيين بقوله « الصوفية من النساء » على أن كلمة « لبس الصوف »
وردت (كما قل نلذكه) كثيرا فى آدب الجاهلية وكان معناها « ابتعد عن
زخرف الدنيا » . ولكنها تخصصت وضاق نطاقها بعد الاسلام وصارت تطلق
على تلك الفئة الخاصة .

وأما أول من أطلقت عليه هذه اللفظة فأبوا هاشم الكوفى (حوالى ٧٧٨ م)
لذى عاش فى تكية الزمالة (فلسطين)
والظاهر أن هذه اللفظة جاءت (بمعناها الخاص) فى دور الانتقال والتحول
من الزهد الى التصوف فى نهاية القرن الثانى للهجرة (١) .

ب - التصوف والزهد Asceticism-Mysticism

١ نشوء الزهد

قال ابن خلدون فى المقدمة « الصوفية من العلوم الشرعية الحادثة فى الملة .
وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع الى الله تعالى والاعراض عن زخرف
الدنيا والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والافراد من الخلق فى اشلالة
للعبادة وقد كان ذلك فاشيا فى الصحابة والسلف . ولما عم الاقبال على الدنيا
فى القرن الثانى وما بعده وجنح الناس الى مخالطة الدنيا اختص ائمة بلون على العبادة
باسم الصوفية أو المتصوفة . »

وهذا زبذة ماتودان نقوا ، فان الزهد حقا كان فاشيا بين العرب حتى فى جاهليتهم
ولكنه نأ فى وقت النبى وبعده مع ان النبى (صلعم) لم يأمر بالانقطاع عن الدنيا

(1) Encyclopaedia of Religion and Ethics (Edited by James Hastings
1291) vol. XII, P . 10 :- Sufism - by Nicholson .

حتى إن لفظة زهد لم ترد غير مرة واحدة في القرآن (١) . ويعتقد نيكلسون أن المسيحية كانت ذات تأثير شديد في نشوء الزهد قبل الإسلام وبعده مستدلاً بشواهد من الآداب الجاهلية. حتى أنهم فسروا نشوء جماعة الحنفاء مفردتها - حنيف - أمثال ورقة ابن نوفل (ابن عم خديجة زوجة رسول الله الأولى) وأضرابه إلى تأثير رهبان النصارى ونسألكهم .

قد تكون المسيحية من العوامل الفعالة في نشوء الزهد الجاهلي فقد كان بعض الحنفاء نصارى مثل عثمان بن الحويرث (٢) . ولكننا نستبعد أن تكون أظهر من الإسلام في تأثيرها بعد مبعث الرسول . فهو وأصحابه وخلفاؤه كانوا قدوة الزاهدين العابدین . والشواهد على ذلك مشهورة وكثيرة لا حاجة لتعدادها الآن

٢ - الفرق بين الزهد والتصوف

إذا وضعنا نصب أعيننا الفكرة القائلة بنشوء التصوف من الزهد ايقنا ان هذا الفرق ضئيل غير واضح منذ البداية . ولكنه بدأ يظهر لما تطورت الصوفية ودخلت اليها العناصر الاجنبية . ولا يفوت الباحث من هذه الفروق ما يأتي .

أولاً - فرق في الغاية . فلزاهد الذي ينصرف عن الملذات الدنيوية وينكر نفسه وشهواته ويتحمل مرارة الجوع والعطش ، لا يفعل ذلك الاطعما في الآخرة وجنات النعيم . وأما الصوفي فلا يرجو من ذلك شيئاً وإنما همه الوقت الحاضر ، وهدفه معرفة الله والاتصال به (٣) .

ثانياً - فرق في الفكرة . فلزاهد دوماً محووط بجلال الله وجبروته وبطشه وعقابه والصوفي ناعم البال في رحمته ولطفه وكرمه وفوق كل شيء « محبته » .

ثالثاً - فرق عام . وهو ان الزهد عام في جميع الاقطار والأعصار في كل دين وجنل أما الصوفية فتزعة خاصة ولديها عوامل شتى في الظرف خاصة تحت راية الإسلام .

(١) Encyc. of Rel & Eth., Vol. II, P. 99, - Aceticism - by Nicholson.

(٢) تاريخ ابن هشام ص ٧٦ ثم ٩٤١ P. Nicholson, The History of the Barabars.

(٣) أمثال ذلك ما روى عن ربيعة العدوية المتصوفة :

أتجبن الله؟ نعم أتلعن الشيطان؟ فقلت ان حيي لله لا يترك متسعا من الوقت لالعنه فيه . رأيت النبي في المنام فقال لي « أي ربيعة؟ أتجبنني؟ فقلت له ومن ذا الذي لا يحبك يا رسول الله . ولكن حيي لله لا يترك مجالا في قلبي لحب مخلوق أذكره » .

٣ عوامل نشوء الزهد

بما الزهد اثر الحروب الاهلية ومقتل عثمان الذي ادمى قلوب المتدينين والتساك . أضف الى ذلك اشتداد الفطسة العسكرية الاموية وتطاحن الاحزاب وتضارب الفرق . وكان الناس — اقرب عهدهم في الدين — موقنين ان الله لا يترك الناس في هذه الفوضى دون هاد أو رسول وقد انتظروا هذا في « المهدي » وجملت فكرة ظهور المهدي كثيرين على اعتزال الحياة ريثما يعود السلام الى العالم .

أجل . اثرت هذه العوامل في عقلية زهاد المسلمين كما اثرت نظائرها في زهاد النصارى قبلهم فنظروا الى القوة الآلهية وايقنوا ان البذخ والترف بدعة وتحمقوا أن الدائم الذي لا يفنى والحقيقة التي لا تبلى هي الاتصال بالله .

وكان الحسن البصري طيلة عهد بني أمية أشهر رجالهم ويصنح اعتباره مؤسساً للمذهب البصري في الزهد . والنضوف (١) اذ كان لهم اجتماعات يظن أنه كان يرأسها (٢)

٤ حياة الزهاد

رغمًا عن أن القرآن (سورة الحديد الآية ٢٧) يمد الرهبنة بدعة في النصرانية بقوله : « ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فميا رعوها حق رعايتها . . . الخ » ورغمًا عن أن النبي (صاعم) قال « لا رهبانية في الاسلام » . رغمًا عن هذا كله ، فانه غند نهاية القرن الثاني للهجرة ، تأسست فرق من الزهاد تأوى الى « المقامات » و« الخلوات » وعاشوا عيشة فيها شبه من الرهبنة النصرانية .

واتاما للبحث نذكر كلمتين عن معيشتهم وممارستهم :

أولا — اللباس : يقول فلذلك ان الصوف والاردية المصنوعة منه كان فاشيا في الجاهلية و بعد الاسلام . لبس القوم الجبة أو المدرعة وتضيف المرأة اليها

(١) قوت القلوب لابي طالب المسكي (طبع مصر ١٣١٠ هـ) ج ١ ص ١٢٠ و ١٦٦

2 Encyc. of Rel., and Eth., vol II, P101 - Nicholson

الخمار . وليسوا كذلك البرانس الطويلة والارديه كما لبسوا الازار والخيف والفرو .

ثانياً - الطعام . « أوصي ابراهيم بن الادهم بطعام من الخبز الساخن والزيت وفضل خبز الملح والخبز والملح واتقطع بعضهم عن اكل اللحوم جملة . وكانوا ينذرون الصوم من نوع من انواع الطعام مخصوص كالتمر مثلاً ويزعمون ان في ذلك تقرباً من الله تعالى (١)

وكانوا يصومون في غير رمضان . ويقال ان بايزيد البسطامي عرف الله جل وعلا بالجوع والعري (٢) . وأما اشهرهم في الصوم فسهل بن عبد الله التستاري (٨٩٦م) وقد اعتقد المتصوفة المتأخرون ان « الانسان الصمداني لا يأكل غير مرة في ثمانين يوماً » (٣)

ثالثاً - الصلاة . لم يكتفوا بالصلوات الخمس المفروضة بل عمدوا الى القرآن يستمدون تلوحى والالهام فوجدوها في « واذكروا الله كثيراً » وغيرها من الآيات فابتكروا أنواع جديدة من العبادة والذكر كتكرار اسم الجلالة أو آية شريفة مرات عديدة متوالية بنغمة خاصة وصوت خاص »

ويقول القشيري ان هذا من ضروريات الدين الحقيقي . والذكر باللسان كالدكر بالقلب ضروريان .

الجامعة الامريكية في بيروت عبد اللطيف الطيباوى

(١) لواقع الانوار للشيخ عبد الوهاب الشعراني ج ١ ص ٦١

(٢) الرسالة القشيرية ص ١٦

(٣) الرسالة القشيرية ص ٨٧ - ٧٩ وللوقوف على تفاصيل اخرى راجع احياء علوم الدين الغزالي (طبع مصر ١٢٨٩هـ) الجزء الثالث ص ٨٧ .

الحياة والموت

تقرأ فيما بعد قصيدة عصماء ألفت أياتها لا من الكلمات والجمل، ولكن من عناصر الحياة تنطق عن حكمة السنين الطوال، وتجارب الدنيا المريرة. هي في الشعر منهل سهل، وفي الحياة وصف صادق، وفي العظة حكمة بالغة. وكفى أنها مما أوحى به قريحة شاعر العراق الكبير السيد جميل صدق الزهاوي وقد أودعها من وصف الدنيا، ومن الحياة والموت، وهما أجدر الحقائق الدنيوية بالذكى، ما توحى حياة مليئة بالتجارب والعظات

— ١ —

كل ما تبتغيه منا الحياة هو ان لاتصيبها النكبات
وهي ان نابها الأذى قفادى لم يطل للايلاف منها الشكاة
حسبها ان تكون بين تضاعيف اذاها فى ساعة لذات
انها وحدها السعادة الا أنها ماها طويلا ثبات
انما فى الحياة جمع لما شئت وفي الموت للجميع شتات
غير ان الحياة ليست سواء فهي اما نعم واما اذاة
ولها ان راقبتها من قريب حسنات ومثلها سيئات
حبذا لو كانت لصاحبها قد غلبت سيئاتها الحسنات
أنا راض عنها وان تك قد حا قت أخيراً منها بى الويلات

— ٢ —

طب بعيش به الحياة تجود انها ان تصيرت لاتعود
إغتنمها فانت بعد قليل جثة تحتوى عليها اللعود
حبذا أحلام الحياة حسناً والامانى جملة والوعود
انما فى الهواء طلقاً لمن يحيا وفي نور الشمس عيش رغيد
والذى يسمع العنادل تشدو ويرى ازهار الربيع سعيد

انت في مخصب من العيش ترحي قل فماذا من بعد هذا تريد
كل ما يبسط الحياة صديق لك اما ما غمها فلدود
ولقد لا تسر شيخاً حياة هو منها ذاك القريب البعيد
واذا ما ملت ارضاً ومنها سرت تبغى أخرى فانت ارشيد
كل شيء اذا نزلت بلاداً لم تطأها قبلاً فغض جديد
لا تقل للجمال في الارض حد ليس في الارض للجمال حدود

— ٣ —

أبصر الدوح انه فينان وانظر الزهر انه فتان
وارمق المورقات خضراً جلاهن من الليل عارض هتان
واسمع الورق فوق افنانها الملد تغنى كأنهم قيسان
ليس ما تبصر العيون بأبقى روعة مما تسمع الآذان
وكان الرعد الملمع ليلاً هو ضحك الطبيعة الرنان
وكان البرق الملائى فيه هو للحسن باسم عنوان
وكان النجوم حين تراها أولؤ في السماء أو مرجان
وكان الصباح ساعة يبدو مسفراً خود جسمها عريان
وكان الشمس المضيئة تنو ر تلظى في جوفه النيران
كان الاشياء بعد جفاء قد أرادت ان يسعد الانسان

— ٤ —

عترت نفسي هزة الإفراح حينما بان لي بياض الصباح
ولقد كان قبله الليل يديجو قابضاً للقلوب والارواح
وتلوح النخيل في عدوتي دجلة للناظرين كالأشباح
وعليها الحمام يهتف شجواً ولعل اهتاف صنو النواح
حبذا الصبح ماسحاً لظلام الليل عن حر وجهه الوضاح
وكان الصباح عذراء فكت عن نصيع قد بض زر الوشاح
ثم مرت بالروض تنصبت فيه لأغاريد البلبل الصداح

بسمت للاقاح بعد سلام واحتفت بالجوهر بعد الاقاح
لخذت قبضة من النور فيا ضاً والقت به على الادواح

— ٥ —

ما زمان الشباب الا ربيع فيه نور يزهر ونبت يضوع
طلعت للسرور فيه نجوم ثم غابت عنى فعز الطلوع
وكان الشباب للجدل الدا ثم والهو والهوى ينبوع
لم يزل بي إلى الشباب وأيا م له قد ذهبن عنه نزوع
حبذا لو يكون لى بعد أن ولى شبابى يوما اليه رجوع
ما أحب الحياة عندى وان كا نت بأحشائى اليوم منها صدوع
اتها لا تزال مالكة تا مرنى أن أطيعها فأطيع
هى أفراح مرة وهموم وايتسامات تارة ودموع
لم يحجب الى عيشى الا أمل غامض الحدود وسيع

— ٦ —

كل ما حفت بالحياة جميل غير أن البقاء فيها قليل
شجر باسق تغنى طيور فوق أفنانه وظل ظليل
وعلى مقرب من الدوح يحمرى جدول سكب ماؤه نلسبيل
وبساط نسيجه الزهر قد جرت عليه من الرياح ذبول
تطلع الشمس فى الصباح فتعلو فى سماء زرقاء ثم تميل
فاذا ما علت يسر غدو واذا ما مالت يطيب الاصيل
نحن لولا الحياة كنا جماداً ماله إحساس ولا معقول
ولعل الجمال فى النفس منا وبها للخفاء عنه ذهول
وكان الاشياء قد خلقت لى غير أنى عنها بها مشغول

— ٧ —

يا حيائى أنت الحقيقة عندى فيك حتى أموت نحسى وسعدى
أيها الليسل إثنى من مكائى لسلامى إلى نجومك أهدى

أيها البدر كنت تطلع قبلي
 أيها البرق في السحاب تألق
 أيها الصبح أنت أجمل شيء
 أيها اليوم موسم أنت نغم
 أيها الشعر أنت أشجى غناء
 ليس شعر يقوله شعراء
 انما الشعر ما إذا انشدوه
 أو آثار الشعور في سامعيه
 ولقد غاب القوم في سرهم إذ

أيها البدر سوف تطلع إمدني
 أنت سيف مجرد ذو فرند
 لسروري جمّاً يعيد ويبدى
 شغل الناس بين أخذ ورد
 أنا فيه أثبت صادق وجدى
 قلدوا من تندوهم بمجدي
 كان يستبضى الشعوب ويهدى
 مثل لحن من ذى أغاني يشدى
 في إذا ماطاروا معاً طرت وحدى

— ٨ —

سبقت لى سعادة وشقاء
 ولقد هونت على النفس منى
 خير أنى وهنت في كبرى عن
 ثم أنى ما زلت صبا بها
 اننى لم أزل أشاء بقاءى
 ذهب الصيف والربيع سريه
 وخبت للشقاء نارى إذا لا
 وسألتى منيتى عن قريب
 ما النفس تخشى لقاء المنايا
 ألا أنى إذا هلكت عدانى
 وإذا الارض في غد بلعتنى
 أبعدوا عنى كل شيء فانى

فى حياتى وضعكة وبكاء
 قبل هذا ضراءها السراء
 حمل ما كلفتني الأعباء
 يغلبنى يأس تارة ورجاء
 غير أن الأيام ليست تشاء
 ين وجاء الخريف ثم الشتاء
 برد قريس وليلى ليلاء
 انبى من لقاءها مستاء
 ولما إذا يروع هذا اللقاء
 كل ما قد أحبت الحوباء؟
 لا ترانى ولا أراها السماء
 إن أمت لا تفيدنى الاشياء

— ٩ —

أيها الموت انما أنت آتى
 أيها الموت أنت من بعد حين

أنت يوماً مجردى من حياتى
 مخرجى من نور الى الظلمات

أيها الموت فيك بعد قليل
ما حيائي إلا كسلسلة أنت سد
وسياتي يوم سأحرم فيه
وسيدلي في جوف قبري جسمي
أنا من بعد ما سأهبط قبري
أيها الموت أنت حزن لا صبح
أنت للبعض من أجل الرزايا
كم بطفل فجعت أما رؤوما
كم تخربت بين زمر ورقص

— ١٠ —

عبثاً قد حاولت أن لا أموتا
عبثاً قد جمعت خوف ضياع
بعد تلك المسومات عراباً
ينكر العقل أن تدوم حياة
وهو بعد اختباره موشك أن
قد بدت لي حقائق غير اني
حان لي أن أردى فتحمل نفسي
حيثما التفت شاهد امامي
فأرى النار في يدي تتلظى

— ١١ —

أيها الموت انما أنت قاسي
أيها الموت ما لخطبك إن حا
تعتري الناس إن مررت عليهم
طالما قد أقمت في ردهة الدا
ونقلت الذين عاشوا بنعم
أيها الموت رافة بالناس
ق مرد ولا لجرحك آسني
وقفة في القلوب والأنفاس
ر المناحات موضع الاعراس
من قصور شمع إلى الارماس

وكأني إذا هلكت جماد
في لآتمشي بعد ذلك رجلى
لأما قد بنيت من صروح
لأما في نعمة من أساس
لم يكن لي شيء من الأحساس
فوق أرض ولا يفكر راسي

— ١٢ —

أنت ياموت بالجميع تحقيق
أنت تستهوي كل فرد فيغنى
رب حر إذا تجاهر بال
أيها الموت استبقني للقوافي
ليس بي نازعا إلى الهلك يوماً
لست أدري إذا اتبعتك في س
أي حزن به يحس و يرح
عند ما يدفن الصديق الصديق
أنا ياموت بالبقاء خليف
نسب لي في الهالكين عريق
يتري إلى أين بي سيفضي الطريق
ما نجا حتى اليوم منك رفيق
وإذا ما أغنى فلا يستفيق
حق يقولون كافر زنديق

— ١٣ —

أنت كالص قاحم للقصور
تنزع المثرى السعيد من الإص
تاركا خلفه يتامى صفاراً
ومن القصر تنقل السيد الض
أنت ذئب الأكواخ تخطف أطف
نازعا للصغير من غضد ال
فرويداً ياموت أنك قد
تنزى على الجاحم تدمي
لأما قد قضيته من مرد
هاتك في جرأة للمستور
يحاب والمال والفراش الوثير
ونساء يلدن بيض الصدور
نخم إلى جوف مظلم من حفير
ل ذوبها من حضنهم والحجور
سأم وللأثم من بنان الصغير
أسرفت في القتل ثم في التدمير
ساخرا من كرامة الجمهور
لأما قد خططت من تغيير

— ١٤ —

أنت داء وليس كالادواء
أنت وحش مازال في كل يوم
أنت أقوى ناب بشدق الرزايا
أنت رزء وليس كالارزاء
والغاً من شراسة في الدماء
أنت أمضي سيف بأيدي القضاء

أنت ذو سلطان على كل نفس
أنت في الحكم مستبد فلا ته
أنت في السهل والجبال من الار
أنت لا يخفى عن عيونك فرد
أنت باب يفضى بمن ولجوا فيه
منتهى للظهور في مسرح الكو
أنت في الارض حاكم والسماء
زل يوما فيه الى الآراء
ض وفي الماء كامن والهواء
في الدجي أنت مبصر والضياء
له إلى اللانهاية السوداء
ن لناس ومبدأ . للخفاء

- ١٥ -

نكصت عن لقاءك الاقوام
أنت جلاد الناس تسرف في الة
كلنا في أمواج بحرك نفنى
يملك الشيخ الهم والرجل الكا
لك في محقنا تمد الليالى
واذ ما انتجمت جبا سايما
واذا كنت نازلا بمكان
ان داء به تدوت الصعالي
فاذا أنت الوائب الهجام
تل وأنت المفاجيء الهدام
ثم لا يفنى بحرك القمقام
هل والطفل راضعا والغلام
والليالى تمدها الايام
كثرت من روادك الاضمام
فهو موبوء ليس فيه سلام
ك كداء به يموت الهمام

- ١٦ -

تبلغ النفس يوم أودى مداها
واذا ما أوديت كانت حياتى
انما من حقيقى كل شىء
في حياتى ذاتى وأما المنايا
هويت نفسى أن أعيش وان لم
واذا ما نفس أقامت برمس
اذا ما باننت عن الجسم نفس
ويج نفسى فاتها بتلاقي
لاسماء ولا نجوم أراها
قد أتى من أيامها منتهياها
كيف صبرى عنها ومالى سواها
فهي فقدانها فلا أرضاها
تلك في يوم حرة في هواها
فتمد اسود ليلا وضحاها
يتساوى ضلالها وهداها
بفتية حثيفها فها أشيقاها

- ١٧ -

لا أرى عوض الشمس بمدبواري تتجلى في صبح كل نهار
لا أرى ما يزين جوف الليالي من نجوم زهر ومن أقمار
لا أرى الزهر باسمًا في رياض ظلها قبل الصبح صوب القطار
من عزار وزنبق واقاح وشقيق ونرجس وبهار
لا أشم الأزيج تحمله الار واح قد مست جانب الازهار
ثم لا أسمع الا غاريدها من الدوح جوقة الاطيوار
وحفيف الاشجار قد مرت الر يح بها في العشي والابكار
وخرير المياه في النهر تجري وعلى وجهها ترف القمارى
لا سماع ، لا رؤية ، لا شميم ، لا مذاق ، لا لمس ما في جوارى
أنا بعد الردى لفقدان حسى حجر جامد من الاحجار
تتوالى حوادث الدهر فوقى ثم أنى في حفرتى غيز دارى
وستبقى آثار فكرى بعدى ثم تفنى كغيرها آثارى

- ١٨ -

إن أفارق حسى فماذا اعتياضى عن شعورى وذكريات الماضى
كلما عادت فؤادى ذكرى ماضى لى انتفضت أى انتفاض
وعن الآمال التى لى تبدو كنجوم من نورها فى بياض
يوم كان الشباب غضاً فأمشى مرحاً فى ثوب له فضفاض
فسلام على الشباب الذى قد بان عنى وعهده الفياض
شوق البلبيل المتيم لما أبصر الورد دائم الاعراض
واذا البلبيل المهان تولى فسلام على عروس الرياض
أثرانى أذنو لحكم المنايا ان أرادت أخذى بغير اعتراض
أنا بالموت إن تيقنت كونى بعده واجداً حياثى راضى
خير أنى أشك فليتان - الدهر فى بقة نلما هو قاضى
أنا بالشعر بعد أن هد صرف - الدهر صرحى أبكى على الانتقاض

المنايا لها سببهم وأنى غرض واحد من الاغراض

— ١٩ —

بعد موت هذه الاجساد
أيها الموت انت فى كل حين
هى تبنى وأنت توسع هدمًا
أيها الموت لا أبالك لأنا
قد من الناس من تشاء تجده
رب ناس ماتوا جميعا وناس
وقبور بنين فوق قبور
أزف الوقت أن أصير الى ما
وأخال الزمان ذا دوران
ويعود الانسان يوما كما
اننى لم أخاد الى غير حق

— ٢٠ —

أيها الناس إن أردتم خلودًا
واجعلوا فى يديه غلا ثقيلًا
واسكبوا فوقه نحاسًا مذابًا
وابتنوا حوله من الصخر سورا
ارفعوه الى السماء وردو
وارصدوه من البعيد نهرا
فعسى أن يبقى بذلك عما

— ٢١ —

بين ما قلت والحقيقة بعد
انها فى يوم تجيء فإن جا
انها ثلثة الحياة التى قد
مالى من المنية بد
ت فما ان لها يكون مرد
وسعت وهى ثلثة لا تسد

ولعلی اذا رقدت بقبری
 بعد موثی يطیب لی فیہ رقد
 اننی ان رقدت فیہ فلا یر
 عجنی کالاحیاء حر ویزد
 ولعل الحیاء ضرب من الفع
 ل تخفی والموت للفعل رد
 أو هی الکهرباء حشواً للخلايا
 وهو للکهرباء منهن فقد
 لم تزل هذه الطبیعة تبني
 ولما كانت قد بنته تهد

— ٢٢ —

ان بین الحیاء والموت حرباً
 هو یبغی سحقاً لها وهي تأبی
 ولقد یجمع الجرائم أجناً
 دا لها صولة فتزحف إلهاً
 وتذود الحیاء عنها بجمع
 من کریاتها وجند معی
 ویكون الصدام بین الفرقة
 بین عنیفاً وتلهب النار لها
 تلك حرب بین الخلايا واعداء
 والخلايا تجدد طعنا وضرباً
 وهناك القتلى تمزق اشلاء
 وتلك الاشلاء تؤخذ منها
 ولقد تبرز الحیاء ظهوراً
 بعد لائی وقد تهددن غضبی
 واذا الموت بعد ذلك ألفی
 خوراً فی الحیاء یمجم وثباً
 وتظل الحیاء تدراً عنها — الشر حتی تعیا فتقضى نجماً
 ربما كان الموت أجدی لناس
 ركبوا مرکباً من الذل صعباً
 أي خیر من الحیاء لعان
 کل یوم فیها یعالج کرباً؟
 بغداد فی ٢٠ مارث سنة ١٩٢٨

جمیل صدقی الزهاوی

مذكرات (أنا)

بقلم (ى)

— ٥ —

لديك فكرة عن عهد جاهليتي ، ذلك الوقت الذى كنت فيه بوذيا أرفع تحت قدمي صنمى المقدس معتقداً بأنه أنعم وأعظم كائن على ظهر البسيطة. وكنت لا أرى أوجهه المتعددة ولا جموع البشر الملتفين من حوله . وانى لى أن افهم أن كل انسان من هؤلاء كان مثلى قانعا بأنه الحبيب المختار دون البشر أجمعين ؟ . لا تضحك أيها القارى. فان الملمد لا يعرف معنى للايمان، ولاجل هذا تنفرج شفته عن ابتسامة تهكم. انك لو قلت لى يجب الاعتماد على العقل دون العواطف جاء دورى لاضحك ملء شدى. فانى استحلفك أن تحاول تصور نسبة ما تعتقده لما تتعقله فمتى تبين لك انك مؤمن أكثر من مفكر خفف عن غلوائك ولا تتبادى في استهتارك وشاب ايماني شائبة من الاحاد عندما جرحت فى احساسى فتولانى اليأس القاتل وانقلب الحب بغضاً شديداً وكان هذا فى الوقت الذى رجعت فيه الى الوطن. وكأنتى بالشاعر الذى يقول « علام الحب لا تخفى على أحد » اصدق من نطق بحكم ، فاشتم الاهل ما حاولت اخفاؤه ففوتحت فى مسألة الزواج وبعد تمنع قبلت وأنا أرمى بقبولى لاخذ الشار والمعاملة بالمثل لا أكثر

ولم يفكر الناس الا فيما تصوره عن مجربات السعادة فتكلموا فى شينين لا ثالث لهما المال والجمال . المال الكثير المغرى والجمال الجذاب فابت نفسى الاستسلام تماماً دون قيد ولا شرط ولذلك طالبت بان أعاشر لآزواج عن علم ، فاستفظم طلبى وعدجها لا وعدم نضوج. وهكذا أخذ حل هذه المسألة دوراً كبيراً انتهى بانتصارهم على ذلك بالتوفيق بين نظريتي « كيف يمكن لانسان أن يختلى بامرأة لم يرها بالاقل بضع مرات ليألفها وتألفه بل كيف يمكنه معاشرتها وهما لم يختبرا ذوق بعضهما » وبين نظرياتهم التى تلقوها عن حملة العائم الاعلام التى تحرم مشاهدة الرجل لامرأة ومكالمتها . وقد فتقت لهم الحيل أخيراً ان يزوجونى من ابنة كنت لعب معها منذ عشر سنوات على الاقل وهكذا رضيت وشر أهون من شر ولكن انتصب

أمامي شبح آخر ليحول بين الزواج فكان طمعي في ثروة والد العروس، لأنني عولت على عقد زواج مادي، يتعارض مع شحه الغير محدود من جهة ومع حب الظهور مع الانفاق بلا حساب وهو رأي والد العروس من جهة أخرى وأخذنا نتجاذب حق السيطرة فالوالد يريدني أن أقنع بما يليه على من مشيئته والام تريدني دمية في يديها وأما أنا فكان جهدي منصرفا نحو الاسراع لاقتطاع نصيبي من الثروة في أقرب فرصة مع ميل الى التظاهر بالسيادة وهكذا انقطع الحبلى

وكنيت أحن في هذه المدة الى بيتي الأولى، ورجع الايمان يضطرم في قلبي ثانية فهرولت الى الهيكل وهناك جنوت بين قدمي البوذا فلم أشعر برهبة ولم يتملكني الخشوع الذين كانا يلزاماني قديما وعندئذ فقط تبين لي أن صنمي المحبوب لم يكن إلا مادة عادية مكونة من لحم ودم كأي مادة أخرى وبالطبع خجلت من نفسي واحتقرتها فرجعت ادراجي الى حيث التقيت بمن كانت نصيبي المقدور لي

ولا تسأل عن المشاق التي كابدهتها حتى أتيح لي الخلاص. أليس من العجيب أن يغضب كل الناس لأنني انظم حياتي حسب ما أريد؟ أليس من الغرابة أن كل من كان يحيط بي أعتقد أنه هو وحده صاحب الحق في تدبير شئوني؟ فكان الجميع امام رجل يحاول أن ينفق مالا ليس له فيما يراه صالحا لي، فاذا أبيت الاعمل ما أراه ادار لي ظهره غاضبا، أو امرأة تريدني امثل دورا تتخيل هي فيه لذة لا استملحها واذا ما امتنعت تبرمت. ولا أريد أن أطيل عليك الكلام فاقول باختصار انني خسرت المعركة فانهت مراسيم الزواج المضحكة بطريقتا كرهاها ذلك في نفس الوقت الذي أغضبت فيه كل مديري التنظيمات من الاهل والاصدقاء والجيران والمعارف ومعارف معارف المعارف. وهنا يجدر بي أن أذكر أن المأذون المحترم أبي إلا أن يكون قسا، فبارك زواجي بدعواته الصالحة، ومن يدرى فر بما يأتي وقت يكون رش الماء فيه من مستلزمات الزواج الاسلامي المقدس

وفي إمكاني الآن أن أصف لك ثلاثة أنواع من الشعور الذي يمر بالشباب نحو المرأة

(١) شعور بالحب الجنسي وهو ميل شهوانى يرمى الى اذتشاف كاس اللذة حتى اذا ما ارتوى الرجل التى بالمرأة جانبا الى أن تتملكه اللذة مرة أخرى وهذا نوع يصبح أن يقال له «غرام فسيولوجي» تتطلبه قابلية الجسم للافراز .

(٢) شعور بالحب الخيالى وهى «ظاهرة نفسية» صرفة ونوع من أنواع الايمان الذى لا يتملك الشخص إلا في أوقات الشدة فيقيم في خيال السعادة لينسى مصائب الظروف القاسية التى تحيط به . وهذا النوع ليس أكثر من رد فعل ينتج عن تكاثف ضبابية من اليأس في أمن حياته

(٣) وشعور بالحب المادى القائم على الموازنة وتقدير المرأة حتى قدرها بعد بحث مواقع القوة والضعف فيها وفي هذه الحالة لا يرى الانسان فيها سراً يكرب أوصاله اذا مسها فاذا ما ألث التیار لم يتأثر منه، وكذلك لا يراها بعين الخيال لتتجلى أمامه بما تتصوره مخيلته من صفات الكمال البعيد عن النقص حتى اذا ثاب الى رشده ولو برهة وجيزة تهدمت تصوراته وذهب ايمانه لمجرد انه راقبها مرة وهى تأكل

فالحب المادى «ظاهرة اجتماعية» تدفع الانسان اليه غريزة القطعان وهذا النوع هو أبقي الانواع ، يبدأ استحساناً ثم يصير تفاهاً فصدقة فاعتماداً وينتهى الحال بان يصبح الزوجان ألزم لبعضهما من كثير من الضروريات ويرى كلاهما في الآخر ليس ممثلاً الجنس الثانى فقط وليس الآله المعبود بل النصف المكمل والمتكامل الممكن الاعتماد عليه

ومن العبث أن اوحال اقناع الشباب بوجوب اختيار النوع الثالث من الحب لان الاندفع من لوازم الشباب ولكن كثيرون هم الذين يذوقون العلقم جزاء اندفاعهم في أمثال تلكم الفترات

أليس الامر يكان محقون اذن في فكرة الزواج التجريبي؟ أظنهم محقون

— ٦ —

العالم ملوء بالسخافات وقد جارى العلم بعض ادعاءات المدينين اما لكونه لم يبحث الموضوع حقاً واما لان العلماء انفسهم مغرضون .

كنت أديبل منذ صباى الى تدليل الاطفال والالعاب معهم وكنت أتصور

اعتماداً على ما أملت على النظريات العلمية، اننى سوف لا أحيّد نظرى عن طفلى .
أليست نظرية توضيحية الاصل لذاته من أجل الخيالات التى يعززها العلم
ماتجئاً الى اسخف الامثلة، اذ يقول أن انقسام الخلية الواحدة الى قسمين ليس إلا مثلاً
طريفاً لا ندفاع الخلق لا كثر النوع بالفرينة مع ان أقل مطلع يعلم أن هذا
الانقسام لا يجمعه بفكرة التوضيحية أية صلة فهو ييم آلياً وبالأحرى قسراً وليس
اختياراً .

ها قد رزقت بمخلوقة زرقاء اللون يميل الى الاحمرار، قابلت ترحيباً أمها بها
والأمها المبرحة من جراء حملها إيها تسعة أشهر بصيحات رنانة مزعجة . فتنفست
الصعداء ليس ترحيباً بالقادمة بل سروراً بسلامة المتألّمة، فلطبيعة العرجاء تأبى على
المرأة غير الالم المبرح اذا ما حان لها أن تزيد سكان العالم المتألمين نفساً جديدة
وقضيت وقتاً غير قصير بقلق أتبين ذلك المخلوق البشع المنظر على راحتي وكان ما تصادفه
الام من التعب فى خدمة المنزل ومراقبة الطفلة مما لا يحتمله انسان إلا انها أظهرت
اقصى ما يخطر ببال انسان من الجلد والشجاعة ولم يكن فى وسعى استحضار يد
تقوم بمساعدة تذكر لهذه المخلوقة المتعبة المعذبة وهذا ما حدا بي الى التفكير وقتاً
طويلاً اسائل نفسي عما اذا كنت قد ارتكبت خطأ بالزواج أم لا ؟

أليس الزواج من الضروريات الاجتماعية والنفسية أو هو ليس بالاقل ضرورة
فسيولوجية ؟ اعرف أو لئلك الخياليون مقدار التعاسة التى يواجهها من ليس له مال
ليتزوج ؟ . وهل يفهم هؤلاء مبلغ شقاء المتزوج اذا كان رقيق الحال ؟ يريدون منا
قهر الطبيعة المادية ويطلبون منا خنق عاطفة الحب لا شئ إلا لاننا فقراء فاذا لم
نرض بذلك قالوا لنا انفسوا فى بؤرة الفقر والحاجة وهكذا ينشأ أولادنا فى الازقة
يخيمون بالخرائب لتدأ عنهم قر الحر وزهرير البرد . فاذا ما ثرنا امسكوا بخناقنا وقالوا
يا لكم من زناة او باش عديمى الضمير والاخلاق انتم لا تتناسلون ولا تفيدون المجتمع
الذى تتطفلون عليه وما الذى تقدر ان نجيب به أو لئلك القصيرى النظر وهم لا ينظرون
الى العالم إلا بمنظار الماضى، هؤلاء الذين لا يستحون من التفاخر بعصر كان الرجل فيه
يمتلك قطيعاً من الاناث دون ان يوبخه ضميره . ذلك الوقت الذى كان يتخذ الرجل

لذاته فيه اربع نساء وسربا من الخطايا فيطعمهن بسىء القوت فاذا ما مرضت واحدة اقصاها عنه واستعاضها بغيرها. هو الماضى، ذلت الوقت الذى كان فيه فك الخط من المؤهلات لتحمل المسئوليات. فهل يمكن لنا ان نفعل ما كان يفعله اولئك المتقدمون المتهوسون؟ اين يمكننا ان نسكن بنسائنا ودخاننا قليل؟ اين يمكننا ان نعلم اولادنا وليس لدينا مصاريف المدارس الباهظة .

الا ارجعوا لنا ذلك الوقت الذى كان يهب الآباء فيه الخطايا الى أبنائهم متى دخلوا دور البلوغ وارجعوا الوقت الذى كان فيه الرجل غنياً اذا بلغ دخله الف قرش لا أكثر. ان التطور الاقتصادى قد غير الحال عما كانت وتأتى عقليتنا الراقية علينا لرجوع الى العيش وسط تلك العصور المظلمة

على المجتمع اذا أراد تكييف الناس حسب ما يريد أن يقوم بعمل التسهيلات اللازمة لهم، فيجب أن يعطى للفقير مجالا للاستشفاء والسكن وللعمل بما فى وسعه أن يدفعه وبعده لا يكون لكم حق فى الضغط والحث، فالناس يتجهون الى حيث تريدونهم أن يسيروا دون ان تشيروا الى فهم الطريق السوى . أما الآن فالواجب أن تستمعوا الى صيحات النشء من أجل تحديد النسل ومن أجل الحب الحر وما شابه من الأقوال دون أن تتبرموا بالطبيعة دائماً عالية الصوت وقوتها لا تقهر وان اعجب فمن الشئ الذى يسمونه حذو الامهات ، الامر الذى اكاد اتلمسه بين الآباء فلا أجده امرا يستحق الذكر. فمثلا كم يترك الرجل خلفه من بناء وهو متباد فى رعونة الشباب دون ان تحدثه نفسه بالبحث عنهم واذا فرض وعثر على أحدهم قتلدا يهتم له. اما الام فتشملهم دائماً بعطفها وحذوها فهل هذا الحنو طبيعى؟ وهكذا اذا فقدت الام ابنها واجتمعت به فيما بعد عرضا دون ان تعرفه تشعر بميل نحوه؟ اليس للآلام الهائلة دخل مع الموضوع؟ اليس لاننا انما دخل فى ذلك فى الامر؟

اذ كر اننى زرت جماعة ولما جلسنا فى حديقة منزلهم بادرتنى سيدة المنزل بالسؤال الغريب الآتى: ما هو أحسن شئ تقع عليه عيناك فى الحديقة؟ ربما أن نظرى لم ينجذب لشيء مخصص. أعملت الفكرة طويلا ثم ذكرت أشياء

لواحد بعد الآخر دون أن أشبع ديارها للاقتناع . واخيرا سألتني عن رأيي في مقعد مصنوع من اغصان الشجر ولما اجبت بأنه مقعد عادي كثيرا ما نرى امثاله في الحدائق ونهت الى خطأ ظاهر في صناعته بصعد الدم الى وجهها وكان الزوج يضحك طيلة الوقت فقال انها هي التي صنعت هذا المقعد بيديها ولذلك تظنه احسن تحفة يقع عليها النظر في هذا العالم . وها انا أسائل نفسي الآن وهل هناك فرق بين ميل هذه المرأة لصنع يديها أن كان مقعدا أو طفلا؟ وهل هناك امرأة ترى في طفلها عيبا مهما بلغت درجته من قبح الصورة ؟

ولما كبرت ابنتي تبيدت عيناى على رؤيتها ومرنت على مداعبتها فأصبحت سلوى أضيع بها الوقت وأصبح لى ميل للتحدث معها بلغتها الاعجمية وأقبلت على مصاحبتهم اعمى كلما خرجت للرياضة بولست أدري بالضبط الدافع على ذلك أهو لتزييمها أم سماع الفاظ الاعجاب بها سواء بحق أو بغير حق لا شبع غرورى وسيأتى وقت تكبر فيه هذه الطفلة وتحاول ان تقف على رجليها فتختط لذاتها الخطط التي تثير غضبي وهكذا تذهب عنها الطهارة والبساطة وهما ظاهرتان للطفولة فاعمل جهدى كي أمنعها من ارتكاب ما أظنه خطأ وارقبها عن كثب متجسسا وشمرأ عن ساعدى .

وأخيراً... أجل وأخيراً ، تلقى بذاتها بين يدي شخص غريب فيغوصان معافى بحر الحياة الهائج تاركين أهلها يعضون بنانهم ندما وحسرة هذه هي الحياة كلها تعب ، كلها انانية ، وكلها جرى وراء المنفعة

(...)

مخصصة بتصرف

الصهيونيون

وصف الكاتب الروسي الشهير مكسيم غوركي أمة اليهود بأنها سيف ذهاب مشهور على رأس أوروبا (مهد المسيحية) ويسهل للمطلع على تاريخ اليهود الوقوف على مبلغ الاضطهادات المريعة التي لاقاها أولئك المساكين حين كانت أوصالهم ترتجف كل يوم من الهلع قديماً ، وهم لا يزالون حتى الوقت الحاضر مضطهدين في بعض أنحاء أوروبا ، حامية حتى المدنية ، اضطهاداً مريعاً يوم العصر وصحة خير مشرفة لو أمكن للقارئ تصور حال هذه الأمة وهي تتحمل الضربات الحالية صابرة على الضيم مجدة في العمل لاجل لم شعنها وتوحيد صفوفها لتكون كما يجب أن تكون أمة لها مكان تحت الشمس ، لاشك لا يتالك من التصفيق بكلتا يديه تشجيعاً لما للمضي في طريق تحرير نفسها من طغيان المتعصبين ضد السامية

وانك وانت تقلب صفحات التاريخ القديم والجديد لا تملك نفسك من الاعجاب عند ما تقرأ أسماء يوسفوس وغيره من المتقدمين وماركس وماكس ترردو وذر رايلي واينشتين وبرغسون وغيرهم من المتأخرين ، خصوصاً متى وقفت على مبلغ الدور الهام الذي لعبه كل منهم على مسرح هذا العالم . وكانت ادوارهم أدوار بطولية حقه فخرهم فيها يزيد كثيراً عن نصيب غيرهم منه ، لانهم تغلبوا على الصعاب التي تصادف كل الابطال ، وزيادة على ذلك فتبهم زلوا صعوبات أقامها البعض في طريقهم عدداً وبسوء قصد

ويجب أن لا ننسى مطلقاً باننا كشرقيين ابناء عمومة اليهود ، وليس هذا فقط بل نحن وإياهم شقيقان تجمعنا الدوحة السامية ويجب ان لا يغفل المسلمون ان اليهود هم أسباتنتهم ، وهم أكثر الناس تأثيراً في تأسيس ما يسمونها المدنية الاسلامية

فكر اليهود كثيراً في موقفهم كامة من واجبها الدفاع عن كيانتها وبعد محاولات كثيرة توصل عقلاؤهم بوجوب تعيين مكان ليعتبرونه وطناً قومياً لهم فانتخبوا بقاع كثيرة كالارجنتين وشاطى افر يقيا الغربى وفلسطين ولكن أخفقت جميع التجارب الا في فلسطين (أرض الميعاد) حيث امكن لزعمائهم اقناع سواد اليهود بسهولة على وجوب الرحيل مستندين على نظريات شتى قائمة على اعتقاد الأمة اليهودية

أن البعث والنشور سيقتعان في الأرض المقدسة ، فلا يلاقى الذي دفن فيها مشقة الوصول إليها في حين أن المدفون بعيدا عنها سيضطر إلى حفر نفق في باطن الأرض . يوصله إلى أرض الميعاد ويكون ذلك بعد قيام الساعة لا اعتقادهم أيضا بأن المسيح سيهبط من السماء في طبريا على قول وفي صفد على قول آخر أوفى محال أخرى جميعها في فلسطين المقدسة. هذا مع ملاحظة أن اليهود لا يسمون بمسيح النصرانية بل هم المسيح الموعودون به منتظرون ، ويجب أن لا ننسى أن كتبهم المقدسة تحت على الانتظار في أرض الميعاد وتطلب من الله تمهيد السبيل إلى لم شملهم في مملكة داود هذا سبب مهم لاتفاق زعماء اليهود على فلسطين دون غيرها لتكون وطنًا قوميا لهم . وأما السبب الآخر فهو حسن معاملة المسلمين لهم خصوصا وأن اضطهاد محكم التفتيش الذي كان موجها اليهم وإلى المسلمين معا نتج عنه انسحاب الشعبان خارج أرض الاندلس فتمكن اليهود من التنقل في بلاد المسلمين إلى حيث شاءوا فاستقر بعضهم في أرض (موآب) المآب ، وقاموا بشعائرهم دون خطر ، وكذلك وقعت بهد ذلك خلال القرن التاسع عشر مذابح في روسيا فلم يكن لأولئك المساكين من مفر إلا الاتجاه إلى أقرب بلاد أمين فتخطوا الحدود إلى الأراضي العثمانية ومن هناك قصدوا أرضهم المقدسة للإقامة فيها

مما سبق يتضح لكل منصف أن للصدف دخل كبير في استقرار رأي اليهود لاتخاذ فلسطين دون غيرها مركزا ينشئون فيه وحدتهم السياسية الاجتماعية كما وأن للتعالم الدينية تأثير مماثل في هذا الاختيار

وأنشئت الجمعيات لايواء أولئك المشردين ، فكانت أول مستعمرة منظمة هي ريشون لي زيون Richon Le Zion للمهاجرين الروس وقد اصبح بحث الآن مركزا مهما ، والف يهود رومانيا بعد ذلك جمعية أخرى انست مستعمرة « زمارين » وتابعت الجمعيات المختلفة بعد ذلك تأسيس المستعمرات دون أن تربطها رابطة إلى أن ظهر للمثريين من اليهود نجاح المشروع فوحدت الجهود وأنشأوا مع مفكر يهودي حكماؤهم جمعية مركزية للإشراف على حركة الاستيطان في فلسطين واسم هذه الجمعية

« جمعية الاستعمار اليهودية » Jewish Colonising Association

ولفظة الصهيونية مشتقة من جبل صهيون القائمة على سفحه مدينة القدس
ولفكرة الصهيونية رجال يجب أن لا تغفل عن ذكر «هرتزل» منهم وهو العالم اليهودي
الالماني الذي تفرغ للدعوة الى الحركة المذكورة وبلغ رسالته في كتابه «الحكومة
اليهودية» وهو انجيل الصهيونيين الى الوقت الحاضر، والصهيونية نظام اجتماعي
Communitistic (ويعر به البعض نظام اشتراكي واعتقد ان تعريبي اوفى . ولو انه
اكثر ايهاما من التعريب الاخير) يرمى الى التجديد ومتابعة النظريات العصرية
والعمل على تكوين مدينة يهودية قحة جديدة واحياء اللغة العبرية وخلق (وهذه
اللفظة خير من قولنا وحياء) ثقافة يهودية جديدة وكان قد سبق هرتزل يهودي آخر
حاول الترويج لفكرة وجوب اندماج اليهود في العناصر التي يعيشون بينها فاليهودي
المقيم في بريطانيا يجب أن يكون بريطانيا والذي في فرنسا فرنسيا اه فسفدت تعاليم
الرسول الجديد مارآه مندلسوهن صاحب نظرية العناصر، وهكذا لم يعد لمندلسوهن
أنصار يعتد بهم في الوقت الحاضر .

واذا سألت عن نظام المستعمرة الصهيونية فاعلم انك تجده نموذجاً راقياً للحياة .
فلكل عائلة منزل صحي مضاء بالكهرباء محبوب اليه الماء يختلف حجمه باختلاف
الثروة ولكن لا ينعدم التجانس كلية بينه وبين سواه كما هو الحال في الامكنة الاخرى
فانك ترى مثلاً بيتاً يحوى أربعة حجرات عبارة عن طابق واحد تحيط به حديقة
صغيرة قائما بجوار قصر لثري يتكون من طابقين لا تزيد عدد غرفه عن العشر
تلتف من حوله حديقة متوسطة السعة لا يزيد الاعتماء بها عما تناله حديقة المنزل
الآخر وكل الابنية نظيفة يتفاوت أثاثها من حيث القيمة وليس من حيث الاستعداد
ويخصص اصحاب المهن إحدى الغرف بمنازلهم لمزاولة مهنتهم فيها وانك لتجد
اسم صاحب ورشة النجارة معلقاً على باب منزله فاذا القيت نظرة الى الداخل ترى
منهم كما في عمله بهدوء ونشاط . وأما الفلاح فيحتفظ بغرفة يؤوى فيها ماشيته
ويحفظ فيها آلاته . فاذا ما سرت في الطريق مبكراً في الصباح تجد ان اللائق يخرجون
ازواجا وجماعات الى الحقول وهم يقودون مواشيهم معهم وخلفها أو على ظهورها
الآلات الزراعية الحديثة وترى الرجال والنساء . وهنا يجب أن أقول الشبان

والشابات لانك قلما تعثر في طريقك على كهول وذلك ناتج من تشييد المهاجرة بعدد مخصوص ولذلك ينفذ الى فلسطين صغار السن أقوياء البنية من اليهود فقط ، لا بسين ملابس العمل بيضاء نظيفة متوجهين الى مزارعهم وأما الأطفال فيركضون الى معاهد العلم لان التعليم من الواجبات عندهم ، حتى انك لا تجد بينهم يهوديا غير ملم بالقراءة والكتابة فاذا ما قاربت الشمس من المغيب استبدل الكل ثياب العمل ليقصد بعضهم النوادي والبعض المدارس الليلية والبعض قاعة المحاضرات و بعد الغروب يستنشقون النسيم العليل في المتنزهات ثم يستسلمون بعد العشاء لسلطان النوم

وحقيقة انك لا تهالك من الشعور بالسرور وبالراحة وأنت تقضى وقتك في هذا الوسط الراقى خصوصا متى علمت انهم يفضون منازعاتهم دون التجاء الى الحكومة قدر الامكان ولهم نظام لنقل البريد

وهنا يجب أن أذكر شيئا عن نتائج الهجرة اليهودية الى فلسطين وما تسببت عنه من شقاق بين « العرب » و « اليهود »

ذهبت محاولات اليهود لاخذ موافقة الدولة العثمانية على فكرة الوطن القوي هباء، وذلك قبل وقوع الحرب العظمى، فلما توذلت أوروبا في الحرب واصبحت في حاجة الى المال لمداومتها، اظهر كبار الماليين من اليهود سبائكهم الصغرى لدول الوسط مشرطين الاعتراف بالوطن القوي . فسعت ألمانيا والنمسا وبلغاريا جهدها لاقتناع تركيا للاعتراف بذلك، فابت خوفًا من انتقاض العالم الاسلامي عليها . ولما خاب أمل اليهود وجهوا جهدهم صوب المؤتلفين ففازوا بعهد « بلفور » وهكذا كان من أهم أسباب انكسار دول الوسط امساك اليهود عن امدادهم بالمال واليس من الغريب ان ألمانيا عقدت عدة قروض داخلية في ابتداء الحرب فكان كل منها يغطي عشر مرات أو أكثر في مدة يسيرة ولم تكن قد ثبتت اقدامها وظهرت بمظهر القوى القادر بعد ؟ ثم انقلب الحال بعد ذلك فاصبحت تفرض الاكتتاب فرضا حين كانت جيوشها قد اكتسحت روسيا وفزت بلجيكا ومنطقة غير صغيرة في فرنسا وردت ايطاليا الى ما بعد حدودها ؟

فلما وضعت الحرب أوزارها وقبض البريطانيون على دقة الحكم في فلسطين ندموا على الوعد الذي قطعوه فاشعلوا في العرب روح العداوة للصهيونية فهب أولئك متحمسين لدفع غارة المهاجرين وحدث بين الطرفين ما يؤسف له . وكان للعرب دافع الى ذلك ، فان نشاط اليهود كان على أشده فبدلوا الجهد لتوريد أقصى ما يمكن توريده من المهاجرين ومن المال وتفننوا في شراء العقارات ببخس الثمن فصرخوا بالتجارة المحلية ضربة قاضية اذ باعوا بأسعار مخفضة جدا ما كانوا يشترونه من السوق المحلي بأثمان عالية وهكذا استحلوا ممتلكاته الغير بطرق شيطانية

وحاولوا أيضا السيطرة على المصالح ثم عملوا على استبدال العرب باليهود حتى لا يتركبوهم عالة عليهم مدة طويلة الى أن ينظفوا شؤونهم . فعمات انجائنا سرا جنبا الى جنب مع العرب لدرء هذا الوباء . وقد تخرجت الحال لدرجة أنها كانت تستورد الاسلحة من الخارج سرا لليهود الذين كانوا ينفرون الخنادق حول خيامهم ويعززونها بالمتاريس لعلهم بان السلاح كن يوزع على العرب بلا ثمن وبكثرة وتدارك الامر العقلاء فاقبل اليهود من غلوائهم وحدث ان خففت العقوبات التي صادفوها من اندفاعهم ، فعند ما شعر العرب بتحسن الحال عادوا الى استكاثهم . وأما بريطانيا فقد غطت الميدان بحفنة من رماد والآن يكاد الاستقرار يلزم الحالة لولا ما يقع بين وقت وآخر من الاحتكاك ، واغايبه غير متصدد ، وفي بعض الاوقات يحاول بعض المغرضين تحريك النار الهادئة لاشعالها قصد جر المغنم لانفسهم .

وهنا يجب ان أتساءل « هل سيفلح اليهود في « صهيينة » العرب — وربما الشرق العربي كله — أم سيطردهم العرب من فلسطين ؟ »
اما انا فاعتمد اننا سنكون تلامذة اليهود كما تلاميذنا لهم سابقا وقد بنيت حكى هذا على انهم اغنياء متعلمون نشطون ، ونحن فقراء جهلة متواكلون ، ومع وجوب ملاحظة اننا فرعى أرومة واحد تو تسكاد عقليتنا تكون متماثلة ، فليس من الصعب علينا الاقتداء بهم في كل ما سيفعلونه

عمر عنایت

رحلة

فنى بهلر الواق

فصل ممتع من كتاب العالم العلامة والبحر الفهامة واحدة زمانه ، وسيد عصره وأوانه ،
الاستاذ المبجل فضيلة الشيخ شأبوب الزاجل غفر الله له في الدارين ؛ وقد عني بنشره وبشرح
الفاظه الفنية وعلق عليه الحواشي والشروح الفقير اليه تعالى حسين محمود المذبح

قال استاذي والله أعلم، كنت وفقني الله وإياك قد انهيت صلاة التراويح فأنعكفت
جانبا اقرأ سورة القدر ، وكان ذلك في الليلة المباركة التي ذكر البارئ عز و علا
انها خير من الف شهر . فرأيت باب السماء بغتة قد انشقت واذا بصوت القى في قلبي
الروح يقول سل ما تشاء وربك لا شك مستجيب فغضضت بصرى هيبه والقيت
نفسى على الارض وعندها مرت فكرة زيارة بلاد «واق الواق» على خاطرى
مرور السهم دون قصد ، وأذا بالنور قد تلاشى ، فندمت على تأخرى عن بسط
امنيتى فى تلك البرهة المباركة ، وأخذت ألوم نفسى على الجبن الذى اظهرته طورا
وكنت أهنىء نفسى للحظ الذى حبانى الله به طورا آخر ، وبيدنا كان يرقص فؤادى
جبورا مرة ، وتبال أدمى شمر لحيتى مرة اخرى ، خاطبنى زنبور (١) قائلا
ما خطبك ، فاخبرته بخبرى وقصصت عليه قصتى فتبسم ابتسامة لطيفة و بشرنى بان
ما طلبته قد استجاب له القادر على كل شىء وأشار على بركوب متنه ففعلت واذا به

يسير بنا يطوى السماء كأنه من الريح الا انه قد تجسما

يجوب أديم السحب قفرا وعامرا ويترك ضوء الشمس اغبرا قما

و كنت فى مجلسى كالطود الراسخ اجيل عيني فى السدم (٢) المنتثرة فى الفضاء
وهى تحديقى فى دهشة وعجب . وعلى بعد شاسع من فضاء اللانهاية تطلمت الى
ادنى فاذا برأس الحوت الحامل اثور الارض يتألق كالجمرة فبدأت مطيتى تفسرلى
ما أغلق على من المدهشات فتالت اعلم وقتك الله ان هذا الحوت ليس أكثر من
بسارية (٣) حقيرة افرزت الارض لاول مرة فحملتها على ظهرها للذكرى

(١) الزنبور هو منطاد السماء

(٢) انوار كهربائية تزين بها السماء فى الاستقبالات والاحتفالات

(٣) مدرعة من طراز الدردنوت حمولة مليون الف طن بها الف الف مدفع سعة فوهة كل
مدفع منها مائتى الف ذراع

غير انها خشيت ان يطغى عليها السمك على حد قول بعضهم، أو رغبتة للاكبار من شأن ذاتها حسب قول آخرين، فأفرزت ثورا حملته اياها (١) على قرنيه . واما الشمس والاقمار والنجوم فهي افرازات اخرى بعضها كبير وبعضها لايزيد في حجمه عن حبة الحمص . أما السبب في كونها منيرة في بعض أوقات ، دعتمه في الرقت الآخرة فلانه قد قدر على أهلها انارة منازلهم ليلا (الا الشمس فان الانوار تضاء في بيوتها من وقت الشروق الى وقت الغروب فقط) والسبب في ان الشمس والكواكب والنجوم تدور تأتية في السماء هو السحر . فان ابليس الناعين يراها فيظنها ماسا يتألق ولذلك يعوز عايتها عساها تقع فيبيعه للجواهرجية مثل شيكوريل والماوردي وسحبان ، ليتمكن بثمانها من ارشاء المؤمنين على متابعة تعاليم طه حسين وصاحب العصور وغيرها من المحدثين والعياذ بالله ، اسأله جل وعلا ان يكتب لي سهما في الجنة وهو على كل شيء قدير . ومررنا قيد شعرة من الشمس فإشار لي سكانها بايديهم ان أقبل علينا على الرحب والسعة فبرزت لهم رأسي معتذرا ولم أدهش لذلك الكرم العربي فقد رأيت في جميع المحطات التي مررت بها ومن الغريب انهم جميعا يتكلمون العربية الفصحى مع فرق طفيف لايزيد عن الفرق الموجود في أروقة الازهر الشريف العامر . واعتقد ان أصل سكان هذه الكواكب هم من العرب الذين ضلوا بنوقهم في الصحراء ، فأف بهم الجن المؤمنون فاهدوهم الى اقرب مكان عامر

وعندئذ اظلمت الانوار كلها فطلب مني الزنبور ان أتشجع وأردد عدية يس ففعلت واذا به يخفف الوطء وأخذ يسير بتؤده على شعرة من نور تحتها فراغ وتكتمتها الظاومات (٢) من كل جانب وبعده مسيرة الف الف فرسخ وصلنا الى الجانب الآخر سالمين واذا بالزنبور المسكين يمسح العرق من فوق جبينه فيبال منديلين أو أكثر ثم عصرهما واذا بالماء ينهمر مدرارا الى أدنى فعلا الصراخ

(١) يقول سهلان عن يافع عن ابن جديب حدثني فوزان أنه سمع قعيس يقول أقسم بالله العظيم وبكتابه الكريم انني تطلعت من حافة الارض مرة فرايتها واقفة على قرن واحد فاذا ما تب الثور نقابها الى القرن الاخر وهذا سبب وقوع الزلازل واسم هذا الثور سؤران اسفان (٢) يقول الاستاذ الفاضل ان الشيطان جزاء الله انساب أن يوقد الشمعة التي كانت

وركضت الخلائق الى شقوق هنا وهناك فضحك الزنبور ملء شديقه واذا به يضع إبهام يده اليمنى فوق أنفه ويحرك الاصابع الاربعه الاخرى. ولما لم اخرج جوابا عند ما سألتى عن أولئك الناس قال هؤلاء هم قوم يأجوج ومأجوج (١) اما الظلومات فهي البسد الذي اقامه الله بيننا وبينهم الى يوم القيامة

وتمت هذه الرحلة فى غمضة عين قتال لى الزنبور ها قد قرب بنا من بلاد واق الواق البعيدة عن أرض العراق ، وبعد ما قطعنا عدة آلاف آلاف من الفرائخ هبطنا على درة مكنونة وجوهرة يتيمة فاذا بنا على باب واق الواق ، وما أدراك ما واق الواق ، بعد وتلاق ، ولسم العقرب دريق ، منازل شاهقة مثل منازل القاهرة (٢) بنيت من الذهب والفضة ، لبنة من هذا ولبنة من تلك ، وقد انتشرت الجواهر هنا وهناك فازداد المنظر بهاء بحيث يستلب الالباب ويذهب بالرشاد وهناك لازواج ولا طلاق ، فالغيد ترتع تحت الافسان والولدان يكرعون اللبن والعسل بآنية من ماس وتحت أثمار الفواكه المختلفة كالتين والتمر والخوخ والبرتقال وأنواع كثيرة اخرى مما لم تره عينان ولا سمعت به أذانان ، يجرى نهر ماؤه عسل نحل واخر ماؤه لبن حليب وثالث ماؤه كافور . وكان أول ما فعلته اننى أردت أن اطفى عطشي فقصدت نهر الكافور فاشمأزت نفسى من لزاجته التى فكرتني بزيت الكافور ، فخرجت على نهر العسل فوجدت الشع قد أخرج منه وما شربت منه قليلا حتى مجته نفسى فتقيأته لانه لا يهضم سريعا ، واخيرا شربت قليلا من اللبن فسبب لى اسهالا لانه لم يكن ساخنا . وحاولت ان أجد طعاما ولكن عبثا ما حاولته فاكلت من الفاكه كميات كبيرة سببت لى آلاما فى البطن الخاوية ولم أجد هناك دكاكين ولا محال بقالة ولا أى مظهر من مظاهر العمل وكنت كبا حاولت التكلم مع أحد نفر منى مستعيذا بالله ، وبعد التى واللثيا رفع الله عن بصرى الغشاء فعرفت ان السبب فى نفورهم ليس أكثر من ملابسى التى استر بها عورتى لانهم لم يعتادوا رؤيتها ولا يعرفون كيف يتاح لهم الحصول

(١) خلائق صفار لا يز يد طول أحدهم عن شبر ولكل اذنان يلتحف باحدهما بينا بنام على الاخرى وساحاول ان انشر مقال الاستاذ عن سياحته فى تلك البلاد فى عدد آخر (١) هذا تواضع من الاستاذ لاننى اعلم من ثقبه انه رأى هناك ناطحات السحاب كما فى امريكا

على السراويل وغيرها من أنواع الثياب ؟ وكم كان خجلى عظيما عند ما مشيت
لاول مرة فى الطريق عاريا ، ولكن زال خجلى عندما تفاهمت معهم فاستغربوا
استثنائى . عن الخبز واللحم والارز وخلافه فهم لا يعرفون الا الفاكهة واللبن والعسل
والسكفور وكان أول ما أشاروا به على أن اختار من الغيد والماليك حاجتى فاخترت
عددا قليلا فبرزوا منى ولما قلت ائتونى بماذون استلقوا على ظهورهم استخفافا
ضاحكين وفهمت انهم غير مقيدين بزواج ولا بطلاق فتقضيت بضعة أيام انزه
نفسى على طريقتهم فانحلت قواى وصرت عاجزا عن السير المستقيم فامتنعت عن
هذا العمل المتعب وقضيت وقتا مع كبير منهم اسأله عما يعلمه فلم يعرف شيئا الا
أن الله قادر موجود وان نبيه هو فلان وعدد لى بقية الانبياء والرسل ، فسألته
هل شق موسى البحر فانطلق فلم يفهم ما أردته لانه لا يتصور معنى البحر فلما اشرت
له الى النهر امكن له تصور البعد والغور وقال اجل فى امكانه وسألته عن الشقاق
القمر فتمال انه لا يعرف الشخص الذى أتكلم عنه لانه لم يمر به . سألته عن ايمان
أهل الكهف فدهش لانه ليس لديه فكرة عن بلد اسمها الكهف . فوجدته ناقص
الايمان لسوء الحظ ولذلك بدأت ادلى له بمعلوماتى فكان يضحك ملء شديقه
ويقول بوقاحة ان الخرافات التى أرددها على مسامحة مسلية للغاية . وسألته هل
طالع لامية الطغرائى أو الفية ابن مالك قتال انه متمتع ولا يريد ان يشقى بالعمل ولما
ضقت به ذرعا تركته وحاولت ان اشغل نفسى ففتقت لى الحيلة أن أغلى قليلا من
اللبن عساي استطيب العيش بين الذهب والياقوت والزمرد ولكنى لم البث ان
اضرمت النار بالاحتكاك حتى هاج الخلق وماجوا وقالوا الى الصلاة الى الصلاة لنطلب
من الله اخراج هذا الساحر من بيننا فهرولت الى مطيقتى ورجوتها ان تطلق ساقىها
للريح ففعلت وكنت فى أشد حالات اليأس خوفا من المطاردين وتألما من المعسدة .
فكنت لذلك كلما مررت على جماعة سمعوا دوى الرعد فوق رؤسهم فيهربون
حتى لا تتسخ جسومهم من اللبن والعسل الذين كانوا ينهمران عليهم دون حساب
تذييل — ها نحن قد فتحن بابا نحونا فيه منحى الاوائل تلبية لطلب الذين عتبوا
علينا عدم الاهتمام باحياء علوم السلف ، فاذا راق هذا البحث للجسمهرون القراء

نقلنا اليهم في عذد آخر فصلا عن بلاد يأجوج ومأجوج وبذلك نكون قد
احيينا بعض الشيء من علوم الجغرافيا والتاريخ والفلك على ما عرفها القدماء.

حسين محمود



الخطيئة

تمثرت فانهض لما	لملك من عثرته	سبيلك محلولك
فان شئت هديا تته	ترد عقابيله	وتصرف عن غايته
أجد بأسلافنا	فسار وادلى حلكته	وراحوا أخار شدة
غريراً على رشدته	وآخر في ضلة	تمرد في ضلته
وكل على حيرة	يهدى الى ملته	يرى الحق في دينه
فيبغيه في زمرة	وما المرء الا قوى	من الروح في صورته
فبعض الى خيره	وبعض الى شرته	دوايب في شرة
غلابا على شرته	يجول بميدانها	المشرع في صيقتة
فسوقا الى ناره	وسوقا الى جنته	وما المرء ما شأنه
يعيش بلا خيرته	يساق بلا شبيته	ويظهر في شبيته
وما السوء يوم غوى	وما الخير في مخبته	وقد بات مهزومة
قوى الرشد في فطرته	هو الله سبحانه	تحيرت في حكته
فما زال ما شاءه	رموزاً على آيته	له الشأن لم يطالع
سواه الى قنته	نهي آدم حينما	قضى الامر في زلته
وناجي ابن عمران والسا	مرى على فتنته	وقد شاء من مرهم
سوى العهد في شرعته	ومن شاء لم يهده	بذنوب على خطته
ومن شاءه واسل	زليف على شقته	خطاء بني الارض ماض
على القسر في ضيقته	وليسوا بأديانهم	الى الخير من صفقته
ولكنها خدعة	لماض على خدعته	والهوة للذي
أطيل مدى عيشته	عبد اللطيف ثابت	

النقد والتأليف

اعجاز القرآنه

والبلاغة النبوية

بقلم مصطفى الرافعي (الطبعة الثالثة) في ٤٥١ صفحة من القطع الكبير حسن الطابع والورق (مطبعة المقتطف والمقطم بمصر) — وعلى غلاف هذه الطبعة ما يأتي :
« أمر بهذه الطبعة علي نفقته حضرة مولانا ملجأ الاسلام والمسلمين وحامي العلم والفضيلة والدين صاحب الجلالة ملك مصر (أحمد فؤاد الاول) عز نصره ».

على الرغم مني ما اكتب في هذا البحث وعلى الضد من ارادتي بما احاول أن استعرض اليوم مجمل ما يقوم في نفسى من أثر المعجزة والمعجزات. غير أنى مسنوق الى هذا بحكم الضرورة وبحكم ما يقوم في نفسى من نزعة الى التفكير الحر والنقد الذى لم يفلت منه شىء في هذا الوجود. قال « ادوارد كيرد » في مقدمة كتابه في « فاسفة كانت » ما يلى :

« أن العصر الحديث هو عصر النقد. النقد الذى اضطر كل شىء الى الخضوع له خضوعاً غير محدود بمحد ولا معرف بتعريف. فالذين ، مستويين على عرش القداسة ، والقانون ، قائماً على ما يخف به من عظمة ، قد حاولوا مراراً عديدة أن يفلتوا من حكم النقد ، وكان عبثاً ما حاولوا . غير أن محاولتهما الافلات من النقد قد بثت في الناس فكرة الشك في صحة القواعد التى يقومون عليها ، وأفقدتهما النتائج التى تترتب على ما يحبو النقد الحر بقية فروع المعرفة الانسانية من تمحيص ونزول على حكم العقل الصرف »

على اننا لم نعتد بعد أن نتقبل النقد البرىء في مجال أقل من مجال الدين . احتكاكا كالشاعر وأظهرنا البغض حيناً والنفور حيناً آخر. فما بالك في نقد يتناول الاعجاز والمعجزات ، وفي على بعدها عن أحكام العقل الاولى ، وعلى اعتبارها ، في نظرى على الأقل ، من أبعد الاشياء تأييداً للاديان وفكرة الدين وأقربها إلى منازعة العلم الحديث سلطانه الذى لا يرد وسلطته التى لا تمحى ، لا تتجاوز حدانها اخباريات

لا بد من أن تخضع للنقد ، أو مسائل نسبية طبعت بطابع الاعجاز تأييداً للدين ؟ وما ذلك من الدين في كثير ولا قليل . على أنه رغما عن كل هذا أمضى في نقدي ثبات القدم راسخ اليقين في نبالة قصدي وفي جلال الفكرة التي أدافع عنها .

* *

الموضوع مشعب النواحي فأغض الجوانب والفكرات متكاثرة وعلى الاختص اذ أخذنا في بحثها من ناحيه التاريخ . فالشك في حقيقة المعجزات من أخص الاشياء التي غزت الفكر الانساني منذ أبعد العصور . وكانت سلطة الكنيسة في العصور الوسطى حائلا كبيرا وسداً منيعا وقف بالعقول دون النقد الحرقرونا متواليه غير أن العلم لم يثبت أن يستقوى على سلطان الكنائس خلال القرن السابع عشر حتى بدأ الناس يفكرون في أوائل القرن الثامن عشر في المعجزات ويشكون فيها ، لا في إمكان حدوثها فقط ، بل في إمكان قبولها عقلا . وقامت معركة في إنجلترا تلتها أخرى في فرنسا ، وكان الديستيون في إنجلترا حماة الاولى ، والانسكلوبيديون في فرنسا حماة الثانية . وعلى الرغم مما كان في ابحاث الانجليز من نقص ، وعلى ما كان في أقوال الفرنسيين من تطرف ، فإن المعركة قد ربحها العلم وخسرتها المعجزات .

على اننى لا أريد اليوم أن افتح هذا الباب فمن ورائه تيه بعيد المدى قصى المجال قد يضل فيه العقل والمعجزات مما قد لا يقم على نتائج يصح الكون اليها ، وعلى الاختص في دور انقلابي كاللور الذي تجتازه عقليتنا وقد تخالط فيها كثير من الاوهام بقليل من الحقائق ، فكان من ذلك تركيب مزجي تسودت فيه مختلف النزعات النفسية ، وترك العقل نسياً حتى حين .

لهذا نريد أن نحصر النقد في موضوعات خمس نتناولها بالبحث ونخصها بالنقد لنستطيع على الاقل أن نخلص بنتيجة يصح السكون اليها . ونترك في هذا البحث كل ما لا يمكن تجديده كالبحث في وقوع المعجزات التي ترويها الاديان بالفعل ونصيب صحتها من التاريخ والنقل الى غير ذلك ، من الابحاث التي لا يمكن تجديدها والتي يضرب فيها العقل والخيال ممزوجين بآثار المشاعر ضربا تفضل فيه عقول ذوي العقول . أما موضوعاتنا فهي :

أولاً — هل المعجزة ضرورية لقيام الأديان إطلاقاً

ثانياً — الإعجاز المطلق

ثالثاً — الإعجاز من ناحية اللغة

رابعاً — الإعجاز من ناحية العلم

خامساً — الإعجاز النسبي

أولاً — ضرورة المعجزات للأديان .

اقترن قيام الأديان العظمى بروايات مختلفة في الإعجاز قيل بأنها كانت افعل في نفوس الناس من أحكام الدين نفسه ومن ارشاداته ومبادئه العليا . فانشقاق البحر واحياء الموتى واشفاء الأكمه والابصر وانشقاق القمر وانجاس الماء من الحجر ونزول مائدة من السماء ، كل هذه الاشياء اقترنت بنشوء الأديان العظمى . على أن الأديان القديمة لها معجزاتها ولها رواياتها المختلفة . فاديان الهند القديمة وبابل واشور وفينيقيّة ومصر لها معجزاتها ولها خيالياتها ومثالياتها . اذن فاديان الارض كتابية وغير كتابية قد اشتركت جماعها في رواية المعجزات وقرنت وجودها بامثال هذه الروايات التي لا يقبلها العقل في بعض جهاتها ، وهي داخلة في حد الامكان في جهات اخرى . فهل شفاء الأكمه والابصر معجزة في الوقت الحاضر ؟ واذا كان هذا يعد معجزة فماذا يكون الحكم في شفاء المجنوم والمسلول وتحريك القلب الانساني واعادة الحياة الى الجسم بعد أن تأخذه سكتة الموت الرهيب ؟ اهي معجزات أم ممكنات ؟ هي ممكنات نخرجها من خيز المعجزات مادام في استطاعة كل انسان اذا عرف اسرارها أن يأتي بها .

على أن شيوع المعجزات في الروايات التي ترويها كل الأديان العظمى ومنها الأديان غير الكتابية ، من اكبر الاشياء التي تجعلنا نشك في صحتها جميعاً . فاذا اذكرنا على الأديان غير الكتابية معجزاتها فأى شيء يصدأهل هذه الأديان عن أن تنكر معجزاتها ، والموضوع واحد وأنبياءهم من حيث القداسة في نظرهم لا ينزلون عندهم عن أنبيائنا عندنا ؟

ولديك مسألة اخرى . هي مسألة التشابه بين بعض المعجزات التي رويتها أديان

غير كتابية ومعجزات روتها الأديان الكتابية . فاهل الهند ينسبون الى أحد أنبيائهم ويسمى « كريشنا » معجزات حوطت مولده شبيهة بالمعجزات التي تروى عن مولد عيسى حرفا بحرف . فهل يمكن أن يكون منشأ هذه الروايات واحد وأن النصراني تقديساً لذاتية عيسى قد انتحلوا هذه الروايات انتحالا ، ثم وهو أنها صحيحة فثبتت في أصول الدين النصراني ؟ وهلا يمكن أن تكون كل المعجزات قد نشأت من طريق كهذه الطريق أو مشابها له على الأقل ؟ وهذه الفكرة على الرغم من أنها تدخل في حدود الامكان ، فإن لها من التاريخ اصدق الشواهد .

بعد هذا نتساءل : ماهي العلاقة بين الدين والمعجزة ؟ ولماذا لا يكون دين بغير معجزات ؟ وهل قيام الأديان مشروط على معجزات ؟

لا أستطيع مطلقاً أن أسلم بهذا . لأن الدين في أصله عبارة عن تحديد للعلاقة التي يتوهمها الانسان قائمة بينه وبين الله . فأى شأن لتدخل المعجزة في هذا ؟

على أن حدوث المعجزة ذاتها أو على الأقل ضرورة الالتجاء الى معجزة لئلا يكون الدين مقبولا عند الناس فيه دليل أولى على أن فكرة الدين بعيدة عن نفوس الناس وأن الدين انما يلجأ الى قسر المعجزة ليلزم الناس الفكرة الزاماً آتيا من ناحية السلطة وحدها لا من ناحية الاقتناع بصحة الشيء في ذاته . ذلك لأن حدوث المعجزة او الالتجاء الى احداث معجزة فيه دليل أولى على أن الناس قد كرهوا الدين وان الدين عجز عن اقناعهم من طريق العقل فانجأ الى نظام الطبيعة يخرق منه ما رأيت يد القدرة العلوية ليقول للناس « هوذا دليل على صدق ما أتيت به » .

على أن الدليل منقوص والحجة غير ناهضة . لأن لجوء الأديان الى المعجزة كلجوء المستبدين الى السلطة ، كلاهما امر لا يدل على صحة الفعل أو الفكرة في ذاتها . لهذا يجب أن نمنح فكرة أن المعجزة ضرورية لقيام الأديان من ناحية التدليل . أما من ناحية السلطة فضرورية اذا كانت ممكنة . ولكن ضرورتها لا تجعل للدين من روعة الاقتناع العقلي مالا يجب أن يقوم دين على سواه .

ثانياً — الاعجاز المطلق

ما هو الاعجاز المطلق ؟ هو أن تهشق القمر نصفين يستوي أحدهما على جبل

والآخر في سهل ؟ هو أن تجعل الشمس تشرق من المغرب ؟ هو أن يحيي الموتى بعد أن يموتوا ؟ وعلى الجملة هو أن تخرق نظام الطبيعة القائم على تلك النواميس السرمديّة الأبدية .

والكلام في هذا الموضوع وجهان . الأول فلسفي صرف . والآخر علمي . فنتكلم أولاً من ناحية الفلسفة .

يقولون بأن الله مخالف للحوادث وأنه قديم وإن علمه قديم . وإن العلم القديم لا يمكن أن يتغير . لأنه إذا تغير أصبح مشاركاً للحوادث في علمها بالأشياء . فلا شبهة مع هذا مطلقاً في أن نظام الكون قديم لأنه قائم على علم الله به وهذا العلم لا يتغير لا في الزمان ولا في المكان . واذن يكون النظام أبدي سرمدي لأن هذه الصفات من لوازم العلم القديم الذي يتعلق به وجود الأشياء . واذن نعتقد أن الإعجاز المطلق مستحيل لأنه مخالف لعلمه القديم منافي لنظام الكون الذي سبق في علمه أن يكون على ما هو ، وأنه سيظل كما كان وكما هو كائن وكما سيكون ، خاضعاً للنواميس التي اختصت بها المادة والقوة وتعلق بها علمه القديم . ولهذا يجب أن نرفض فكرة الإعجاز المطلق رفضاً تاماً من ناحية الفلسفة ومن ناحية الدين نفسه . لأننا إذا لم نرفضها لم نجد بداً من أن نسلم بأن علم الله متغير ، وكل متغير حادث كما يقولون .

أما من ناحية العلم الطبيعي فلا حاجة بنا إلى سرد الأدلة والبراهين بعد أن أثبت العلم أن للمادة والقوة قوانين تربطها ونواتيس تحكمها وأن كل ما يرى في الكون من الصور نتيجة لتفاعل المادة والقوة في خضوعها لهذه النواميس . وأن هذه النواميس تجري على قاعدة من الدقة عجزت كل الآلات التي اخترعها الإنسان عن أن تبلغ إلى جزء من دقتها . ناهيك بأن النظام شبكة متمخالطة الخيوط وأن اختلال ناحية من نواحيها يفسد لها في مجموعها . فلو اختل سير القمر حول الأرض قيد أنملة واحدة اختل النظام الشمسي كله وربما خلت بالكون كارثة لا تقدر مداها . ولهذا يجب أن نرفض فكرة الإعجاز المطلق من ناحية العلم رفضاً باتاً صريحاً .

ناهيك بان العقل الانساني ، وعلى الاخص في كل أدواره اللاهوتية الاخيرة ، قد سلم بأن القدرة لا تتعلق الا بالممكنات . وما الممكنات عندي الا كل ماهو داخل تحت سلطان النواميس الطبيعية . ولست أدري كيف يعلقون القدرة على الممكنات أزاء الله ، ثم يعلقونها على المستحيلات أزاء الانبياء ؟
 هذه احدي نزعات العقل الانساني . يكفر بالحق . ثم يتلمس أسباباً لكفرانه ، ثم يدخل في دور الاعتقاد بما كُفر به . فاذا ثبت اعتقاده فلا مزغرع له من شيء إلا ثورة فكرية تحطم مابنى من أوهام على مر العصور .

ثالثاً — الاعجاز من ناحية اللغة

ليس الاعجاز من ناحية اللغة بداخل في منطقة الاعجاز المطلق . والا لرفضناه أيضاً . فالاعجاز لغة وأسلوباً وبلاغة نسبي غير مطلق . فالقرآن معجز للعرب ولاهل العربية . ولكننا لانستطيع مطلقاً أن نقول بأنه معجز لمن يتكلمون غير العربية من اللغات . معجز على نفس القاعدة التي تجعلنا نعتقد أن « الفردوس المفقود » للاثن معجز لاهل الانجليزية ، وأن إلياذة هوميروس معجز لاهل اليونانية وأن الكوميديا المقدسة لدانتى معجز لاهل اللاتينية . وكما نقول بأن القرآن غير معجز لاهل هذه اللغات ، نستطيع أن نقول بأن « الفردوس المفقود » والاياذة والكوميديا غير معجز لاهل العربية . لان الاعجاز من هذه الناحية يجب أن يكون في صلب الشيء ومن طبيعته .

وكما أن اعجاز القرآن نسبي بالقياس على ما قال العرب وما ضربوا فيه من فنون البلاغة والاساليب ، كذلك تجد أن فردوس ماثن معجز لاهل الانجليزية . وعلى هذا فقس كل ضروب الكلام .

وللاعجاز النسبي طرفان . طرف بالغ منتهى الجودة . وطرف بالغ منتهى القبح . فكما أن القرآن معجز من الناحية الاولى لكل ماهو دونه ، كذلك نقول فهاهة « باقل » أوركاقة الجوهري معجزة لكل ماهو فوقها .

على انك في الاعجاز النسبي حري أن تقول ماشئت ، وأن تطنب فيه بما تشاء . أما اذا اجتزت هذه العقبة لتدخل الى الاعجاز المطلق فانك اهت بجر ،

لأنك هنالك تواجه النظام الطبيعي الابدى القائم على العلم القديم بما سوف يكون الكون ونظامه ، كالحق في ثباته وقوته، يرد تخيلاتك اليك حسيرة كليلة .

على أن الاعجاز النسبي من ناحية اللغة قائم على الاوضاع الانسانية . فاعجاز القرآن بلاغة قائم على الاوضاع التى اصطلح عليها العرب فيها بلاغة . وكذلك اعجاز فردوس مائت قائم على أوضاع الانجليزية والالياذة على أوضاع اليونانية والكوميديا على أوضاع اللاتينية . فاذا اعتقدنا بغير هذا وقفنا على عتبة الباب الموصود باب الاعجاز المطلق ، لنظل هنالك الى آخر الدهور لانستطيع التقدم خطوة واحدة . فاذا تراجعنا قائما نكون قد رجعنا الى شيء من الحق ودخلنا المنطقة التى يصح أن تتفاضل فيها الاوضاع الانسانية .

رابعاً — الاعجاز من ناحية العلم

كذلك لاعتقد أن الاديان جماعها قد أعجرت من ناحية العلم . فكل الاشياء الالهانية التى تعرضت لها الاديان الكتابية قد جرت فيها على ما كسبت من الاديان غير الكتابية من الحوادث والاخباريات والتعاليم ، حتى لقد تساوت كل الاديان منذ العصر البابلي وما قبله في الاعتقاد بأن السماء قباء عظيم وأن من فوقها بحر متلاطم الامواج وأن السماء زينت بمصابيح تخرزن في النهار وتعاق في الليل ، وعلى هذا لا نريد أن نتكلم فى اعجاز العلم طويلا لان الاديان لم تعجز الناس من هذه الناحية لانسبيا ولا اطلاقا .

خامساً — الاعجاز النسبي

وهذا هو حد الامكان قائماً على الاوضاع الانسانية . ولست أجد من سبب حتى الآن يحملنى على أن أعتقد بغير هذا حتى لدى النظر فى إعجاز القرآن . ومادام الاعجاز خارجا عن حد الاطلاق مقيداً بما تواضع عليه الناس ، فلكل لغة معجزاتها الاسلوبية من غير أن يكون هذا الاعجاز فيها دنياً ، ومن غير أن يتقيد الدين فيها بالاعجاز .

اسماعيل مظهر

تاريخ سوريا ولبنان

جزآن من القطع الكبير تأليف عمر أبو النصر بيروت — لبنان الكبير.
 ملأ الكاتب ٣٨ صفحة من جزئه الاول في سرد تاريخ سوريا ولبنان حتى
 الفتح العربي وكان يجب عليه اما أن يتوسع في هذا الموضوع ليكن لطالبة المدارس
 الذين كتب لهم الكتاب متابعته والا فكان الاجدر به صرف النظر عن بحث
 هذه الفترة بهذا الايجاز الذي لا فائدة منه . وقد اعتمد في نقل المعلومات التي أدلى
 بها في هذه الصفحات على المراجع الاجنبية وأما بقية الجزء الاول فاعتمد على
 المراجع العربية في كتابته واجهد نفسه في الاستنتاج . واني آخذ عليه استسلامه
 للنصرة « العربية » التي الجأت الى التماهي في بعض آراء غير صحيحة حتى انه ناقض نفسه
 بنفسه في غير موضع واحد فمثلا قال « تستطيع أن تبحث فلسفتهم (العرب)
 في الشعر . قال شعر اذن هو أول مظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية القوية لتلك الامة
 البدوية العربية وهل كانت تقوم الحضارة الاسلامية التي ظهر فيها من ظهر من
 العلماء واذا ذ الرجال لو لم توجد البدوة العربية التي سيطر عليها امرؤ القيس والناطقة
 (ص ٤٠) » يقول هذا في نفس الكتاب الذي يخصص فيه أقوال الدكتور حسين
 هيكل ويوردها في مجال قوله . فيقول « مثل هذه الحياة الاقتصادية التي تقضي
 على أهل شبه الجزيرة بالعزلة والتجوال وتحتم عليهم العمل لكسب الرزق ولا تيسر
 انشاء المدن الكبيرة ، ليس من طبيعتها ان تقرر حضارة ثابتة القواعد باقية الاثر ، ذلك
 لان الحضارة ثمرة من ثمرات الاجتماع في الحضروهي لا تتفق وحياة البادية ص ٩٩ »
 وتقرأ له في ص ١٠٢ « كل ذلك جعل من العربي رجلا خياليا لا يعرف من دقائق
 حياة الوجود الا قليلا فهو مع هذا يرد كل ما في الوجود الى شخصه أما
 غير هذا وما اليه من آثاز الفكر والفن ومن ثمرات الحضارة فلا تكاد تحسه في الشعر
 العربي قبل الاسلام والحب كما تعلم ليس الاحديث بقاء النوع ، كما ان
 الكفاح ليس الاحديث الاحتفاظ بالحياة (ص ١٠٣) » تلخيصا عن هيكل
 قال ايضا في ص ٣٩ « ولم يكن العرب تجارا ولكنهم كانوا حمة تجارة » وفي
 ص ٩٨ « كانت (بلاد العرب) تعتمد في قوامها الاقتصادي على التجارة » وأريد

أن أسائل حضرة كيف كانت بلاد العرب « طريق التجارة بين الأمم المحيطة بها » فهل يقصد أنها تفصل بين سوريا وما بين النهرين ؟ وهل دولتا الفرس والروم كانتا تخشيان شراذم العرب فتطلبان حماية تجارتها منهن حين كانتا في أبان مجدهما ؟ أم هو يشير إلى رحلة الشتاء والصيف وكانت تتم بين الاقطار العربية ؟

كذلك يقول ص ٤١ « أنك تجد في عصر الراشدين صوراً من الوطنية جديدة » وفي ص ١١٢ يقول « لم يكن في عصر الراشدين سياسة بل دولة دينية » وعند نقله عن المصادر العربية لم يدقق كثيراً لذلك تقرأ له في ص ٤٧ « وتوفر المال في أيام عثمان حتى لقد بيعت الجارية بوزنها » . ويقصد بالطبع ذهباً أو بالقل فضة إذ لا يعقل أن يزنها بالحديد أو بالرصاص ، وإذا علمنا أن مميزات جمال الأنثى كان ترهل الجسم وثقل الوزن قدرنا هذا الوزن بقنطار ونصف من الذهب أو الفضة على أقل تقدير وكان هذا حسب قوله « وقت أن كان يباع الفرس بعشرة آلاف دينار » (خمسة آلاف جنياً) والبعير بألف والنخلة بمثل ذلك « فهل يمكن للقارىء تصور نخلة ثمنها خمسمائة من الجنيهات ؟ اذن لا نسرف لو قلنا أن ثمن التمرة الواحدة كان يتجاوز القرش الصاغ وقياساً على ذلك يكون ثمن الرغيف الواحد من الخبز دولاراً واحداً وبضع سنتات .

كذلك يقول في صفحة ٧٤ أن تيمورلنك طلب من دمشق (وحدها) دفع غرامة حوالى منتصف القرن الخامس عشر المسمى مقدارها مليون دينار (نصف مليون جنيه) ولكن تيمورلنك حنث بالوعد وأخذ يجمع ما اتصل إليه يده من المال وكان هذا في الوقت الذى عمت فيه الفوضى بالبلاد وحين كان للدينار قيمة كبيرة جداً .

وبحاول حضرة في ص ١١٠ أن يحيط من شأن فندر بليت وهو جوستنس وروكفلر وروتشلد وفورد وأمثالهم من (الملتيمليونيرات) أصحاب الملايين العديدة فيقول أن حضرة المحترم خالد القسرى عامل بنى أمية في العراق كانت غلته ١٣٠٠٠٠٠٠ درهم في العام ؛

كذلك يقول أن عبد الملك بن مروان تعهد أن يدفع لملك الروم كل يوم ألف دينار (خمسمائة جنية) وألف فرس وألف مملوك ولحسن الحظ أنه وقف هنا ولم يقل أنه فعل ذلك لمدة سنين. راجع ص ١٢١ .

كذلك حاول حضرته أن يكون دقيقاً في سرد الأرقام فقال إن عدد سكان انطاكية في العهد الروماني بلغ ٣٠٠٠٠٠٠ نسمة ص ٣١ وأنه هلك في بيروت من زلزال ٣٠٠٠٠٠ من السكان عام ٥٥٥ ق . م . ص ٣٤ وكان عدد المردة في لبنان ١٢٠٠٠٠ جندي ص ٥٣ وكان أعراب سوريا في عهد بني أمية لا يزيدون عن ٢٠٠٠٠٠ نسمة بين ٤٠٠٠٠٠٠ من السوريين ص ٥٥ . وكان جيش نجر الدين الثاني مكوناً من ٣٠٠٠٠٠ جندي ص ٨٤ . وربما تكون هذه الأرقام صحيحة ولكنه لم يتفضل بالإشارة إلى كتاب الإحصاء الذي نقل عنه وأظن أن عذره الذي بسطه تحت عنوان « كلمة لا بد منها » في صدر كتابه الثاني غير مقبول فقد قال « اعتمدنا في تأليف الكتاب الأول والثاني على كتب كثيرة من عربية وفرنجية لا فائدة من الإشارة إليها . ذلك لأن الحوادث التاريخية لا تختلف في أكثر المؤلفات لا كثيراً ولا قليلاً » .

وهو يرى في كلمته التي لا بد منها أن « فضل المؤرخ ليس في سرد الوقائع بحسب وإنما هو في تفسيرها » يقول هذا في الوقت الذي ينقل فيه تخطيطات ساح ألماني (لم يذكر اسمه) دون تمحيض واليك بعض ما نقله عن ذلك الألماني . « تتراوح درجة ثروة الفلاح في حوران (عام ١٨٠٥) ما بين ٥٠٠ و ١٠٠٠ ر ٢٠٠٠ غرش إلا أني أعرف رجلاً يقدر ثروته بـ ١٠٠٠٠ غرش (ص ١٠ ج ٢) وقد حدثني أحد الرذق أنه لم يستطع أن يتزوج لأنه لا يملك ثمن العروس وثمنها يتراوح بين ٤٠٠ و ٥٠٠ غرش (ألم تكن للمرأة قيمة كبيرة في ذلك الوقت ؟) وعلى الفلاح أن يدفع من الضرائب كل سنة ما يقدر بـ ٢٠٠٠ غرش (ونعني هذا اضعاف ثروته) ومتى دفع كل ما عليه لا يبقى شيء لديه من غلال حنطته (ولكنك تقر أن ذلك ما يناقضه) والفلاحون في حوران على وجه الإجمال يبيعون غلالهم من الدولة (فكيف يبيعون ما لا يتبقى شيء منه لديهم) .

وينقل عنه أيضاً « أن كل ما كان يتقاضاه كل من المعدنين الاروام مشاهرة لا يزيد عن ١٠ — ٢٠ غرشاً وكانت أجرة الغزال اليومية من ١٥ — ٢ غرش وكان رطل التفاح (أقتين) بعشرة بارات (ربع قرش) والبطيخة بثلاث بارات (٧٥ ر من القرش) وأجرة الركوبة في اليوم ١٥ قرش وأجرة مشال ٢٠ أوة من العفش قرش واحد وان ثمن ثلاثين اسفنجة قرشا واحدا » كل هذا الرخص كان موجودا وقتما كان يدفع الفلاح ٢٠٠٠ قرش ضريبة في السنة عن رأس مال يتراوح بين ٥٠٠ و ٢٠٠٠ قرش .

وأظن أنه اعتمد في كتابة صفحات جزئه الثاني الى رقم ٨٧ على تاريخ جودت والشهابي وزيدان وخطط كرد على لان هذه الصفحات لا تحوى إلا تنقاً وأخوذة من هنا وهناك وأما بعد ذلك فتد خصص الصفحات حتى ١٠٣ في الحملة على الدولة العثمانية انتقاماً « للعرب » الذين قدموا لها ٢٤٠٠٠٠ جندي مات منهم ٤٠٠٠٠ في الحرب وأصبح ٥٠٠٠٠ منهم عاجزين ولست أعرف عدد الجيش العثماني الذي اشترك في الحرب ولكني لا أتصور أنه زاد عن ١٠٠٠٠٠٠ جندي كثيراً ولا أزال أتساءل كيف يمكن لأمة لا يزيد تعدادها عن ٣٠٠٠٠٠٠ نفس أن تقدم جيشاً عدده ٢٤٠٠٠٠ كلهم بين ١٨ و ٤٥ سنة ويقول أيضاً أن خسارة السوريين بلغت ٣٥٠٠٠٠ نفس منهم ١٢٠٠٠٠ ماتوا جوعاً و ١٢٠٠٠٠ ماتوا من الحميات والذي أعرفه عن ثقة هو أن عدد الذين قضوا من الجوع في لبنان الاجرد يقدرون بأكثر من ١٠٠٠٠٠ نفس ولا يزيدون عن ٢٠٠٠٠ نفس وأما في الولايات الخصبية فمدد الموتى قليلاً جداً لتوفر إحصاءات الضرورية هناك، وأما المرضى فلا أعتقد أنهم أحصوا فوجد أن عددهم ١٢٠٠٠٠ نفس! فمن أين أتى حضرة بهذه الأرقام .

وبعد حملته العربية أخذ في الاشادة بفضائل فرنسا وعزى اليها في ص ١٠٠ اطعام الجياع وتموين لبنان وانشاء مخازن للاعانة وانها صرفت من مالها الخاص في تغذية لبنان (لاسوريا) مايساوي سبعة ملايين فرنك ولكنه لم يعطف على الاميريكاني ولا بكلمة شكر عرضية ، وهم الذين أنفقوا ما أنفقوا (وأستدرك أني

عاجز عن تقدير ما أنفقوه) مدة الحرب وبعد الهدنة. فهل السبب في مدح فرنسا دون غيرها هو تقرير الحكومة اللبنانية لتدريس كتاب « سوريا ولبنان » لمدارس الجمهورية ؟ الجواب على ذلك يعرفه السيد عمر أبو النصر دون غيره .

* *

جبل قاف

مراجعة وتلخيص للكتاب الموسوم (بالوفاى الكاف) الموضوع لتفسير المأثورات الاسلامية حول (جبل قاف) وحل مشكلاتها وتأويل اشاراتها . تأليف سماحة العلامة حجة الاسلام السيد هبة الدين دامت بركاته . نشرته ادارة مجلة (المرشد) هدية للمشتريين . طبع بمطبعة النجاح في بغداد عام ١٣٤٦ هـ الموافق ١٩٢٧ م (١)

صدر حجة الاسلام كتابه الطريف بشكاين أولها رسم كرة أرضنا ومخروط ظلها المتولد من مقابلة الارض لقرص الشمس وخسوف القمر داخل ظل الارض خسوفاً كلياً وخسوفاً جزئياً والثاني رسم الافلاك بحسب الهيئة الجديدة لقرص الشمس وسط المركز حولها السيارات وافلاكها البيضية فاقربها الى الشمس عطارد ثم الزهرة ثم أرضنا ثم المريخ ثم المشتري ثم زحل (داخل حلقتها) ثم اورانوس وآخرها نبتون ثم كتب مقدمة بقلمه السيال يقول فيها ان الاخبار المأثورة في شأن جبل قاف صادرة على طريقة الاشارة والتمثيل ولهذا أصبحت ظواهرها غريبة الشكل تتباعد عنها الطباع والاسماع فيتخذ الذين في قلوبهم مرض أمثال هذه الظواهر وسيلة الى التشكيك والتضليل والاستخفاف بالآثار الاسلامية ولذلك (اندفع) سماحته الى تفسير تلك الظواهر المأثورة وكشف أسرارها المستورة (والتوفيق) بينها وبين السكشفيات الجديدة عند المتأخرين من علماء الهيئة والفلك ويلى ذلك متن الكتاب

(١) الكتاب في ذاته قليل القيمة ولكن السبب الذي جعلنا نوجه اليه كل هذا الاهتمام هي فكرة التأويل لان تأويل النصوص على الطريقة التي اتبعها المؤلف مفسدة للدين والعلم معاً . لهذا نقدنا الكتاب لنقضى بذلك على طريقة شاعت في القرون الوسطى وكان لها أسوأ لاثراً على تكوين العقيدة الانسانية

وهو فصلان أولهما يبحث في الآثار الإسلامية حول جبل قاف وفيه يقول ان الاخبار
المأثورة وتفسير هذا الرمز الغريب تبلغ عشرين رداً أو أكثر وأوردتها كالاتي ثم
شرح في الفصل الثاني في تفسيرها

١ — تفسير الحافظ (القرن الثالث) في شرح الآية جمعسق اذ قال — بعدا تيانه
بالاسنادات القوية — ان ق جبل محيط بالدنيا من زمرد اخضر نخضرة السماء من
ذلك الجبل

٢ — بصائر الدرجات للصفار (القرن الثالث) خلق الله جبلا محيطا بالدنيا من
زبرجد أخضر وانما خضرة السماء من خضرة ذلك الجبل

٣ — معاني الاخبار لابن بابويه القمي (القرن الرابع) من جبل محيط بالارض
وخضرة السماء منه وبه يمسك الله الارض أن تميد باهلها

٤ — الدر المنثور للسيوطي (القرن التاسع) جبل من زمرد محيط بالدنيا عليه
كنفا السماء

٥ — الدر المنثور وبحار الانوار لباقر (القرن الثاني عشر) جبل محيط بالارض

٦ — تفسير القمي جبل محيط بالدنيا من وراء يأجوج ومأجوج

٧ — البخار والدر المنثور عن ابن عباس جبل محيط بالعالم

٨ — مجمع البيان للطبرسي (القرن السادس) جبل محيط بالارض من زمردة
خضراء وخضرة السماء منها

٩ — المقطوعة المردية والاقاليم والبلدان جبل محيط بالارض كحاطة بياض
العين بسوادها

١٠ — باب البلدان عن الاسرائيلي اذ سأل النبي عن السبب في خضرة السماء
فاجاب اخضرت من جبل قاف

١١ — البحار والدر المنثور عن ابن عباس خلق الله من وراء هذه الارض
بحراً محيطاً بها ثم خلق من وراء ذلك جبلا السماء الدنيا مترفة عليه ثم خلق من
وراء ذلك الجبل ايضاً مثل تلك الارض سبع مرات ثم خلق من وراء ذلك بحراً
محيطاً بها وهكذا حتى عد سبع أرضين وسبعة أبحر وسبعة أنجبل

١٢ — البحار والدر المنثور عن ابن عباس وراء قاف سبعة بحار كل بحر خمسمائة عام ومن وراء ذلك سبع أرضين يضيء نورنا لأهلها ومن وراء ذلك سبعين ألف أمة

١٣ — باب الجبال من كتاب البحار ان الله من وراء جبل قاف أرضاً بيضاء كالفضة المجلوة طولها مسيرة أربعين يوماً للشمس

١٤ — تفسير القمي وغيره الآية (رب العالمين) خلق الله ثلاثمائة عالما وبضعة عشر عالماً خلف قاف وخلف البحار السبعة لم يعصوا الله طرفه عين قط ولم يعرفوا آدم ولا ولده وكل عالم منهم يزيد عن ثلاثمائة وثلاث عشر مثل آدم وما ولد

١٥ — المختصر والبحار عن الامام الرضا. لله خلف هذا النطاق زبرجدة خضراء فيا خضرة منها خضرة السماء (والنطاق هو الحجاب) والله وراء ذلك سبعون ألف عالم عندهم أكثر من الانس والجن

١٦ — الدر المنثور عن كعب الاحبار تفسير (حتى توارت بالحجاب) قال حجاب من ياقوت أخضر محيط بالخلائق فمنه اخضرت السماء الخضراء واخضر البحر من السماء فمن ثم يقان البحر الاخضر

١٧ — البحار والدر المنثور عن ابن مسعود قال مثل كعب

١٨ — البحار وجامع الاخبار للشيخ الصدوق سئل النبي عن عرص قاف وطوله واستدارته فقال مسيرة الف سنة (الى أن قال) وزجه من زمردة خضراء له ثلاث ذوائب من نور ذؤابة بالشرق وذؤابة بالغرب والاخرى في وسط السماء

١٩ — روضة الوافي للكاشاني وبصائر الدرجات للصغار في جبل محيط بالدنيا من زبرجد أخضر وخضرة السماء من ذلك الجبل وخلق خلقه خلقاً لم يفترض عليهم شيئاً مما افترض على خلقه من صلاة وزكاة الخ

٢٠ — باب العوالم كتاب البحار للجلسي وراءه علم لا يصل اليه أحد غير علي بن أبي طالب فهو المحيط بما وراءه وعلمه به كله بدنيانا هذه ويرى سماحة المؤلف فيما سبق ما يأتي:

١ — انها اثباتات علي وجود جبل قاف

٢ - ضعف أسانيدھا ظاهرا

٣ - استنكار العقول لجملة من هذه الظواهر لجزم العقول بانتفاء جبل من الضخم بحيط كالحائط بالارض ويقدر بمسيرة الف سنة وهو من زمرد أخضر تؤثر خضرته في السماء وخافه كذا وكذا من العوالم والاقوام وأشياء تخالف أصول الهيئتين القديمة والجديدة وتناقض مقالات السواح والرحالة

٤ - لذلك لا يجد لديه مناصا من تأويل الظواهر بمعنى يتفق مع الفن ويصدق

العيان والبرهان

ولكي أخفف على القارئ عملية الوقوف على قيمة هذه البراهين العشرين سأضع أرقامها بعد الكلمات الموجودة في هذه البراهين القوية فتد ورد مايفيد أن قانا

في البراهين من ١ - ٩ و ١١ و ١٣ و ١٩

جبل

في ١٨

طوله مسيرة ألف عام

له ثلاث ذوائب من نور واحدة بالشرق والثانية بالمغرب وأخرى وسط

في ١٨

السماء

في ١١

ببحر يحيط بالارض

في ٣ و ٥ و ٨

بالارض

في ٩

كحاطة بياض العين بسوادها

في ٧

بالعالم

وانه محيط

في ١ و ٢ و ٤ و ١٩

بالدنيا

في ٦

من وراء يأجوج ومأجوج

في ١٦ و ١٧

بالخلائق

في ١ و ٤ و ٨

زمردة

في ٢ و ١٥ و ١٩

زبرجدة

وانه عبارة عن

في ١٦ و ١٧ و ١٨

ياقوتة

في ١ و ٢ و ٨ و ١٥ و ١٦ و ١٧ و ١٩

وأن لونه أخضر

وأن خضرة السماء منه في ١ و ٢ و ٣ و ٨ و ١٠ و ١٥ و ١٦ و ١٧ و ١٩
 وأن خضرة البحر من خضرة السماء في ١٦ و ١٧
 وأن به يمسك الله الأرض أن تميد بأهلها في ٣
 وأن السماء الدنيا مرفرفة عليه في ١٤ و ١١
 على كنفه في ٤

كل منها ٥٠٠ عام خلفها ٧ أرضين يضيء نورها لاهلها		
ومن وراء ذلك ٧٠٠ أمة في ١٢		
خلفها ٣٠٠ وبضع ١٠ عالمًا لم يعصوا الله طرفه عدين	٧ بحار	
قط ولم يعرفوا آدم ولا ولده وكل عالم منهم يزيد عن		
٣١٣ آدم وما ولد في ١٤		
بيضاء كالفضة المجلوة طولها مسيرة أربعين يوماً		
للشمس في ١٣		
مثل تلك الأرض ٧ مرات ووراء ذلك محيط بها بجرأ	أرض	وان خلفه
وهكذا حتى عد ٧ أرضين و ٧ أبحر و ٧ أجبل في ١١		
خلقاً لم يفترض عليهم شيئاً مما افترض على خلقه من صلاة		
وزكاة الخ. في ١٩		
سبعون ألف عالم عددهم أكثر من الانس والجان في ١٥		
عالم لا يصل اليه أحد غير علي بن أبي طالب فهو المحيط بما وراءه		
وعلمه به كعلمه بدنيانا هذه في ٢٠		

أفليست هذه الاسانيد براهين علمية كافية تثبت صحة النظرية التي يحاول
 سماحته اثباتها حتى لا يتشكك الناس في هذا الاثر الخالد وهلا يكتفى الملحدون
 (بالتطابق التام) الظاهر جلياً في هذه البراهين فلا يستخفون بالآثار الاسلامية
 بعد الآن ؟

وأراد الاستاذ حجة الاسلام نفعا الله به أن يخاطب المارقين عن الدين
 الخفيف على قدر عقولهم فسخر فصله الثاني لاثبات وجود جبل قاف اثباتاً استخرجه

من معتقدات الكفرة التي يسمونها علوماً فقال نفعنا الله تعالى بعلمه :
 « يقول البعض أن جبل قاف يمتد من بحر قزوين إلى البحر الاسود وأن
 كلمة قفقاز منتحلة من لفظ (قوه قاف) وأصلها (كوة قاف) وهي فارسية معناها
 جبل قاف ومع أن وضع الجواد خلف العربية في هذا التحليل قد يستسيغه البعض
 لم يرض عنه حجة الاسلام لأنه لا يكفل شرح المأثورات الاسلامية الا ما جاء
 في الرواية السادسة « جبل محيط بالدنيا من وراء يأجوج ومأجوج » وهل يمكننا
 نحن الجهال الوصول الى ما وصل اليه حجة الاسلام من « أن جبال القفقاز تحيط بالدنيا
 وراء يأجوج ومأجوج » ولكن مادام الشيخ قد قال ذلك وجبت علينا طاعته .
 وحل الشيخ الجليل الذي توصل اليه متمين جداً وها هو . .
 « انك لو تصورت كرة الارض مع ظلها الحادث من استتار الشمس خلفها
 لوجدت الظل شبيهاً مظلماً على شكله المخروطي قاعدته الوسيعة عند الارض
 ورأسه الدقيق نحو السموات على هيئة جبل عظيم » هذا هو جبل قاف وقد أتى
 بقرائن عشر تبين رأيه الفريد .

١ — لكل أرض جبل قاف، قفاف ليست علماً شخصياً بل هو اسم جنس
 متكرر الافراد وقاف من مادة قوف ومعناها تبع وجوازاً بخذه من قفى فهو قاف
 نور الشمس بكل سرعة وعلى الدوام .

٢ — معلوم أن المراد بالدنيا والعالم والخلائق هذه الارض وما عليها فظل
 لارض محيط بها وما عليها (على التوالي) كحاطة بياض العين بسوادها .

٣ — وصف ارتفاع جبل قاف بمسيرة الف سنة يطابق ارتفاع الظل وهو
 ٨٠٠.٠٠٠ ميل (معنى هذا أن الانسان يسير ٨٠٠ ميل في السنة أو بمعنى آخر
 ميلين في اليوم ؟)

أما كون السماء الدنيا طرفها عالياً فمعنى ذلك فلك القمر (كما ارتآه المتقدمون)

٤ — الذوائب الثلاثة تنطبق على مخروط ظل الارض .

٥ — تشبيه الجبل بالزمرد والبرجد والياقوت الاخضر معناه أن جبل قاف

في الخضرة كهذه الاشياء في لونها

- ٦ — خضرة السماء من جنس خضرة الجبل. هذا هو المعنى وليس معناه أمها وأخوذة من خضرة الجبل ذاتها .
- ٧ — بحيلك لاجل تفهم معنى البحار والارضين السبعة الى كتابه « الهيئة والانسلام » ويصفه بأنه أثمن كتاب في عالم المطبوعات ص ١٥ .
- ٨ — كلام عن تعدد جبل قاف لم أفهمه عجزاً منى .
- ٩ — خلفه أرض بيضاء كالفضة معناها القطب .
- ١٠ — وراءه عوالم لا يعرفون آدم معناه ما وراء مجارى السيارات السبعة . وقد قرظ الكتاب الذى نلصته لك أعلاه من أسماء صاحب الكتاب : « استاذ العلماء وعلامة الادباء زعيم المجتهدين المجاهدين ورئيس الفقهاء لروحانيين حجة الاسلام وركنه وحامى الشرع وحصنه الحاج السيد مصطفى السكاشاني النجفي » .
- أليست هذه الالقاب أعظم وأنغر من :

Mustafa El Kashane

LL. D., D. C. L., PH. D., D. Litt., O. E., D. D., M. D., D. Com.,
D. D. S. etc.,

قلنا اتركوا الطابق مستوراً فلم تسمعوا فذوقوا، اذن جزاء ما اقترفته أيديكم من ترجمة علم الفلك بمنشوراتهِ وظلاله وهبابه . وهذا أقل ما تستحقونه فكفروا ذن عن سيئاتكم بقراءة هذا التلخيص .

حسين محمود

بين الصحفي والمجرب

ترجمة المصطلحات العلمية

حول نقد سابق (١)

* * *

قرأت ما كتبتموه في « العصور » حول بعض الاصطلاحات التي استعملناها في « مجلة التربية والتعليم » .

اننا نتفق واياكم كل الاتفاق في القول بوجوب « تكوين أكاديمي مختلط للترجمة والتعريب يرجع اليها في تقرير المصطلحات » كما اننا نسلم وجوب جعل مؤتمر هذا الأكاديمي في مصر وذلك ليس « لتوسطها من حيث الموقع الجغرافي بين البلدان الشرقية » فحسب بل لكونها أرقى البلاد العربية وأغناها من حيث المال والرجال أيضاً .

فعند ماسعينا قبل مدة لتشجيع حركة « مؤتمر الثقافة العربية » أوضحنا اعتقادنا بضرورة عقد المؤتمر في مصر واقترحنا أن توضع مسألة « توحيد المصطلحات العلمية » في مقدمة المسائل التي تتناولها مذكرات المؤتمر للتوصل إلى إيجاد الطرق لحل هذه المعضلة ، وسعيًا وراء تكوين « عضوية » ثابتة تقوم بهذه المهمة .

وانا قد اغتبطنا جد الإغتراب بازدياد اقتناعكم « بوجوب تكوين هذه الأكاديمي » .

هذا ولا بد من أنكم تعلمون أن الأكاديميات لا تتمكن عادة من إيجاد المصطلحات ووضعها ، بل أنها تجمع المصطلحات المقترحة والمستعملة وتنتقدها وتختار الاوفق منها فتقررها .

فكل المساعي التي تبذل في إيجاد المصطلحات ومناقشتها تهبط إلى كاديمي

(١) نشر النقد الذي يدور حوله هذا البحث في عدد فبراير الماضي من العصور .

المواد الانشائية التي تحتاج اليها وتسهل مهمتها وتخدم نجاحها .
وبهذا الاعتقاد رأيت أن أغتم الفرصة التي أوجدتموها لنا بفتحكم باب
المناقشة والمداولة في الاصطلاحات التي استعملناها لاوضح رأيي فيها : —
ان كل من يتوغل في العلوم الحديثة ويحاول أن يعبر عن مسائلها تعبيراً
صحيحاً في كتاباته ولا سيما في دروسه ومحاضراته ، يجابه مشاك كل كبيرة من جراء
نقص المصطلحات فيحتمل أحياناً في أمره إذ يتحتم عليه أن يضع المعنى فوق كل
اعتبار ، فيسعى للتعبير عنه تعبيراً واضحاً بالصور التي تخطر على باله كلها . وهو
يستعمل مؤقتاً الاصطلاحات التي يجدها أقرب إلى المقصود — وان لم يرتح اليها
تماماً — على أن يبقها عرضة للبحث والتجربة الى أن يتسنى له ايجاد أفضل
منها مما يكون أكثر ملائمة للمعنى وموافقة للمقصود ، حتى اذا ما وجد اصطلاحاً
جديداً أوفق مما سبق له استعماله ترك الاول مستعيضاً عنه بالثاني .

هذا ما اعتدنا أن نفعله نحن في دروسنا ومحاضراتنا وهذا ما اخذنا نجعل
به قمتنا في مقالاتنا . فكثيراً ما غيرنا التعبيرات التي استعملناها في دروسنا كما
ننا سنبقى مستعدين لتغيير الاصطلاحات التي نستعملها في مقالاتنا .

فنحن وان كنا مرتاحين الى بعضها فاننا لانزال مترددين في بعضها الآخر
وعلى كل حال لسنا متمسكين بها كلها .

واعتقد أنه يترتب على كل من يتوغل في العلم أن يسلك خطة مماثلة للخطة
المتبعوث عنها ، ولا يلسي أننا لانزال في « طور البحث والتجربة » في أمر
الاصطلاحات . فعليه أن يعتبر الاصطلاحات التي تخطر بباله كوضع مؤقتة
يجب أن تبقى معرضة للبحث والنقد قبل تقريرها أو رفضها نهائياً ، ولا يحسبها
من الـ « حقائق الراهنة » التي يجوز التمسك بها تمسكاً قاطعاً والتي يسوغ سد
باب الاجتهاد في وجهها سداً محكماً .

أقول هذا ، لأنني أراكم تميلون الى استعمال « أساليب بتاة » في أمر
الاصطلاحات فتكتبون « يقول كذا وحقيقتها كذا » ولا شك في أنكم

لا تجهلون أن الاصطلاحات ليست من الحقائق، فمناقشتها اذن لا يجوز أن تجري بحرى « مناقشة الحقائق الراهنة » :



بعد هذه المقدمة التى رأيت من الضرورى أن أقدمها لايضاح رأيي فى الاصطلاحات بوجه عام أعود إلى أساس البحث وأشرح ما أراه فى كل كلمة على حدة . ولا بد لى من الشروع بكلمة « الفساجة » إذ أنكم وجهتم أحدُ نهبكم اليها . فقلتم إن مثل هذه الكلمات « مما لا يـ كن أن تقبلها أساليب التعريب العربية » وأن فى ذلك « فتح لباب تلوح منه اللغة العربية ألهية يلهو بها الكتاب مجونا »

فعلى أن أصرح قبل كل شيء بأننا لم نستعمل هذه الكلمة إلا بناء على اقتراح الشيخ عبد القادر المغربى ولا شك فى أنكم لاتجهلون مقامه فى الأدب العربى . ودرجة توغله فى تدقيق أساليب الاشتقاق والتعريب . اننى لأقول ذلك بقصد « رد الحجة بالسلطة » ولا بقصد « الاحتماء وراء الشهرة » بل أقول ذلك لا بين لكم ان الكلمة مما يحتاج الى التدقيق والمناقشة بروح يميل الى « التساهل والقبول » أكثر مما يلتزم « التشدد والاعراض » وانها لاتستحق النعت بتلك النعوت العنيفة التى أسرفتم فيها من غير تدقيق أو حساب .

تقولون « لماذا لاتجربى على القوائد التى انتهجها العرب فى التعريب » فقالوا « قاطيغورياس وأنا ليطيقا وفيزيقا »

نحن لم نحاول قط أن نخالف « القواعد التى انتهجها العرب فى التعريب » بل على عكس ذلك . ما اخترنا كلمة « الفساجة » الاجريا على تلك القواعد . نعم ان أسلافنا استعملوا كلمة « قاطيغورياس » ولكنهم هل استعملوا فى استعمالها ؟ كلا . فانهم لم يلبثوا أن ترجموها بكلمة « المقولات » وصاروا يقولون « المقولات العشر » و « المقول فى جواب ماهو » و « المقول فى جواب أين » حتى أنهم قالوا « المقولية » فظلت كلمة قاطيغورياس مهملة ومطمورة فى زوايا بعض

كتب المنطق والفلسفة القديمة ، عنواناً لفصل أو لكتاب — لأنها كانت اسماً لأحد كتب « العلم الاول » . فكل من يتصفح كتب المنطق والفلسفة القديمة يتأكد أن هذه الكلمة لم تتأصل في اللغة العربية بل أنها غلبت على أمرها أما كلمة « المقولات » فإنه يجدها مذكورة في بعض الكتب ذكراً مقروناً بترجمتها ولا يجد لها ذكراً في كتب أخرى . في حين أنه يجد كلمة المقولات مستعملة في كل منها عشرات المرات .

فهل يجوز لنا أن نستخرج « قواعد التعريب » من مثل هذه الكلمات التي لم تتمكن من التأصل في اللغة ومن التجنس بها ؟

أما كلمة « أناليطيقا » فإنها لم تنل حظاً من الحياة حتى بقدر ما نالته كلمة « قاطيغورياس » : فقد ذكرت في الكتب لأنها كانت عنواناً لكتابين من كتب المنطق لأرسطوطاليس ولكنها ترجمت إلى العربية بكلمة (تحليل القياس) و (فصل البرهان) فهل يجوز لنا والحالة هذه أن نعتبرها مثالا للكلمات العربية ونحاول أن نستخرج منها قواعد التعريب . ؟

وإذا تصفحنا الكتب القديمة رأينا فيها ذكراً لكثير من الكلمات اليونانية كعناوين لكتب مختلفة . من ذلك كلمة « ديالكتيقي » أي جدل و « ريتوريقي » أي خطابي و « بوطيقي » أي شعر . فهل يمكننا أن ندعى بأن نسبة كلمة أناليطيقا إلى اللغة العربية أكثر من نسبة هذه الكلمات إليها ؟

حتى أن كتاب أخبار الحكماء يذكر كتاباً لأرسطوطاليس « بروبايماطا قاطندي أباطريقا » وهل سنقول بناء على ذلك أن هذه الكلمات دخلت في اللغة العربية ؟

من المعلوم أن أسلافنا استعملوا مدة من الزمن كلمة « ارثماطيقى » حتى أننا نظن أنهم استعملوا كلمة « جومطريا » أيضاً لأن إقليدس كان معروفاً بينهم بـ « صاحب الجومطريا » . فهل يجوز لنا أن ندعى أن هاتين الكلمتين أصبحتا من مفردات اللغة العربية ؟ وهل يسوغ لنا أن ننسى أنهما ماتتا ، وأن الأولى

تركنا محلها لكلمة عربية بحتة (الحساب) وأن الثانية تركت محلها لكلمة
عربية شبيهة بالكلمات العربية (الهندسة) .

~ اننا نعتقد أن الذكر المجرد ، أو الاستعمال الموقت لا يكفيان لاعتبار الكلمات
من المعربات ونقول باننا اذا أردنا أن نكتشف القواعد التي تجري عليها
العرب في التعريب ، وجب علينا أن نعتبر الكلمات التي عاشت وتأصلت
لا الكلمات التي ظلت جامدة ثم ماتت .

لذلك نرى أن كلمة « الفلسفة » الحية والولود تدلنا على مجارى قواعد
التعريب أكثر من كلمة « أناليطيقا » العقيمة والميتة .

فإن الاولى تغلبت على كلمة « الحكمة » التي كانت تعتبر مرادفة لها فعاشرت
منذ قرون وولدت نسلا من الكلمات « مثل فلسفي فلسفيا فليسوف تفلسف
متفلسف » ندابعض الجوع مثل « الفلاسفة المتفلسفين » أما الثانية فانها
لم تتمكن من التغلب على كلمة « التحليل » فماتت بعد ولادتها بزمن قصير من غير أن
تولد كلمة جديدة أو تترك أتراحيا .

فكيف يسوغ لنا أن نعتبر الاولى شاذة ونروح نطلب القاعدة من الثانية؟
هذا وكلمة « الفلسفة » ليست فريدة في بابها فاننا نذكر عدة كلمات عربية مثلها
على وزن « سفسطة هرطقة هندسة صيدلة سفتجة بلشفة » ..

من المعلوم أن المتقدمين قالوا في بادىء الامر « سوفسطيقا » فاننا نجد هذه
الكلمة مذكورة في كتب عديدة بهذا الشكل ولكن بعد ذلك صوروها وجعلوها
(سفسطة) .

ويمكننا القول إن الكلمة لم تتغلب على كلمتي « المغالطة » و « التمويه » إلا بعد
هذا التطور ، بل بفضل هذا التطور . فانها دخلت بهذه الصورة في قالب سهل التلفظ
وقابل للتصريف والتوليد فصرنا نقول سفسطات سفسطى سفسطائي سوفسطائية .
كما أنه أصبح في وسعنا أن نقول : تسفسط متسفسط

ويجب أن لا يفوتنا أن اسم الشيوعية الروسية أيضا تعرب على الطريقة
نفسها . فلم يقل « بولشفيقا » ولا « بولشفزما » ولا « بولشفييا » بل قيل « بلشفية

وَصِرْنَا نقول « بلشفي ، بلا شفة ، تبلشف ، متبلشف » ورأينا ان الكلمة على هذا الشكل شاعت شيوعا كبيرا بين الناس .
 فاذا ما عر بنا اليوم كلمة « فسيولوجيا » بقولنا « فلسجة » على وزن سفسطة وفلسفة وبلشفة — أنكون قد خالفنا أساليب التعريب ؟ أم نكون على عكس ذلك قد جرينا على تلك الأساليب ؟

تدعون باننا نريد « أن نجري بطبيعة الحال على هذه القاعدة » في أسماء جميع العلوم وسنقول مثلا في التشريح « أنتمة » وفي النبات « بتنه » ...
 فاسمحوا لي أن أقول بانني لم أرسوغا لهذا الادعاء والاستدلال . هل يحق لي أن ادعى أن حضرتكم ستقولون في التشريح « آتاتوميا » وفي النبات « بوطانيا » أو « بوطانيقا » لانكم قلتم « فسيولوجيا » ؟

انني عربت كلمة « مرفولوجي » على شكل « مرفجة » وتمنيت تعريب كلمة « سيكاوجي » على شكل « سكلجة » ووجدت سهولة عظي في القول « فسلاجيا . مرفجيا سكلجيا » و« الفروق الفساجية المرفجية السكلجية » ولكنني لم افكر لحظة واحدة في البحث عن أسماء تقوم مقام « التشريح والنبات والحيوان » لان هذه الكلمات دارجة وسهلة وقصيرة وهي وافية بالمرام

* * *

انتقل الآن الى بقية الاصطلاحات وابدى رأيي في كل منها على حدة .
 ١ — Objectif, Subjectif لقد اعترضتم على الاصطلاحات التي اتخذناها لهاتين الكلمتين . وأصررتم على وجوب ترجمة Objectif بكلمة « موضوعي » وترجمة Subjectif بكلمة ذاتي .

انني لعاجز عن فهم الاسباب التي دعت بعض الكتاب الى استعمال كلمة « موضوعي » في هذا المقام . لان كلمة « موضوع » من الكلمات الشائعة شيوعا كبيرا وهي تستعمل دوما لمعان لا تلتئم والمعنى المقصود من كلمة Object بوجه من الوجوه . فهي تستعمل في المنطق — منذ القديم — للدلالة على أحد جزئي القضايا وهو المحكوم عليه . أما الكلمة التي تقابلها في اللغات الاوربية فهي Subject وليست Object

فما إليها تستعمل في لغة العلم والأدب بمعنى مدار البحث والدرس، فبكلينا نقول ونكتب «موضوع الرواية»، «موضوع البحث»، «موضوع الانشاء»، «موضوع القراءة...»
ونقصد بكلمة «موضوع» في مثل هذه العبارات ما يعبر عنه الفرنسيين بكلمة

Object لا Subject

فكيف يجوز لنا والحالة هذه أن نأخذ هذه الكلمة ونحاول استعمالها في معنى مضاد لهذا المعنى الدارج بمجرد إضافة ياء النسبة الى آخرها ؟
لما شرعت في قراءة الكلمة التي كتبتها في انتقاد محاضرة الدكتور طه حسين (العصور الصحفية ٦٥١) عثرت في خلال السطور السبعة الاولى منها على ثلاث عبارات تحتوى على كلمة الموضوع :

« المحاضرات التي ألقاها طه حسين في الموضوع الذي يحدده عنوان المقال — منقولة عن أحد المستشرقين الذين لم يدرسوا الموضوع درساً وافياً — ذكرني الكتاب ببحثين في الموضوع » فإذا ما حاولتم ترجمة هذه العبارات الى الفرنسية ألا تضطرون الى ترجمة كلمة «الموضوع» بـ Subject في جميعها ؟

قلت في إحدى العبارات المذكورة «الذين لم يدرسوا الموضوع درساً وافياً» :
فلنفرض انكم وددتم أن تفهموا القاريء ان الموضوع كان يجب أن يدرس Objectivement فهل كنتم تقولون «الذين لم يدرسوا الموضوع درساً موضوعياً ؟»
وإذا قلتم ذلك أفلا تظنون أن استعمال الكلمة الواحدة على هذا الوجه — في عبارة واحدة بمعنىين يختلف أحدهما عن الآخر اختلافاً كلياً — يثوش الأذهان كثيراً ؟ ثم افرضوا أن أحد معلمى الانشاء قال «فلان وسع الموضوع موضوعياً»
فهل ترتاحون لمثل هذه الأقوال ؟

اننى اعتقد أن محاولة التعبير عن مدلول كلمة Objectii بكلمة «الموضوعي» مما يغمر المدلول بغموض مستمر يحول دون دخول هذا المفهوم الى الادمغة بوضوح كلى ويعوق انتشاره بين المستنيرين انتشاراً مرضياً.

ومما هو جدير بالالتفات أن كلمة Object تدل من حيث الاشتقاق على معنى «موضوع امام» في حين أن كلمة Subject تدل على معنى «موضوع تحت»

يفهم من ذلك أن الفرق بين الكلمتين ليس في مفهوم «الموضوعية» إذ أن كلمتهما تشتركان في هذا المفهوم . فعليه لا يجوز لنا أن نحاول التمييز بين هاتين الكلمتين - في المعاني التي نحن بصدددها - بتسمية أحدهما «الموضوعي». إنما نحن في حاجة ماسة إلى كلمة غير هذه الكلمة .

بماذا نعبّر عادة عن المدلول الأصلي لكلمة Object ؟ انني لم أجد بين الكلمات العربية ما يردأ أكثر ملاءمة لهذا المدلول من كلمة شبح لأن Object في الأصل هو ما يعرض على الانظار ويؤثر على الحواس «

هذا هو الشبح . فقد قال الزمخشري «أسماء الاشباح هي التي ادركتها الرؤية والحس» .

وعندما يقول العلماء «درس الحالة النفسية بأسلوب Objectif « ألا يريدون بذلك «درس تلك الحالة كأنها شبح من الاشباح المحيطة بنا؟ فنحن قد اخترنا كلمة «شبحاني» بسائق الحاجة إلى إيراد هذه العبارات التي لا بد للباحث من أن يستعمل نظيراتها عند ما يحاول شرح المعنى المقصود من كلمة Objectif في هذه المواطن انني لا أقول بتعذر إيجاد كلمة أكثر موافقة منها للتعبير عن هذا المعنى — ولكنني أعارض في استعمال كلمة «الموضوعي» في هذا المقام كل المعارضة وأدعو الكتاب الذين اعتادوا استعمالها بهذا المعنى إلى إعادة النظر في الأمر والتأمل فيه .

أما استعمال كلمة «ذاتي» «ا» Subjectif «فانني لا أعارضه معارضة شديدة الا انني لاحظت إلى الكلمة شيوع استعمالها في الفلسفة والمنطق إزاء كلمة «العرضي»

لقد استعملت كلمة «شخصاني» باعتبار أن Subjectif هو ما يعود إلى الشخص . المفكر المنفعل « وان مدلوله ذات علاقة بشخصنا وبشخصيتنا وكنت فكرت في استعمال كلمة «باطني» غير انني عدلت عنها لكثرة شيوعها إزاء «الظاهري»

هذا ويستعمل بعض المفكرين والكتاب ككاتب «أنفسي» و«آفاقي» «ا» سو بـجكتيف أو بـجكتيف « جريا إلى ما درج عليه المتصوفة في تعبيرهم الذي استخرجوه من الآية القرآنية «وسنريهم ما في أنفسهم والآفاق»

وفي اعتقادي أن هذه المصطلحات تحتاج إلى تمحيص بتمام العناية

٢ — Causalité الفيتكم تعترضون على « العلية » وتقترحون استبدالها بـ « السببية » بينما نحن لم نخترك كلمة العلية إلا لاتنا وجدناها أكثر شيوعاً من غيرها فكتب الفلسفة القديمة تبحث دائماً عن « العلة والمعلول والعلية والتعليل » كما أننا رأينا الكتب المصرية الحديثة أيضاً قد اقتفت أثر تلك الكتب. فهذا الكلام نفسه مستعملة بالمعنى عينه في أصول الفلسفة (لأمين واصف) وفي (علم المنطق الحديث) لـ محمد حسنين عبد الرزاق. فلم نر مبرراً لمخالفة هذا الاستعمال .
أما كلمة « فيناليته » فيمكن ترجمتها « غائية »

٣ — Determinisme لقد اغترضتم على « المعينية » ورأيتم استعمال « القصدية » مكانها. فاسمحوا لي أن أقول أن المعنى المراد بـ « الدترمينيزم » هو عكس « القصدى » تماماً. لأن القصد مظهر من مظاهرها الاختيار في حين أن « الدترمينيزم » هو إنكار لتأثير الاختيار في الحادثات

وأظنكم توهمتم في هذا الصدد من كلمة Determination التي تدل حقاً على « القصد » ولكن « دترميناسيون » شىء و « دترمينيزم » شىء آخر اذ يعنى بالدترمينيزم أن الحادثات تتعين وتتحدد بالظروف التي تحيط بها والبراهيل التي تسببها. فما علاقة هذا المعنى بالقصد والقصدى ؟

٤ — Evolutional وجدتمكم تعترضون على ترجمتها « التطورى » وترومون أن يقال بدلا منها « نشوى »

لقد ترجمت Evolution الى العربية — في الكتب المعربية — تارة بكلمة « التطور » وطوراً بكلمة « النشوء والارتقاء »

واننا نرجح استعمال كلمة « التطور » في هذا المقام. أما كلمة « النشوء » فنجدها أكثر انطباقاً على معنى Development لأن كلمة Evolution تعنى « الانتقال من طور الى طور انتقالاً تدريجياً ومستمرأً، سواء أكان الطور الجديد أرقى من المقدم أم أحط منه. فكلمة التطور تدل على هذا المعنى دلالة أدق مما تدل عليه كلمة « النشوء »

٥ — Génétique انى أوافقكم على ترجمتها بكلمة « التكوين »

٦ — Behaviour تقترحون استعمال كلمة « السلوك » ولكن القصد من هذه

الكلمة هو غير ال conduct ان مدلول كلمة «السلوك» مصبوغ بصبغة أخلاقية. فنرى من اللازم أن نحفظ لها تلك الصبغة . أما المعنى المقصود من كلمة Be aviaour في علم النفس فهو مجرد من مثل هذه الاعتبارات. بل انه مجرد حتى من جميع الاعتبارات الشعورية فقد درس «بافلوف» مثلاً بعض الحالات النفسية عند الكلاب بملاحظة ما يطرأ على افرازاتها اللعابية من تزايد وتناقص . فهل يمكننا أن نقول « سلوك الكلب » عند ما نبجث عن هذه الافرازات؟

اعترف أن كلمة «انتهاج» أيضاً لا تدل على المعنى المقصود دلالة وافية، إلا أنها لم تكن من الكلمات الدارجة فلا يصعب علينا تخصيصها لهذا المعنى الجديد. ومما يستلفت الانظار في هذا الباب أن علماء فرنسا عند ما اقتبسوا هذه الفكرة من الأمريكان لم يعبروا عنها بكلمة Conduite بل أوجدوا لها كلمة جديدة نوعاً ما وصاروا يقولون Comportment

٧ — Normal لقد اعترضتم على «سوى وغير سوى» وقلتم باستعمال «قياسي وغير قياسي» لهذا المعنى. غير انني اظن أن هاتين الكلمتين تلائمان Réguler و Irregular أكثر من «نورمال» و «انورمال» إذ انهما مستعملتان في الصرف بهذا المعنى .

وأرى كلمة «سوى» أكثر دلالة على ال Normal لغة واصطلاحاً. إذ الكلمة مأخوذة من Norma اللاتينية التي تدل على آلة الزاوية المستعملة لرسم الخطوط العمودية (حيث تكون الزوايا التي تحدث في طرفيها متساوية) . ولذلك تستعمل الكلمة في الهندسة بمعنى «العمودي» أما في علم النفس فانها تستعمل للدلالة على الحالة المرضية والآنية. وقد جاء في المعاجم العربية «غلام سوى أى مستوى الخلق لاداء به ولا عيب — ورزقك الله ولداً سوياً لاداء به ولا عيب»

ألا ترون أن كلمة «سوى» هنا تطابق المعنى الذي نفهمه من كلمة «نورمال» في مثل هذه الموضوعات كل المطابقة ؟

هذا ويمكننا أن نقول «فوق السوى» Surnomal «وتحت السوى»

Subnormal و«لا سوى» أو «غير سوى» Anormal

إن هذا الاصطلاح من الاصلاحات التي اعتقد بإمكان نشرها بارتياح كل
بغداد ٣١ مارس ١٩٢٨ ساطع الحصري

العصور - نشكر للاستاذ عنايته ونكبر فيه اهتمامه بموضوع التعريب
والترجمة لأننا نعتقد بحق أن هذا العصر هو عصر النقل . ولا شبهة مطلقاً في أن
النقل هو الأساس الذي لا نستطيع بغيره أن نكون ثقافة عليا بالمعنى الصحيح .
على أنني بعد هذا أصرح الاستاذ بأنني لا أوافق على كثير مما أتى به في رده
الذي أثبتناه هنا بنصه غير منقوص حرفاً واحداً . ولهذا نضطر الى الاطنباب في
الرد اطنابه في النقد تحقيقاً لا نتعرض فيه الا لرد الحاجة بالحجة لارد « الحاجة بالسلطة »
التي نبغضها ونعتقد أنها من أفسد المفاصد التي لجأ اليها العقل ليقرر حقائق
العلم واللغة .

أولاً - استعمال أساليب باتة في ترجمة المصطلحات .

لأنكر أنني استعملت شيئاً من الاسلوب البات في نقد ماذهب اليه الاستاذ
في مقاله الذي يدور من حوله هذا البحث . والسبب الذي أُلجأت الى هذا هو
اعتقادي بأن الاصطلاح الذي جرى على الألسنة والاقلام وقبله أكثر الكتاب
او المترجمين أصبح له مبرراً كبيراً لان يحوز بعض السلطة المستمدة من شبه اجماع
يتفق عليه الكتاب من طريق لا شعوري . ولا جرم أن هذا يبرر لنا الدفاع عنه لاسيما اذا
كنا من الذين جروا عليه وقبلوه ليكون اصطلاحاً علمياً أو فلسفياً أو ما إلى ذلك . أما إذا
اعتبرنا أن كل اصطلاح قابل للتغيير حتى ولو قبله أكثرية الكتاب والمترجمين
وقعنا في فيضي لانهاية لها . وهذا ولا ريب في أن قبول أكثرية الكتاب للجرى
على اصطلاح واستعماله في كتب التدريس وحتى كتب الابحاث العامة هو المسبر
الوحيد الذي يمكن أن يقاس به مقدار مافى ذلك الاصطلاح من حيوية واتفاق
لا مع قواعد التعريب وحدها ، ولكن مع الذوق والحاجة التي تتطلبها اللغة
نفسها . وهذا هو السبب الوحيد الذي حدى بي الى الجرى على أسلوب بات في ردي
الذي تناولت به مقال مجلة التربية والتعليم .

ثانياً - كلمة فلسفة

لم نخالفكم مطلقاً في أن تزنوا « فسيولوجيا » على كلمة فلسفة « الولود » كما تقولون . أما الذى اعترضنا عليه في الحقيقة هو صعوبة الجرى على مفرد ننحته من هذه الكلمة . ولا يخفى عليكم أن العرب عندما استعملوا كلمة سفسطة قالوا في مفرد لها سفسطائي ولم يقولوا سفسطى وقالوا في هرطقة هرطوق وفي هندسة مهندس وفي صيدلة صيدلاني ، ولم ينسبوا مطلقاً الى سفتجة ولا عرفوا بالطبيعة كلمة بلشفة . فعلى أى من هذه الاوزان نجري في مفرد فلسجة ؟ هل نقول فلسجائي كما قالوا في سفسطة أم فلسوج كما قالوا في هرطقة أو مفسلج كما قالوا في هندسة أم فلسجاني كما قالوا في صيدلة ؟ هذا هو وجه اعتراضنا في الجرى على هذا الاصطلاح التعريبي . فليس يكفي في نظرنا أن نعثر على اصطلاح معرب لاسم العلم وحده ثم لانهثر على مشتقات منه تؤدي بقية الحاجات ، أى على مفردة وجمعه ، بحيث تكون مقبولة من جهة الذوق اللغوي ، ومراعاته عندي من أكبر الاسباب التي تؤدي الى بقاء الاصطلاحات وحياتها .

ولقد نسي الاستاذ الفاضل لدى كلامه في كلمة « فلسجة » أننا انما نتكلم في « التعريب » لافي « الترجمة » ولو أنه استعمل اصطلاح « علم وظائف الاعضاء » مثلاً بدلاً من فلسجة لما اعترضنا عليه في شيء .

قال بأن أسلافنا استعملوا كلمة « قاطيغورياس » ولكنها ماتت واستعملوا من بعدها ترجمة أخرى جروا فيها على كلمة « مقولات » . والفرق واضح بين التعريب والترجمة . ولكن المهم هنا هو أنهم قبل أن يعثروا على ترجمة صحيحة توافق حاجات اللغة معنى ومبنى لجؤوا الى التعريب . وهذا كل ما قصدنا في كلمتنا التي تقدنا بها الاستاذ . فاذا استطاع الاستاذ مثلاً أن يأتي بترجمة مقبولة ومعنى ومبنى لكلمة « فلسجة » فنحن أول من يقبلها ، فليشمر عن ساعده ونحن أول المؤيدين .

ولست أرى رأيكم في الجرى على التعريب حيناً والترجمة حيناً آخر . لاننا إذا استطعنا هذا في بضعة أسماء سميت بها العلوم فماذا نفعل بقية أسماء الاعلام مع كثرتها التي لا آخر لها ؟ لهذا أرى أن التعريب أصح من الترجمة الصرفة .

وهذا ما جرت عليه أكثر اللغات . فليدرك بوضوح الفاعل عبرية نقلت الى العربية والانجليزية كما هي . فكلمة « بهيموث » وكلمة « ريم » وقد وردتا في التوراة نقلتا الى الانجليزية فكانتا Behemoth و Reem ، والى العربية فكانتا بهيمة وريم ، كما هي في الاصل . وكذلك كلمة « لويathan » نقلت الى الانجليزية فكانت Leviathan وهكذا . وهذا أسلم طريق لانه لا يؤدي الى فوضى تنتج عن الخلط بين التعريب والترجمة . اللهم الا في الاسماء التي ذاعت شهرتها الى حد بعيد وكثر استعمالها حتى شاع بين المعلمين والمتعلمين . وكل هذا محافظة على الانتفاع بالكتب الاجنبية التي جرى مؤلفوها على لغة دولية اصطلاحية في استعمال أسماء الاعلام .

ثالثاً — Objective , Subjective : موضوعي وذاتي .

يقول الاستاذ بأنه عاجز عن فهم الاسباب التي دعت بعض الكتاب الى استعمال كلمة « موضوعي » ، وانها تستعمل دوماً لمعانٍ لا تلتئم والمعنى المقصود من كلمة Object بوجه من الوجوه ؛ وانها تستعمل في المنطق منذ القديم للدلالة على أحد جزئي القضايا وهو المحكوم عليه والكلمة التي تقابلها في اللغات الاوروبية فهي Subject وليست Object .

ومضى الاستاذ في كل كلامه حول هذين الاصطلاحين معتقداً أولاً : أن ترجمة ذاتي وموضوعي غير صحيحة . وأن الكتاب يضعون كلمة Subject محل Object سهواً أو خطأ . وما خطؤه هو في الحقيقة الآت من طريق اعتقاده هذا .

لم يلتفت الاستاذ مطلقاً الى أن الكلمة الواحدة في اللغات الاوربية على الاخص قد اصبحت تستعمل لتدل على عدة معان مختلفة تمام الاختلاف . والامثال على ذلك كثيرة لا تحصى ، ولا حاجة بنا الى ضرب الامثال . واصطلاحاً Subject و Object لم يعدوا هذه القاعدة . فلهما في المنطق معان وفي الكلام الدارج أخرى وفي الفلسفة مدلولات تختلف عن هذه اختلافات تاما . وهما في الفلسفة وفي علم النفس يجريان على معنى واحد . فاذا قلنا Subjective — أدركنا بذلك

الذاتية التي تبحث « موضوعاً » ما Object أو تختلف عنه . ومن هذا القبيل دروس الاشياء التي تدرس لاطفال المدارس وهي تسمى عندهم Object lessons فالاشياء هي الموضوعات وطريقة النظر فيها فلسفياً أو علمياً هي وجهة النظر « الموضوعى » أى وجهة النظر التي تبحث الموضوعات المادية بما هي عليه، لا بما تدرك الذات التي تبحثها نظرياً أو تبحثها من ناحية علاقتها بها . وهذه هي وجهة النظر الذاتية . والاولى تدعى Objectivism والثانية Subjectivism . واليك الادلة التي لا تنقض . جاء في كتاب تاريخ الفلسفة ومصطلحاتها تأليف لويس Lewes ما يأتى :

Objective method : " Philosophy"—A method of inquiry which moulds its conceptions on realities by closely following the movements of the objects. as they severally expose themselves to sense, so that the movements of thought may synchronize with movements of things.

فيلاحظ هنا مقابلة الموضوعات بالحواس ، والفكرات بالاشياء . فالحواس والفكرات تمثلها الذات المدركة Subject والموضوعات والاشياء تمثلها الكائنات الخارجية Object.

وجاء في كتاب « هاملتون » في الميتافيزيقا جزء اول ص ١٦٠ و ١٦١ طبع هانزل ما يأتى :

The terms Subjective and objective denote the primary distinction in Consciousness of self and not self; and this distinction involves the whole science of mind, for this science is nothing more than the determination of the subjective and objective in themselves and in their mutual relations.

فهل يكفي الاستاذ للاقتناع بصحة ما نذهب اليه ، وهو نقيض ما يعتقد به تماماً ، قول هاملتون المعروف بأن الاصطلاحين وضعاً ليدلاً على التفريق بين النفس أو الذات واللا نفس أو اللا ذات ؟ وأن هذا التفريق يتضمن كل العلوم العقلية لأنها تقوم على قاعدة تحديد الذاتى والموضوعى فى ذاتهما وفى علاقتهما المتبادلة ؟

وجاء في هذا الكتاب نفسه ض ١٥٩ و ١٦٠ ما يأتي :

Objective means that which belongs to, or proceeds from the objects known, not from the subject knowing, and thus denote what is real, in opposition to what is ideal—what exists in nature in contrast to what exists merely in thought of the individual.

هل يكفي الاستاذ أن يكون الموضوعى هو « الأشياء المعروفة » لا « الذات العارفة » وان اصطلاح Objective يدل على الشيء « الحقيقى » لا على ما هو ذهنى خيالى ، وأنه يدل على ما يوجد فى الطبيعة مضاداً بذلك ما يوجد فى فكر الانسان ؟ هل يكفي هذا دليلاً على صحة ما ذهبنا اليه ؟ نظن أن هذا كاف لتأييد مذهب اليه .

ثم ارجع الى كلمة Subject — فقد جاء فى القاموس الانسيكلوبيدى ص ٦٥٢ مجلد ٦ ما يأتى :

Subject : (Philosophy) the ego as distinguished from the object or non-ego; the mind considered as that in which knowledge inheres.

أيكفيه أن تكون كلمة Subject تدل على « الذات » تفريقاً لها عن « الموضوع » أو اللاذات ، وانها تدل على العقل الذى يستوعب المعرفة ، لا على « الموضوع » الذى يعرفه العقل ؟

وجاء فى كتاب لويس تاريخ الفلسفة طبعة (١٨٨٠) :

Subjective method (Philosophy): The method of investigation which moulds realities on its conception, endeavouring to discern the order of things, not step-by-step adjustments of the order of ideal to it, but by anticipatory rush of thought and not controlled by objects.

أظن أن هذا كاف لان نقنع الاستاذ بصحة الترجمة التى جرينا عليها فى مصر وهى نتيجة درس طويل عميق قائم على ما فهم فلاسفة أوروبا من مدلولاتها التى تواضعوا عليها .

ولا نظن بعد هذه التعاريف التى أتينا عليها والشروح التى ذكرها كبار الكتاب وأصحاب المعاجم المضطرين الى الجرى على اصطلاح ذاتى وموضوعى وذاتية وموضوعية نزولاً على حكم المعنى الاصلى الذى وضعت من أجله هذه الالفاظ

رابعاً — Causality أي العلية أم السببية ؟

هنالك فرق كبير بين العلية والسببية جرى عليه المحدثون في الاستعمال الفلسفي . ولم يستعمل القدماء لفظ السببية بالمعنى الذي أدركه المحدثون : والسبب في هذا التفريق أنهم صرفوا العلية على العلل الغائية والنهائية التي تنتهي إليها كل « الاسباب » وسموها Final cause أو Final causes وهي العلل التي ترجع إليها جماع الاسباب التي تكون ظاهرات الطبيعة . فكلمة Causality تدل على السببيات التي هي ليست بشيء سوى أوجه الترابط الواقع بين سوابق طبيعية ولواحق متكررة متواترة في كل نواحي النظام الطبيعي ممتدة في الزمان والمكان لترجع الى علة غائية ، وجماع هذه العلل الغائية تعود الى علة نهائية تدخل في باب الغيبيات الصرفة . فالجاذبية مثلاً علة غائية لانه يرجع اليها عدد من السببيات التي تعبر لنا عن كثير من الظاهرات الطبيعية . أما الجاذبية ذاتها فتعود الى علة نهائية خارجة عن الابحاث الطبيعية فكلمة causality اذن هي السببيات الجزئية أو التسبب لا العمل . جاء في القاموس الانسيكلوبيدي ص ١٠٧ مجلد ٢

Causality — The agency of a cause; the quality or property of causing

وهذه المعاني الدقيقة يجب أن نلاحظها جيداً اذا أردنا أن نتحرر من على درس العلوم والفلسفة درساً قائماً على الحقائق الاولى فيهما .

خامساً — Determinism أي المعينية أم القصدية ؟

قال الاستاذ رداً على إذ أردت أن أترجم هذه الكلمة « بقصدية » أن الدتيرمنزم هو عكس « القصدية » تماماً . لان « القصد » يظهر من مظاهر الاختيار في حين أن الدتيرمنزم هو انكار تأثير الاختيار في الحادثات . والحقيقة أننا لم نرم بالقصدية الى الاختيار الحر مطلقاً . بل رمينا الى القول بأن الارادة غير حرة وانها تحول الى غايات قسراً عنها بفعل قوة قدسية تحول القوى العقلية الى نهايات وأفعال توافق « مقاصدها » وتتقضى على « مقاصدنا » . وهذا هو المعنى المدرك مما عرفت به هذه الكلمة كل التواميس وكتب الفلسفة .

أما إذا لم يوافقنا الاستاذ على هذا الاصطلاح فانه يستوى على الأقل واصطلاح « المعينية » الذي يريد أن يضعه ترجمة لهذه الكلمة بل أن « القصدية » أقرب للمعنى الاصلي من اصطلاحه .

سادساً — Evolutional — أنطوري أم نشوئي ؟

استعملت كلمة تطور في ترجمة أصل الانواع واستعملت أيضاً كلمة نشوء ترجمة الاصطلاح Evolution- . غير أني لم استعمل أحدهما ترجمة لكلمة Development مطلقاً لأن هذه تدل على « النماء » لا على النشوء أو التطور وهو اصطلاح قديم عدل عنه النشوئيون في العهد الاخير بعد ظهور داروين . أما السبب في أني أفضل كلمة نشوء الآن على تطور وان كنت لا أرى مانعاً من استعمالها لتحل احدهما محل الاخرى ، هو إن كلمة تطور لم تسمع من العرب ولا استعملوها ، بل استعملوا كلمة نشوء . هذا فضلاً عما في كلمة نشوء من المعنى الدقيق الذي يدل على تولد بعض الاحياء من بعض ونشوبها في سلسلة طويلة . ناهيك بأننا نتجت منها كلمة نشوئي Evolutionist للمفرد ونشوئيون للجمع . أما كلمة تطور فليس فيها من المطاوعة ما نجد في كلمة نشوء .

سابعاً — Behaviour — أهى سلوك أم انتهاج ؟

اعترف الاستاذ بأن ترجمة هذه الكلمة « بانتهاج » كما جرى هو عاينها لا تؤدي المعنى تماماً . ولذا وجب علينا أن نرجع الى تعريف الكلمة في لغتها الاصلية . جاء في القاموس الانسكلوبيدى ص ٤٨١ مجلد أول مايلي .

Behaviour: Outward deportment; such conduct as is visible to the eye.

1— Such outward deportment as is fitted favourably to impress.

2— Gesture, posture, attitude, specially of a graceful kind.

وهذا يدل دلالة واضحة على أن هذه الكلمة تدل على « السلوك » الظاهر الذي يأتي به حي متحرك من الاحياء . وجاء في القاموس الانسكلوبيدى ص ٤٨١ مجلد ١ مايلي :

Conduct: Including what is within the heart and unseen, not less than what is visible.

وهذا يدل على «الصفات» لاعلى الاخلاق القلبية التي يتصف بها الإنسان أو الحيوان . وعلى هذا نصطلح على ترجمة سلوك وأخلاق وعلم الاخلاق ، فنستعمل للاول كلمة behaviour والثانية conduct والثالثة Ethics- جريا على المعانى الاصلية التي وضعت هذه الكلمات لتدل عليها من لغاتها الاصلية .
ثامناً بـ Normal, Abnormal — أسوى وغير سوى ، أم قياسى ولا قياسى
جاء فى القاموس الانسيكلوبيدى ص ٢١٥ مجلد ٥ ما يأتى

Normal: As adjective (صفة) according to a rule, principle or standard conforming to certain standard, type or established law; regular, not abnormal.

Technically:—

Bot:— Not in any way departing from the ordinary structure peculiar to the family or genus etc. of a plant.

من هنا نرى أن كلمة Normal تدل على «القياس»، فلسفياً وعلمياً .
وجاء فى القاموس نفسه ص ١٣ مجلد ١ ما يأتى .

Abnormal—Not according to rule, irregular; anomalous, departing from the ordinary type.

ويقول مستر ترنش فى كتابه «اللغة الانجليزية قديماً وحديثاً»، أنها استعمالات حديثاً جداً فى اللغة الانجليزية . ومن هذه التحايد نرى أن الكلمتين تدلان على «قياس»، الافراد والاشياء على معيار ما فتكون قياسى ولا قياسى . أما «السوى»، فيدل على الكمال كما يقال «وتمثل لها بشراً سوياً»، أى كادلاً وهذا يدل على الاصل الذى يقاس عليه لاعلى الشئ المقيس على أصل يتخذ قاعدة للقياس .

هذا ما رأينا فى نقد الاستاذ لعنا نكون قد أحيينا بعض الحقيقة ، آمين
أن يكب المشتغلون بالعلوم على مثل هذه الابحاث «والمصور»، تفسح صدرها لكل نقد خدمة للعلم والعربية ونحن على يقين من أن النقد محك الحقيقة .

اسماعيل مظهر

الموسيقى العربية والموسيقى الغربية

توطئة — ماهي الموسيقى؟ — أبرز ناحية في الموسيقى العربية —

فقر الموسيقى العربية — التفاوت والمميزات بين الموسيقتين —

النهضة الموسيقية العربية

توطئة

ليس من ينكر تقدم الموسيقى العربية ، تقدماً محسوساً ، تألمه من خلالها ، ونبوغ أفراد جروا شوطاً بها ، اذ هذبوا ، وأصلحوا ما فسد وانحط منها ؟ وابتكروا (شيئاً) من عندياتهم واقتبسوا من الموسيقى الغربية ، ما (وجدوه) ضرورياً ، ومناسباً لها ، حتى غدت كما هي الآن

كانت الموسيقى العربية في العصر العباسي ، في حالة ازدهار ، ورقى ، حتى بلغت شأواً من الدقة ، والسمو ، ولكن بعد أن دالت الدولة العباسية ، تسرب اليها الانحطاط ، والضعف شيئاً فشيئاً ، حتى وصلت منذ قرن ونيف ، الى أقصى دركات الفساد والتأخر ، الى أن قيض لها (عبده الحمولي) الذي ارجع لها (بعضاً) من غاير مجدها (وشيئاً) من مكانتها السالفة في عالم الموسيقى ، ومنذ ذلك الحين ، بدت طلائع عصر جديد في الموسيقى الشرقية ، وظهر بها نوابغ قليلون في سوريا ، ومصر ، والمهجر ، تدرجوا بها من الممات الى الحياة

ماهي الموسيقى؟

ان لفظة «موسيقى» يونانية الاصل وهي فن ، أي انها لا تقتصر على العزف لا غير ، بل تجمع فني الغناء ، والتأحين أيضاً

وقد اطلقت لفظة «موسيقى» على كل من انضم تحت لواء الآلات الموسيقية ، على اختلاف أنواعها ، من عازف ، ومغن ، وممثل

أبرز ناحية في الموسيقى العربية

ان الموسيقى العربية مشهورة برقتها ، ونعومتها ، وجمالها ، ويقال على الاجمال انها اشتهرت بأمر واحد بارز ، هو : «الكآبة»

فانك لترى الكآبة ظاهرة في جميع الالحان ، والالغام ، حتي فيما كان منها مشيراً

ان هذه النعمة القديمة ، قد ورثناها عن أيام العرب ، يوم كان المغنى يتغنى
متغزلاً بحبيب ، أو باكياً لموت قريب ، أو لفراق عزيز ، فانك ترى الكتابة
متجلية في جميع المعاني والألحان ، حتى لتكاد تتلمسها ، وتشعر بتسربها الى
نفسك .

أما اليوم فيجب أن تطلق الموسيقى العربية من قيودها ، ومن محيطها
المحدود ، حيث تعددت المنازع ، والمناحي ، واختلفت العواطف ، والاهواء ،
ويجب أن تسير مع رغائب الانسان ، ومناحي حياته

فالموسيقى العربية ، مختصرة على التأوه ، والبكاء ، والنحيب والكتابة ،
والحزن ، والعواطف ، والشواعر ، في المعنى ، والمبنى ، واللحن ، فليس الذنب هنا
على المغنى أو العازف وحدهما ، بل وعلى الشاعر أيضاً

ومما يؤسف له أن تستمر الموسيقى العربية ، مقيدة بقوالب ، وأوضاع ،
وأساليب قديمة ، بالية ، سخيفة ، لا يتجاوزها الموسيقيون ، أو مبتكرون سواها ،
فانك ان شئت ، أن تستروح النفس بسماع غناء ، فالويل كل الويل لك ، حيث
جنيت على نفسك ، لأنك وأنت تصفى الى المغنى ، تصرف وقتك ، وينفذ
صبرك ، لتراه ينتهى من آه . . . آه . . . آه . . . آه . . . يا ليل ! . . . يا عين ! . . .
فاتحاً فمه ، يسطر الكلمة كأنها زئبق أو مطاط ، صارخاً بأعلى صوته ، مردداً ، شاكياً ،
باكياً ، متأوهاً ، منادياً ، (الدين) و (الليل) عشرات المرات ، حتى يطفىء نور
العيون ، ويزعج عفاريت الليل ! . . . ولكنك مع هذا الصبر الطويل ، لا تفوز
ببغيتك ، ويغير لك هذه النعمة ، المترددة ، لأنه لا يرحم السامعين . ولا يشفق
عليهم من الاغماء بصياحه المزعج المتواصل ، وترداده يا عين ! . . . يا ليل ! . . .
— الا بعد طويل أمن — وحتى لو كانت كل (صرخة) تخلف نغماً ، فإن
النفس لتسأم كثرة ترداد الكلام ، ولو اختلف اللحن قليلاً

وأما في العزف على آلة ما ، فلا تستطيع التلصص من الكتابة البارزة

في اللحن

فقر الموسيقى العربية

تفتقر الموسيقى العربية الى قوة التوليد ، والتفنن ، والابتكار ، في الاساليب ، والانغام ، والاضاع ، لكي لا يمل السامعون متى غنى مغن ، أو عزف عازف ، من الاساليب القديمة الرثة ، التي أصبح يمجها الذوق ، ويعلمها السمع والموسيقى العربية في أشد الافتقار ، وهسيس الحاجة الى الاقتباس من الموسيقى الغربية ، والاستفادة من نوتتها ، وروائعها وقبها الكلى ، كما اقتبس الغربيون ، موسيقاهم عن العرب ، يوم كانت موسيقاهم في أبان نهضتها ، وقد انعكست الآية الآن ، وغدونا في أشد الحاجة للاقتباس ممن كانوا يقتبسون منا بالامس ! ... وهكذا الدهر قلب ...

لم تبلغ الموسيقى العربية ، درجة سامية ، تجعلنا نقارنها بالموسيقى الغربية ، التي بلغت الى أسمي ما بلغه الفن من أيام (باخ) و (بيتهوفن) و (موتسارت) و (هايدن) الى الآن

ويقال على الاجمال في الموسيقى العربية ، ان ليس فيها من النبوغ والعبقرية الا النزر اليسير ، وأما في الفن والصناعة ففيها الكثير ، إذ لا تصلح الموسيقى بدونهما

وأما النوابع فقليلون ، وانهم لم يصلوا بها الى ما بلغت الموسيقى الغربية من الارتقاء ، والتفوق ، والعظمة ، وقد قال لى الموسيقى النابغة وديع صبرا مخترع البيانو الشرقى:

« وقد تبلغ الموسيقى العربية ، شأؤ الموسيقى الغربية بعد خمسين سنة »
ولكنى لا أوافقه مطلقاً على هذا القول ، حيث أن بلوغ الموسيقى الغربية قمة المجد ، كانت نتيجة درس ، وعراك ، واستعداد ، وابتكار اربعائة سنة ، وظهور نوابع كثر فيها ، جعلوها في هذا المستوى الراقى — فأين نحن من الموسيقى الغربية والنهضة الموسيقية ، ولما نزال في المهد بعد ؟ وأين النوابع عندنا ؟ وأين أعمالهم الموسيقية الخالدة ؟ وما هي ثقافتهم الموسيقية ؟ وما يعرفون عن الموسيقى الغربية ، واختلاف انواعها ودرجاتها ، وتعدد فنونها وأساليبها ؟ وتاريخ الموسيقى ، وتاريخ

الموسيقين ؟ وتاريخ الآلات الموسيقية ، وتطور الفن الموسيقى منذ نشأته الى الآن ؟ ماذا يعرفون ويعلمون عن الموسيقى ؟ هل تجاوزوا عدة فنون بها ؟ هل يعلمون أو يعرفون أن يعزفوا أو يغنوا ويلحنوا غير ألحان : (القصائد) ، (الادوار) ، (الماويل) ، (التواشيح) ، (البشارف) ، (الطقاطيق) ، (المنولوجات) ، (المارشات) ، (التقاسيم) ، (الرقص) ، (السماعيات) ؟ — هل هذه كل فنون الموسيقى ؟

أن (الاورا) و (الاوريت) و (السوناتا) و (السارناد) و (السيمفوني) و (الجاز) و (تريو) و (كوارتت) و (سكنت) و (سبست) و (ننت) و (اوكتت) و (نونت) و (كورنسترو) و (فنتايزيه) و (رابسودي) و (كابريشيو) و (فيوج) و (اوفر تيرو) وغيرها من فنون الموسيقى الراقية ، التي تعبر عن نفسية الانسان وعواطفه — في موسيقاهم ؟ فلا يجب القول اذاً أن الموسيقى العربية تبلغ شأ وشقيقتها الموسيقى الغربية بعد خمسين سنة . لان هذا القول هراء ، من الخرق التسليم به ، لانه لا يقوم على حقيقة راهنة ، وفي رأي أن الموسيقى العربية (قد) تبلغ مبلغ الموسيقى الغربية بعد مائة سنة

التفاوت والميزات بين الموسيقتين

تتفوق الموسيقى الغربية على الموسيقى العربية . بعدة ميزات : في الصنعة ، والفن وقوة التوليد ، والتركيب ، والدقة ، والاتقان ، والتفنن ، والابتكار ، والسمو ، والخلود ، والكمال ، والنبوغ والعبقرية ، والعلامات الموسيقية (النوط) وتعدد المرامي والمنازع وكثرة فنونها ، والحماسة

وأما الموسيقى العربية ، فتتفوق على الموسيقى الغربية : بالركة ، والجمال ، واللطافة ، والحس ، والشعور ، والعاطفة ، والحزن ، والكآبة ، والشجر ، والطرب ، والصباية ، والمناجاة ، وان في ديوانها ، أربعة وعشرون (٢٤) رباعاً — وديوان الموسيقى الغربية اثنا عشر (١٢) نصفاً — وان مافي العربية ، ليس في الغربية ، من الارباع ، وكثرة الاوزان ، اذ أن الثانية انصاف ، وهذا ما يعرف بداهة

فالتفاوت عظيم بين الموسيقتين ، من حيث هذه المميزات التي دونت
بعضها ، انحطاط الموسيقى ، وتقهرها ، وموت الفن

ولكن لا أقول إن الموسيقى العربية ، خالية من الاوصاف التي تتسم بها
الموسيقى الغربية ، إنما أقول أن بها بعضها فقط ، وهذا (البعض) ليس متقناً ؟
ومتقناً وقوياً ، والا لبلغت الموسيقى العربية شأنًا من السمو ليس لها الآن
النهضة الموسيقية العربية

ونرى الآن بوادر نهضة طيبة — ولكنها بطيئة — في فن الموسيقى العربية ،
حيث ظهر بها موسيقيون يحاولون الاقتباس من الموسيقى الغربية والجري على
منوال نوابغها ، والحدو في التأليف حذوهم ، وفعلاً قد أفلحوا قليلاً ، وقد يفلحون
كثيراً ، ومن فجر نهضتهم اعتمدوا على (النوط) — وليس على السمع كما كان
يفعل الموسيقيون قديماً — في التأليف والتلحين ، والعزف ، وادخلوا (النوط)
الى الموسيقى العربية ، حيث أصبح التخاطب الموسيقي شائعاً بها ، وراحوا يؤلفون ،
ويكتبون ، ويلحنون به ، ويعزفون بواسطته ، وقد أصبحوا الآن على صلة راهنة
بالموسيقى الغربية ، وفي العالم أجمع

ومما يسر كل عربي وكل شرقي ، محاولة هؤلاء الموسيقيين ادخال نوعي (الاوبرا)
و (الاوبريت) الى الموسيقى العربية ، وفعلاً لحنوا بعض (اوبرات) نجحوا فيها
قليلاً ، وكثيراً من (الاوبريت) نالت نجاحاً أعظم ، لانهما من نوع (أوبريت
كوميك) — في مصر وسوريا

وقد نظم شوقي بك أوبرا انطونيوس وكليوباتره ، لحنها الموسيقى محمد
عبد الوهاب ومثلت في مصر مرات عدة ، ونالت نجاحاً لا بأس به

ونظم الدكتور زكي أبوشادي عدة أوبرات : (احسان) (الآلهة) (اردشير)
(اخناتون) (الزباء) لم تلحن جميعها . ونظم الدكتور على الناصر أوبرا (سلوى)
لم تلحن أيضاً . ونظم الخوري مارون غصن أوبرا — أسماها (الملكان) لحنها
وديع صبرا في بيروت ، وقد مثلت مراراً ، ونالت نجاحاً جعل الصحف تلهج

بالثناء على ناظمها وملحنها ، وعلت من حولها ضجة كبيرة في هذه الصحف من الكتاب والنقاد

وقد لحن موريس نجار الموسيقى السورى — نزيل باريس اليوم ورئيس جوقة الموسيقى في إحدى الجوقات الموسيقية بها — عدة أوبرات ولكنها افرنسية وهذا الموسيقى ، يلحن ألحاناً عربية كما يلحن ألحاناً غربية ولحن كميل شامبير ٣٥ رواية (اوپرب كوميك) وترجم (توسكا) الى العربية وقد وضع لها ألحاناً عربية ، ولكنه لم يجد لها أصوات أ كفاء لغنائها فلم تمثل الآن



هذه بوادر مباركة في النهضة الموسيقية ، ترفع هذا الفن العربى ، الى الذروة التى يستحقها ، وعسى ان ينشط الموسيقيون فى القطرين المصرى والسورى ، الى الهدم ، فالبناء والاصلاح فى الاساليب ، والاضاع ، والالخان ، والفنون الموسيقية الغربية ، والاقتباس من الموسيقى الغربية ؟ لتسير موسيقانا وموسيقاهم جنباً الى جنب ، فنرجع لها مجدها الغابر ، ونفاخرهم بموسيقانا وننافسهم فى دولة الفن والموسيقى .

منير الحسامى

بيروت

لماذا أُلحِدَت

قرأت بأعجاب مقال الأستاذ رسل المترجم في مجلة العصور فلم أتمالك من قضاء عدة ليال مسهداً أفكر في الموضوع ولا أكتمكم أني كنت شديد الإيمان في الصغر فذهب الشك في قلبي وأخيراً صرت ما أنا إياه الآن ملحداً وأظن أنكم ستفسحون مجالاً لي في مجلتكم كي أبسط للقراء مادعاني إلى أن أكون كذلك وذلك اجابة بنزعة حرية الفكر .

ولدت قريباً من جهة قبر شمون من أعمال لبنان الجنوبي من والدين مارونيين (كاثوليك) فلما شببت وكنت أقصد كنيسة الناحية في كل مرة انتابني السأم من عظات الخوري (القس) المملة المتشابهة فبعد ما كنت في صغري أقصد ما يسمونه بيت الله كما يذهب صفار المدن دور السينما في الوقت الحاضر لمشاهدة فصول القديس يقوم بها الخوري والشماس وغيرهما اختلفت وجهة نظري فاخذت أذهب لا تطلع الى وجوه غيد القرى وهن يتهادين بأثوابهن الجميلة قاصدات مكان الصلاة. ولشد مدهشت عند ما علمت من غيري من الشبان أن داعي ذهابهم الى هناك لا يختلف عن داعي ذهابي، وليس هذا فقط بل علمت أن الاوائس أيضاً يتأقنن خصيصاً ويذهبن مدفوعات بأيدي أمهاتهن بأمل وقوع أحد الشبان في شبا كهن وكنت أجدهن في تصفح الحدود النضرة والعيون الذابلة وهي تحدجنى بلحاظها الخفية حين كان يكسو الخجل الوجوه. وتلفت يمنة ويسارا فلم أجدهن كاسيا الا أوجه بعض العجائز الذين يشعرون بدنو أجسامهم ويرتعدون فرقا من نار الجحيم، فلاجل هذا يبذلون جهداً غير يسير لا تباع طريق الجنة حسب ما ترسمه لهم الأديان . وكما واجهوا الشك رجعوا عنه الى الإيمان خوفاً من أن تشوى النار جلودهم بعد يوم الدينونة . وهم دائماً يتعلمون قائلين ان السخافات المطالب منهم القيام بها لها معان سامية لا تدركها افهامهم. وفكرت في موضوع جهنم فلم أتمالك من أن أسأل نفسي اذا كان الإنسان لا يصل الى الشعور بحقيقة الله فلماذا يعذب ؟ الان تفكيره غير راق وهذا ليس بذنبه بل ذنب الذي وهبه قوة التفكير ؟ واذا قصد على فرض أن لا يؤمن بالواقع فلم يفعل ذلك ؟

ليس لوجود خلل في عقله لم يكن هو السبب فيه ؟ أما اذا كان كتب عليه الكفر فاذن
 ليس له دخل في الموضوع فهو مسير لا مخير . انتقل الى فكرة عذاب الجحيم فنسأل
 لماذا يميل الله الى القاء الناس في نيران الجحيم كما كانت تفعل محاكم التفتيش ؟
 وهل يجد لذة من التطلع الى الاجسام وهي تتلوى من الألم ؟ ما الفرق اذن بينه وبين
 ملوك الزنوج المتوحشين عند ما يحرقون المفضوب عليهم وهم لعذابهم ينظرون ؟ أم
 هل يسره أن يسمع الانات والاهات المرسله من أفواه أولئك المساكين ؟ اذن
 يكون عديم العاطفة صلب القلب على حد تعبيرنا . أم يريد التشفى والانتقام من
 كتب بيده عليهم هذا العذاب في حين كذب في قدرته اهدأهم سوء السبيل ؟ وهنا
 أسأل ، هل يقل ما يقال من أن عذاب الآخرة مستديم وكيف يمكن أن يكون هكذا
 لآلاف أو ملايين من ملايين السنين في حين أن البضحية لم تجرم أكثر من عدة
 سنين هي كل حياتها الأرضية وذلك بصرف النظر عن أنها كانت مقوده ؟ ثم لم يقل
 ولا أحداً ما تكون نهاية هذا العذاب هل له آخر أم لا ؟ ومتى يكون آخره ؟ واذا كان
 لنا فكيف يمكننا تصور ما ليس له نهاية ؟ واذا كان له آخر فما الذي يحصل لتلك
 لانفس بعد ذلك ؟ أليست فكرة التقمص أرقى بكثير من هذه الفكرة البلهاء ؟
 اليس قريب من العقل القول بان السير على طريق الخير يؤدي الى الحياة الراقية
 في حين أن السير في طريق الشر يؤدي الى حياة سافلة ؟ وهكذا يمكننا بالاقول
 التفكير بنظام داخلي معقول

وهل يريد الله بعقابه المخالفين لاوامره ان يردعهم ؟ فاذا كان الامر كذلك فما هي
 فائدة الردع وهم سيخلدون في العذاب أو على الاقل لا يرجعون الى حياة أخرى ليحاولوا فيها
 اتباع الصراط المستقيم ؟ وأما لو كانت هي فكرة أهريمان اله الشر عند الزرادشتيين
 المسمى الشيطان بلغتنا ، فهل ليس « لاهور مراد » اله الخير عندهم المسمى الله بلغتنا سلطان
 عليه حتى يعيث بالخلل اثنى عشر يوماً جواراً فيتمتعونه رغبة النكابة بالله ؟ وهل التسليم بهذه الفكرة
 مما يشرف فكرة الألوهية ؟ وهل اذا كان في استطاعة الله كفى بذلك الشرير
 عن اقتياد الناس على جهنم الحمراء ولكنه لا يفعل يكون مثلاً حسناً لفكرة الآله
 الرؤوف الرحيم

ولماذا لم تنزل الرسل الالافى الواسط الهنجية كواسط افريقيا في الوقت الحاضر ولا تنزل في الاواسط المتمدة ذوات العقول الراقية؟ بل لماذا كانوا ينزلون في الماضي ، و بين كل اثنين منهما حوالى مئاة من السنين لا تتجاوز العشر ، و بين الساميين دون غيرهم في حين كان لغير الساميين آلهة من البشر تملى عليهم اراداتها رأسا من جوف الاضنام؟

لنرجع الى فكرة الصلاة فنتساءل لماذا يخصص لها وقت معين ولا تترك للناس لاقامتها حين يشعرون بانهم في حاجة الى الابتهاال لله بدلا من أن يؤدونها بطريقة آلية قياما بالواجب؟ وقد يكون الفرد منهم منشغل الفكر لدرجة لا يتيسر له معها الانصراف تماما الى الصلاة . ولماذا أيضا تتحتم الصلاة على أصول مخصوصة بحركات واقوال معينة في حين أن الابتهاال الخالص يكون بالتعبير الصحيح عما يخالج الانسان على حقيقته ؟

هذا قليل من كثير من الاسباب التي اظنها تبرر رفضي لتعاليم الاديان القائمة على فكرة وجود الله

ساؤو باولو — برازيل

بندلي البيلون

جمعية

مبحث العلوم الخالدة

... صاحب العصور

بحمده وبمنه تعالى اجتمع فريق من أرباب العقول الناضجة والافهام العالية تحت رئاستي أنا الضعيف المذيل هذه النشرة باسمي فأنمنا جمعية لمبحث العلوم الخالدة وينحصر غرض هذه الجمعية في احياء العلوم التي كاد يودى بها جهل الاجيال اللاحقة و يشترط في من يطلب الانضمام اليها أن يعد رسالته عن أحد الابحاث الآتية وعلى الله الاتكل

١ - جيولوجية جبل قاف

٢ - مركز الغنقاء في سلسلة الفشوء والارتقاء

٣ - تشريح فسيولوجي للشجرة المحرمة

٤ - حولة وسرعة سبعين نوع مع بيان قوتها ونوع درعها وتقاسيمها الداخلية

٥ - مقارنة بين دستوري جمهورية يأجوج ومأجوج ومملكة واق الواق

٦ - حق العلماء في تقرير مصير الخلق مع تبين ما أبقوه للديان ليفعله

يوم الحساب

٧ - المعري وهل كان كفيفاً أو متكاففاً وهل سيلقى في قاع جهنم أو في

حفرة توجد خصيصاً له في ذلك القاع

٨ - تطبيق نظرية ملتوس على قصة تجنيد مائة الف فارس كأنهم الليوث

العوابس من سكان قرية تحوى مائتي نسمة

٩ - ارجاع الالفاظ المحرفة المذكورة بعد الى أصلها العربي مع ذكر نتف

عن مخترع كل منها :

السيارة . الطائرة . القاطرة الكهربائية . الدبابة . البرق بلا موصل . الحاي

لمدرعة . الدراجة . الكهرباء . المصرف . التطور . المذنبات . الغواصة .

جلاذية . طرق الحديد . المحركات البخارية

١٠ - مقارنة بين نواطح السحاب ومضارب الشعرونسبة خلط الاسمنت المسلح في كل منهما مع ذكر قوة المقاومة في كل سنتيمتر مربع

١١ - اسكات السفهاء في تبين أطعمة الخلفاء مع مقارنته بين الفالوذج وحلاوة بلدنا

١٢ - اقناع الخناس في درس امة الذسناس وكيف كانت الغورلا انساناً ثم مسخه البارى الى ماهي عليه الآن

١٣ - شرح نظرية السقوط من أدنى الى أعلا مع ذكر مثل لذلك من عهد الرشيد ومقارنتها بنظرية الجاذبية

١٤ - مقارنة لغة الملائكة باللغة السريانية مع التكلم عن تطور كل منهما

١٥ - هل نحن أحسن أخلاقاً أم الاوائل، مع ملاحظة أن ما حرم عليهم هو الفاشى عندنا فى الوقت الحاضر

مما سبق تجدون أننا لم نترك عالماً من العلوم الى ممسناه ولا مانع لدينا مطلقاً من أن يكتب المرشحون ذواتهم عن مواضيع بمائلة

ط . ه . حنين

رئيس جمعية بحث العلوم الخالدة

. مصر القاهرة المحمية

اختزال الكتاب

باللغة العربية

جادل أكثر من واحد أن ينشئ طريقة لاختزال الكتاب العربية ولكن يلاحظ أن هم السكل انحصر في نقل الطرق الأجنبية بتغيير طفيف غير جوهري إلى اللغة العربية؛ ولما أفلح البعض في متابعة الخطباء بسرعة تتفاوت بين الثمانين والمائة والعشرين كلمة في الدقيقة ظنوا أنهم توصلوا لأول درجة من درجات النجاح ولكن الواقف على حقيقة الحال يلاحظ أن هذا النجاح ليس إلا جزئياً لا أمل في ازادته زيادة كبيرة في المستقبل
كلنا يلاحظ أن هناك مراحل يجب قطعها في التمرن على اختزال الكتابة هي كالترتيب الآتي

(١) استبدال الأحرف بإشارات

(٢) جمع اشارتين في اشارة واحدة

(٣) استبدال المقاطع بإشارات

(٤) الرمز على الكلمات الكثيرة الاستعمال بإشارات

(٥) الرمز للاصطلاحات المركبة بإشارات

فيجب علينا الآن بحث هذه النقط واحدة فواحدة لنرى إذا كان في الامكان

اتباعها في اللغة العربية

(١) لا شك أن الكتابة العربية إذا محونا منها النقط تصبح في حد ذاتها نوعاً

من الاختزال وما عليك إلا المقارنة بين حرف ب و b و (م) و h لتجد أن الأحرف

العربية أسهل في الكتابة جداً وهي على حالها من الكتابة الأجنبية فإذا أزيلت

النقط، والطريق إلى ذلك سهل للغاية، زادت سرعة الكاتب. لذلك نصح أصحاب

الطرق العربية بعض النجاح. ومن المعلوم أن الكاتب المسرع يتيسر له متابعة

الخطيب باللغة الانكليزية مثلاً بسرعة تتفاوت بين ٤٠ و ٦٠ كلمة في الدقيقة إذا

استعمل الأحرف العادية. وأما في اللغة العربية فقد تصل السرعة إلى ما بين ٦٠ و ٨٠

كلمة في الدقيقة. وهنا اقترح وجوب الكتابة المختزلة من اليسار إلى اليمين لأنني

لاحظت انها أسرع من الكتابة بالعكس

(٢) وكذلك قل عن طريقة جمع الاشارتين المتشابهتين في اشارة واحدة فلو كانت اشارة (م) هكذا - واشارة ن- لا يمكن جمع اشارة الحرفين من في اشارة - (٣) أما المقاطع فتكاد تكون مفقودة تماما في اللغة العربية أما الانكليزية مثلا فان المقاطع الآتية

Intro ult inst en inf at com cui con تلك اللغة كما وان

ed tion by live ing وغيرها كثيرة الاستعمال في أواخر الكلمات فمن السهل استبدالها أما في لغتنا فمع افتراض أن هناك زوائد فهي لا تزيد عن حرف أو حرفين أما في الاول مثل (ان) أوفى الآخر مثل (ون) وهذه قليلة لان أغلب الاضافات على أصل احرف الكلمة فتوجد مبعثرة هنا وهناك فمثلا لناخذ كلمة كتب فنجد انه يصح أن يضاف الى أولها

ا . ن . ي . ت ، س أ . س ن . س ت . س ي ، ا ن ، ا س ت ا ل خ

وأما آخرها فاما يكون ت ثا ثم ن تن بن ان ون ا تا و ا ن نا ه ها هما هن ني نا ك كما كم كن ي الى آخره فترى مما سبق أن هناك احرف اينت تضاف الى الاول ويمكن اضافة س الى كل منها فتكون

ا ك ت ب ن ك ت ب ت ك ت ب ي ك ت ب س أ ك ت ب س ن ك ت ب س ت ك ت ب س ي ك ت ب وأيضا انكتب (ان دفع) ينكتب (ين دفع) (سأ نكتب) (سأ ن دفع) سيندفع (سينكتب) فلا يمكن وضع اشارة للالف في اكتب مماثلة للاشارة الدالة على (ان) في انكتب او (است) في استكتب فيجب لاجل تبين ما اذا كانت الاشارة تدل على أى واحدة من الالفات ان تأخذ شكلا مخصوصاً بلاقل وبمعنى آخر ان تكون لدينا أكثر من اسارة واحدة ويجب ان تتبان هذه الاشارات عن بعضها تبانيا ظاهرا حتى لا ينتج عنه التباس اما في الانكليزية (طريقة جريج) فيدل على in وهما حرفان بحرف (ن) و Induct بحرفي (ن) ، (د) و Introd بحرفي (ن) ، (ت) وعن tion بحرف (اش) sh

وكذلك قل عن نهاية الخطابات فهمي في الانجليزية لانخرج عن ان تكون

I have the honour to be sir your obidient servant yours truby او your
yours sincerely أو yours faithfully أو obedient servant

أما نحن فمن تقبل تحياتي الاخوية الى وتفضلوا بقبول عظيم الاحترام وتنازلوا لقبول
احتراماتي وقبلات من المخلص واقبل وافر الاعظام والجلال وهني اليك تحية زكية
وسلام في الختام

هذه بعض الاسباب ، وهي المهمة ، التي تدفعني للحكم ، بان لأهل في
متابعة فن اختزال الكتابة باللغة العربية امثاله في اللغات وخصوصاً في اللغة
الانكليزية والسبب الاول المهم في غلاظة الاشتقاق في لغتنا وهذا ما لا يمكن
مداركتة بالاقول في الوقت الحاضر

الدكتور صروف

فقيه العلم والصحافة في الشرق العربي

في دار الأوبرا الملكية أقيمت حفلة لتأبين الدكتور يعقوب صروف . وقد قالت العصور كتبها في الفقيه دلي صفحاتها وعلى صفحات المقتطف وهي التراث الأكبر الذي ورثه الشرق عن الفقيه وجهده الدائم طوال سني حياته . لهذا نجتزئ بمقتطفات مما قيل في تأبين فقيه الشرق ، لا لان هذه المقتطفات تعبر في الحقيقة تمام التعبير عن الفراغ الذي خلفه الدكتور صروف من بعده في عالم العلم والصحافة ، ولكنها بعض ما يجب له من أمة عرفته شاباً يافعاً ، وخبرته كهنلاً وشيخاً ، فجنّت من ثمرات عقله وعلمه وخلقه أفضل ما تجني الشعوب من أفذاذها وعظمائها .

كلمة وزير المعارف

يا حضرات السادة . كانت الفكرة التي أوحى الى لجنة التأبين أن تسند رياستها الى هي أن الفقيه الكريم كان معلماً أمضى شطراً طويلاً من الحياة في خدمة العلم والادب . وقد قبلت هذا الشرف الذي نديتني اللجنة له لنتمكن من التأبين الحق لهذا الراحل الكريم .

لقد أخرج الفقيه رحمه الله تلاميذ عديدين ظلوا دائماً متعلقين به مستزيدين من فضله فكانت مهمته مثلاً جليلاً لأحسن الصلوات بين الدلم وتلميذه . واعتقد أنني معبر عن شعور المصريين جميعاً فيما أعرب عنه من التأثير العميق والاسف الخالص ، لان الفقيه الكريم أدى أجل الخدمات للغة وكان أساساً متيناً في الصحافة المصرية وبعث منذ عشرات السنين نهضة فكرية لم تكن ظروف ذلك الحين توفق اليها

فبالاسف العميق أقدم التعزية الخالصة لأسرة الفقيه وأهله ولاشرته العامة قراء المقتطف والمقطم ، الذين نشر عليهم كثيراً من آرائه القيمة ومباحثه الجليسة

وأسأله تعالى أن يعوضنا خيراً في فقيدنا الكريم . وأنى أنرك تفاصيل القول عن
الفقيد الى خطباء الحلقة

كتاب جامعة بيروت الاميركية

حضرة صاحب السعادة السر سعيد شقير باشا
ان الجامعة الاميركية في بيروت تود اليوم أن يكون لها شرف الاشتراك مع
الذين يقوون باكرام ذكرى العلامة المأسوف عليه المرحوم الدكتور صروف
واننا في هذا المقام الذي لايسعنا فيه الا أن نشعر بعظيم الخسارة التي منينا
بها بفقده يتغلب علينا الشعور العميق بالاعجاب بأعماله الجيدة ونفتبط بما أوتيته
في حياته من النجاح في تلك الاعمال العظيمة ناير الانسانية
ونحن اذا ذكرنا الدكتور صروف فلا نذكره فقط كاحد خريجي الجامعة
النابعين ، ولكن كرجل فذ بمقدرته الفائقة وسمو مبادئه واستخدام مواهبه العظيمة
لخدمة وطنه وأبناء عصره

وهو كزعيم كبير بين المتكلمين باللغة العربية قد بذل جهداً عظيماً في نشر
العلوم العصرية بين أبناء تلك اللغة وفي تطبيق قواعدها على الاصطلاحات العلمية
الحديثة وقد نقل الى الشرق بروح الايمان والاعتدال كل ما يهيمه من الافكار
والتحولات الغربية النافعة وبشخصيته الممتازة وذكائه النادر مع جده ونشاطه
ومقدرته العظيمة على التأليف والكتابة قد ساعد على ازدياد حسن التفاهم بين
الشعوب والاجناس المختلفة وعلى تقدم بلاده تقدماً مبنياً على أساس التمدن الوطيد
واننا نتحد اليوم مع الذين عرفوا الفقيد العظيم شخصياً أو من كتاباته
المنتشرة في أنحاء المعمورة بتقديم الاكرام اللائق لذكره الخالدة ونتمنى قلبياً بما
أوتيته من النجاح الباهر في خدمة الجنس البشري خدمة مبنية على حرية الفكر
والتعمق في المعرفة والإطلاع مع نمو في الاخلاق والمبادئ الشريفة

نائب الرئيس

من كلمة الدكتور منصور فهمي

استاذ الفلسفة بالجامعة المصرية

- أيها السادة : كان فلاسفة اليونان الاقدمون من الرواقيين يجعلون نخلة
المثابرة في سبيل الحياة المعنوية والعلم أساسا للفضيلة . ذلك لانها دأب وكدح
في غير لذائد البدن ، ولانها رياضة للارادة على ان تسكن للعانى دون ان تشغلها
شواغل الحياة المادية وزخرف الدنيا ومتاعها

وهذا الذي نشيد اليوم بذكره كم صابرو جالد . فضحى براحة الجسم في
سبيل الاستنارة والانارة . وكم ضن على جسمه بهدآت الليل في سبيل التحصيل
والاذاعة وكم حرم نفسه لذة الرياضة واللهو والترف — وكل ذلك يسرله — وجهد
في تحويل ما وصل اليه من انوار العلم الى عقول الالوف من القراء

لسنا نزعم ان خدمة الفقيه للعلم كانت خدمة المستكشف او خدمة المخترع
او خدمة الزاهب في انواع التفكير مذاهب لم يسبقه اليها العلماء بل كانت خدمة
الناشر والمذيع ، وخدمة المنقب يبحث عن حاجات بلاده وقومه فيرضى هذه
الحاجات بما ينقل الى المتعطشين من ابناء الشرق من علم مهضوم ، وفكر واضح ،
وثقافة تمثلت في صورة عربية ، لا ياباها ذوق لغتنا ولا تنفر منها طبائعنا

أيها السادة :

كان الفقيه عالما محققا مدققا مخلصا للعلم لا ينحرف عن الطرائق العلمية في
كتابات ومباحثه . ولكنه مع ذلك ظل يرعى في وجدانه حرارة الايمان بالروح
وعالمها الآخر . كان واقفا على العلوم المادية الحديثة وقوفا دقيقا لكنه لم يكن كبعض
العلماء الماديين يريدون من المادة تعليلا لكل شيء مبدأ ومصيراً ، بل كان رحمه
الله لا يرى تناقضا بين ما كان يتصل بنفسه من نزعات روحانية وعلم مادي .
وينم على اتساع نفسه لحاجات العلم وحاجات الايمان قوله في منظومة طريفة :

اما واجسامنا ليست سوى صور مشكلات بأشكال والوان
كهارب حركتها النفس فانتظمت في شكل مستودع للنفس جثماني

حتى اذا تم في الدنيا تطورها طارت الى منزل في الكون روحاني
وللتطور احكام مقررة والنفس والجسم في الاحكام سيان
لا بد للعلم من يوم يفوز بما يبين الحق فيه خير تبیان

من كلمة أسعد بك لطفى

رئيس نقابة الموظفين

معالي الوزير . سيداتى . سادتى :

التاريخ أبو العبر . وكل حياة تحيا وتموت ولها بداية ونهاية وكل نهاية لها
غاية . وكل غاية لها مدى ومقر . وهو الأثر . والأثر الصالح أصله ثابت وفرعه في
السماء . وخير الآثار مادعه صاحبه يمينه ومن الناس من يغيث ويغنى بغير آثار .
ومنهم من يرغم أصدقاءه وأخوانه أن يذكروه ويمجدوه بعد المات . وكان من هذا
النفر الدكتور صروف

لم يكن صروف مما نال علاوة مادية يحسد عليها ولكنه نال أعلى الدرجات
المعنوية، فلقد كان مخلصاً في وظيفته ف عاش فيها خمسين سنة أو يزيدون . وما أطيّب
أن يصل الإنسان الى مجد ويرى ثمرة عمله بعينه وقد كان هذا شأن صروف فقد
كان أداة عاملة بين الشرق والغرب ضرب للاخير مثلاً بان الشرق شعاع في الذكاء
وان الشرق مهبط العلم والحضارة . ذلك هو العمل الطيب الذي قام به واحسن
من هذا أنه عمل تحت ستار السكينة والتواضع فلم يرد أن يعان بنفسه عن نفسه
واكن عمله أعلن عنه . لقد أحسن صروف الى نفسه ووطنه والى اللغة العربية
فليتلق في جوار ربه حسن جزائه وأما أنتم يا أسرة الفقيد الكريم فعزاء وصبراً

من كلمة الشيخ عبدالعزيز جاويش بك

مراقب التعليم الاولى بوزارة المعارف

سادتى الاكرمين :

أليس من العجيب أن يقوم أحدنا مقام التعريف برجل تعرف من قبل الى
الدنيا العربية بسبعين مجلدا ضخما من المقتطف حوت من العلوم والفنون والادب

والمباحث القيمة ما أكسبه بحق مركز أستاذ المعلمين وشيخ المربين ومفتي المستفتين في العالمين ؟

بذلك وحده تعرف الدكتور صروف الى الدنيا الغربية فلم تسول له نفسه يوماً ما أن يعلن بغير ذلك له اسماً أو يتصيد له شهرة وذكرًا • ولولا ما كان من صرير اقلامه الدائم في مقصوداته لكان مثله في بره الخفي بالعلم وجهاده الصامت في سبيل اللغة العربية مثل السائح السائب يصيب الارض الموات بلا خير يسمع فيحييها وينبت البهيح من أزواجها

كذلك نحس انه برغم ما كان له في شبابه من العبقرية والحدق والتفوق على زلانه ولذاته لم يجد العجب والزهو سبيلا الى نفسه البصيرة ولا مدخلا الى قلبه الكبير • ولذا كان طول حياته أبعد الناس عن استجهاال الناس وأحرص المحصلين على طلاب الحقائق والتماس مواطن العلم الصحيح فكان طاب ثراه كلما عرضت له مسألة لا ينفك يراجع المؤلفات قديمها وحديثها باحثا منقبا متحررا يواجه الصواب موازنا بين ما قد يكون للعلماء من الرأي فيها • ذلك كيلا يقطع برأى في أمر حتى يمتحنه من سائر جهاته امتحانا رائده النظرات المنصفة والمعرفة الصادقة

* *

سادتي : لقد كان يكون الرزء في أستاذ العرب الدكتور يعقوب صروف مما لا يجمل عليه الصبر والفراغ الذي أحدثه اختفاؤه مما لا يرجح أن يملأ لولا انه طاب ثراه قد ترك للامة العربية في جملة ميراثه العظيم ذلك الخلف الصالح فؤاد افندي صروف فلقد استخلمه على منبره العام بعد اذ انبته نباتا حسنا نخلقه بأخلاقه المرضية وزوده بعلمه الواسع وابرز له للناس في صورته الطيبة فلندع الله أن يرزقه من التوفيق والنفع مارزق عمه من قبل حتى لا ينقطع عن الأمم العربية صالح عمله ولا ينطمس عن الالبضان نافع أثره

* *

مرثية أحمد شوقي بك

سماؤك يا دنيا خداع سراب وأرضك عمران وشيك خراب

وما أُنبت . الا جيفة طال حولها .
 وكم ألبأ الجوع الاسود فأقبلت
 قعدت من الاظمان في مقطع السرى
 وجدت عليهم في الوداع بساخر
 أقاموا فلم يؤنسك حاضر صحبة
 تسوقين للموت البنين كقائد
 رأى الحرب سلطاناً له وسلامة
 ولولا غرور في لبانك لم يجد
 ولا كنت للاعوى مشاهد فتنة
 ولا ضل رأى الناشئ الغر في الصبا
 ولا حسب الحفار للموت بعد ما
 يقولون يرثي كل خل وصاحب
 جزيتهمو دمعى فلما جرى المدى
 كفى بذرى الاعواد منبر واعظ
 دعوتك يا يعقوب من منزل البلا
 اذكرك الدنيا وكيف ولم يزل
 حملنا اليك الغار بالامس ناضرا
 وما انفكت الدنيا وان قل لبثها
 الا في سبيل العلم خمسون حجة
 قطعت .. طوالى ليلا ونهارها
 رأى الله ان تلقى اليك صحيفة
 ولم تتخذها آلة الحقد والهوى
 مشينا بنورى علمها وبيانها
 وعشنا بها جيلين قمت عليهما
 رسائل من غفو الكلام كأنها

قيام ضباع أو قعود ذئاب
 عليك بظفر لم يعف وناب
 ومروا ركاباً في غبار ركاب
 هن اللحظ عن ميت الاحبة نابي
 ومالوا فلم تستوحشي لغياب
 يرى الجيش خلقاً هيناً كذباب
 وان آذنت أجناده بتياب
 بنوك مذاق الضر شهد رضاب
 وللمقعد العانى مجال وثاب
 ولا كر بعد الفرصة المتصابي
 بنى يديه القبر الف حساب
 أجل انما اقضى حقوق صحابي
 جعلت عيون الشعر حسن ثوابي
 وبالمستقبلها لسان صواب
 ولولا المنايا ما تركت جوابي
 لها اثراً شهد بفيك وصاب
 وسقنا كتاب الحمد تلو كتاب
 لسان ثواب أو لسان عقاب
 مضت بين تعليم وبين طلاب
 بآمال نفس في الكمال رغب
 فرهتها عن هوشة وكذاب
 ولا منتدى لغو وسوق سباب
 فلم نسر الا في شعاع شهاب
 معلم نشء أو إمام شباب
 حواشي عيون في الطروس عذاب

هي المحض لا يشقى به ابن تيمية
سهول من الفضحي وقفت بها الهوى
وما وضعت بين الشرق والغرب مشية
فلم أر أنقى منك صمعة ناقل
وكم أخذ القول السرى .عرب
وقدت على الفصحى بخيرات غيرها
وقدما دنت يونان منها وفارس
تبتلت للعلم الشريف كأنه
وجشمت ميدان السياسة فارسا
وكنا ونمر في شغاب فلم يزل
وأى الثورة الكبرى فصل يراعه
وما الشرق الا أسرة أو عشيرة

غذاء ولا يشقى به ابن خضاب
على ما لديها من ربي وهضاب
كما قيل في الامثال جنجل غراب
إذا ونم النمل الرجال بعاب
فما رده لاسم ولا لنصاب
فوالله ما ضاقت مناكب باب
وروما فحلوا في فسيح رحاب
حقيقة توحيد وانت صحابي
وكل جواد في السياسة كابي
بنا الدهر حتى فض كل شباب
لتحطيم اغلال وفك رقاب
تلم بنيتها عند كل مصاب

(*)

سلام على شيخ الشيوخ ورحمة
ورفاف ريحان يروح ويغتندي
وذكرى وان لم تنس عهدك ساعة
وويم السوافي هل عرض على البلى
وهل صن ماء كان فيه كأنه
ويالحياة لم تدع غير سائل
وأن يد كانت وكان بنائها
ولهفى على الاخلاق فى ركن هيكل

تحدر من اعطاف كل سحاب
على طيبات فى الخلال رطاب
وشوق وان لم نفتكر باياب
جبينك أم سترنه بحجاب
حياء بتول فى الصلاة كعاب
أكانت حياة أم خلية غاب
يراعة وشى أو يراعة غاب
بيطن الثرى رث المعالم خابى

*

* *

نعيش ونمضى فى عذاب كلذة
ذهبنا من الاحلام فى كل مذهب
وكل أخى عيش وان طال عيشه

من العيش أوفى لذة كعذاب
فلما انتهينا فسرنا بذهاب
تراب لعمر الموت وأن تراب

من كلمة الأنيسة «مى»

فى مثل هذا اليوم وهذه الساعة منذ عامين إلا شهراً واحداً ، اجتمعنا هنا للاحتفاء بعيد المقتطف الحسينى ، وكانت هذه الدار ذاوية باسم صروف وفى هذا المسرح ، وكان ينتصب تمثال فاخر جادت به أريحية المهاجرين الى الديار الامريكية من السوريين واللبنانيين . وحيال التمثال الصامت الجامد كان من مصر شخص حتى نابض تكون من ممثل صاحب العرش ، ومن جميع الهيئات الرسمية والاحزاب السياسية ، والنزعات الفكرية . تبعت تركيا المقدور من تاريخ تطورها فصارت لهذه الاقطار صديقة بعد أن كانت سيده . فاذا بك يا مصر ، تتحركين تحرك الاسود ، وتنبوئين المكاة المعدة لك بين اقطار الشرق الادنى ، وتتولين الزعامة فى رفع شأن العلم وتقدير الفضل كما أنت زعيمة فى الصيحة العالية للحرية والاستقلال وكما أنت زعيمة فى الدعوة الشريفة الى الوحدة الوطنية والقومية وعند مانهض الدكتور صروف يلقى كلمة الشكر — سامحونى ، أيها الخطباء والشعراء ! — كان أجمل من كل خطبة وكل قصيدة وكل نشيد ، موقف ذلك الشيخ الجليل الوديع الممتلىء شباباً على طول عهده بالحياة ، الممتلىء يقظة على طول عهده بالجهاد ، الممتلىء نشاطاً علمياً وعملياً على ما أوهى العمل من خيوط قلبه وأفنى العلم من ذرات دماغه .

تسكلم متأثراً ، فأدركنا فى لحظة كم هو قاسى فى وحدته الفكرية ، وكم كان ثباته عظيماً فى انزوائه العلمى . فكان حقاً أن تحين ساعة الانصاف . كان حقاً لذلك العامل العظيم فى ميدان الثقافة الشرقية أن يسمع قبل الرحيل صوت مصر والشرق متألفاً من جميع الاصوات ، منسوجاً من جميع الافكار ، متوجداً من جميع القلوب !

«*»

ذكرت الخلود ، أيها السادة والسيدات . وهى كلمة طالما تداولناها فى الاعوام الاخيرة ، فما هو تعريف الخلود ، ومن هو الخالد ؟

أما خلود النفس بعد الموت فمنبثق من العقيدة الدينية وهو سر نحقيق فى

كل ضمير حي وحاجة صميمة لا تقوم مقامها حاجة . وقد كان هذا الموضوع شغل
الدكتور صروف الشاغل طول حياته . ولكن اخلود بمعناه المدنى أو العلمانى —
ان صح هذا الوصف — أى خلود الشخصية في هذا العالم بين بنى الانسان —
ترى ماذا نعى به عند ما نشير اليه .

أهو بقاء الاسم الخالد متكرراً على الالسنه تتجاوب به الاصدااء على توالى
الاحقاب ؟ معناه أن مبادئ الشخص الخالد ، تعاليمه تظل شائعة بين أبناء الاجيال
الآتية تزكى منهم الهمم ، وتنميهم المعلومات والفوائد ، وتوحى اليهم حب النشاط
والعدل ؟ أم معناه أن بين ملايين الاسماء المنسية في هاوية الازمان ، هناك أسماء
تظل خاتمة كرايات ، مضيئة كالمناثر ، هادية كالأعلام فى الصحراء ، مشجعة
كاصوات الحب والحياة

قد يكون للخلود فى هذا العالم بعض تلك المعانى أو كلها . ولكن لدى عن
الخلود فكرة اخرى استميتكم فى الانضاء بها اليكم

الخالد فى تقديرى هو الذى خطا بجماعته خطوة حاسمة فى الميدان الذى تفوق
فيه . الخالد هو الذى جعل وسطه ، بفضل جهوده ، خيراً مما كان قبل ولادته . الخالد
هو الذى ثقف وأنى جانباً من الشخصية العامة ، فكان له فى تكوينها اثر
لا تمحوه الاغوام والدهور

وتلك الخطوة العلمية والثقافية التى خطاها الشرق فى نصف قرن على يد
المقتطف ، هي التى نسجلها للدكتور صروف فى توديعه كما سجلناها من قبل فى
تحيته . انه خالد بها لانه عمل فى تكوين الشخصية العامة واهلها للتقدم فى مراحل
التاريخ والعمران

فلا تطرقى حزناً وأسى ، يا زوجة صروف أنت التى قاسمته ساعات الحياة
فى ألوانها البهيجة والقائمة وطعومها المريرة والسائغة . بل تعالى نسرباً لخيال لزيارة
ذلك الضريح البعيد فى ظل الغصون . وبينات تعاون أيدي الرجال القوية النبيلة
على اضغراب كليل التكريم والتقدير للفقيد الكبير ، فلنقدم له نحن ، بالنيابة

عن المرأة الشرقية ، زهرة الشكران مبللة بدموع القلب ولنودعه بهذه الكلمة الشهيرة ليفتحوا هوجو :

« أيتها الشمس المتغيبية وراء الافق ، ان أشعتك باقية الانوار »

كلمة نقابة الصحافة ألقاها الدكتور هيكل بك

رئيس تحرير السياسة

أيها السادة

في هذا المكان نفسه ومن ستة أسابيع مضت كنا نؤين صحفيا من أعلام الصحافة اغتاله الموت وهو في ميدان الشرف يناضل نضالا سياسيا غنيفا . كنا نؤين صديقنا وزميلنا المغفور له أمين بك الرافعي الذي سقط شهيدا في جهاده السياسي وما يزال في عنفوان القوة وفي صدر العمر . وها نحن اليوم نؤين علما آخر هو المرحوم المغفور له الدكتور يعقوب صروف فنذكر اذ نؤينه شيخا من شيوخ الصحافة ، قضى حياته في خدمة العلم من طريقها لم يعرف الكلال ولا السأم الى نفسه سبيلا . شيخا كان في مثابرتة وصبره على بث الفكرة العلمية التي تحتاج الى الوقت الطويل ما كنهه أمين الرافعي في اندفاعه القوي لتجريك الجماهير

وليس منا من يذكر يعقوب صروف ومثابرتة وصبره الطويل ولا يذكر أنا في هذا المكان نفسه ومن سنتين مضتا كنا نحتفل بيوبيل المقتطف الذهبي لانقضاء خمسين سنة على جهاد الدكتور صروف العلمي والاجتماعي من طريق الصحافة ويذكر حين ذكر هذا اليوبيل كيف اشترك قراء العربية جميعا في أنحاء العالم المختلفة فيه اشتراكا قلبيا دلي صدق تقدير قراء العربية جميعا لهذا الجهد المجيد الجليل

والواقع أن حياة المغفور له الدكتور صروف تتلخص في مجلة المقتطف . فلقد عاش هذا الرجل صحفيا بمعنى خاص غير المعنى الذي يتبادر للاذهان من كلمة الصحفي . عاش صحفيا متخصصا لناحية معينة هي نشر العلم وتوطئته دلي لسان الصحافة . ولذلك يجب كثير ون اذ يقال لهم ان الدكتور صروف لم يكن له اشتراك فعلي في تحرير جريدة المقطم التي يظهر اسمه عليها . وانه لم يعن يوما من

والأيام غناية الصحفيين الذين يحررون الصحف اليومية بالشئون السياسية، ويعجب كثيرون كذلك اذ يقال لهم ان كل سطر من سطور مجلة المقتطف كان لا ينشر قبل أن يقف الدكتور صروف على كل شئون نشره فهو الذي يضعه في المكان الذي يختاره من المجلة . وهو الذي يصححه التصحيح الاخير فاذا ظهر المقتطف كان اذن صورة نفسية للدكتور صروف أثناء الشهر الذي سبق ظهوره وكان مطبوعا بطابع الدكتور صروف العلمى الدقيق

لم يكن الدكتور صروف اذن صحفيا سياسيا ، ولم يكن يعنى في حياته الصحفية بشئ عنايته بالشئون العلمية ، فهو اذن كان صحفيا اختصاصيا ، ان صح اطلاق هذا التعبير على الصحفيين كما يطلق على الاطباء أو على المهندسين وقد تخصص لهذا حتى ملك عليه العلم منذ أول تخرجه من الكلية الاميركية ببيروت كل نفسه فرأى فيه القوة المحركة لحياة الافراد ولحياة الجماعات . ولما كان الشرق أول نشأة هذا الرجل بعيدا عن تمثل الروح الغربية تمثيلا يكون لنفس طبقات المتعلمين فيه فقد أخذ صروف نفسه بان يجعل الصحافة أداة نشر هذا العلم الذى أحبه حبا جما . والصحافة أداة قوية في تعميم العلم وتوطئته قوتها فى نشر كل ما يختص بحياة الجماعة من أسباب التفكير والشعور

وفي سبيل نشر العلم من طريق الصحافة قضى الدكتور صروف حياته بين جدران مكتبته يطلع وينقب ويتابع تطور العلم وما يجد فيه من الآراء والمكتشفات لينجلبها على الناس في المقتطف وهو في هذا كان مخلصا للعلم والصحافة وهما محبوبان مستبدان يستنفدان من الخالص لهما كل هباته وضخته وقوته وهو بذلك راض كل الرضا مغتبطا أشد الاغتباط . وإن الذين رأوا الدكتور صروف فى مكتبته آخر حياته وقد جلل الشيب رأسه وعجزت ضجة العالم الخارجى عن أن تصل الى مسمعه ، والذين شهدوه وهو يقلب فى صحف كتبه بشغف وشوق يزيدان اضعافا مضاعفة دلى تقليب الكثيرين اجمل الصور واعطر الرياض والذين لاحظوا انكبابه يكتب للمقتطف ثم انكبابه على تجارب صحف المقتطف قبل طبعها يعيد عليها آخر نظراته لتصحيحها ، هؤلاء جميعا يقدرون مبلغ ما ملك العلم وما ملكت

الصحافة على ذلك الرجل حياته ، ويقدرّون مبلغ ما تحكم العلم وما ملكت الصحافة
في وجوده تحكماً استبدادياً محبوباً ، ويقدرّون مبلغ إخلاصه للعلم والصحافة إخلاصاً
لم تشبه قط شائبة

ومحبة العامل عمله وإخلاصه له هما أيها السادة قوام نجاح العامل ونجاح العمل
جميعاً فإذا مدت المقادير للعامل في حياته فزاده ذلك محبة لعمله وإخلاصاً له ثم كان
عمله متصلاً بالعلم ونشره فذلك سر القدرة وسر تقدير الناس بل تقدير التاريخ
للرجل وعمله ، ولقد قضى المغفور له الدكتور صروف أكثر من خمس وخمسين
سنة في جده الصحفي لنشر العلم فاعترف العالم له في حياته بفضل هذا الجهاد العلمي
أجمل اعتراف وهو لاشك سيعترف له بعد وفاته بهذا الفضل أخلص
اعتراف وأصدق

وان أسرة الصحافة التي شرفني نقابتها بالقاء هذه الكلمة بالنيابة عنها
لتشعر لفقد المغفور له الدكتور صروف بكبر الاسى ونرجو الله له الرضوان بمقدار
إخلاصه الجمل المتواضع للعلم والصحافة

مرثية حافظ بك إبراهيم

أبكي وعين الشرق تبكي معي	على الأريب الكاتب الأملعي
جرى عصي الدمع من أجله	فزاد في الجود على الطيع
نقص من الشرق ومن زهوه	فقد اليراع المعجز المبدع
ليس لمصر في رجالها	حظ ولا للشام في أروع
مصاب صروف مصاب النهى	فليبكه كل فؤاد يعي
كرم بالامس وأكفانه	تنسجها الأقدار للمصرع
يا صائغ الدهر لتكرمه	صغ له منعا من الادمع
قد زين العلم بأخلاقه	فعاش ملء العين والمسمع
تواضع والكبر دأب الفقى	خلا من الفضل فلم ينفع
تواضع العلم له روعة	ينهار منها صلف المدعى
وحلة الفضل لها شارة	أزهى من السيفين والمدفع

يشبع من خضيل من علمه . وهو من التحصيل لم يشبع
 مبكراً تحسبه طالباً يسابق الفجر الى المطمع
 قد غالت الاستقام أضلاعه والرأس في شغل عن الاضلع
 مات وفي أنمله صارم لم ينب في الضرب عن المقطع
 صاحبه خمسين عاماً فلم يخن له عهداً ولم يخدع
 موفق أنى جرى لهم لم يبره بار سوى ربه
 في النقل والتصنيف أربى على وأى باب منه لم يقرع
 أى سبيل للهدى لم يرد كالنحل لا يعفو عن الاينع
 يقتطف الزهر ويختاره عقولهم في روضها ترتع
 فتحسب القراء في جنة يطويه طاوى ذلك المضجع
 ضروف لا تبعد فلست الذى لم يسكت الآثار فى المجمع
 أسكتك الموت ولكنه ذكراك لاتنفك موصولة فى معهد العلم وفى المصنع

شكر أسرة الفقيد

بلسان صاحب السعادة السر سعيد باشا شقير

« ما أكرم هذا الشعب وأطيب عنصره وما أشرف خدمة هذا البلد وأئمرها »
 هذه هي الكلمات التى فاد بها الى المرحوم الدكتور صروف فى آخر يوم من
 شهر ابريل منذ نحو سنتين ونحن خارجون معاً من هذه الدار عقيب الاحتفال
 بعيد ائقتطف الذهبى :

تم زاد على ذلك قائلا :

« ترى أنستحق ياسعيد هذا الاكرام وهل لنا حقيقة فى مصر والشرق مثل
 هذا المقام — وهل ما فعلناه يستوجب حفلة باهرة كلتى شهدناها يضعها جلالة
 الملك فؤاد تحت رعايته ويرأسها وزير من وزرائه ويشارك فيها الامراء وسائر الوزراء
 وعظماء البلاد وتوايها وأدباؤها على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم ويبعث اليها سعد على

رغم اعتلال صحته بكلمة يقول فيها ماقاله في المقتطف ومنزله في مصر وأثره في تقويم الافهام وتثقيف الازهان .

ثم صحت هنيهة ونحن سائرون معاً وعاد فاستأنف الكلام بحبيبا بنفسه عما كان شاكا فيه فقال :

« كلاً — بل هذا الشعب كريم وقادته وكباره وأصحاب الكلمة فيه أكرم . فهم في خدمة العلم والعمل على نشره في البلاد يعطون ديناراً بذرهم وأخاف أن أكون قد قصرت في أداء واجب الشكر لهم في الحفلة . ولا يخرس الإنسان مثل الشعور العميق بالجميل . »

« ولكن يجب أن نحسن العمل أكثر وإن نستمر على وقف أقل منارة واهبنا وأرواحنا في سبيل خدمتهم ولا ندخر وسعاً في تقويم الافهام وتثقيف الازهان كما قال سعد لنبقى موضع ثقتهم ولكي لا يعتقد أحدهم أنه أخطأ في ظنه بنا فنسقط من المرتبة التي وضعونا فيها وإذا لم يمد الله في أجلنا فتقومون أنتم يا أبناءنا واخواننا بهذا الواجب . »

هذا ما صحت عليه عزيمته بعد تلك الحفلة وذلك الاكرام وهو أن يداوم الجهاد على رغم الخامسة والسبعين من عمره في خدمة الادب ونشر العلم في هذا القطر بواسطة المقتطف وسواه من المؤلفات مما كان قد أخذ له العدة وجمع الأهبة . ولكنه كان يخشى أن لا يمد الله في عمره الى أن يحقق أمانيه ويوفي منصر وأبناءها دين الجليل الذي أسدوه اليه فأوصانا نحن بايفائه ورضعه في أعناقنا

رسالة المقتطف

حضرة صاحب المعالي سيداتي وسادتي .

مهما اختلفت آراء الكتاب والمفكرين ، وتشعبت مذاهبهم في النظر الى ماهية التاريخ ، وتحديد العوامل التي تدفع بالحضارة الى الامام ووصف مظاهر العمران ووجوه ارتقائه ، فلا ريب في أن الكل مجمعون على أن التاريخ في صميمه إنما هو حديث ارتقاء الفكر البشري وانطلاقه من قيوده وابداعه في ما آتته فالبا فكر تغلب الانسان على طوائف الاحياء التي كانت تنازعه البقاء في

ميدان الوجود . وبالفكر تحرر من قيود الاوهام التي كانت تقعد به من
 النهوض والجري في مضمار ارقى . وبالفكر سيطر على عناصر الطبيعة ونفذ الى
 مكامن أسرار الحياة . تطلع الى الكواكب فقاها وابعادها واجزائها وحلل عناصرها
 وعين نسبها ومقاديرها . والى الجراثيم فدرس طبائعها ووسائل استخدامها
 واتقائها . والى العقل فكشف عن أصول الفكر والحفظ والغريزة والعاطفة والعادة .
 والى الاحياء فتمرر نواويس نشوتها وارتقائها . وبالفكر ايضا تحكم في قوى
 الطبيعة وأخضعها لمطالبه . فطوق الارض بامواج الاثير وجاب البخار على مدن
 طافية . وخلق في الجو بجناح وبغير جناح وتصدى لحالك الظلام فبدد غياهبه
 بأنوار تلبس الليل جلباب النهار . ووصل بين ضفاف الانهر بكبار هي في الحقيقة
 أشجار رائعة قوامها الخيال والذكاء والجمال والحديد



نظرة أيها السادة الى تاريخ نشأة المقتطف . وانطو بالخيال والفكر اثنتين
 وخمسين سنة من تاريخ الشرق نزود أمصاره ونرتوا الى أحواله وتتبع مظاهر تامله
 ويقظته حتى تستقر على رابية في راس بيروت نزل فيها جماعة من عمال الخير
 فأنشأوا معهداً للعلوم الحديثة قال رئيسهم في غايته : في ساحة هذا المعهد تلتقى
 العقول التي تروم الكشف عن أسرار الوجود . والنفوس التي تتطلع الى ادراك
 كنه الحياة ومبدع الحياة . ندر بها على البحث العلمي القائم على الدقة والانصاف
 وتولجها هيكل الحقيقة في موكب من عرائس الافكار . لانعرف للمذهب الديني
 سبيلا يفسد علينا غايتنا . ولكننا نجعل لاصول الدين القويم المكان الأدنى
 في كل أعمالنا لاننا نريد أن نخرج للحياة رجالا تشد العقيدة الراسخة فيهم العقل
 المثقف والرأى الحصيف ...

في هذا المعهد العلمي المنير نشأ المقتطف وترعرع
 وعلى أقطابه الاعلام تلتقى منشأه العلوم الحديثة وأساليب التفكير الحر
 وفي دوره ومعامله وانديته طبعت نفسها . بأن العمران ببناء فسيح الرحاب
 يقوم على دعائم كثيرة أقواها وألزمها دعائم العلم الصحيح والدين القويم

هناك تساماً قديماً من النور نثراً في أرجاء الشرق

ولكن مصر كانت منذ أقدم عصور التاريخ ولا تزال منأى للكريم عين
الأذى ، فحضنت المقتطف وزحبت به وعطفت غليه ، حين كان سيف
الاستبداد مصلماً فوق رقاب الأحرار من أبناء سورية ولبنان ، فنزل المقتطف
الديار المصرية على الرحب والسعة ، واتصلت أصوله بتراب الغنية تستمد منها
القوة والغذاء . وابتدت فروعه في جوها تنسابق إلى أفصح الأجواء تأخذ من
الحياة المصرية وتعطيها حتى غدا بتعريض حكماها وعلمائها وأعلامها منارة تبسط
من عاصمتها أنوار العلم على بلدان الشرق

وقد كان المقتطف في كل ذلك رسولا أميناً بين حضارة الشرق وحضارة
الغرب . في ميدانه الرحب التقت أقلام العلماء والمفكرين من أبناء الحضارتين .
آثماً تتفق آراؤهم وأنا تتخلف . ومنشئ المقتطف واقف للعلم بالمرصاد ، يقتطف
منه كل طارف وكل تليد حتى غدت بجلته مدرسة سيارة ، ومنارة جواله ، ورابطة
تضم أبناء الشرق في وحدة معنوية متينة في زمن عزت فيه أسباب التضامن
وفشت عواهل التفرقة والانقسام

وإذا سمحتم لي أبها السادة أن أتجرد هنيئة من علاقتي الشخصية بالمقتطف
وأصحابه لجودت من مجلدات السبعين . شخصاً معنوياً أضعه في مكان فرنسيس
باكون الفيلسوف الذي نفخ الحياة في الجمعية الملكية الانكليزية وجماعة
الانسكلوبيديين الفرنسيين وعلم ان المعرفة تطلب للقوة والسيطرة لا للتأمل
والتخيل والتكهن بالغيب ، وقضى على منطق ارسطوطاليس ، وأقام التجربة
والامتحان أساساً للعلم ، فكان بذلك رائداً مقدماً شق الطريق أمام العلم
الحديث الذي تغلغل آثاره في كل مقومات العمران

الإصلاح في الإسلام

لـهـرستاد : فيليكس فالوى

هذا المقال هو الفصل الأخير من سلسلة محاضرات ألقاها « فيليكس فالوى » في كلية دارتموث بنيوهمبشير الجديدة في الولايات المتحدة تحت عنوان : « قوى الترقى في الشرق » .

* * *

كان الفيلسوف الألماني « نيتشه » قد نبه الى مقدار ارتباط مصير الحضارة الأوروبية بالمسألة الآسيوية . فتكلم بلهجة ثم عن الغضب المزوج بالازدراء عن أوروبا التي هي شبه جزيرة بالنسبة للقارة الآسيوية وكيف أنها تدعى السيادة الروحية لمجرد أنها ابتدعت النظام الفنى الحديث ، فى حين لم تدرك شيئا الى الآن من روح آسيا الذى ابتدع جميع الفكرات الدينية والفلسفية العظيمة التى تؤلف كياننا الأدبى .

وقد أيدت الحوادث منذ ذلك الوقت صدق نظر « نيتشه » وثاقب بصيرته فإن علم الاقتصاد حاول محاولة موفقة في النزول بجميع الظاهرات الاجتماعية الى جعلها مسألة أرقام ومواد إنتاج وعلاقات مادية . غير أن الوجوه الأدبية والروحية للمسائل الإنسانية كانت لها الغلبة العظيمة على أشياع « كارل ماركس » على اختلاف مذاهبهم وعلى أولئك الاقتصاديين الذين أبوا منذ وقت طويل أن يبالوا بآسيا، لأنها ليست ذات مصانع وهو ما يوجب في نظرهم عدها همجية . وهاهو الغرب حين تنبه من الحكم الاشتراكي ومن العلم الكاذب بوجوه تبادل المواد قد وقف أمام المسألة الشرقية فى قالب جديد يبعث على القلق . وهي المسألة التى عرضتها للبحث فى البدء أطماع أوروبا المادية وسترتها بلاغة الأكايروس من بعد ذلك بستر المسألة الدينية وصارت فى نهاية الحرب الكبرى مسألة أدبية وروحية تتعلق رأساً بتوازن القوى التاريخية التى تحرك الإنسانية .

ولم يبلغ التاريخ بعد فى أوروبا لسوء الحظ شأو علم الأديان ولم يرتق اليه . ولا يزال كما كان لم يتحرر من الأوهام التى تصده من أن يفكر تفكيراً « عالمياً »

بدلاً من التماهى فى الغرور العنصرى وهو كبير الخطر على سلام العالم والطمانينة . وقد اعتاد المؤرخون الاوروبيون عند الكلام عن المسألة الاوروبية أن يهملوا وجوها وأصولها الاسيوية . فلم يستفد التاريخ الاوروبى شيئاً من براعة نظرهم فى أمور الشرق وكفايتهم فى العلم بها . وأعظم الأخطاء التى ارتكبها مشاهير المؤرخين لدى الحكم على آسيا والاسلام ونتائج السياسة الاوروبية فى آسيا إنما توضح فى العبارات التالية . أن الاختصاصيين فى مسائل الشرق مازالوا إلى الآن من علماء اللغات الذين يقضون العمر كله تقريبهاً فى درس نص قديم من نصوص الشعر الفارسى أو فعل غير قياسى جاء فى أحد المخطوطات الشرقية . على حين يقتضى الامر بذل الهمة فى استقصاء المصادر الصحيحة لتاريخ آسيا : وهى المصادر التى تكاد تكون مجهولة فى الغرب ولا تزال إلى الآن غير متداولة بين الاوربيين الذين تتلمس الاغلبية الكبرى منهم رأيها فى الشرق من العبارات الحوافر لفتريات التى أذاعها فيما مضى رواة الاخبار والوقائع من البيزنطيين واللاتينيين وهم مفضلون فى جامعات الغرب . وما نعلمه عن كاتب أغريقى قديم من الدرجة العشرين يفوق بكثير جداً ما نعلمه عن أجمل المظاهرات السياسية أو الزوحيية فى التاريخ الاسبوى .

وليس من شك فى أن اللاهوتيين الذين تدخلوا فى المسألة الشرقية مستترين خلف « الديبلوماسية » والدوائر المالية العالية كانوا بوجه خاص ضحايا جهلهم . ولم يتناول البحث العلمى النزىه الاسلام والشرق فى أوربا إلا فى العهد الاخير . ولقد بقيت المسألة الشرقية حتى القرن التاسع عشر فى عوز الى وسائل البحث الكافية وإلى الفكر الاوروبى المتحرر من كل الاوهام الدينية . وساعدت الروايات التى بثها ذوو الأغراض من مسيحيي الشرق على تضليل المرسلين وإيقاعهم فى الخطأ . وتشهد آداب الاسلام وفلسفته الدينية على التهنيد العظيم لقواعد الاخلاق والحياة الانسانية عند النخبة المفكرة على الاقل . وهى تلك النخبة التى تدعو بقوة إلى الاخاء بين الناس جميعاً بعد إذ صفت عقيدتها ورجعت إلى مبادئ الاسلام الاصلية البسيطة فى سمونبل : ولم يكن قد بقي فى نفوس خيار المسلمين

من قبل الحرب أى أثر لكره المسيحيين . ونعى بخيار المسلمين أولئك الذين اعتادوا أن يطلبوا العلم فى جامعات الغرب وأن يأتلفوا ديار فقائهم الغربيين فى كل مكان لا يمنع فيه الوهم المتعلق بالوان الشعوب من جلوس الاوربيين مع الشرقيين على مائدة واحدة . وقد حل محل الكراهة القديمة للمسيحية ارغبة فى الاشتراك فى العمل الفكرى الانسانى تحت لواء العلم . واذا رآب المسلمون المفكرون يمجحدون اليوم ارشاد الغرب الادبى، واذا كان فى العالم الاسلامى عناصر ساخطة تعرض عن النظم الاوروبية، فان الخطأ فى ذلك واقع على أولئك الذين لم يعرفوا أن يأسروا ارادة الشباب المسلم المتحمس والمستعد للاهتداء والالتىاد لعلم الغرب .



أما الاصلاح فى الاسلام فقد بوشر فى دوائر شتى . وانما ترجع محاولات الاصلاح التى شملت الفلسفة الدينية والفقه والاخلاق الى أصحاب النظر بالعقل من المعتزلة فى القرن الحادى عشر . ومنذ ذلك الوقت لم يقف سير الاسلام فى طريق التطور . غير أن تجارب الاصلاح التى حققتها أصحاب المذاهب الاسلامية وان كانوا جد مخلصين فلم تؤت تجاربهم ثمار عملية دائمة الا فيما ندر . وكانت غاية المفكرين ورؤساء الفرق الاسلامية والمرابطين (١) أو سواد المؤمنين على كثرتهم يتحصرون فى تصفية العقائد الدينية وتهذيب الطباع والعادات ورفع المستوى الخلقى لبعض شعوب الشرق التى لا تزال على الفطرة . الا ان تقدم الاسلام الى الامام كان يتطلب شيئاً آخر . فان كل اصلاح أساسى يداخل على النظم الاسلامية لا يوفق الى الاخذ به فى كل أنحاء العالم الاسلامى الا اذا توفر فيه بديا شرطان جوهريان . أولا : ألا يكون صادرا تحت ضغط أوربا . ثانياً : أن يأتى من أمة اسلامية قوية حية ومستقلة . وقد فشل أول اصلاح تركى — التنظيمات — الذى أسس تحت تأثير المبادئ الفرنسية سنة ١٨٣٩ بقانون « جوليان » لأن الاخذ به كان تحت ضغط أوربا ، وكان يقول بالتدخل الاجنبى بدلا من أن يبطله

نمائها (١) ولتتذكر، وحاول انكايى مستنير هو خير مؤرخ لحياة الاسلام أنجبته أوروبا ولأننى به « دافيد أوركار » أن يحمل « الديبلوماسية » الأوروبية على العدول عن المذاهب الخاطئة التى تفرض على تركيا اصطلاحات تضعها وزارات خارجية لوندرا وباريس وطرسبرج . واعترض بشدة على تطبيق القواعد الأوروبية تطبيقاً أعمى على الشرق ودعا بقوة الى المحافظة على التقاليد الاسلامية الصالحة التى امتدح حيويتها . وأشار « أوركار » الى قبول الدولة التركية في حلقه النظام الدولى الاوروبى .

وهو مقتنع أشد الاقتناع بأن النجاح فى منع التدخل الاجنبى الدائم فى شئوننا يعيند تركيا عنصراً عظيم النفع فى التوازن العالمى ويجعلها تواصل بنجاح مهمتها التاريخية كمصدر لبث المبادئ الغربية فى آسيا . ولبت « أوركار » طول المدة من سنة ١٨٣٠ إلى سنة ١٨٦٠ ينصح بتنحى الدول الأوروبية المطلق عن التدخل فى مسألة الاصلاحات لكي يتاح تحقيق التطور التاريخى الذى تستحيل به الشعوب الاسلامية إلى دول حديثة تحقيقاً طبيعياً بالتعاون مع الاوزبيين المتنورين والمطلعين على أمور الشرق الذين يختارون لكفائاتهم والذين يكونون بمعزل عن كل تدخل دبلوماسى وكل دسيسة دولية . وكانت خير نصيحة قدمها الى الدول الأوروبية هى أن تكل أمر التفكير فى الاصلاحات وتحقيقها الى الممثلين الحقيقيين لعم الشرق والغرب بدلاً من أن يكون ذلك وسيلة للمناورة فى أيدي الساسة . ولا تزال هذه النصيحة حافظة بقيمتها الى الان

وقد كان « أوركار » أول من أدرك أن المسألة التركية بالشكل الذى يطرحها به خصوم الاسلام على أوروبا إنما هي حيلة يراد منها اثاره المذابح التى يتذرع بها للاصطياد فى الماء العكر المسألة الشرقية . وقد غاب عن الدبلوماسيين أن روح المسألة إنما هو قلب العلاقات بين أوروبا وآسيا رأساً على عقب لكي يتاح لدين شريف وعناصر بشرية جليلة أن تحل المسائل الحيوية لوجودها فى حى من الدسائس الخارجية .

(١) راجع بحثى « أوروبا فى آسيا الصغرى » (الطبعة الثانية) فى مطبعة « بوكار »

على أن أولئك الذين يؤكدون أن الاسلام مستغرق في عقائده وأن من العبث أن يبذل أى مجهود في سبيل تحريره من التقاليد الموروثة المناقضة لمطالب الحياة الحديثة، ينسون أن لأصحة للنظرية القائلة بجمود الاسلام وأنه لم يسلم في كل عصر من هزة الحركات الفكرية في التاريخ. ويبدو في تشريعه الذي يراد اصلاحه اليوم أثر القانون الرومانى. وفي اتساع أحكامه الدينية نفنها أثر الفكرة الهيلينية في حين اقتبست فلسفته الآراء الانلاطونية والهندية. وهذه الظاهرة الدالة على تأثر الاسلام بمبادئ الامم الاخرى قد وضحها ببراعة كبير . المشتغلين بالمسائل الاسلامية في عصرنا ونعنى به الاستاذ جولز يهر من بودابست في دروسه المشهورة عن الاسلام: فقد برهن «جولز يهر» على أن الاسلام أظهر استعدادا للاندماج العضوى وهضم العناصر الاجنبية في كل حقبة تاريخية. قال ان من الخطأ اعتبار الاسلام مسئولا عن وجود النقص الادبية والركود الفكرى اللذين يفسبان الى الاستعدادات الجنسية والمناخ . وما يزال الاسلام من الوجهة الادبية امبراطورية عالمية جديدة بكل اهتمام المفكرين . ألا ان هناك فرقا لاحدله بين الاسلام من وجهة العقائد والاسلام من وجهة التاريخ . وجلى أن ترقى الاسلام في المستقبل يرتبط بالموقف الذى تقفه بازائه أوربا وأميركا .

وفي أساس الاسلام يوجد المبدأ الانتخابى الذى ينص عليه «قانون الاجماع» وهو موافقة اغلبية المسلمين على كل اقتراح جديد. قال «جولز يهر»: ان مبدأ الاجماع يشمل في جوهره القدرة التى تعين الاسلام على أن يتحرك بحرية وان يتطور. وان فيه لوسيلة مناسبة لكبح الطغيان والساطة الفردية. وقد ثبت في الماضى على الاقل انه العامل الاولى في قابلية الاسلام على التكيف. فما الذى يمكن أن يشهره في المستقبل تطبيقه المواقى ؟

ان العقيدة الاسلامية الصافية تعتبر كل فكرة جديدة متفقة كل الاتفاق مع تعليم النبي الجوهري اذا حازت موافقة الاغلبية المسلمة. والمراد من مبدأ الاجماع « أن كل ما تتقبله الجمعية المسلمة على أنه حق وعدل ينبغى أن يعتبر حقا وعدلا . وكل ما هو حائز لموافقة المسلمين العامة فهو عدل . ويتعزم الاعتراف بهدائه ولا

يكون غفلاً إلا في القالب الذي يعطيه إله الاجماع ، وما يقره الشعور العام للجماة بأنه حجة وثقة في أمور الدين ، سواء كان رجلاً أو كتاباً يكون كذلك لا بقرار تصدره هيئة من علماء الدين بل برأى عام يشبه أن يكون لا تنبيهاً بحيث يعتبر في مجموعه ، لا يجوز عليه الخطأ (١)

ولقد صار الاسلام — الذي كان في الاصل جمعية دينية صغيرة في مكة ونظاماً سياسياً فطرياً في المدينة — امبراطورية عالمية قامت في البدء على السيف مثل الامبراطورية الرومانية المقدسة ثم قامت من بعد تجزؤ الممالك العربية على الشعور السامى الذى يجعل من المسلمين أعظم اخوة انسانية في العالم . وكان محمد يرى أن سر اتحاد العناصر البشرية إنما هو شعور الجميع بالامتثال لله وتعلقهم به . ويقول القرآن « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا . واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخواناً »

ولقد بقيت هذه المبادئ النبيلة زمناً طويلاً تعترض العادات الموروثة للشعوب التي اتبعت محمداً وصار الاسلام دين الاقطاع لمجرد أن النظام الاقطاعى كان يسود الشرق كما كان يسود أوروبا وجعل أصحاب الاراضى في الاسلام يوفقون بين الدين والاحتياجات المنطبقة على مصالحهم .

وكان من تأثيرات استخدام المجوس لعهد الخلفاء العباسيين من بعد سقوط بنى أمية الذى نسب اليهم التطرف في العادات الدنيوية ان فرضت على الاسلام مبادئ الحكم الأوتوقراطى (١)

وينبغى أن تنحصر مهمة مصلحى الشرق في تحرير الاسلام من عبودية الروح اللاهوتية المحافظة

وفرضت على الاسلام مبادئ الحكم الاوتوقراطى بتأثير استخدام المجوس لعهد بنى العباس الذين تولوا الخلافة بعد سقوط الامويين المتهمين في التاريخ بالعادات الدنيوية المتطرفة (٢)

(١) راجع كتاب « قواعد الاسلام » تأليف جوليهر (الطبعة الفرنسية) .

(٢) مكس فيهر

وأما ينبغي أن يكون تحريراً للإسلام من عبودية الروح اللاهوتية المحافظة وقيادته إلى العلم عن طريق التربية هو كل ما تشمله مهمة المصلحين في الشرق، وأن ينحصر مبدأ أولئك الذين يتعاملون مسئولية السياسة الشرقية في أوروبا وأمريكا في ألا يشجعوا معارضة الدينين وألا ينقادوا للحزب الديني المتشدد. ويكاد يكون الإسلام قد تجاوز الطور اللاهوتي في ترقيه ولا يزال يحتاج إلى تغييرات اجتماعية واقتصادية كثيرة لكي يؤسس أو يعيد تطور العالم الإسلامي الصحيحة التي وضعها محمد. دين المساواة بين جميع الناس.

وليس في روح الإسلام الصحيحة ما لا يستطيع الأوروبي المذهب أن يقبله. وهو ما برهن عليه السيد أمير علي — من أكبر علماء المسامين الأحياء — ببراءة تامة. هذا المفكر الجليل الذي اجتمع له أكثر من أي مفكر معاصر آخر علم الشرق التاريخي وعلم الغرب، قد نشر طبعة جديدة من كتابه عن الإسلام وأضاف إليها فصلاً جديداً ذا صبغة حاضرة. وقد صور فيه تصويراً صادقاً مؤثراً الكفاح الهائل بين مبادئ الترقى ومبادئ المحافظة وذوى الجود. ذلك الكفاح الذي هز الإسلام من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر والذي انتهى بفوز التقاليد برغم تعاليم الرسول الأصلية (١)

ويستخلص من بيان السيد أمير علي الذي بسط بأوضح طريقة أن القرن العاشر كان عصر المأساة الكبرى لأوروبا وآسيا. ولا يزال يبدو لي كأشأم حقبة بالنسبة لمصائر العالم وعلى هذا الاعتبار نشأت من وقت هجرة الشعوب ونزوحها العظيم من مواطنها كل المسائل الديبلوماسية والعنصرية التي تواجهنا اليوم؟ وقد أيد السيد أمير علي هذا الرأي، ولكن في توسع غريب. وبينما كانت القارة الأوروبية قد مزقتها الشهوات المادية الناشئة عن الاحتياجات الحيوانية للعناصر التي كانت تتنافس في القرن العاشر على المراعى وأماكن الإقامة تحت المناخ الجيد الوحيد المعروف، كانت القارة الآسيوية التي غمرها الإسلام وكانت في حالة بحث فكري مسرحاً لكفاح شبيه بالكفاح الذي كان دائراً في أوروبا إلا أنه كان يضاف إليه معركة عنيفة حول مسألة الخير والشر.

(١) كتاب «روح الإسلام» للنيل السيد أمير علي طبعة «كرستوفر» بلندن

وبينما كانت أوروبا تتقاتل على الرزق كانت آسيا المسلمة التي بلغت شأوا الحضارة السامية تشهد العراك الديني الفلسفي الذي قام حول حقيقة رسالة محمد بين المعتزلة والمحافظين من أنصار العقائد الأولى ، وكان أصحاب النظر بالعقل يطلبون تأويلا حديثاً لتعاليم الرسول ويبنون ذلك على مبدأ المسئولية الذاتية للإنسان وحرية في الحكم بين الخير والشر وتركه بهتدى بالله من الطريق المستقيم باختياره الأدبي . وقد كثرت أنصار هذه النظرية الفلسفية والدينية منذ نشأة مدرسة المدينة، إلا أنه بمقدار ما استولى الإسلام على عناصر مختلفة ذات عقلية محافظة قليلة التساهل استولت المذهبية المتشددة على تلك العناصر الجديدة وانتهى الأمر بمذهب النظر بالعقل في الإسلام إلى الهزيمة التامة في نهاية أربعة قرون كفاح فيها كفاح المستبسل

وقد وصف السيد أمير على الأطوار الرئيسية لهذه المأساة الفكرية الإسلامية مبرهننا بطريقة لا تقبل الجدل كيف أن العناصر المتعصبة التي دخلت في الدين الإسلامي بعقلية ورثت التشدد والمحافظة قد أخرت ترقى الإسلام الفكري . . وكان خير مفكرى الإسلام وأكبر علمائه فيما بين القرن العاشر والقرن الرابع عشر يؤيدون حرية الفكر حتى من كان منهم على مذهب المتصوف الكبير الغزالي، ويؤثرون النظر بالعقل . وكان الغزالي يكافح أصحاب النظر بالعقل من الفلاسفة وفي الوقت نفسه يستنكر التعصب ويدعو المتعصبين بأصحاب الإسلام الكاذبين وباسم الفكر الإنساني جاهد ضد جماعة « الموالي » وعلماء الدين من دعاة التأخر يبراهين جليلة وأدلة حديثة عصرية . إلا أن هذا العالم الذي كان « باسكال » الإسلام ساعد دون اختياره على هزيمة قضية الترقى العلمى في الشرق كذلك استحوزت على التعليم الإسلامى الروح المدرسية المحافظة « سكولاستيك » ابتداء من القرن الرابع عشر أى في الوقت نفسه الذى كانت فيه المدرسة السكولاستيك في أوروبا في طور الاحتضار وكان العلم الحديث يخطو فيه الخطوات الأولى في أوروبا . وقد أفضى الكفاح الذى قام بين « أبى حنيفة » و« ابن حنبل » على سيطرة المذاهب الدينية التي جمعت بها الروح العلمية في الإسلام

تلك الروح الباهرة التي لا يزال الى اليوم موضع اعجاب الذين يدرسون العلوم
الاسلامية كالجغرافيا والطب والرياضيات التي ازهرت قرطبة واشبيلية وفي
بغداد والبصرة ودمشق والقاهرة . وقد عدد السيد أمير علي الشخصيات العلمية
الكبيرة في الاسلام والمبتدعات الفكرية العظيمة للحضارة الاسلامية وهو
ما يؤيده كبار الباحثين في أوروبا . فان عالماً كاثوليكياً كبيراً في اسبانيا اهتدى
الى المصدر الاسلامي الذي استمد منه أعظم ديوان شعري في الكاثوليكية ونريد به
« الكومنديا الإلهية » لدانتى . الا ان سيطرة التقاليد المصطنعة ثقلت وطأها
على العالم الاسلامي لسوء حظ آسيا وأوروبا ومنذ عهد النهضة لم يعد يشترك في
حركة تطور العلوم . واتفق له ما اتفق لأوروبا في القرون الوسطى حين قبرت قضية
الحرية الفكرية بأزاء المبدأ الاكبري

قرونا عديدة من الجود الفكري كانت نتيجة ذلك الكفاح الذي انتهى
بجذلان حرية الفكر في الاسلام أمام اللاهوتيين المحافظين . ومن عادة المؤرخين
الأوروبيين ومعهم فريق من رواد الفارسيين والعرب والهنود أن يلقوا مسؤولية
ذلك على عنصر كانت مزاياه الحزبية صاحبة السيطرة على آسيا قروناً طويلة .
ولم يسلم السيد أمير علي نفسه من هذه العادة لافي « تاريخ العرب في الاندلس »
ولا في « روح الاسلام » . فكيف كان من الممكن أن يسلم منها علماء أوربيين
مثل المأسوق عليه إدوار . ج . برون أو الاستاذ مارجوليوت وقد فتنهم سحر
الحضارات الأوروبية العديدة فجعلوها مادة علمهم الواسع العجيب ولم يروا الا وجهاً
واحداً لملاقات الشعب الفارسي أو الشعب العربي بالعنصر الذي أسميته بالعنصر
الاكثر تعرضاً للتهمة في التاريخ .

يعزو التاريخ الى الاترك دمار الحضارة الاسلامية . ولا اساس لهذه التهمة
تاريخياً وان كان بعض الوقائع يعطيها ظاهراً من الحقيقة . لانه اذا بدت تلك
الوقائع صحيحة حين تؤخذ على حدة ، كان ذلك دليلاً على انها لم تنحصر وانما افسرت
تفسيراً سيئاً . فان قضية العنصر التركي التاريخي بحاجة قابلة للتصحيح .

ويؤكد البعض ان ذلك العنصر لم يبتدع ولم يعمل ولم ينتج شيئاً في غضون سيطرته السياسية والحربية الطويلة . لكن هل يجمل ذلك البعض الاحوال التي احتوى فيها تاريخ الاتراك مؤسسى الدول في الصين وفي الهند وفي آسيا ؟ حقاً أن العنصر التركي لم يمتاز بأية ميزة في دائرة الفكر وعلى الأقل لم يكن له نبوغ الابتكار . . .

ولكن اذا كان حق العنصر في الحياة الوطنية يرتبط بميزة الخلق في الفكر المجرد لكان مركز بعض العناصر الهامة في أوروبا غير معين . انما يأخذ كل عنصر دوره ووظيفته طبقاً لاستعداداته الخاصة ولا يمكن أن نلوم رجلاً عظيماً من رجال الاعمال على أنه لم يبتدع شيئاً في الادب أو الفن . ويقارن البعض بين الرومانيين من الوجهة الدولية وبين العنصر الانكليزي السكسوني . على انهم أكثر شبيهاً بالاتراك مما نظن . فان الفكر الروماني والفكر التركي قد اتجها جميعاً الى العمل السياسي ولم ينظرا الى الاشياء الفنية الا من ناحية الزينة والأبهة . وكما أن الرومانيين اقتبسوا أفكارهم من مصادر اغريقية ومصرية ووقبوا بينها وبين احتياجاتهم والمستوى الذي بلغوه ، فان الاتراك قد أخذوا الحضارات الاسلامية والفارسية والعربية والهندية التي اتصلوا بها واعتنقوها . وكان الدور الذي قاموا به ينحصر في تنظيم بلدان عديدة وحكمها كما فعل الرومانيون بالضبط بوسائل أخرى في بيئة بشرية تختلف كل الاختلاف عن الوسط التركي الا أنهم مثلوا ذلك الدور حيناً طويلاً بنجاح وبفضل تجريداتهم الحريية تعارفت الحضارات الاسيوية المختلفة وامتزجت لكي تتألف منها حضارة اسلامية موجودة الآن ولن تتم الا اذا ظهرت في آسيا الحضارة الغربية بواسطة الفرنسيين والانكليز الذين يساعدون على نشرها بطريقة عملية فعالة ومتسعة . ولا ينقص الاسلام غير التربية الحديثة والعلم . ينقصه ان يخلع عنه ثوب الاوهام والتقاليد القديمة وصيغ حياته الفكرية التي انقضت زمانها .

إن أولئك الذين يعتقدون أن الاتراك في العالم الاسلامي هم العنصر الأقل استعداداً للإصلاح الذي يدعو اليه مع السيد أدب على خيار المسلمين جميعاً ، انما هم

ضحايا الاكذوبة التي تعمد اذاعتها عن الاتراك في البدء جماعة المغلوبين على
أمرهم في آسيا الايرانية ومن بعدهم أولئك الذين يطمحون منذ قرنين الى أن يكونوا
ورثاء الاتراك في دولتهم. على حين أن عقلية الاتراك العملية هي الوحيدة في
الاسلام التي تستطيع أن تعرض عن الصيغ اللاهوتية القديمة وتكون في جانب
الاصلاحات، على شريطة ألا تكون ذريعة للتدخل الاجنبي في حكومتهم. أن
التعصب التركي المزعوم إنما هو من صنع التصور الاوروبي. فليس هناك عنصر
اكثر طواعية لتعاليم التسامح الديني من الاتراك. والاسلام مثل كل دين آخر
اتخذ صورة التعصب في كل بيئة كان الذين أسلموا فيها ذوي طبيعة متعصبة.
ألم تكن الديانة الكاثوليكية التي كانت متعصبة في أسبانيا متسامحة دائماً في المجر؟
وقد كانت في يد آل هابسبورج أداة اضطهاد ديني الا أنها لم تتطور ببطء الاحينما
ابتدأ الفكر العام يترقى في أوربا.

وإنما كان التعصب الديني في تركيا من الامور التي تنسب الى أسباب
سياسية، أو اجتماعية ويندر أن تنسب الى الدين. ولنندكر دائماً ملاحظات «رنان»
عن الاسباب العنصرية للتعصب السام.

وظاهر أن الدول الغربية تعول بوجه خاص على فتوحاتها الاقتصادية
في الشرق. الا أنه لا قيمة كبيرة لهذه الفتوحات من الوجهة العملية لانه ليس في
وسع المزايا التي تأتي على الضد من المبادئ الحديثة في حقوق الانسان أن تستثمر
في هدوء وظلم، أنينة. ولم تعد القوات الحربية تكفي لقمع القوى الروحية. ولا يمكن
أن يكون المركز الاسلامي الاقتصادي مقيداً حقاً الا للدول التي تراعى تلك
القوى الروحية. في الشرق لا يزال يتألف من الروحي والمادي «كلا» عضويًا.
وفي أراضي الاسلام الثروات الجوهرية في المواد الأولية وليس المحرك العظيم
للسياسة العالمية الحديثة — البترول — غزيراً الا في الشرق. ولا بد من ترسيم
سياسة الفتوحات الإيجابية للوصول الى الاستحواز بصيغة فعلية على موارد العالم
الاسلامي الاقتصادية لمصلحة العالم بأسره. ولن تفضي الحرب العنيفة ضد الاسلام
شيءاً أكانت على الوزق، تقوم بها جان اكبركية، أم في ميدان القتال بالاسلحة

الحديثة الا الى زيادة الارتباك الاقتصادي في العالم وهدم كل سبب للنهوض .
وعلى النقيض من ذلك يكون الاعتراف برغبات الاسلام كقوة دولية ذات سلطان
أدبي وسياسي عظيم . فانه يتيح للقوى المدبرة للاقتصاد العالمي العمل في آسيا
ولكن طبقا لمبادئ المساواة في المعاملة ومبدأ الباب المفتوح وهما الباعث على
عظمة القرن التاسع عشر الاقتصادية

فان مبدأ الباب المفتوح هو الأداة الكبرى التي يمكن أن يحرك الولايات
المتحدة الأمريكية الى ترسيم سياسة عدالة بازاء الاسلام ونحن لانرى الى الآن
في أمريكا أى أثر لسياسة اسلامية تتم عن الذكاء . فان المرسلين
الأمريكيين بدعائهم المتعصبة ضد الاسلام يضللون نظر القارئ بأعظم قوة
اقتصادية شهدها تاريخ العالم . وليس في وسع الولايات المتحدة في آخر الامر
أن تعرض عن وضع برنامج لسياستها الاسلامية برغم انها لا تحكم مسلمين الا في
الفلبين . ذلك لان مساعدتها الاقتصادية ضرورية لنهضة الشرق كما هي لازمة
لنهضة الغرب . فاذا ارتضت ألا تصفى الا لصوت الحكمة وأن تعرض عن
اتباع أولئك الذين يبدرون في العالم بذور الاحقاد الدينية فانها لا تلبث أن تصير
محبوبة في الشرق الاسلامي كما اتفق لها في الصين حين تولت الدفاع عن سلامة
البلاد فحصلت على مركز اقتصادي عظيم

ان قانون الاسلام الادبي صارم في تحريم العذر حتى بازاء غير المسلم . وهو
ما برهن عليه « جولز يهر » وان توطيد السلم في الشرق لا يتطلب مطلقا استعمال
الطرائق الضيقة التي تتخذ ضده بنجاح لا جدوى منه انما يكفي التقرب من
الاسلام بالنية الطيبة نفسها وبالارادة الحسنة ذاتها اللتين كان يظهرهما محمد عن
طواعية نحو المسيحيين واليهود في عصره .

أما الاعتماد في الشرق على حزب ضد حزب آخر فانها سياسة خبيثة عقيمة
لان الوحدة الادبية للاسلام تؤيد من الوجهة الاقتصادية الاصلاح اللازم لترقي
آسيا المادي .

فهرست

ص

- ٩١٣ علاقة الانسان بالله : اسماعيل مظهر
 ٩٢٥ الامواج والشاطئ : قطعة شعرية حسن كامل الضيرفي
 ٩٢٦ الادب العربي أديب
 ٩٢٩ التصوف : بحث تحليل انتقادي عبد اللطيف الطيباوى
 ٩٣٥ الحياة والموت : قصيدة جميل صدقي الزهاوى
 ٩٤٥ مذكرات « أنا »
 ٩٥١ الصهيونية عمر عنايت
 ٩٥٦ رحلة في بلاد الواقع حسين محمود
 ٩٦٠ الخطيئة . قطعة شعرية عبد اللطيف ثابت
 ٩٦١ النقد والتأليف : اعجاز القرآن — ٩٦٨ — تاريخ سوريا ولبنان —
 ٩٧٢ — جبل قاف
 ٩٧٩ بين الصحف والمجلات : ترجمة المصلحات العلمية
 ٩٩٧ الموسيقى العربية والموسيقى الغربية منير الحسامي
 ١٠٠٣ لماذا أهدمت بندلى البيلاوي
 ١٠٠٦ جمعية بحث العلوم الحادثة ط . ه . حنين
 ١٠٠٨ اختزال الكتابة باللغة العربية
 ١٠١٢ الدكتور صروف : مقتطفات مما قيل في حفلة تأبينه
 ١٠٢٨ الإصلاح في الاسلام : مترجمة عن فيليكس قالوى عبد الحميد سالم



مجلة ٢ - العدد ١٠ شيعاء الحكمة يجذبنا إليك يونية سنة ١٩٢٨

مبادئ الفلسفة الحديثة

سلسلة أبحاث في قالب سهل المأخذ تعتمد فيها على عدد من
اساتذة الفلسفة المعروفين ، ينتفع بها المبتدئ في درس
الفلسفة ، كما يستعين بها الباحثون على تفهم المبادئ الأولية
بأسلوب حديث .

الفلسفة والحياة

— ١ —

« الفلسفة » إحدى الدعائم الأولية التي تقوم عليها المعرفة الإنسانية .
وعلى الرغم من هذا ، وعن قدم عهدها وشبوبها مع تطور الفكر ، قد عانت من
المهوشات وأثر الفوضى ، مالم يعان فرع غيرها من فروع المعرفة . فكثيراً
ما أخطأ الناس معرفة أغراضها وتجديد موضوعاتها . وقد تجدد أن الفلسفة إذا
سلمت حيناً من الجهل المطبق بها ، فإنها لم تسلم في كثير من الأحيان من الفوضى
في تحديد أساليبها التي تتبعها في بحث حقائق الأشياء . فاعتقد البعض أنها
ليست أكثر من تخيلات لا تستند إلى شيء من الحقائق . أما المعتقد السائد في
« التفلسف » فتأثم على فكرة أن هذا الأسلوب ليس أكثر من أحلام
وتخيلات وتخييط مع الأوهام . أما العلماء Scientists فقالون بأن الفلسفة عبارة
عن تأملات جافة غير منتجة تدور حول مسائل ، إن لم تكن ثانوية من ناحية الأهمية

والخطر ، فأنها من الأشياء التي لا يمكن أن يعثر العقل الانساني على حل لها ، ولذا يجب أن تترك وتهمل في حيز الاسرار المستعصية التي يجب أن لا تعالج الا من الناحية الباطنة في كفايات العقل الانساني .

على ان هذه النظرة الخاطئة في الفلسفة لها من المقدمات ما يجعلها نتيجة محمولة على تلك المقدمات . وليس من شأنا في هذا التمهيد أن نمضي في سرد تاريخ تلك المقدمات وما حمل عليها من النتائج . بل يكفي أن نقول هنا أن مثل هذه الاتجاهات العقلية أراء الفلسفة ليست أكثر من أخطاء وسوء فهم لما هي الفلسفة ، وأنها ظلمت الفلسفة ، وهي بعد تلك النزعة العقلية التي كانت في الماضي وسوف تكون في المستقبل ، مادام الانسان مجداً في توسيع أفقه العقلي ، ذات منزلة خاصة تشغلها في نظمات العقل الانساني . وما غرضنا من هذه الأبحاث الا أن نقضي على مثل هذه الفسكات الخاطئة التي تظهر من ناحيتها في الفلسفة ، ولنظهر أنها أكبر عون للعالم على الوصول الى أغراضه العليا . لهذا نبدأ بالبحث في العلاقة بين الفلسفة والحياة .

١ - غرض الفلسفة

الحياة الانسانية حقيقة واقعة ، بصرف النظر عن اختلاف الناس في تقدير قيمتها . أما الحياة الفردية فهبة ، ليس للفرد فيها من اختيار . ولها فوق ذلك التزامات وواجبات ليس للفرد عن الخضوع لها من مفر . ومهما كان من أمر نشأتها ، أو منقلبها ونهايتها ، فاتها حقيقة يشعر بها الاحياء ، ويجب على كل حي أن ينتفع بها على وجه ما من الوجوه . وفضلا عن هذا ، فاتها نعيش في محيط طبيعي يفرض علينا واجبات ضرورية . فإن قواسر الحياة التي لا يمكننا بحال أن نفلت منها تضعنا في موضع نواجه فيه فواعل بيئة تضطرنا الى الاتيان بأفعال لها طابع خاص وصورة بعينها . فأنك من أجل أن تعيش ، مفروض عليك أن تأتي بأفعال مخصوصة عند حلول ظروف معينة .

للنشاط الذي ندعوه « الحياة » أوجه عديدة . ومن تلك الأوجه وجه ذو شأن وخطير هو أن الحي يشعر بأنه « كائن » أي أنه يدرك أنه « موجود » أو بلغة

الفلسفة « ذاتى الادراك بوجوده » . وهذا أمر يصدق على النوع الانسانى على الاقل . اننا « لانعيش » لاغير ، بل ندرك أننا نعيش ، وقد نفكر فى بعض الأحيان فى الكيفية التى تجعلنا أسعد حالا مما نحن . اننا لانأتى بأفعال فقط ، بل فىنا قدرة على التمييز بين الافعال والاعتقاد بأن أفعالا ما تكون ضرورية ، وأخرى ذات نفع ، وثالثة فيها صواب أو خطأ . وبعبارة أخرى نقول إن الحياة الانسانية حياة « تأملية » فى ناحية من نواحيها العديدة . ولا يجب أن ننسى مع هذا أن هذه الناحية « التأملية » من الحياة البشرية هي فى ذات الوقت مبعث الضجر والتبرم ، كما أنها منشأ العظمة والجلال الانسانى ، وانما يكون « التأمل » مبعثاً على التبرم بالحياة لأن فيه جهوداً ، وكثيراً ما يكون غير مشعر . فى حين أنه منشأ العظمة والجلال ، لأن من طريقه استطاع الانسان أن يتم أعماله العظيمة وقيم قواعد الثقافة ويشيد الحضارات التى تشكل تاريخه المجيد . وسواء اعتبرناه حقبة يجب أن يتخلص الانسان منها ، أم أخذناه على أنه قوة يتحتم علينا استخدامها ، فالتأمل من الصفات الاصلية فى الحياة الانسانية .

ما هو « التأمل » ؟ التأمل فى اظهر مظاهره هو القدرة على أن تسأل وتجب وأن تستعرض مشكلات ونحاول حلها ، وان تنظر الى المستقبل وتختط للسلوك خطة ما . هو ان يكون فيك قدرة على استطلاع الحقائق التى ينطوى عليها وجودك ويحتوى عليها المحيط الذى تعيش فيه . هو - « ان تنظر فى الماضى وتستطلع المستقبل ، وأن تستشوق بحرارة الى معرفة المجهولات » .

والتأمل مظهران لها أكبر العلاقة والشأن بموضوعنا هذا ، ولذا وجب علينا أن نعينهما . فالمظهر الاول هو أن يبحث التأمل عن أجوبة للاستئلة التى يقيمها . انه لا يقنع بالاجوبة التى يناقش بعضها بعضاً . أو التى تتناقض أجزاءها المكونة لها ، منافاة تؤثر فى اقتناع العقل بها . أما المظهر الثانى فهو أن التأمل يصل دائماً وبقدر المستطاع ، ضرورة ، أن يناقش الاجوبة التى يجاب بها على مسائله ليعرف مقدار ما تتجانس عناصرها ومقدار ما تتنافر ، وبالأحرى مقدار ما بينهما من العلاقة والترابط . أن التأمل لا يقتنع بان يترك الحلول المختلفة التى تحملها مشاكته

التي يخلقها مفككة لا رابطة تربطها ولا صلة تجمعها ، بل يتابع البحث والتنقيب ليعرف ماذا يكون من أمر هذه الحلول الكثيرة اذا اعتبرت في مجموعها منطقياً . وعلى الجملة نقول بأن « التأمل » يتطلب منا ، باعتبار أنه مثلاً أعلى ، أجوبة ثابتة لكل الاسئلة التي يمكن أن تقوم في العقل ، كما يتطلب ترابطاً منطقياً يصل بين كل الاجوبة التي يتسنى لنا الوصول اليها . بل نقول تعديماً بأنه يرمى الى معرفة الكون من طريق نظرة شاملة فيها ألفة تامة ، بحيث لا ينقص تلك النظرة شيء من كمال الاسلوب ولا حسن النظام ، الذي يقصده بتتابع النسق التدليلي وترابط وجوهه وعدم تنافر أجزائه بحال من الاحوال

ولقد أثبت الفلاسفة في العصور الحديثة اثباتاً قاطعاً ، ان الفلسفة كالمعلوم ، انما تنشأ من تلك القدرة البشرية التي ندعوها « التأمل » وما الفلسفة في حقيقتها الا ذلك الاسلوب أو النظام الذي يرمى الى تحقيق ذلك الغرض المثالي الذي يرمى اليه التأمل . وفي هذا وجده تنحصر الصعاب التي نعانيها من صفة التأمل الكائنة من تضاعيفنا . غير اننا نقول وبكثير من الحق أيضاً انه ليس لنا من سبيل الى معرفة حقيقة التأمل إلا بأن نواجه هذه الصعاب وأن نعمل على حل المشكلات التي يخلقها التأمل من كثرة الابواب على النظر في حالات العالم . فان الفلسفة ليست بتلك الحالة السلبية التي تخيل البعض أنها عبارة عن رؤى يحلم بها الفلاسفة ولا تتناول من العالم الا ترهاته وسفاسفه . بل على الضد من ذلك . إن قوة التأمل في حالة نشاطها ، تمنح بكل وسيلة في العمل لكي تصل الى أغراضها العليا . ان الفلسفة انما ترمى لان تخلق تصوراً عاماً في حقيقة المسائل والمشكلات التي تقوم في البيئة التي نكتنف الانسان وتحف بمركزه في الوجود . والحقيقة أن الفلسفة كما قال الأستاذ وليم جيمس ، العالم البسيكولوجي المعروف ، عبارة عن مجهود غير ناضج يبذل في سبيل أن يحصل الانسان على القدرة على أن يفكر تفكيراً قوياً .

لهذا نجد أن الفلسفة انما تنشأ مباشرة في الحياة نفسها أولاً ، ثم من مطالعها ثانياً . ان كل من يعيش فوق الارض به على شرط أن يكون للتأمل قسط من

حياته ، هوفيلسوف بالطبع . يقول الاستاذ بيرى Perry في كتابه «مدى الفلسفة»
(١٩٠٥) ص ٢٢

« ليس الانسان بطبيعته فيلسوفاً مستقل الرأي في فلسفته ، بل هو فيلسوف
معرض تماؤه الحزبية . لقد بدأ الانسان بالفعل أن يكون فيلسوفاً بمقتضى حالاته
الحاضرة . ولا شبهة مطلقاً في أن هنالك فرقاً كبيراً بين فكرة تقوم في عقل
رجل من رجال الاعمال العاديين وأخرى تقوم في رأس رجل يعمل جاداً في سبيل
معرفة الحقيقة لذاتها . غير اننا اذا مثلنا لهذا الفرق بأنه سياحة طويلة ، عرفنا بعد
قليل أنها سياحة تذهب طريق واحد مستقيم لا التواء فيه ولا انحناء . فالفلسفة في
يد الفلاسفة تذهب الى حيث تصبح مصطلحات متخالطة مهوشة ، شأن كل شأن
يتعمد الفكر الانساني بجهوده القصية . ومن أجل أن تكب على درس الفلسفة
بما يتطلب الا كباب عليها من شجاعة وقوه يقين ، يجب عليك أن توطد النفس
على مواجهة الصعاب ومناجزة المشكلات العديدة التي تواجهك في تبنيها القصي البعيد
المدى . وحسبك أن تعرف أن مشكلة « الفلسفة » عامة هي المصدر الاول الذي
تنشأ عنه مجموعة المشكلات ، كبيرة وصغيرة . وسواء أعددتنا أنفسنا من عمد الفلسفة
المشتغلين بها المكبين عليها ، أم من المنتسبين اليهم هوى ورغبة لاغير ، فحسب
الفلسفة أهمية وخطراً أن تكون ذات صلة متواصلة بالحياة ذاتها »

٢ - الفرد .

عندما ومانا ، نحن ابناء آدم ، لأول مرة الى ذلك الحد الذي شعرنا
فيه بوجودنا وبدأت لدينا القدرة على التأمل في طبيعتنا تظهر آثارها الجلى ،
عرفنا أن حياتنا انما تتكون من مجموع من الرغبات والحاجات نغضى عاملين
على أن نحصل عليها . فانا نرغب من طعام وسكنى وذلك . ونحتاج الى الاجتماع
بأخواننا في الإنسانية . ونجاهد في سبيل الحصول على درجات الشرف ونجهد
أنفسنا لكي نحصل على عطف أوائلك الذين نشعر بميل نحوهم . وفرق هذا نعجب
من أنفسنا ومن العالم الخائف بنا . وعلى الجملة نقول بأن كلا منا هو بمثابة مركز

للنشاط يجاهد في سبيل الرضا بالحصول على رغبات وحاجات ما . وما هذا النشاط وتلك الرغبات والحاجات الا مظاهر لذلك الشيء الذي نسميه « قسر الحياة » . فالفرد باعتباره شيئاً « حياً » هو مبدأ « للنشاط » ومن أجل أن تكون حياً يلزم أن تكون عاملاً في سبيل الاستحواز على غايات ما ، وان تسد شهوتك بالحصول الى رغبات مخصوصة ، وأن تحصل على حاجات مخصوصة وفوائد معينة . هذه هي الحياة على ما تظهر في الذوات البشرية . هي عبارة عن « معركة » لنيل « الغايات » .

في هذا التخليل مسألتان ، يجب على الباحث أن لا يغفل عنهما في كل بحث يتناول فيه الفلسفة

الاولى — ان الفرد باعتباره عنصراً حياً ، هو عنصر ايجابي Dynamic لا عنصر سلبي Static

الثانية — هي أن كلاً منا باعتباره عنصراً ايجابياً — عاملاً — يجب أن يركز مظاهر سلوكه حول « غايات » ما ، أي حول رغبات وضرورات فيلوزوف

غنى يا طير

الْبُورَةُ غَنَائِيَّةٌ

غنى يا طير انى شاعر يعرف الاشاد شجراً وحنين
غنى يا طير انى عاشق يرسل الانفاس فى الليل أنين
غنى يا طير انى عابد مؤمن بالحسن فى الحب أمين
غنى يا طير انى فتن هزنى الحب كهزات الغصون
انى عبد الجمال طاهر طهر الملاك

* *

غنى يا طير انى مزهر عزف الحب على النخما
غنى يا طير لحناً مطرباً يبعث السحرضياء فى السما
انه الجنات تجري نعمة هاهو القلب اليها قد سما
غنى يا طير. غن والهأ غنى فالهم بالقلب طمى
واسقنى الخمر الحلال فى كؤوس من غناك

آنا إن مت غريباً ليس لى دمة ترى سوى دمع الشفق
هل يهيج الحزن موتى عندهن هام قلبى فى هواها وخفق ؟
آه ! انى قرب نهر مترع بيد أن الروح يطويها الشرق
غنى يا طير شدوا مشجياً غنى يا طير وامرح فى الافق
غنى دون ملال وارثى من بعد ذاك

من لامل البصري

جولة

في رصده ما أجوج

وهو فصل آخر من كتاب عالم زمانه وواحد عصره وأوانه حجة
البيان وفخر الأكوان أستاذي العالم العلامة والبحر الفهامة صاحب
الفضيلة شأبوب الزاجل آتانا الله تعالى وإياه ونفعنا به . وقد نشرنا له
فصلاً آخر في عدد المصور الماضي

وبينا الزنبور يطوى طبقات السماء طياً شعرت بجسده يتجلى فجأة وأنه أخذ
يهوى من حلق . فعلمت أنه مات ولا حول ولا قوة الا بالله فعتقت الحياة لعقلي
طريقاً للخلاص من الموت الزؤام فملت الى جناحيه (١) فاقتلعتهم وأخذت بسرعة
أحركهما نازلاً الى الأرض وأنا ممسك جسده الزنبور بفخذي مؤملاً دفنه بالاحتفال
اللائق بمقامه اذا قدرت لي السلامة

ولما قربت من الوصول الى غايتي شعرت كما لو كنت أهبط على فوهة جبل
من نار وكانت الرياح الملهبة تلمح وجهي لفعاً وألسنة النار المندلعة تلدغني لدغاً
فنطقت بالشهادتين وأغبطت عيني مستسماً للاستشهاد في سبيل العلم فغاب
صوابي أمداً طويلاً ، ولما أفقت وجدت نفسي ممدداً على الأرض . فأجملت نظري
من حولى ويا هول ما رأيت . فالأرض حمراء كالمقلاة المركبة منذ مائة الف سنة
على موقد « برية موسى (٢) » وكان زفير النار ينتشر خلال ما حولى من الفضاء
ورأيت أمامي عقارباً رجل الواحدة منها في حجم أربعة جمال ورأيت المردة
ذوات المناظر الوحشية تانتقل بسرعة من مكان الى آخر والشر مرتسم على
وجوهها البشعة . عند ذلك فكرت في زنبورى المسكين فوجدت جلده تحق
وبالبداهة عرفت أنه طق من شدة الحر فغمري ما كان يملأ أحشاءه من المواد

(١) يعنى بالجناحين مظلة النجاء التي كان يستعملها عباس بن برجاس وهو يقطع

بحر الظلومات طائراً

(٢) حرف الا فرنج اسم هذا الاكتشاف العربي الصميم فنطقوه بريموس

اللزجة وهذا هو السر في أننى لم أعد أشعر. بآلم وأنا جالس وسط ذلك الآتون الملهب ، بل هذا هو السر في أن العقارب كانت تحيىنى كلما مرت بى بأحشاء رؤوسها وهى تبتمسم. كما أن المردة يرفعون قبعاتهم لى احتراماً (١)

وارتفع صوت احد المردة يصيح « الا اخرجوا ايها الناس لتذوقوا عذاب اليوم » واذا بمخلوقات كالجرذان فى الحجم تخرج من شقوق جبل قاف واجسادها ترتعد فرقا من الرعب وبعدئذ اخذت العقارب تعبت يمينها لئلا تنزل. المردة انفيها ضربا دون شفقة ولا رحمة . ففقدت صوابى وصحت صيحة ارتجبت لها الجبال واخذت النيران فوقف الجلاذون . مطأطأ الرؤوس خائفين : (ففات خاوقاهم على راحتى فاذا له اذنان طويلتان تكادان تحجبان جسده فسأله عن قصته فسردها لى كما هو مبين بعد بالتفصيل وها أنا أنقله لك بالتام

قال اعلم وفقك الله أننى عبد رب هذا الجبل (٢) كنت افلح له الارض وآكل من طبيباتها وأنا هادىء البال ناعمه . ولكن خطر ببالى ذات يوم أن اكتشف ما بعد الظلومات هناك حيث تنتهى القمة ولما وصلت الى النهاية رأيت شعاع من نور (٣) يمتد الى ما لا نهاية فرغبت فى سبر غورها وبالفعل تابعتها قليلا بنجاح لا مزيد عليه الى أن زلفت رجلى عفوا فسقطت الى هنا وقد دقت أطرافى لاصطدامى بصخور الجبل البارزة وأنا اندحرج عليها . ولما أقفت وجدتني أمام ملك هذه البلاد فيحكم على التعليق من أذنى فى شجرة وهذا هو السبب انهما طويلتان ثم طلبنى الملك بعد ذلك بأيام وقال لى أننى اقترفت جرما لا ينتظر لى منه بعد اقترافه رحمة الى يوم الدين ومن ذلك اليوم وأنا ألقى صنوف العذاب كما رأيته الآن »

فمت الى آخر وقت له وأنت ما قصتك فأجاب كلنا يا مولاي صرعى الرغبة فى البحث . ووافق الكل بهز رؤوسهم فلتفت الى أحد المردة مسائلا عن سبب اقدامه على تعذيب مخلوقات الله الرحمن الرحيم فقال ان الملك هدده بأشرف أنواع

(١) القبة من لباس العرب ولكن لا يمتد ف به من اصبحوا أكثر عريه من العرب

(٢) جبل قاف (١) سبق ذكرها فى بلاد الواق

العذاب ان لم يفعل وبالفعل كاد يرش على وجهه ماء مسحوراً لمسخه قرد
فالتفت الى العقارب اسألها فلم تخرج فدعوت الله أن يفنيها ففعل وهو القادر
على كل شيء .

وبعد أن سلحت نفسي بالأحجية والتعاضد طلبت من القوم ارشادى الى
حيث يقيم الملك فساروا معى وأنا أقرأ عدية يس بصوت عذب رقيق وبعد مسيرة
عام ويوم ساروا الى غار منقوش بابه على الطراز العربى القديم فدخلته بقدم ثابت
وهناك رأيت رجلا قبيح الشكل مرسلا لحية وخطها الشيب وقد لف رأسه
بعمامة كبيرة تكاد أن تكون برجا . ولما أن نظر الى وجهى المنير كالبدر
فى ليلة تمامه خر ساجداً محاولاً أتم قدمى فضننت عليه بالقاء السلام وقالت
له كيف تفعل هذا يا شيخ السوء وهل تظن الله غافلاً عما تقترفه من الآثام . أين
الشفقة بل أين الرحمة التى سكبها الخالق جلا وعلا على قلوب عبيده ؟ فقال
الصالحين . فادركت أنه طالح . سيلقى جزاءه فى جهنم وبئس المصير . فاقسمت لأذيقه
العذاب الأليم الذى طالما عذب به أولئك النفر المساكين اذا لم ينطق بالحق
ويتكلم الصديق قتال

اعلم أن ذلك المكان هو واد أجرد سحيق قريب من بحيرة طبريا فى ارض
القدس . يخشاه الأهلون ويسمون وادى جهنم . كما كان يدعو قدماء العبرانيين
(جوهانيم) فأغرائى الشيطان أن امتلك ارضاً أتحكم فيها حسب ميولى وأهوائى
فأكون لى فيها عبيد متعبدون يخضعون لحكمى فأغررت بوعده وصدقت وسوسته
فأتيت هنا الى منفذ ذلك الجحيم الارضى وأتخذت لى أعواناً من اتباع الشيطان
الرجيم فى أشكال عقارب هائلة الجرم وأول ما فعلته اننى اختطفت بضع عمالقة
بشاع المنظر مخيفي الخلقة عودتهم على تدخين الحشيش والافيون وشرب البوظه
وبذلك أصبحوا أطوع لى من بنائى ثم أخذت فى اختطاف الناس من هنا وهناك
وبعد أن أمسخهم جرداناً أعرض عليهم الايمان بى فيرفضون فأقص عليهم قصة
النور والخطيئة التى ارتكبوها بفضولهم عند البحث فى الماهيات ، وأظنك سمعتها ،

ثم أسلمهم للمردة والمقارب يلقون الفزع في نفوسهم . ومع انى تمكنت من منعهم
عن التفكير في كيف يمكنهم الخلاص من هذا الشقاء خوفاً من الوقوع في ما
هو أشد منه لم أقدر حتى الآن على اجبارهم لاتخاذ الشيطان لهم آلهة دون رب العالمين
وهذا ما يمرر عيشى ويدفعنى الى صب جام غضبى عليهم في كل آن وخين
سأله اذا كان يعتقد أن العقل البشرى بسيط لدرجة ان يتصور امكان
البقاء في عذاب مقيم لا موت فيه ولا خلاص منه . فأجاب أجل فالهبة تدعو
البسطاء الى تصور ما يظنه العقل غير صحيح

سأله وهلا يعتقد أن للعذاب المتتابع يصبح مألوفاً . وبذلك يخرج عن كونه عذاباً .
فالعذاب أمر نسبي لا يعرفه الناس الا بمقارنته بما هو ضده . فقال أصبت فهذا اما أفسد على
تدبيرى وطلب منى الا مان فأمنت . قائلاً ان الامر ليس بيدي . بل هو حق لمن انزل
عليهم جام غضبه فتظاهر بالانسراح وأظهر الندامة . ورغبة في اظهار ندمه أشار الى
أفنى عظيمة . قائلاً انها هى المطية التى كان ينتقل بها من مصر الى حيث هو كلما احتاج
الى زيارة الأهل والأصحاب . وعرضها على هدية قائلاً الهدية على قدر مهيديها . وبينما نحن
بجدن في السير الى حيث ينتظر القوم صرخ رفيتى صرخة قوية وسقط الى الارض
مرعاً فتلفت اليه واذا بيده فرقة (١) انطلق منها سهم هز ارجاء الفضاء وتقدم الى أحد
المردة قائلاً . لولا اننى قتلتك لكان أرداك بألته السحرية غدراً فشكرته . ولما وصات
الى القوم قصصت عليهم قصتى من أولها الى آخرها وسمحت لهم بالذهاب الى حيث
يشاؤون فشكرونى كثيراً ودعونى لمقاسمتهم الطعام . فقبلت واذا باطباق رصاصية
رصت عليها البساکيت والفندقات والبقالى مع كثير من الملبس وعيش
السرايات (٢) فأكلت هنئاً وشربت معهم نخب سر وحدتهم الف و ت ر (٣)
وفكرت في الاستفادة من الحية فامتطيتهما وأمرت بها بشق طبقات السماء . وبعد

١ الفرقة آلة جهنمية تخفق بمخارجة من سجيل فاذا ما أختابت اختدما الهدف نصبت
على الضحية وأسماها الفريضة ويقرأ فرا

٢ أكدوا لى أن هذه الاطعمة الفاخرة ليست غير بقايا مائدة سملوية سقطت خطأ
على الارض . وقد أخذ الصيغ يذور منها زرعها في مهنر وهذا هو السر في وجود أشناف
البسكوت والفندوت والبقلخرة في محل الخانى ٣ — حرفها الكفار فتطرحها الانوتر

مسيرة مائة ألف الف عام جاعت وعلى حين فجأة التهمت رجلى التينى ففضبت وعاجلتها بضربة بيدي اليسرى على وجهها لاني كنت ممسك زمامها باليمنى فأكلتها حتى الكوع والبوع والكرسوع. فزاد غيظي. وشككتها بدبوس كان معى شكة كادت تبجن معها من الألم. فحركت ذنبها صوب عيني اليمنى قتلعتها. وكسرت لى عشرة أسنان وعندئذ كنا نحوم حول منارة جامع أم العواجز. فغافلتها وألقيت بنفسى على المنارة المذكورة وتسلفتها بسرعة. نازلنا الى أن وصلت الى حيث أجلس الآن على بابها عارضا نفسى كضحية للبحث العلمى والاكتشاف التاريخى ومن الغريب أن الجهلة من الفرنجة المدعين العلم ظنوا الحية وهى تحوم فى الفضاء باحثة عنى لتلتهمنى. نجمة ذات ذنب. فى الكفر والالحاد. بل يالاجبل المغيب. وادعوا أن السبب فى تمليق هذا المذنب المزعوم تمزييم رجل اسمه هلالى. وحتى فى ذلك أبى الله أن يبينهم الى الحق فحرفوا هذا الاسم العربى ونطقوه هالى

وها أنا الآن العالم المكتشف المؤرخ أنهى بحثى التاريخى الطريف هذا جالسا على باب بنت الحسين والملايم تتساقط مع العشرات المنردة فى حجرى كالسيول

واذكر أن احدى الفسالات نفحتنى ذات مرة بمائة ألف الف دينار. لأننى أفلحت فى فك طلسم سحر عقده لها ضربتها. وأعطانى بائع عرقسوس وزنى دراهم لنجاحى فى سحر عدوله

« كتبته الفقير اليه تعالى شأبوب ابن الزاجل الحنفى القرشى القاهرى السيدة زينبى من حارة الاثور بالمنزل المشهور بمنزل فاتح البخت فى العشرين والست من رجب المكرم عام ستمائة وعشرين وثلاث للهجرة النبوية على صاحبها أفضل السلام. وها أنا بنتمى أبعم هذا ختم

هذا ويقول الناشر أن الاستاذ الفاضل والعالم المدقق مستعد فى كل وقت لقبول احسان المحسنين وانه ينظر البخت ويكتب الأحجية وينجز ايلان أى وقت إناء الليل وأطراف النهار عنى الله عنه ونفعنا بهامه فى الدارين. أمضاء

خسرو بن محمود

مدى الحياة

أو

مدى الظلم

نبئني يا ظلمة الليل عن سهروك على الجوى كيف باتوا ؟
 كم أسالوا على شواطيك دمعاً وتعلت من بهم حشرات !!
 كل قول منهم يتم بآه وكثير لدى الهوى الآهات !!
 نغمت للحزن تبعث شجواً في فؤاد الشجى لها أنات

نبئني يا ظلمة الليل عن سهروك على الجوى كيف باتوا ؟

نبئني اذا احتوتني ستور من سواد الاشجان لى حاجبات
 كيف أقضى ليلي؛ وأدفع همى وجراحى ليست لهن أساة ؟
 هي بحر هذى الحياة خضم قد علتني أمواجه الصاخبات
 مايجات تعلو، وتهبط طوراً ثم تعلو في إثرها مايجات
 وأراني ماين هذى وهذى كغريق تاهو به الحادثات
 است أدري أى الشواطىء أمدى؟ فكأن الشيطان بي تأهات
 وكأن الدنيا بحر وصيل يبهر وكأن لم تكن بها يابسات ...

نبئني يا ظلمة الليل عن سهروك على الجوى كيف باتوا ؟

نبئني أين الحياة إذا ما سكن القلب ؟.. نبئ ما الحياة
 نبئني . فالفجر يعلو رويداً فوق تلك الربى فتحيا الرفات ^١
 نبئني .. أراك صرت شتاتاً !! هكذا نحن في الحياة شتات ..
 أمصير الجمال والحب والنأ س ما صارت له الأوقات ؟
 فانيات كما فنيت لتعلو دولات من بعدها دولات ؟؟

برغ الفجر، أيها الناس قوموا جددوا العمر والدني ^٢ نائمات
 غردوا ، واصدحوا بكل غناء أسرعوا ، قبل أن تدول الحياة ..

لا تسلى يا صاح عن آمالي أين تنمو ، وهل لها ميقات ؟؟
 قد طواها قبل النمو بقلبي جدول ناضب ، وأرض موات
 من فاعل الصبر في

١ — الرفات : يراد بها الناس في نومهم .
 ٢ — الدني : جمع دنيا .

مذكرات (انا)

بقلم (ى)

— ٧ —

كنت أجد أطفال سبعة لوالدين فلم أكد أبلغ الرابعة من عمرى حتى أرسلت الى المدرسة ليس لأجل أن أعلم بل ليستريح الأهل منى كما استراحوا من اثنين قبلى . وهكذا أدخلت مدرسة الراهبات . التى لاتزال فى مكانها بشارع منشأ بالاسكندرية وهناك قضيت مدة لا أقدر على تحديدها ولو بالتقريب . ولا أذكر من هذه الفترة الا أمرين . اذ ضربتني الاخت بسير من الجلد ضربا مبرحا . ثم بكائى يوم توزيع المكافآت ، فاضطرت الرئيسة لكي تسكتنى أن تعطينى حصانا صغيراً من الخشب دون أن أستحقه .

وكان بعض أهالى الاسكندرية قد افتتجوا مدرسة فى قسم محرم بك باسم مدرسة العروة الوثقى . فدخلت فيها ولست أذكر تماماً فى أى فصل ألحقت بها غير أننى انتقلت مسعوداً وهبوطاً أكثر من مرة . وذلك بمناسبة تنسيق الفصول حسب الكفآت . كذلك أذكر مدرستا عثمان أفندى المتقدم فى السن وكيف كان يتشائم مع ولده الشاب من أجل « القرش التعريفة » كن معلماً هذا يلبس الجلباب والبالطو . وبينما كان يقرئنا صائحاً : الف . همزة . فتحة أ . ألف . همزة كسرة إلخ . كان بناقذة الفصل المطل على الشارع يفتح ونسمع صوت الابن يقول له « انت رايح تجيب القرش يادين والا » فيتعطل الدرس وكثيراً ما كان الاب يضرب الولد « الخسران » بخيزرانتة ضرباً مبرحاً ، إمّا فى الفصل أو فى حوش المدرسة . كذلك أذكر ما كان يعمل التلامذة الكبار طلبة السنة الرابعة مع خادمت المنازل الملاصقة وكيف كانوا يرسلون معنا بخطابات شفوية أو كتابية تضطر الى تسليمها خوفاً من « الطلقة » ولا أنسى ذلك اليوم الذى تشاجر فيه بضابط المدرسة مع شخص آخر . فجمع له عصبة من التلامذة ذهبوا كلهم الى نهر الدكة وهناك تبادلوا مع جماعة أخرى « ضرب الحجر » ولا يذنب القاريه .

أننا تبعناهم للتفرج ، كلا ، فأتنا كنا نلعب دور فرقة الدخائر والمهمات. فكنا نجمع الحجر بكثرة لنغذي به صفوف جيشنا. وفي تلك الليلة رجعت المنزل معصوب الرأس. لأن قنبلة من قنابل العدو أصابت رأسي.

وكان عملنا في المدرسة أقرب إلى التشریفات فكما ورد كبير إلى المدينة كنا نقاد للترحيب به. وذلك بالاصطفاف على جانبي الطريق. وكما كانت والدتي المسكينة تتألم من مصاريف الكساوى لأن مديري المدرسة خفر الله لهم لم يهتموا إلا بالمظهر فكانوا يرهقوننا بين وقت وآخر بطلب بدل كساوى من طرايش إلى بذلات إلى جزم لنقابل بها سعادة القادم. وكانت حالتنا المالية لا تسمح بالانفاق لأن والدى كان في أقصى الصعيد. فتركنا مع والدتنا بين الأهل حتى لا يحملنا مشقة الانتقال إلى جهات لم تكن قطارات السكة الحديدية قد وصلتها بعد . وبالطبع كان يجزيء مرتبه الضئيل إلى قسمين أصغر يحتفظ به لنفسه. وأكبر يرسله إلينا وكثيراً ما حاولت أمى المسكينة أن تفصل لى البذلات في المنزل من تلك التى كان والدى يستغنى عنها أو من القماش المطلوب لأجل التوفير. ولكن أصحاب الحل والعقد كانوا دائماً يخبرونها بين اخراجى من المدرسة وبين تسديد المطلوب. وكان الباقي أكثر مما تستحقه الثياب كثيراً وهنا لايسعنى إلا ذكر حوادث اصطدام وجه الطالب بمركوب المدرس فجأة. وكان من الأمور العادية . وكان بعض المدرسين يكتفون بالقاء أصابع الطباشير على التلامذة أو فى بعض أحوال المساطر لتأنيبهم إلى وجوب الانتباه وكان هذا فى الاوقات التى يكون فيها المركوب جديداً فقط وكانت « الفلقة » من وسائل التريية ، وكذلك كانوا يزجرون كبار الطلبة بطريقة ظريفة هي ايقافهم فى مكان ثم اصدار أمر للطابور أن يبصقوا فى وجه المذنب الاثيم . وويل للذى يجترم الخلقة الشريفة فلا يلقى ريقه الطهور دون حساب فى وجه الشاب المعاقب. وويل له أيضا إذا فعل. فانه يجازى من المعلم اذا ترفق ويأكل حلقة من التلميذ اذا أسرف .

ولما دنى مركز والدى من الجهات العاصرة اصطحبنا معه فدخلت لأول مرة مدارس الحكومة النظامية ولكن مساكنهم موظفو الحكومة ، معيشتهم كالعرب

لرحل لا يستقرون في مكان ولذلك تضيع على أولادهم فرصاً كثيرة فلا تعجب
ذن أيها القارئ إذا علمت بأنني لم أحز الشهادة الابتدائية إلا بعد دراسة أربعة
عشر عاماً لا أكثر ولذلك أسباب :

١ — ادخالي في المدرسة وأنا صغير السن فسممت نفسي منها خصوصاً وإنها
كانت بعيدة عن أن تجاب السرور للقلوب الصغيرة .
٢ — دوام انتقال والدي من بلد الى آخر فكانت تنقطع سلسلة التعليم ثم
تبدأ وكان يعسر علي وصلها .

٣ — قد غضب والدي ذات مرة من ناظر المدرسة لأسباب خاصة
فأخرجني منها وبذلك ضاع علي ثلاث سنوات قضيتها في مدرسة الفرير حيث
برنامج التعليم « يختلف تماماً عما هو » عليه في المدارس الاميرية فلما رجعت الى
النظام الحكومي سقطت مرتين في شهادة الدراسة الابتدائية في مادة اللغة
الانكليزية .

٤ — ورغبة والدي في استعاضة تأخيري أرهقني بالدرس وكم ساقني بالعصا
والصفع ، وما أن اعوض ما فتنني بهذه الطرق الظريفة معتقداً أن تأخري سببه
لم ينتج بحسن تصرفه من جهة وكثرة تنقله من جهة أخرى ، بل حسب أن
السبب ينحصر في « وساخة مخي » وكم هددني رحمه الله بصندوق البوية أو بعدم
دفع البديل العسكري حتى لا يكون مراسلة لأحد الضباط

وعلى القارئ أن يبحث شكائتي بانصاف ثم يحكم بعدئذ لي أو علي . فهل
يطيق الطفل أن يعيش عيشة التعاسة التي كنت فيها ؟ أخرج من المدرسة
فأجد فتى المرتب منتظراً في المنزل ليسمع لي :

« ولما احتضنته خديجة كان يمر على الارض اليابسة فتخضر . واذا ما سار
ظلالته غمامة تتبعه أني ذهب » قال البوصيري :

ظلالته الغمام وهو ابن خمس فوقته من حر شمس حمى
وأقتد الاشجار تسعى اليه ساجدات لوجهه الاقوى »

ومثلاً : وعند ولادته عليه السلام اهتز الايوان اوان كسرى وخبت النيران

نيران المجوس وغاصت بحيرة ساوى وانقطع وادى نملوه وتراءت لأهل قيصر
قصور الروم وتجلت للأرض زهر النجوم . قال الشاعر

وتراءت قصور قيصر للروم يراها من داره البطحاء
وتدلت زهر النجوم اليه فأضاءت بضوتها الأرجاء «

ومثلاً :

« اعلم بأن أبا النبي وأمه أحياهما ازب الكريم البارى
حتى له شهدا بصدق رسالة صدق فتلك كرامة المختار
هذا الحديث ومن يقول بضعفه فهو الضعيف عن الحقيقة عارى «

وأشد هولاً مما سبق هو ما كنت أحفظه عن ظهر قلب دون فهمه مرغماً

مثلاً :

« س — ما الذى تفعله الحيضاء والنفساء إذا انقطع الحيض والنفاس
قبل طلوع الفجر ؟

ج — تنوى وتغتسل «

وكم كنت أغيبض الشيخ عند ما أسأله عن معنى الحيضاء والنفساء أو عن
النجاسة الصغرى والكبرى أو عن ريح القبيل والدبر .

وعند ما كان يريحنى الله من الشيخ العلامة الذى يفسر « فى جيدها حبل
من م . د » بقوله يعنى فى وسطها (تارة وفى رقبته تارة أخرى » حبل والحار يفهم
معنى حبل الذى أسأل الله ان يشقك به . ومسد . هو نوع من الحبال اسمه مسد
كما تقول حبل ليف أو حبل خيط « يستتباني باستاذ اللغة الانكليزية
فيرهقنى وكان كاتبا فى ديوان والدى . وكان يمتنع الالفاظ مضغاً ليرينى أنه
واقف تماماً على أسرار اللغة الانكليزية . لكن والحق يقال كان يعقوب افندى
كثير الحنولى مع ميل الى المداراة فقد بلغ به الحال أن دارانى أمام والدى أكثر من
مرة ظناً منه بأننى أتوسط له فى علاوة أو درجة ، وكنت أوهمه أننى سأفعل . أما
ذلك الشيخ فقد فهم والدى حق الفهم ولذلك كان دائم الشكوى منى وكم ضربت

ضرباً مبرحاً أماده وأخذه ذلك لكي يفهمه الوالد بأنه خير مقصر في تربية بنيه
ليشربوا رجالاتاً

ولما سقطت دفتين في الشهادة الابتدائية أدخلني والدي مدرسة ثانوية
أهلية لكي أتمكن من اللغة الانكليزية التي يدرسها هناك رجل انكليزي
وبالفعل استغفرت من دخولي اذ مررت في الامتحان الابتدائي لما قدمت لثالث
مرة وحصلت على ١٦٥ من ٣٠ درجة

وأذكر أن والدي سألني عن المدرسة الثانوية التي أرغب دخولها فتدلت عليه
ثم قلت أليس الأحسن لي الاستراحة الآن سنة استخدم فيها مثل فلان الذي
التحق بوظيفة في مصلحة البوستة بخمسة جنيهات فكان الجواب صفقة ألتفتي
على الأرض باكياً

وبذل والدي جهداً كبيراً لي أدخل مدرسة ثانوية ولكن ضاع شعبيته وتبرمت
أن أقضي سنة أخرى في الثانوية الأهلية وحدث عن سيرى وسلوكي هناك دون
خروج فبعد ما كنت اشتغل بحرارة في العام السابق لكي أحصل على الابتدائية
أعملت أهلاً فظيماً ولم أكن الوحيد في ذلك بل تبعت بقية التلامذة وكنت
الوحيد بينهم الذي تحصل على شهادة. وأذكر أنني طبعت بطاقة زيارة زينتها بلقب
« من حملة الشهادة الدراسية الابتدائية ومن طلبة المدارس الثانوية » وأنصرفت
إلى التظاهر بما يحتم على مركزي العالمي فكنت أسير أكثر من ساعة يومياً ذهاباً
واباباً على قدمي لكي اقتصد مصاريف الانتقال فاشترى بها وبمصرفي الخاص
فنجال قهوة وعشرة سجائر حلي وجريدة اللواء وأنحصر في الاشتراك في جميع
المظاهرات التي نظمتها الحزب الوطني في عهدي المرحومين مصطفى كامل ومحمد فريد.
ولو كانت مالياتي تسمح وقتئذ لكنت انضممت إلى ذلك الحزب وأما معلوماتي
فلم تخرج عن حفظ قصيدة

« كم ذا يكابد عاشق ويلاقى وقصيدة أكبرت حتى أنهم صلبوك. ومقالة
ظلموك يا سعد وموال ايش بعد حكم الملاحظ والشويع والباش. ومقالة الاسلام
غريب في بلاده وغير ذلك من القصائد والمقالات التي كانت تتناقلها الأفواه

في ذلك الحين .وعند ما انتهت السنة كنت الثاني في فصلي .فذهبت الى المدير
أعقب عليه فقال اني كنت من الذين يتغيبون كثيراً جداً عن المدرسة ولا يظن
القارئ أنني كنت الثاني حقيقة بل كان الفصل وعدده فوق الستين مقسم الى
قسمين . أول ويموى كثيراً من الاوائل المكررين . وهم الذين يثابرون
على الحضور اكثر من غيرهم ، وثاني ويموى بدوره كثير من المكررين وهم الذين
يحضرون قليلا أو لا يحضرون بالمرة . ودرجات الاول ٢٥ في كل علم أو ماحول هذا
الرقم ودرجات الثانين تقرب من العشرين

وشعر أبي بالواقع فلما بدأت السنة الدراسية الجديدة ضاعف جهده للاحاق
بالمدارس الاميرية . واماكن بدون جدوى . وهنا اذكر أنني استحصلت على توصية
من ناظر المعارف ولكن ناظر المدرسة فضل عن آخر لم يحصل على الابتدائية
لان الذي أوصى عليه كان انكليزي بوظيفة مدير التعاليم الفني وزراعي والصناعي
وبفضل عدم قبول التوصية التي كانت يدي قذف والدي من كينات ما أخرسهم
محافظة على مستقبله ، فرساني الى جامعة عساي . أجدي فيها مكاناً

الى الاستاذ جبر ضومط

بمناسبة يوبيله الخمسينى

جأت اليك تبث مرشحاتها وفؤادها يلتاع من حسراتها
تبكي على المجد المؤنل قد مضى والحزن يمزج بالدماء عبراتها
ما أن سمعت نداءها حتى (م) اندفعت مغامراً تجلوها غمراتها

كانت ملايكة عمرها فيما مضى تعلموا في الارض كل لغاتها
سحرت عقول الناس رقة لفظها وقلوبهم رقصت على نغماتها
ان خاطبوا الرحمن فهي وسيطهم أو املوا خيراً فمن آياتها
دانت لصواتها ملوك زمانها وحنّت لها أمم الثرى هلماتها
هبوا اسألوا أبناء مصر لم سلوا لغة الجدود وآثروا كتاباتها
وسلوا فلسطيناً وما قد كان من متنوع الأقوام في جنباتها
وسلوا شعوب الشام ماذا آنسوا فيها فأضحوا في عداد هواتها
وسلوا العراق فأهلهم من لسان (م) قد بلوا من قبل فتح كتابها
خفتت بأحباء البلاد بنودها من مدينتها الكبرى الى فلولاتها
من سندها الاقرب الاقصى وأندلس (م) ومن اهرامها لفراتها

* *

وجنى عليها أهلها حتى هوت من بعد أن رقيت الى ذرواتها
جاء الرواة فوثقوا أصفادها وأتى النحاة فشبكوا عقداتها
ولها ذرونها عن تعهدا ولم يحرموا ذراها من أذى نكباتها
حتى اذا مر الزمان وأقبلت أيامنا المسلاى بمخترعاتها
قلوا هي اللغة التي اعتلت وشا خت يدينا هم أوجدوا علامتها
وتنكبوا عنها وراموا غيرها بدلا ولم يصغوا الى لهفاتها

*

* *

فأنتك ترسف بالقيود كئيبة
 لما تفاقم خطيها أمتك مو
 فأسغت غصتها وكفكت الدمو
 وظالت طول العمر تسعى دائماً
 خمسين عاماً قد صرفت مقوماً
 وملقناً أبناءها آدابها
 فكت خواطرك العراب قيودها
 وبدأت «خواطرك» الحسان تحفها
 وعلا بفلسفة البلاغة كعبها
 البسته ثوبا قشيباً بعد أن
 ذا العيد عيد جميع من شغفوا بوقع (م)
 فلهذا فإن الناطقين بضادها عرفوا بأنك مستعيد حياتها

والغم قد أحنى قويم قناتها
 قنة بأنك جابر هتراتها
 ع الجاريات على سنى وجناتها
 حتى أزات مجاهداً كرباتها
 منآدها ومسداً خطواتها
 ومثقفاً أذهانهم بغطائها
 فإذا بها جات على اخواتها
 فرأى الانام خلاها حسنااتها
 حتى نبت عنها سهام عداتها
 أبلى الزمان وناسه بذلاتها
 كلاهما وتعشقوا نبراتهما
 عرفوا بأنك مستعيد حياتها

ابراهيم راداد

حول البائية أيضا

- ١ -

كتب لمجلة العصور حضرة البهائي أبو الفتوح محمد بطاح رسالة من تسع صفحات (فولسكاب) منسوخة على الآلة العربية الكاتبة بخط دقيق وطلب خدمة للعالم والادب وانصافاً للحقيقة الخ نشر هذه (الكلمة) في العصور . وبما أن المجلة لديها عدة مواضيع تبحثها ولم تخصص فقط لنشر بروباغندا لصالح البهائية ، كلفني صاحب العصور بتلخيصها للقراء مع ابداء ملاحظاتي عليها . وأنا ألبى طلبه والله شهيد على أمانة تلخيصي

بدأ الكاتب الفاضل رسالته بسيل من المدح تفضل بتوجيهه الى شخصي الضعيف فأسكرني وتصور لي مكانة عالية من العلم والادب ووصف ابحاثي بالدقة والتحقيق شأن ذوي الافكار السامية والآراء النزيهة الوافية (استغفر الله هذا بعض مما عندكم) وارتفعت بعد ذلك الستار عن الفصل الثاني . فاتهمني اني مفتر وأنني شتام ومشوه ومشوش وقاذف وجارح ولم أسلك مسلك النقد الشريف . وانه لا يوجد في الأمة من هو في أقل حاجة الى سماع أمثال بياناتي غدير البريئة . وقال ان سوء ظني بطلاب الحقائق وأهل العلم والادب في مصر والشرق أجمع ، دعاني الى الاعتقاد بأن عقولهم قاصرة . ومداركهم منهحلة تستشغ ما كتبتة من الصغائر (استغفر الله مرة ثانية وأشكركم على حسن ظنكم بي) ثم قال انني أكره البهائية كراهية دفعت بي الى كتابة ما كتبتة (واني بكل تواضع أقول أن السبب في مخاصمتي للبهائية انها اقترضت مني شئنا وأبت رده لي حتى الآن) ويقول أنني أردت بذلك ايقاف تيارها الجارف وزحزحة ظاهرها الممدود الوارف ولكن طاش سهمي . وكنت (كمناطح الجبل العالي) فالبهائية قد انتشرت في جميع أقطار العالم (زادها الله انتشاراً) وسقطت بأنوارها على كل المعاهد والربى (فهنا المعاهد فما المقصود من الربى) وفي مكان آخر ينكر ما قلته في مقالى الاول من أنهم يدعون أن لها ملايين من الاتباع . ثم ضمير عن ساعديه

رحاول اثبات أن البهائية دين. والبرهان على ذلك في اعتقاده هو أن أحد القضايا الشرعية ذكر في حكم له أن البهائية دين جديد واستدرك قائلًا — بغض النظر عن وجهة نظره في هذا الدين — له عقائد وأصول (حسن ياسيدي فقد علم لنا ما أرتآه فرد من الناس)

ودهش حضرت له عدم اقتناعي بما سبق أن نشرت العصور لأحدهم ودأ على متاعتي عن البابية ورأى في هذا منتهى الغرابة لسقامة وضعف ما أمطرته من سماء فضلى ومعرفتى (هكذا اللطاف والافلا) وقال ان الكتاب الاقدس نزل بلسان عربى مبين (أجل. وكذلك يتكلم أهل تونس بلغة عربية مبينة مشابهة لغتهم) ثم استطاع أن يمسكنى جيداً قتال وكيف كان الباب أستاذاً للشيخ الاحسانى؟ واه تمام الحق في اعتراضه هذا لان المطبوع هو «وكان من تلاميذه» الشيخ الاحسانى «ومسحته» وكان من تلاميذ الشيخ. الاحسانى «قله» هنا زائدة وعقلى الضعيف يظن أن من الممكن على أى كان ملاحظة هذا الخطأ المطبعى ولكنى لا أحب أن أخيب ظن الفاضل واعترف نادماً بأن (خطيئتي عظيمة) أما (قفشته) الثانية فتتصرف في السؤال عن اسم كتاب الأزل وما فيه وسأحاول أن أجاب عن ذلك مستقبلاً فليدعني المناظر الفاضل وقتاً حتى أتمكن من درس الازلية لأننى لم أحاول ذلك حتى الآن وأكون متناً لو تفضل بإرشادى الى مراجع وأظن أن الازلية شيء والبهائية شيء آخر. فهل يعرف حضرتة اسم كتاب المورمون وما فيه؟ فهذا لازم لا ثبت أنه يعرف شيئاً عن البهائية ما دامت البهائية توجب البحث عن كل الأديان

ويسألنى عن ذكر البيان الذى كتبه بهاء الله وفيه يقول أن الأزل صعد الى السماء وانى ألفت نظره بأن بيانات البهاء لم يحتفظ بها الا بعد قضائه لعدة سنين فى عكا وذلك بعد أن رفع الضغط عنه وأما قصة الصعود فكانت فى ادرنه. فلما كتبت البيانات كانت المسألة نسياً منسياً

وحضرته محقق فى قوله بان الأزل لم يمّت قبل أخيه، بل بعدد بمدة طويلة وانى شكره على تنبيهى لهذا الخطأ وبمراجعة المصدر الذى أخذت عنه لاحظت أن

المقصود هو « وبعد اضمحلال الازلية » وليس « وبعد موت الازل »
 وحاول أن يورطني ورطة عظيمة لأنني قلت « أريد أن أدلي اليك بشيء
 من تعاليم البهائية ولكنني أجهل كيف أفعل ذلك » وبني خياله العالائي من
 القصور على هذه الجملة فتهمني بالجهل والتورط المضحك ولطمني ببیت شعر أوله
 (والحق يفعل في النفوس الخ) ويفهم من تلاوة جماعته أنه يحاول اظهار عدم
 اتيانى بشيء عما يسمونه المبادئ البهائية مع اننى كتبت أربع صفحات كاملة
 من العصور حاولت أن ألم فيها بكل مايقوله البهائيون وصارحت القراء بعدها قائلين
 اننى أجهل كيف أدلى بها (ولم أقل أجهلها) وبالطبع المقصود من ذلك أن مايسمونها
 التعاليم البهائية متنافرة وغير منظمة ، لا رابطة تربطها ولا عناية تجمعها فكما
 يتلقف زعماء الجماعة نظرية يزجونها في البهائية ويدعون انهم موجودوها ثم صغفنى
 بنصرتة بشعر أوله (ماضر شمس الضحى الخ)

ثم يعثر من بعد ذلك على قولى ان البهائى مسلم بين المسلمين والملحد بين
 الملحدين فيقول ان البهائى يحيط بكتب الأديان كلها « يالعلم وبالبحث » ويجب
 أن يكون مؤمراً بأوامر الكتب السماوية ومنهياً عن نواهيها (يعنى يجب على البهائى
 التوفيق بين نظرية العين بالعين ونظرة من ضربك على خدك الأيمن) ايه يا جماعة
 المتناقضات وكيف يمكن اتباع المتناقضين في نفس الوقت ؟ ثم يصغفنى مرة
 أخرى بشعر (ومن يك ذا فم مر مريض الخ)

ويحتج بكل قواد على قولى أن عباس افندى كان معروفاً في حيفا بالشيخ
 عباس ويظن اننى أريد أن أنال بهذا من (جلاله وعظمته) وأقسم اننى ناقل ولم
 يدرب بخدى قط أن لقب شيخ يقل من (جلال وعظمة) أحد الافندية فقد كان
 المذكور يلبس العمامة فهو شيخ وكان متقدماً في السن فهو شيخ وكان مقدم جماعة
 فهو شيخ فهو والحالة ثلاثة شيوخ معاً وليس شيخاً واحداً ثم صغفنى مرة أخرى ببیت من
 الشعر أوله (حسدوا الفتى ان لم ينالوا سعيه الخ) وآخر (وهبنى قلت هذا
 الصبح الخ)

ولأجل أن يثبت لى أن الشيخ عباس لم يكن شيخاً بل افندياً لا يتأثر

بالمطاعن والمثالب كتب ٥٧ بيتاً قيات في مدحه (آمنا انه انفسى وأفندى وافندى وليس بشيخ أبداً) ثم عرز قوله قائلاً وعند — صعود — عباس افندى نشرت جريدة انفير الغراء . « ورصع صفحتين من رسالته الى المجلة بآيات الشعر المملوءة بالمدح . وهنا اعترف بأننى تعلمت من حضرته شيئاً جديداً هو أن الشيخ عباس (استغفر لله بل عباس افندى) صعد بالطبع الى السماء لأنها وحدها التي يصح القول بأن الانسان (هل كان كذلك ؟) يصعد اليها فهل مات ثم قام من بين الاموات فصعد الى السماء وجلس على يمين الآب وهل أيضاً يأتى بمجد عظيم ليدن الاموات أم انه صعد ولم يميت ؟ أفدتنى أفادك الله

وهاج وماج لاني بسطت رأيا يقول أن البهاء جن في أواخر أيامه فلم تغضب سيدى وأنا لم أجزم بل أظهرت فقط أن فيه قولان. وقد علمت رأيكم وهو أن البهاء لم يكن مطلقاً ولكن أليس من واجبي بسط اراى الخالف ايضاً ؟ وهل يصح منطقياً اثبات عدم جنون البهاء بالآتيان بسبعة شواهد من القرآن تثبت أن النبى اتهم بنفس التهمة ؟ وشاهد من الانجيل يثبت أن المسيح رمى بالجنون فهل هذا شىء من المنطق ؟ وآتى بعد ذلك بمراث شعرية جملة ذكر فيها البهاء كامام الهدى... وظهرت معجزاته تتلألاً... وغير وعن ذى مقلة عمياء... واعترى الارض هزة (زلزالا) يوم أودى... وهوت حزنا أنجم الجوزاء (أحسنت أحسنت)

وبهذا انتهى ثم بدأ (بجر ناعما) للمجلة ووصل الى بيت القصيد وهو طاب وضع المجلة تحت أمره ليقوم فيها بربو با غندا انصالح البهائية . وانى اقترح على صاحب المجلة أن يخصص داخل ورقة الغلاف الاخيرة لنشر الدعوة البهائية بأجر مناسب ووالله قد وقع مع البهائيين ولن يغثه منهم غير جمال الجول المتولى .

عمر عنایت

البابية والبهائية

نشر السيد « عمر عنایت » مقالا عن البابية والبهائية في الجزء السادس

من المجلد الأول من مجلتكم الزاهرة ضمنه بعض معلومات وملاحظات ، استلقت نظري كما استأفقت نظر كل من له إلمام بحقيقة المذهب البابي . وبما أنني أحد الذين سبقت لهم نشرات مطولة في هذا الموضوع . وحيث قد وجدت في هذا المقال بعض النواقص التي يجوز أن نعزها الى الاختصار الوارد في مقال الكاتب ، وددت أن أدلى لقراء مجلتكم المحترمة بمعلوماتي الآتية المتبنة على الدرس العميق والاحتكاك الطويل والتتبع في المصادر المعول عليها .

و بينما أنا أدون هذه المعلومات ، وإذا برد طويل للكاتب « كامل أفندي صموئيل مسيحه » منشور في الجزء الثامن من المجلة انبرى فيه صاحبه للدفاع عن الباطنية والباطنية بحاس بلغ منتهاه ، وإذا باعتراض مختصر من « السيد عمر عنايت » على هذا الرد ، وإذا بجماعة من البغداديين يحضنون هذا وذاك على الرد على دينك المقالين ونشر حقيقة المذهب البابي وما آلت اليه قضيته . فالتزمت آنثا برسالة هذا المقال المطول على أمل أن تفسحوا المجال لنشره خدمة للحقيقة والتاريخ .

كان في مدينة « شیراز » من أعمال فارس سيد يتصل نسبه بالسلالة الطاهرة الحمدية . رزقه الله ولداً عام ١٨١٩ م . (غرة محرم الحرام ١٢٣٥ هـ) سماه « علي محمد » وانتقل الى دار البقاء وولده في الثالثة من عمره فتعهد الطفل خاله (الميرزا علي) وكان مثرياً يتعاطى التجارة بنطاق واسع . وصودف أن أسواق التجارة كسادت في « شیراز » فانتقل بابن أخته الى « بوشهر » ليشتغل معه في التجارة . حتى اذ ابرع فيها استقل بعمله وطفق يدرس العلوم الدينية والرياضيات علاوة على أشغاله .

وقد اتفق المؤرخون المحايدون على أن الميرزا « علي محمد » عند ما بلغ العشرين من عمره أصيب بمرض عتلى اضطره للهجرة الى العراق فجاى كر بلاء ونزل ضيفاً على السيد كاظم الرشتي رئيس الكشفية فيها ، ومذهب الكشفية هذا قام على أنقاض مذهب الشيخية الذي ظهر في كر بلاء بالعراق عام ١٢٤٠ هـ . على يد الشيخ أحمد الاحسائي . فلما توفي الشيخ أحمد عام ١٢٤٢ أخذ تلميذه السيد كاظم الرشتي مقامه وأظهر المذهب الكشفي كما أسلفنا .

وكان الميرزا « علي محمد » شديد الاتصال بالسيد الرشتي الى درجة أنه لم يكن ليفارقه ساعة واحدة طول النهار . وبعد أن أتم في العراق أربعة أعوام زار خلالها البصرة و بغداد ، رحل الى الحجاز عن طريق البحر . الا أنه غير وجهته سفره وهو في عرض البحر ، فعاد ونزل في ١٦ بوشهر ، حيث وجد جماعة الرشتي واعوانه يبدئون الدعوة في بلاد فارس لتأييد المذهب الكشفي . وبينما هم في تلك الوضعية اذ نعى السيد كاظم من كر بلاء عام ١٢٥٩ هـ . ١٨٤٣ م . وأرخت وفاته بعبارة ١١ مات منبر الهدى ، فاعان الميرزا علي محمد ، خلافة من بعده ودعى نفسه بالباب . أي باب الوصول الى « المهدي المنتظر » والحقائق الآلية .

وسمى نفسه بالنقطة (١) وتبعه دعاة الرشتي وكان عددهم ١٨ نسمة فسماهم وهو معهم بالحروف الحية وهو الاسم الذي تعرف به البابية حتى الآن (٢) . وكان من بينهم فتاة في غاية الجمال والكمال كانت تلقب بـ « قرة العين » واسمها أم سلامة . بنت الملا صالح البرغاني ابلت في الدفاع عن البابية بلاء حسناً كما سيحكي التفصيل ومن هنا ظهر المذهب البابي عام ١٢٦٠ هـ . ١٨٤٤ م . وراح أنصاره يبدئون الدعوة لتأييده في جميع أنحاء ايران .

ومع أن التعاليم التي أتى بها الباب نظرية بحتة مبنية على أسس الحلال والاتحاد ، أو بالأحرى كانت تصورات وهمية لا يقرها العقل ولا يقبلها المنطق فانها صادفت صدوراً رحبة من بعض ذوي النفوس الضعيفة على أنها تقوى على مجابهة الحقائق والقضايا العلمية . أما الباب نفسه فانه لما رأى أعوانه يزدادون آناً فآناً ادعى بنفسه أنه هو « المهدي المنتظر » وأنه هو الذي سيملأ الارض قسطاً وعدلاً بعد أن امتلأت ظمأً وجوراً .

(١) المقصود بالنقطة هو ما جاء في أصول المذهب الكشفي من أن الوجود نقطة وإلهام مظاهره . فراجع الوجود هو النقطة الحقيقية والنبي (صلعم في حياته هو مظهر لها أما بعد موته فالباب هو المظهر كما ترى البابية الحسيني

(٢) وسبب تسميتهم بالحروف الحية يرجع الى وحب وضع عدد يملو كلمة الـ (واحد) التي يعبر بها الله عن نفسه . فالواو ستة والالف واحد والحاء ثمانية والدال أربعة والمجموع (١٩) ومن هذا العدد الى الـ (١٩) يقصد « الواحد » ، الذي يمنع الحياة وهو الله جل شأنه .

« الحسيني »

يعتقد الباييون بوجود آله واحد أزلى كما يعتقد المسلمون . ولكن هذا التوحيد يختلف عن التوحيد في الاسلام كل الاختلاف . فخالق في الاسلام ذات بأوسع معاني هذه الكلمة ، له شخصية مستقلة عن الكون « أى معنى إيجابياً » ولكن الخالق في العقيدة البائية متوحد بمعنى أن ليس له شريك يشاركه في القدرة « أى معنى سلبياً » والخلق في الاسلام صادر عن أمر الله وتقديره « أى أنه فعل » ولكن في مذهب البائية الخالق مظهر الله ذاته « أى أنه صفة » فالخالق في الاسلام يخلق لأنه أراد أن يخلق . وعند البائية هو يخلق لأنه لا يدرك حياً مؤثراً بالخلق » والبائية في خلق الكون نظريات . منها أن الله أحرفاً مقدسة تتمثل الصفات الإلهية فيها . ومن هذه الصفات القدرة والارادة والتأثير والكبرياء والوحى وغيرها ويرى المسيو جو بينو مؤلف كتاب (المذاهب والفلاسفة في آسيا الوسطى) أن آله الباييين ليس بآله جديد . فهو آله فلاسفة البكلدانيين والاسكندرانيين وفلاسفة حكماء الشرقيين الذى عبده الامم الشرقية ثم جاءت الديانة المسيحية والاسلامية فحجبتاه عن تلك الامم . ثم جاء الباب فدعى اليه وكشف للناس الحجب عنه . انتشرت هذه المبادئ بين قوم في صفات الايمان فصادفت ترحاباً منهم كما أسلفنا . ولما كانت السلطة الدينية هي التى تسير أمور ايران فى تلك الآونة ، وحيث أن حركة الباب لم تكن ذات اتجاه دينى بحيث بل كان للسياسة فيها منزع دولى ، لم تشأ الحكومة الايرانية أن تقف مكتوفة اليدين أزاء المهازل التى قام بتمثيلها الباييون على مراسخ الدين فى سائر أنحاء ايران ، خصوصاً وقد قامت قيامة رجال الدين ضد تلك الحركة ، فوجهت عيونها ترقب حركتهم وسكناتهم . ولما استفحل أمرهم قبضت على معظم زعمائهم ودعائهم وزجنهم فى غياهب السجون . ثم أتت بالباب الى « تبريز » مخفوراً بثلة من الجيش فجمعتة بعداد المدينة وفضلاتها لينظروه . ولما لم يجدوا للتعالم الصحيحة والمدعيات المبشر بها فى قلبه موطناً حكم بعضهم باعدامه وحكم البعض الآخر بجلده فنفذت الحكومة فيه الحكم الاخير وسلحته الى خاله « الميرزا على » على أن لا يتصل بأحد ولكنه فر هارباً الى اصفهان وصودق أن وباء انتشار فى المدينة أثناء هربه فاقعد ولاية الامور عن تعهده . غير أنه لقي من حاكم اصفهان كل عطف وكل لطف

لامر الذي أوجب تأثر رجال الدين فأمطروا بلاط طهران وابلا من البرقيات فكتبت الحكومة الى والى اصفهان أن يرسله محفوظاً ألا أنه لم يفعل ذلك بل أرسله الى خارج المدينة وأبعاده ليلا الى داره فمكث عنده أربعة أشهر أختيل خلالها والى فاطم ابن أخيه « كركين خان- » علماء اصفهان على أمر الباب فهاجت البلدة وماجت لذلك وتدخلت الحكومة في القضية فأرسلته الى تبريز مصحوباً بثلة من الشرطة ومن هناك أرسل سجيناً الى قلعة « جهریق » ومكث فيها تسعة أشهر كاملات ثم نقل الى سجن آخر وبقي فيه ثلاثة أشهر أخرى وفي تلك الاثناء ابى دعوة ربه المغفور له محمد شاه عام ١٢٦٣ هـ . خلفه ابنه ناصر الدين شاه وكانت ايران تموج اضطراباً من فتن البايية ومقاومة العلماء لها وقعت معارك دامية بين البايين وبين خصومهم مثل فيها الاولون بالآخرين أنواع الفظائع والمحرمات من فتك وذبح وسبي وهتك . ولو أردنا أن نأتى على وصف دقيق لتلك الحوادث التي دامت زمناً طويلاً لاحتجنا الى تعبير بضع ملازم من هذه المجلة الا أننا نوجزها فنقول أنها انتهت بوضع الحكومة سيفها محل الندى فأصدرت أوامرها الى والى أذربيجان باعدام الباب رمياً بالرصاص .

وفي اليوم السابع والعشرين من شعبان ١٢٦٥ هـ . جيء بالباب مع شخصين من المغالين في نصرته هما الملا محمد على المازندراني والسيد حسين اليزدي « من يزد » لتنفيذ الحكم فيهم . الا أن جماعة من الاخيار دخلوا عليهم وطلبوا اليهم التوبة فلم يتوبوا الا السيد حسين فانه قبل النصيحة واستغفر فاطلق سراحه أما الباب وصاحبه فقد علقا بحبل في القلعة وتقدمت ثلة من الجنود أعدت لاعدامهما فرمتهما بالرصاص ولما انتشع دخان البنادق وجد الملا محمد على يتخبط بدمه وهو يقول « هلا رضىت يا مولاي » أما الباب فقد انقطع حبله واختفى في زاوية من القاعة فجئ به للمرة الثانية وعلق رفعت فيه الكتيبة فعلمها بصاحبه فمات . وفي رواية لساذج كتب عن بهاء الله أن الكتيبة امتنعت عن اطلاق الرصاص على الباب بعد أن نجى في المرة الاولى فاستبدلتها الحكومة بغيرها

وتدعى البابية أن هذه العملية تمت في ٢٨ شعبان ١٢٦٦ هـ والفرق بين الروايتين سنة ويوم واحد كما ترى .

ثم أن الجثتين سحبتا بالحبال في الازقة والطرق ورميتا في خندق خارج لمدينة حيث بقيتا فيه أياذاً طاعة للكواسر . ويروى ساذج بهبائي أن سليمان خان بن يحيى خان أحد كبار التجار في أذربيجان تمكن بمساعدة حاكم المدينة من نقل الجثتين وحفظهما لمدة من الزمن حتى ورد أمر البهاء الذي خالف الباب المقتول بدفنهما ففعل .

وقد ذكرت دائرة المعارف البريطانية بأن جماعة من البايين نقلوا الجثتين إلى عكا حيث دفنتا في قبر لم يزل . وزارا وهي رواية نفتقر إلى تأييد تاريخي لاسيما وحقيقة الحال لا تؤيد ذلك .

وبعد أن انتهت هذه المأساة أعملت الحكومة الإيرانية سيفها فيمن بقي من البايين فقتلتهم عن بكرة أبيهم إلا الذين اختفوا أو هربوا . وباتت ديار داريوس بعد مقتل الباب في هدوء وسكون حولان كاملان لم ينبس أى أحد خلالها ببنت شفة . ولكن في ١٥ أغسطس ١٨٥٢ ظهر ثلاثة أشخاص يريدون أخذ الثأر لضحايا المذهب البابي وعمدوا إلى اغتيال الساطان ناصر الدين شاه ، إلا أن حركتهم هذه أتت بعكس النتيجة المتوخاة . حيث أوجبت اضطهادات جديدة من الإيرانيين ضدهم . وفي ٣١ آب ١٨٥٢ جاء دور قرّة العين الشاعرة الجليلة المارة الذكر وأعلنت أنها تبغى أخذ الثأر لقتلى الباب فتعقبتها الحكومة وقبضت عليها وعلى أتباعها . أما هي فقد أرسلت إلى طهران حيث أعدت على فوهة مدفع جبال جسمها تصاير في الهواء أثرا بعد عين . وأما أتباعها فقد قتلوا وصلبوا وانتهى كل سىء بانتباء حياتهم . ولم يحدث أى شىء يذكر حتى ظهور البهائية التي قامت على أنقاض البابية .

كان من بين أتباع الباب الذين خلصوا أنفسهم من اضطهادات الحكومة الفارسية أخوان لاب . يدعى الاول ميرزا حسين على ويسمى الثانى ميرزا يحيى نور . والمعروف أن الباب وهو في سجنه بقاعة جهريق أحس بأنه في أواخر

أيامه فكتب وصيته وختمها بختمه وأوصى بالزعامة من بعده الى المرزا يحيى نور على أن يخلفه شقيقه المرزه حسين على ويتولى وكالته طيلة زعامته . ولما قتل الباب على الوجه المذكور وأوقعت حكومة ايران ضروب الاضطهاد بالبايين ، أحب المرزا يحيى نور أن يخفى أخاه عن أعين الناس مخافة أن يفتضح أمره فتفعل فيه الحكومة مافعلته بالباب نفسه . لاسيما وهو رجل روحانى مقدس يجوز في مذهب البايية أن يفتديه جملة أشخاص بأرواحهم . فقام يكاتب الناس ويخاطبهم بصفته وكيلا . ولما كثرت تعقبات الحكومة ضدهم كما أسلفنا هرب وشقيقه الى بغداد فوصلها في غرة محرم الحرام عام ١٢١٩ هـ .

ولد البهاء « المرزا حسين على » عام ١٨١٧ م في مدينة طهران « وهذا تاريخ متفق عليه » ونشر مذهبه فيها عام ١٨٤١ م . ثم جاء بغداد هاربا مع شقيقه عام ١٨٥٣ وطلبت الحكومة العثمانية تسفيره وأخاه فسفرا الى الاستانة عام ١٨٦٣ وبعد قليل من الزمن نقلوا الى أدرنة ، وبعد أن مكثا فيها خمس سنوات كاملات رأت الحكومة أن تفرق ما بينهما فنقلت البهاء الى عكا عام ١٨٦٨ حيث توفي فيها صباح ١٦ مايو ١٨٩٢ م وعمره ٧٥ سنة وأرسلت أخاه الى قبرص في البحر المتوسط وذلك في نفس السنة حيث بقي فيها الى أن مات في ضواحيها عام ١٩٠٨ .

وتجدير الخبر هو أن البهاء « المرزا حسين على » عند وصوله بغداد افتضح أمره بين العلماء وتزلزل موقفه بين الناس فرأى أن لا سبيل الى النجاة ، الا باخفاء نفسه أو الهجرة الى مجاهل لا يتسنى لأحد اكتشاف أمره فيها . فسافر وحيدا فريدا الى جبل يقال له « سركلو » من أعمال كردستان الشمالية بالعراق العربي وظل مدة مديدة يتنقل من محل الى آخر وكان يختلف في بعض الاحيان الى السليمانية « إحدى المدن العراقية في كردستان » بزي الدروشة تارة وبزي العلماء طورا حتى اذا عرف سكان هاتيك الديار أمره ، عاد مسرعا الى بغداد وأخذ يصلح من شئون طائفته ولم شعبهم . وفي تلك الأثناء دب ديبب الحسد في نفس أخيه المرزا يحيى نور الذي لقب أخيرا « بصبح أزل » وبدأ ينازع أخاه في أبهة الزعامة ونشبت معارك بين أتباع الاخوين لا يستهان بنتائجها فتدخلت

الحكومة العثمانية في الامر وكانت قد تلقت في تلك الاثناء التماساً من حكومة طهران بأن تنفي الاخوين الى خارج العراق لأن وجودهما في بغداد على مقربة من ايران مما يزيد الحالة تفاقماً في بلادها . وفي الوقت نفسه كان قد علا ضجيج رجال الدين من حركات البائية والبهائية ودعاويهم المضللة للرأى العام وخافوا على الدين الحنيف من مطاعس هؤلاء فبعدوا اجتماعاً خطيراً في بلدة الكاظميين « بالقرب من بغداد » قصده وفود من النجف وكر بلاء وسامراء وغيرها وقرروا فيه لزوم مقاومة هذه المبادئ والايقاع بالبهائية وأتباعهم أينما وجدوهم ، فلم تر الحكومة العثمانية بداً من اصدار أوامرها بتسفير بهاء الله وأخيه وجماعتهما ومن أحب الالتحاق بهما فسفرا الى الاستانة وبلغاها في أوائل أغسطس عام ١٨٦٣ . ومكثا هناك أربعة أشهر وقيل أنهما بقيا خمسة أشهر . ثم نقلتهما الى أدرنة وبعد أن مكثا فيها خمس سنوات كاملات فرقت بينهما على الوجه المذكور .

وتذكر البائية في كتبها وأساطيرها بأن البهاء أثناء اقامته في عكا كاتب الملوك والامراء في أمر مذهبه ودعى الناس الى نصرته ولكن لم يلب أحد طلبه لا أمير ولا ملك ولا وزير . وفي ١١ ايار من عام ١٨٩٢ اعتراه مرض عضال لم يمهله أكثر من ١٩ يوماً فمات في ٢٨ ايار ١٨٩٢ عن أربعة بنين وثلاث بنات كان أكبرهم سنا عباس افندي الذي تولى الزعامة من بعد أبيه والذي لقب (بعبد البهاء) وسمى (غصن أطهر) . وكانت مدة اقامة البهاء في عكا ٥٤ ربيعاً والذي يجب أن تنسبه اليه الانظار هو أن البهائية استقلت عن البائية رسماً أثناء إقامة الاخوين في أدرنة ، لأن البهاء كان يعتقد بأن تعاليم الباب لم تعد في اعتقاده ملائمة لروح العصر . ومن ذلك الحين انقسم الباييون الى أزليين وهم الاقلي وبهائيين وهو الاكثرية ، وأخذت البهائية تنتشر في سائر الأنحاء .

مات البهاء عام ١٨٩٢ م كما اسلفنا فخلفه ابنه الكبير عباس افندي بوصية منه وقد ولد هذا في ٢٩ ايار (١٨٤٤) ونازعه على الزعامة أخوه المرزا محمد علي فسبب ذلك انشقاقاً في صفوف الطائفة . ولكن عباس افندي تمكن من أن يتغلب على أخيه بدهائه وفطنته علاوة على العضد الذي لقيه من أتباعه

فاستقر له الحال في أواخر أيامه وقد سافر ١٩٠٨ إلى حيفا حيث جعل فيها مركزه حتى إذا جاء عام ١٩١١ رحل رحلته الشهيرة إلى قارتي أوروبا وأمريكا . وجاء مصر ومكث في القاهرة أياماً كان خلالها موضع التجل والاحترام . كان قد لقي من رجال أوروبا تعظيماً يذكر . فحول عقيدته من الفكرة الدينية إلى المبادئ السياسية . وغرته أبهة الملك وعظمته . فراح يدعو بين الناس إلى تأسيس فكرة جديدة هي عدم وجود فوارق بين المذاهب والأديان . وإن ماجاء به موسى (ع) هو نفس الشيء الذي بشر به عيسى (ع) والذي ادعى به الباب ثم البهاء هو نفس مدعى الأنبياء الذين أتوا من قبل . ورأى ضرورة توحيد الأديان فدعى إليها ولكن هذه المبادئ غير المرتكزة على قاعدة عامة يصح الركون إليها لم تصادف أذناً صاغية على الرغم مما نالته من تشجيع بعض الشخصيات البارزة في القارتين المذكورتين . ثم عاد إلى مصر ومنها إلى عكا فبأمرها في الخامس من كانون الأول عام ١٩١٣ ، ولما جاءت الحرب العظمى بهولها ومصائبها خدعته تعبئة الحلفاء خدمات يذكرونها له وقد أنعمت عليه الحكومة البريطانية برتبة فارس الامبراطورية . وتوفي في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٢١ حيث كتب وصيته إلى حفيده شوقي الرباني .

ومما يجدر ذكره في هذه العجالة هو أن البهاء عند مجيئه إلى بغداد عام ١٨٥٢ نزل في دار بمحلة « الشواكه » من بغداد فاعتبرت البابية أن هذه الدار يجب أن تقديس وبنيت فيها آثار جليلة وكلها دينية وفي عام ١٩٢٤ وقع نزاع بين الشيعة الإمامية في بغداد وبين البايين أفضى إلى انزعاج هذه الدار من البايين واتخاذها مسكناً لفقراء الشيعة .

أما مذهب البابية ونقده فذلك مالا أريد التدخل فيه بعد أن كتب الأستاذ عمر عنایت مالزم وبعد أن رد عليه صموئيل افندي بما رآه مناسباً . وقد بعثت لكم هذه الحقائق خدمة للحقيقة والتاريخ ولكم أن تنشروها ولكم أن تعرضوا عنها ولكل الرأي في نظر المنطق المحترم .

بغداد صاحب جريدة الفضيلة السيد عبد الرزاق الحسني

المصور — علي الرغم مما يدعيه البهائيون من مرونة فكرية وتسامح فانهم في كل ماوصلتني من كتاباتهم يظهرون نفس تلك الروح التي أصابت الكشلكة من المصور الوسطى ، روح الجمود البعيدة عن مطاوعات الشك واللاأدرية الفأضة بضروب المرونة الفكرية . ولا أدري كيف يمكن التوفيق بين منازع العقل الجديدة وبين كل مافيه من الاجتماعيات مثاليات يتعذر تحقيقها وكل مافيه من الاعتقادات مسروق من الاديان الاخرى . على أن من العالم عدد عديد من الاديان . فماذا يفيد الناس نشوء دين جديد يدعى البهائية أو الازلية أو أى شيء آخر . مادام أن انتشاره لا يؤدي الى ارهاق الناس بالمذهبيات ودسيسة في المعتقد ولا يهرق دماء الأبرياء سعياً إلى هدايتهم . ولكن الظاهر أن الدين البهائي سوف لا يعد قاعدة كل الاديان . فبالدماء يبدأ صنعته وبالدماء سوف ينحتملها .

الانيميا الخبيثة

علاجها بخلاصة الكبد

لقد كانت الانيميا الخبيثة لسنتين مضت من الامراض المتعسر شفاؤها وقد كان الاساتذة يحذرون طلبتهم ألا يذكر وا اسمها أمام مرضاهم كي لا يدخلوا الى قلوبهم اليأس من الشفاء . بيد أن الحال قد تبدل واكتشف الدواء الشافي منها . وقد أوضح ذلك في تقرير عن مائة وأربع وثلاثين حالة نشره أخيراً جمهرة من الاطباء الممثلين لميئات مختلفة في مجلة « أتلانست » وهذا أكبر عدد من الحالات فحصه الأطباء في آن واحد . ليستدلوا به على تأثير العلاج الشافي وهو يؤيد ادعاء الأمريكيين مينوت ومورفي . اللذين ابتكرا هذا العلاج . وهو من البساطة بمكان بحيث ادهش الاطباء كيف لم يعثروا قبل الآن أبان أبحاثهم المطولة على علاج شاف للانيميا الخبيثة . ولو الى حين . وينحصر في تغذية المصاب بكبد الحيوان .

ومما لم يقطع فيه للآن مسألة أكان هذا الاكتشاف نتيجة الصدفة المجردة أو الشواهد الذي برهنت على صحتها التجارب . بيد أنه مهما كانت هذه التجارب فما لا شك فيه أن كل مريض يغذى بكريات وافرة من كبد الحيوان يشفى من عوارض هذا الداء الخبيث ويستعيد صحته وقوة دمه

والصمود التي اضطر القوم الى مواجهتها هي التحايل بكافة وسائل الطهي على تحضير هذا الغذاء للتغلب على كراهية المريض للتغذى بكمية وافرة من الكبد ونفوره منها .

ومن الطرق التي لجأوا اليها هي تحضيرها كسائل لتقدم كذلك المزيج السككولي الشهى وهو « الكوكتيل » بحيث تقطع الكبد قطعاً خفيفة وتقدم في كأس ممزوجة بعصير الليمون والمواد ذات النكهة الطيب .

وأخيراً سار القوم شوطاً كبيراً حين أمكنهم تحضير خلاصة من الكبد سهلة التناول دون غضاضة ومركزة في حجم صغير ومما لم يعرف للآن تأثير ذلك العلاج

على جهاز التغذية الانسانى اذ أن من المفروض أن الكبد وأنواع اللحوم الاخرى ليست من الضروريات لصحة الابدان . والا كان نصيب كل نباتى الاصابة بالانيميا الخبيثة .

والنظرية المحتملة أن هذا العضو يخزن كمية من العناصر الغذائية المتوفرة فى المواد الغذائية الاخرى مما يطلق عليه « الفيتامينات »

ولذلك فهذا العلاج اجتهداً ولم يتعداه بعد الى الميدان التجريبي ومن المشكوك فيه أن فكرة مينوت وميرنى مما لم يسبقهما أحد فيه ويدلون على ذلك بقصة الطبيب الصينى الذى يداوى بالاعشاب وشفائه لمريض أشار عليه بالتغذية بكبد غراب آكل للحم الحيوانى .

وان شهرة الفطائر المحشوة فى الشفاء من الانيميا قائمة على الكبد الذى هو احدى عناصرها .

وقبل أن نختم هذا المقال لابد من الاشارة الى احصاءات التجارب التى حصل عليها اثنا من اطباء مستشفى لندن اذ اتضح لهما أنه ما بين ١٩٠٩ و ١٩١٩ أثناء معالجتهم لمائة واربعه عشر مريض بالانيميا الخبيثة لم يبق منهم على قيد الحياة للآن سوى مريض واحد وتوفى اثنان وخمسون فى ظرف تسعة أشهر بعد دخولهم المستشفى

بين أن هذين الطبيعىين يؤكد أن نتيجة العلاج بطريقة مينوت وميرنى تبشر بعظيم الامل وهما مقتنعان أنه خطوة ناجحة بين أنه من المشكوك فيه عندهم هو هل يقبل المريض على التغذية بالكبد لاجل غير محدود

النقد والتأليف

تأليف محمد الحديث وملحقاته

تأليف أمين الريحاني في ٤٣٢ من قطع الصور حسن الطبع والورق اخرجته المطبعة العامة ليوسف صادر بيروت - لبنان

والكتاب يشتمل على نبذات ثلاثة في نواحي نجد ومحمد بن عبد الوهاب والوهابية وآل سعود منذ نشأتهم الى حين استيلاء محمد بن الرشيد على نجد وسيرة عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود ، ملك الحجاز ونجد وملحقاتها . ليس في هذا الكتاب من العربية الا الألفاظ والحروف ، أما المباني والاسلوب والتراكيب فانجليزية صرفة . لذلك استعان الكاتب والطابع بكثير من الاشارات وأصفار الكلام والفصل والوصل على الطرق المعروفة عند الطابعين يستخرج الكلام عربياً بقدر الامكان ، وليغشوا على الاسلوب الانجليزي جهد مستطاعتهم ، ليكون قريباً الى العربية بعض التقريب

أما الذوق فسهل قريب الفهم لا يستعصى عليك أن تفهم كل العبارات فهماً واضحاً جلياً . ولا تحتاج فيه الى توضحية شيء من توصل الفكرة لتقرأ خلال السطور . وهذه ميزة في الكتاب لا أجدها في كثير من الكتب الاخرى . واعلموا نتيجة لا تباعه أسلوب التتر الانجليزي في كتابة العربية ، والحقيقة أن الاساليب العربية المنتقاه يتعذر على الكثيرين في هذا العصر تتبعها تتبعاً تاماً . ولا يضحون بشيء من تتابع الفكرة وتوصل الفهم . اللهم الا الذين استعمقوا في دراسة الأدب العربي ووقفوا على سر الاساليب التي اتبعها المنشئون الذين اعترف لهم بالتفوق في كتابة التتر العربي .

أما الصور فتكاد تنطق عن الحقيقة كما قامت في ذهن المؤلف . فالامراء الذين تناولهم مؤلف بالوصف أو رجال تلك الدولات البدوية الصغيرة يكادون يتمثلون لك ذوات قائمة من حولك أو خيالات تتراى لك بين سطور الكتاب من ألفه الى يائه .

في الكتاب فصل عنوانه « ذبحة بن الرشيد » اذا نقاننا اليك صورة منه كانت دليلاً واضحاً على صدق ما تذهب اليه . جاء في ص ١٤١ مايلي .
 « وصل عبد العزيز بن سعود الى ساحة القتال ، فهجمت رجاله على من تحفز من رجال بن الرشيد ، فتصادم الجيشان وتواقعا تحت جناح الليل في ١٨ صفر (١٤ نيسان) من هذه السنة ، فتقهقر الرشيديون ، فاحتل السعوديون مراكزهم .

وكان عبد العزيز الرشيد راكبا حصانه يدور في معسكره مستنهضا محرضاً .
 فلما وصل الى المكان الذي كان فيه فرقة من جنوده ، ظن أنها لا تزال هنالك ، فصاح بجاهل البيرق يحرضه على الهجوم

« من هان يا الفريخ (اسم صاحب البيرق » من هان يلفريخ ؟
 « وأبن الفريخ ؟ قد تقهر وأسفاه مع المتقهقرين ، فخل محله بيرق
 ابن سعود »

« من هان يا الفريخ ؟ »

« عرف رجال ابن سعود الصوت فصاحوا : ابن الرشيد ! ابن الرشيد ! ثم تكلم الرصاص .

« وطلقت البنادق السعودية على الامير التائه ، نخر صريعاً وفيه بضع
 وعشرين رصاصة . »

« وهذا سيفه . وهذا خاتمه . يالامام ؟ ! »

هذه الصورة الساذجة الطبيعية تعطيك فكرة كاملة عن حروب البدو . وعن الحياة الحرة عند العرب . وهي فوق ذلك من الصور التي تبقى قائمة في ذهنك زماناً طويلاً ، بل لا أبالغ اذا قلت بانها صورة لا تمحى أبداً . بل فيها من رنات الحزن الأسى ما يطبع تصورك بطابع قد لا تمحوه الايام . ومن الذي يقرأ « ذبحة بن الرشيد » فارس العرب المقوار وأمرها المتكبر المتعاطم ، ثم ينسى تكلم الرصاص مع الامير التائه تحت جناح الظلام ؟

وفي الكتاب من الروح التاريخية قسط وافر غير اني لاحظت دائماً أن

الكاتب يبرع دائماً في المواضع التي يترجم فيها عن الرجال اضعاف ما يبرع في المواضع التي يروي فيها الحوادث. فهو ككتاب في التاريخ ينفرد بأنه الاول من نوعه في العصر الحديث ، ولكنه يضعف دائماً كلما استوحى آلهة التاريخ فانها لا تؤتي طواعية . أما في الترجمة عن الافراد فهو قطعة من الفن لا يشق لها غبار . أما الصورة التي خلقها الكتاب في ذهني عن الوهاية فلا تخرج عن أن الوهاية مذهب ديني رجع الى الاصل الذي قام عليه الاسلام وأدمج ، الدين في الدولة والدولة في الدين . وعندى أن هذا من أخطر الاشياء التي عرضت لدول الاسلام في كل أدواره التاريخية ولا جرم أنها تكون أشد خطورة اليوم منها في أي زمان آخر

والحقيقة أن الكتاب يساعدنا على فهم شيء من حقيقة الحركة القائمة في شبه جزيرة العرب ، ولكنه لا يساعد العرب مطلقاً على فهم أخطائهم . فإن أثر التحيز لابن سعود فيه ظاهر جلي . ولا شبهة في أن هذا من الاسباب الاولى التي جعلت الكتاب مزيجاً من التاريخ والتراجم يساعد غير العرب على فهم العرب ، ولكنه لا يساعد العرب على فهم أنفسهم . هذا وجه من أوجه النقص في الكتاب باعتباره كتاباً للتاريخ . قال الاستاذ ماكولى تريغنيان :

« ان ميزة التاريخ التي لا ينكرها أحد تنحصر في تدريب العقل ايصل الى درجة يقتدر بها على ادراك المسائل السياسية ادراكاً صحيحاً . ولكن هذه الميزة لا تتناول التنبؤ عن المستقبل . فلا يمكن للتاريخ مثلاً أن يمدنا بمجموعة من السنين العامة يصح تطبيقها في كل عصر ليسترشد بها السياسيون . ولا يستطيع التاريخ أن يظهر لنا من طريق المقارنة التاريخية من المتخصصين كانه من جانب الحق في أية مسألة من المسائل العامة . ولكن ماهية التاريخ تنحصر في شيء أبعد من هذا شأنًا وخطراً . حتى تدريب عقلية الانسان على معالجة المسائل العامة وفهمها ومشاركة بقية الأمم في شعورها . فان المعلومات التي يمدنا بها التاريخ لا قيمة لها في ذاتها ما لم تخلق فينا حالة فكرية جديدة . فان فائدة

ما كتب « ليكي » في تاريخ ايرلاندا لا ينحصر في أنه جمع في كتاب واحد تفاصيل المذابح العديدة وحوادث القتل والتفطيع ، بل انه أحدث فينا حساسة بالعطف ، والشعور بالخجل ، وساعد على ادراك الحقيقة التي تقضى بان ذنوب الآباء تتعدى الى الابناء والى الاجيال التي تشب على الكراهية (إشارة للحكمة المعروفة في التوراة) فهو لم يبرهن على منح الحكم الذاتي لايرلاندا من حيث هو خطأ أو صواب ، بل درب عقول انصار الاتحاد مع انجلترا ، وأنصار الحكم الذاتي لايرلاندا ، على ادراك المسألة الايرلاندية وذيرها في المسائل أدرا كما صحيحاً .

ولا مزية في أننا اذ أردنا أن نطبق فكرة تريفلان على هذا الكتاب خرجنا منه وماؤنا اعتقاد ثابت بأنه ليس من التاريخ الحديث في قليل ولا كثير . ولكن الاستاذ الريحاني عذرده فهو مؤرخ البلاط السعدي كما يقول في أول الكتاب . وقلنا يكون مؤرخو الاباطة الملكية . مؤرخون . فهم مدونون للحوادث بما يقرب من الحقيقة إذا كانوا منصفين ، ومداحون مفرقون في المدح اذا قلت فيهم حساسة الانصاف وحب العدل ، حتى في رواية الحوادث

بهاية الافراح

في مناجاة الارواح

للمرحوم الدكتور ابراهيم عريبي

إن أول ما يخطر ببالك وأنت تتصفح هذا الكتاب هو السؤال عما اذا كان الدكتور منح هذا اللقب في الفلسفة أم اللاهوت أم الطب . ففيه روح التبشير بوجوب الايمان . وفيه كلام طيب عن الجاذبية والنمو ، وكذلك نجد له جملاً فيها فلسفة أو أدب ، وعلى كل انك لو أخذت جمل الكتاب مفردة لوجدت فيها مادة تحتاج الى تنظيم الامر الذي لم يحسنه المؤلف . وأظن السبب هو محبة الموضوع بحماس وايمان جعلاه يستنجد بالاثباتات الموافقة منها والغير موافقة لجرى الكلام فليست ترى مثلاً في « مناجاة الارواح لا تجعل الانسان كامل الصفات ، فان الله وحده هو الكامل قطعاً . ولا تجعل الانسان مساوياً للملائكة انما تساعده على

أن يعيش عيشة صالحة روحية فتحسن صفاته ويستطيع أن يعرف الأمور معرفة حقيقية فيرتقي بفكره . وتساعد على أن يشعر بنقاؤه ويغلب شهواته الجسدية ويسير في سبيل التقدم والارتقاء»

«ان التقدم الذي ناله الانسان لم يكن دائما الى الامام لان العالم كثيرا ما يتوقف في عدة أدوار من أدواره عن الصعود في سلم الرقي فيبقى خاملا متأخرا جامدا الحركة جاهلا . وقد عرف الروحيون ذوو الاجساد البشرية انهم لا يظاهون الذين هم في عالم الارواح مرتبة ولا مقاماء فلا يجهلون حقيقة الاختبارات الارضية التي تجعل حياة الانسان وارتقاؤه مضاعفة الصعوبة . وعليه تكون مكافأته عن امته في الطبيعة في الحياة الروحية عظيمة جدا مثلا لما سبق وقلته لك اعلاه » ولا يظن القارئ أن هذه جمل مقتطعة من هنا وهناك مجموعة بين قوسين ، فهي مأخوذة على علاتها دون زيادة أو حذف

هذا هو مثل لما ذكر في متن الكتاب حتى منتصفه . أما النصف الثاني فعبارة عن خطابات الارواح لأهل الارض وغير ذلك مما يقرب الى روايات الجن والعفاريت من البحث العلمي .

وحقيقة قد أكون متحاما على ما يسمونه علم مناجاة الارواح . ولكني اجتهدت هذه المرة أن أفهم لا قوم بواجبي نحو القراء فوجدت أنه يجب على « أن أكون مؤمنا أولا ثم بعد ذلك اقتنع بصحة ما آمنت به » وهذا مالست مستعدا أن أعله فأقدم للقارئ عذري لأنني لم أتشرف بعد بمعرفة الارواح والعفاريت

بين المرد والجذر

للآنسة مـ

ليتنى تشرفت بتقريظ الطبعة الاولى من ابتسامات ودموع من التي نقلتها عن ما كس مولر . حتى كنت اعطى بالتقريظ قطعة من قلبي كما يقول الا فرنج . فان في الطبعة الاولى من الابتسامات والدموع سرأ لا أعرف كيف أدرسه ، وفيها جاذبية ما زلت أحسن اليها حتى اليوم اثبتت أنامل مـ الالهام الذي أملاه

عليها مولر مندفة بالشباب بل بجراءة الفتوة ، ومن العيب أن تجد في تلك الطبعة الاولى أثراً لما يسمونها (الحذشصة الكاذبة) فهي صورة طبيعية رسمتها دقات قلبها . وكما أن لدى الطبعة الاولى من الابتسامات والدموع كذلك لها تراجم شعرية كانت تطبعها في ذلك الوقت الذي كانت تضرب فيه على قيثارتها تلك الاغاني انلغيفة الروح المسلية الجذابة

ولكن الزمن أبى الا أن يزيل تلك البهجة وأن يطمس ذلك الرونق ، فطبعتم ماري زيادة الابتسامات والدموع طبعة ثانية . وأذكر تماماً أن صديقاً لي ، رغبة في الانتقام مني ، فاجأتني ذات مرة قائلاً : « لك أقدم أيها الصديق نسخة مطبوعة من الابتسامات والدموع . حتى لاتنسخ بالذخيرة الخطية التي تحوزها على أصدقائك » . وحقيقة لدى نسخة خطية من الطبعة الاولى طلب مني صديقي المذكور ذات مرة أن أعيرها له كي يقرأها فاشترطت عليه أن يفعل ذلك أمامي وذلك خوفاً عليها من الضياع . فجلس يقرأها كارها وانتظرت بدوي صابراً متمللاً

فتحت غلاف الطبعة الثانية . وأخذت أقلب الصفحات واحدة بعد الاخرى وعلائمهم ترسم على جبيني ، ثم رددت اليه الكتاب بألم ظاهر قائلاً « لا يا صديقي » فهذه الطبعة ليست لي بل هي لمرزة فتح الله وجبر ضومط » أين تلك الطلاوة التي أتذوقها من كناشتي ؟ انها ذهبت فاطارتها محاولة حسن السبك . وأين تلك البساطة التي تستهويني وأنا أقرأ كناشتي ؟ أودى بها التعقيد المفتعل . وهكذا سلمته كتابه ورجعت كما أراجع بين وقت وآخر لكناشتي العزيزة فأقرأ منها الطبعة الاولى لابتسامات « مي » ودموعها ، وذلك منذ عشر سنوات الى الآن

وكنت أتصفح بعد ذلك ما كانت تدبجه « مي » من المقالات وكنت أسمع طمننة حول اسمها ، فأقدم على القراءة بشغف لاحد له ، ولكنني لا ألبث حتى ألقى جانباً سائماً تلك الالفاظ الجوفاء والكلام المرصوص . واليوم عدت فجددني عنوان كتابتها « بين المد والجزر » وهو عنوان شعري فانتبذت ناحية هادئة على أمل التفرغ بشاعري له عساي أجد فيه ما أجده من ابتسامات (كناشتي) ودموعها . ولكنني وجدت ذلك العنوان الجميل بعيداً كل البعد عن

مواضيع الانشاء المطبوعة على صفحات الكتاب . فكان ماري زيادة أرادت أن تملأ فراغاً ، ولا أجسر على القول بأنها أقامت بعمل الى قصد نوان الأجر .
وكم أنا آسف للدرك الذي أخذت تنحدر اليه الآنسة فان كتاباتها لم تعد تحوى مادة شعرية ولا روحاً خفيفة كما كان عهدى بها في الزمن الغابر

أى آنسى ، أن روحك اللطيفة قد صبت على أن تكون شعرية خيالية ، فإها جاذبية ولها حنين . فمالك ومال المواضيع الجافة الجبارة التي لا تحتاج الى رقة ولا الى عواطف ، بل فقط الى عقول وعقول جبارة أيضاً . انه من العبث أن تحاولي تساق صخور المعرفة المدببة القاطعة بيديك الرقيقتين الناعمتين . فان ترانيمك التي تبدئين جهادك الشافي بها لا تلبث حتى تنساب حشرة تملأ القلوب أسى . فبربك ارجعى عن ركوب ذلك المركب الخشن ، بربك ارجعى : —

أى آنسى . لديك جمال للعمل فى الوادى أشجاره ، وفيه ينابيع وعيون فاجلى قيثارتك ، وترنمى عليها ما شئت فانك بعملك هذا تخففين مصاعب الذين قدر عليهم تساق جبال البحث الوعرة المسالك . أجل وترنمى والنشيد دون أن تعتقدى بأن عملك لا قيمة له فانه مسل وانه يخفف لشقاء الذين يعملون أولاً عملية شاقة ثملة .

ان القلم والمعرفة ليسا محتاجين الى الرقة . والتفريد لا يصيرها جذابان ، بل بالعكس ، يعرفهما بصورة مؤلمة مضحكة سمجة للانظار

تقبلى سيدتى الآنسة تحيات أحد المغرمين بابتسامتك ودهوعك الاولى ... أجل ، الاولى فقط ، فقد نقلتها بيدي هذه من نسخة مطبوعة حرفاً بحرف ولم أندم على الوقت الذى أضعته فى النقل

ع . ع

كل ذلك رغبة فى أن امتلك نسخة منها

التعريف

بالنبي والقرآن الشريف

للسيد احمد على البيلوى

كتيب صغير حسن الطبع ورقه مصقول تظنه لأول وهلة كتب للسنة

الأولى الابتدائية . ولكنك تراه قد ختم بمواضيع تحتاج الى سابق درس في المعاهد الدينية . اختص المؤلف النصف منه بالتعريف بالنبي محمد بن عبد الله ولولا التكرار الذي لا لزوم له ، ولولا استنتاجات غير منطقية مثل « كان على مابه من اليتيم وقلة المال يشب على غير ما يعهد فيمن اتصف بهذين الوصفين فقد كان ينمو بدناً وقوة وعقلاً وأدباً حتى عرف بين أهل مكة في ريعان شبابه بالأئمين » فهل من مستلزمات اليتيم وقلة المال امتناع النمو بدناً وقوة وعقلاً وأدباً ؟ بل هل الأئمين هو القوي العاقل الأديب والنامي الجسم ؟

اليك مثل آخر قال : « أدبه الله تعالى أدباً » الى أن قال : « ولم يكن له أستاذ بهذا . ولا مثقف يؤدبه . وإنما هي عناية الله تحفظه » والى هنا لا اعتراض الا أنه قال بعد « أدبه الله تعالى أدباً » « لم تجر العادة بأن تزين به نفوس اليتامى الذين قل ما لهم » فما العلاقة بين أن الله اصطفى انساناً وبين الحشو الغريب وهو الإشارة الى الفقر واليتيم . وهل يحرم اليتيم من تأديب الله له ، من هذا يتجلى له طالع أن مؤلف الكتاب يحاول أن يفهم الناس بأن اليتيم وقلة المال حادثان يتفان في طريق الأمانة والتأدب . وهذا قول غريب كرهه تكريراً مملاً ظاناً اياه معجزة لا تقدر .

وكذلك أغفل الشرح تماماً في أكثر موقف مثل « ثم لقطعنا منه الوتين » ولم يفسر بعض الجمل تفسيراً حسناً فنقل مثلاً قول خديجة وهي تبشر زوجها اذ قص عاينها مارآه في غار حراء « انك لتصل الرحم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق » وقد فسر نوائب بالنوازل والحوادث . كما فسر الحق بقضاء الله وقدره فليس من المنتظر أن يفهم المبتدئ من هذا التفسير أنها تخبره بأنه سيساعد الناس للتخلص من النوازل التي قدرها الله عليهم ؟

ولمناسبة ذكر خديجة هل لي أن أسأل قساوسة المساكين عن كل السبب ولا يزال في حرمان المرأة المسامة من حق خطبة الرجل لنفسها ؟

لننتقل الى التعبير ، فهل من حسن التعبير أن يقول رجل مسلم أنت النبي « أصيب بمصاب عظيم » هو موت عمه أبي طالب ، وزوجه خديجة ، وكذلك هل

يصح أن يقال عنه أنه كان يطلب من الحجاج أن « يمنعوا عنه أذى قومه فلا يستجيبون له » كأن النبي ما كان يشعر بأن الله هو حافظه والقادر على منع الأذى عنه ؟ وكيف يمكن للقارىء الذى يحاول السيد أن يعرفه بنسب النبي وما شابه ذلك مما هو معلوم لأطفال الكتاتيب تفهم ما يأتى « ولما أصابه من قریش ما أصابه يوم أحد شق ذلك على أصحابه » فما الذى أصابه يوم أحد ؟ هل تنتظر من شخص تحاول أن تعلمه ما يكاد أن يعد من المفهومات أن يفهم لنفسه يوم أحد يتكلم عنه .

أسمعه يقول تحت كرمه عليه السلام « كان لا يبارى جوداً وسخاء ومماحة نفس . وصفه بذلك كل من عرفه وكانت حاله في ذلك قبل النبوة كما كانت بعدها فقد قالت له خديجة حين رجع إليها يرجف « كلا . ما يخزيك الله أبداً انك لتصل الرحم وتحمل الكل . وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق » أليس أول ما يتبادر الى ذهنك عند ما قرأت « قالت خديجة » أنها ستقول ما ثبتت كرمه فتذكر حادثاً وقع ؟ فما علاقة وصف تفسيرها لحلم هنا باثبات الكرم .

اسمع : « روى أنه حمل اليه تسعون الف درهم فقام اليها يقسمها فمردسائلها حتى فرغ منها » لنفترض أن رجلاً سألته التسعون ألفاً فهل كان لا يردده ؟ لنفترض أن الأغنياء سألوه قبل الفقراء . فهل كان لا يرددهم ، أليس هذا نوع من الحشو المشهود به للآزهرين .

قال : « وقد نعاى الى أصحابه أبو بكر وقال لهم وهم مجتمعون . وقد ملكتهم الدهشة » أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات » فهل ترضى ذمة المؤلف بالتأويل الذى ارتكبه باخفاء اسم من قال الجملة المنتهية « علوته بسيفي هذا » هكذا تكون الأمانة في التاريخ والا فلا .

وصف المؤلف رؤساء الأديان الكتابية ص ٣٤ بأنهم « حظروا على من سواهم النظر في نص من نصوص الدين وتفهم الغرض منه فعطلوا العقل وأطفؤا نور الكفر » ولو كنت هواويني لكتبت هذه الحكمة بماء التبر على آفاق مهبج علمائنا الاعلام نفعا الله بهم في الدارين .

لولا هذه الاخطاء وهي عديدة لصلح الجزء الاول من كتابه لتلامذة السنة الاولى الابتدائية. وأما الجزء الاخير فغليظ في موضوعه كأنه جلود صخر حطه السيل من جبل قاف .

وقد فتح السيد بينى وبينه أبواباً للنضال فمثلاً يقول وقوله الحق « ان النبي جعل رسالته الى الناس عامة » ويقول « ويجب على كل من بلغته الدعوة الى هذا الدين أن يؤمن به » ويقول « ان محمداً أرسل الى جميع الناس عربهم وعجمهم » فكيف يوفق بين هذه الحقيقة وبين تحريم ترجمة القرآن حتى يمكن للعجم أن يفهموه ؟ فهل نجبرهم على تعلم العربية أولاً حتى يفهمونه ؟ أم نريهم فضائله لكي ينجذبوا نحوه فيقبلون عليه وبعد ذلك يؤمنون .

كذلك نقل السيد عن تيلر المبشر الانكليزي ودعاه منصفاً « اننا انرى الاسلام أوفق ما يكون لتهديب الأمم المتوحشة وترقيتها . » ولم يفهم السيد أن المقصود بهذا الخط من مبادئ الاسلام واتهامه بأنه يدعو الى تعاليم بدائية يسهل على عقل المستوحش استساغتها بعكس المسيحية فلا تفهما الاعقول راقية المستوى .

كذلك جرنى السيد الى ساحة جدال أخرى يدور النضال فيها حول فكرة اعجاز القرآن . وبالرغم من اتفاق كل أو أغلب الأئمة على أن الاعجاز يدور حول البلاغة والفصاحة. أعترض بكل احترام قائلاً: أن التسليم بأن بلاغة وفصاحة القرآن ليسا ببرهان مقنع للفرنسي على تنزيله . كما وان بلاغة وفصاحة أحسن ما كتب باللغة الانكليزية لا تبرهن الا أن المؤلف كان يتقن اللغة أكثر من غيره قليلاً أو كثيراً . فاعجاز القرآن ليس في المبني بل هو في المعنى لما في حكمه وفي مواعظه وفي ارشاداته من تفوق .

أما بقية الكتاب فتبحث فيما يسمونه السبعة أحرف وهو بحث ممل يكاد يملأ الثلث الأخير من الكتاب .

وكم كان بؤس لو قصر السيد كتابه على السيرة النبوية وألم بأطرافها . فمثلاً كان الواجب عليه أن يذكر بتوسع قصة :

ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على خير البرية لم تنسج ولم تحم
كذلك غاب عنه شرح كيفية استقبال أهل المدينة للنبي وفي مقدمتهم بنات
النجار ينشدن مرحبات به

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
فهذا وأمثاله من الأفاضة في ذكر معجزاته كتظليل السحاب به واخضرار
ما تحت موطن قدمه، وانتقال ابوان كسرى مما يرغب الاطفال في التهافت على
درس كتابه القيم .

العقل الباطن

لسلامه موسى

زوج بي صاحب العصور في أخرج مركز بتصميمه على وجوب نقد هذا
الكتاب الصعب العويص بقلمى أنا دون غيرى . ولم تفقد تضرعائى ولا التماسائى
في تحويل رأيه الظالم هذا ولا أكتفى القارئ حقيقة هي أننى لم (أدرس) علم
النفس الا سنتين فقط تحت ارشاد استاذ كان يخاف أن يكتب مذكرات في
الموضوع بحجة أنه لم يدرس هذا العلم تماماً . ذلك بالرغم من أنه قضى ست سنوات
في تدريسه علم النفس لمن سبقنا من الفصول . وكان هذا الاستاذ من حاملى لقب
الدكتوراه في الفلسفة .

فليس أمانى والحالة هذه الا الرضوخ ومحاولة القيام بالواجب الملقى على
عاتق على أحسن حال .

الاستاذ الكبير سلامه موسى أشهر من أن يعرف . فهو عالم فيلسوف وأديب
مبتكر . ويمكن لكل قارئيه معرفة ذلك من التصفح آثاره التى يضرب فيها مختلف
العلوم العويصة بسهم صائب فمن حيواتولوجيا الى اجتماعولوجيا الى اجنتولوجيا الى
حيوانولوجيا الى نباتونى الى تشريحوتومى (علوم الحياة والاجتماع والجنة والحيوان
والنبات والتشريح) الى غير ذلك من العلوم التى لم تمر بي أسماءها ولو عرضنا تلك
التى يقتضي للعالم الغربى في بحث أحدها عدة سنين قبل أن مجراً على كتابة فصل
وحديس به الموضوع مساً سطحياً .

ولكن لاستاذنا الفاضل ذكاء يبرز بالصعاب وبالغموض . وله عقل جبار
يسهل عليه مهمة الفهم . لذلك تراه يثب بين أفنان العلوم مثل الطير فيسمعتنا
من وقت لا آخر تغاريد علمية تسحر الأبواب :

ألف الاستاذ كتاب (العقل الباطن) بعد أن «قرأ» نحو عشرين كتاباً في هذا
الموضوع، فاذا أمضى ثلاثة أشهر في قراءة كل كتاب، فيكون قد قضى نحو خمس سنين
في مطالعة العشرين كتاباً . وبالطبع يجب على من يقرأ هذه الكميات من الكتب
عن العقل الباطن، أن يقرأ أيضاً كمية أكثر عن موضوع علم النفس وعن
تشریح المنح ليلم بأساس الموضوع. وهذا عمل جليل لشكر الاستاذ عليه. فأن
قضاءه لعشر سنين على الأقل في الدرس قبل أن ابتداء يؤلف كتابه، أمر يقابل
بالشكر والامتنان، والذي يزيد الاستاذ فخراً أنه أتخف العالم العربي بكتب قيمة
في مواضيع عويصة أخرى فاذا كان ينفق عشر سنوات على القراءة في كل من المواضيع
التي يكتب فيها يكون له من الجلد على المطالعة ما لا يصح السكوت عنه . وبالرغم من
أننى أجهدت نفسي كثيراً لفهم (العقل الباطن) مستعيناً تارة بالقهوة السادة
وتارة أخرى بالدوش البارد . عجزت عن ذلك ولم أتمكن من ربط محتويات الكتاب
بما علق بذهنى من قراءة مبادئ علم النفس لوليم جيمس على الأقل . وانى أعترف
أن الذنب ليس بذنب الاستاذ بل ضعف معلوماتى هي المسئولة عن اخفاقى المحزى
ولو كان المؤلف الفاضل قد ترجم لنا مؤلفاً الى العربية عن (ديفوز) مثلاً لا مكن أيا
كان الرجوع الى الاصل الاجنبى لفهم ما يفتق عليه فهمه من الترجمة .

أو لو كان الاستاذ قد كتب مؤلفه بلغة أجنبية لاستفاد منه مكذوبال وفروذ
وجيمس وغيرهم . ولا مكنهم اعطاءه حقه من النقد . فنحن أمة لم تصل معلوماتها
نعد، الى تفهم نتائج قرائح العلماء الاعلام .

ولكن مادام الاستاذ قد عمل بحسن نية على طبع مؤلفه الكثير الفائدة
باللغة العربية، فلا أرى بداً من حث إدارة الجامعة المصرية وغيرها من الجامعات
لتقريب كتاب القرن العشرين لطلبة التخصص في كليات الطب والعلوم العقلية

لان من الخسارة أن يلقي الاستاذ درره الغوالى على قارعة الطريق ظناً منه بأننا نحن المجلة قادرون على فهمها ومادتها عويصة .

وكنت أود الوقوف هنا . ولكننى ارتأيت أن أنقل للقارىء الفاضل شيئاً من درر هذا المؤلف العظيم الفائدة قال حفظه الله في باب تفسير الاحلام .

« رأيتنى في طيارة عمومية تسوقها امرأة وفيها امرأة أخرى تقتضى من الركب ثمن التذاكر وتعطيها اياهم والطيارة مستطيلة وفيها مقاعد على الجانبين فلما قدمت لاحظت أن أحد الداخلين يحمل مجلة « » فى يده . ثم طارت الطيارة، وكانت الطيارة ترتفع كأنها فى خط عمودى، فدب فى قلبى الخوف وأمسكت بمسند المقعد الذى أمامى ووضعت رأسى بين يدي وأنا خائف . ثم صحت بصوت مرتعش وأنا لأرفع رأسى من الخوف انزلوا بقى .

« وكان الذى فى خلفى وهو الذى يحمل مجلة « » يضحك منى ضحكا خافتاً ، وسمعتنى السيدة التى تجمع التذاكر فقالت للسيدة التى تسوق السيارة بيقول انزلوا بقى . »

وأدرك شهر زاد الصباح . قال الاستاذ :

« وهذا الحلم يحتاج الى شرح طويل . ويحتاج الى أن أكشف القارىء عن نفسى . فأننى أحرر مجلة « » وأعنى بعض العناية بالمقالة الافتتاحية، فأحاول أن أسمو فيها الى الافكار والخواطر العالية . وكثيراً ما ذكرت فيها التقدم مقرباًنا الى فكرة تقدم المرأة وسياقتها للطائرات وإدارتها للأعمال الكبيرة . وكثيراً أيضاً ما ذكرت فيها الطيران وانه رمز للحضارة الراقية . ففكرت فكرة الرقى والتقدم فى عقلى الباطن بفكرة الطيران وتقدم المرأة .

« هذا من جهة . ومن جهة أخرى قام فى نفسى صراع بشأن تحرير المجلة فنفسى تسمو الى أن أجعلها مجلة علمية جدية . وهذا فى نظرى معنى الرقى . ولكنى فى اليوم الذى حلمت فى مسائه هذا الحلم كنت أجادل أحد الصحفيين بشأن المجالات وما يجب أن تكون . لىكي تروج فاضطرت ، الى الاذعان لرأيه ، وهو أن المجلة الجدية العلمية لا تروج ، وأن الجمهور يحتاج الى مادة خفيفة .

« ومع اذعاني فقد كان في نفسى صراع بين شيئين :

- ١ — أن تكون المجلة علمية جديده رقية ولاكن قليلة الريح .
 - ٢ — أن تكون خفيفة المادة على قدر الجمهور ولاكن كثيرة الريح .
- « فجاء - عتلى الباطن يمثلى الى هذا الصراع في تلك الليلة . فجعل الطيارة والمرأة تسرقها رمزاً للرقى . ثم جعلنى لأطبق هذا الرقى . وجاء بواحد من خلفى يحمل مجلة « ... » ويضحك منى . والرقى المعنوى الذى اقصدته جعله عتلى الباطن رقىا محسوسا بارتفاع الطيارة كما يفهم الطفل معنى الرقى »

انتهى . صورة طبق الاصل ر

ولست أدري كيف يمكن أن يكون تفسير الاستاذ لهذا الحلم وهو في اليقظة هو نفس ما قام في عقله الباطن وهو في النوم ؟ أليس من الجائز أن يكون عقله الباطن قد رمى الى شيء غير هذا ؟ لاسيما وأن مثل هذا الحلم يمكن تفسيره بكثير من التفسيرات التى لا يمكن أن يجادل فيها مادامت هي داخلية فى باب التأويل . وهل يمكن أن تكون مثل هذه التفسيرات مادة علمية صحيحة ؟

أظن أن ذلك غير مستطاع علمياً . فان ظاهرة الأحلام وحدها هي التى يمكن أن تتخذ مادة للبحث فى علم النفس ، لا تفسير الأحلام على قاعدة لاضابط لها ولا نظام .

السياسى الدولى

أو الدبلوماسية

بقلم جول كامبون

من الأكاديمية الفرنسية

الدبلوماسية

ما أكثر نواحي العمل الذى يتولاه السياسى الدولى . وما أقل القواعد الصريحة التى يدير عليها . وما أكثر التقاليد التى يخضع لها . وما أشد حاجته الى الحرص والدأب فيما يريد ، من النجاح الذى يتوقف على الظروف . وما أشد اضطرابه الى التزام النظام الذى لا يكون بلا خلق متين وعقل مستقل . لكل أمة أخلاقها وعاداتها وأسايلها . لا بتجرد السفراء منها لمقامهم بين أمة أجنبية . ولا كنههم بحكم مهمتهم التى تحتم عليهم خدمة بلادهم ، وعدم إثارة ضغن بين معاشرهم مضطرون للملاءمة البلاد التى يعيشون فيها . رأى « لابرور » الذى كان يعيب على السياسى تأثيره بالزمان والمكان وأخلاق الرجال . مهمة السياسى هى « ألا يخدع وأن يخدع سواه » ولكن لا رشفوكول ، وهو أعرف منه بدخائل السياسى . كان يقول « ليس أيسر من الخداع الانسان عند ما يحاول خدع الآخرين » على أن اعتبار الزمان والمكان وأخلاق الرجال ليست من الغباوة فى شىء . وكذلك ليس من الخداع فى شىء أن تعرف الحرص والانتظار . والفارق بين السياسى وجمهور الناس انه يعيش غريبا عن أهوائه الشخصية شديد الصون لاسرار دولته والشرب فى ذلك مختلفة . منها ما يجب من السياسى الصراحة ، ومنها ما يجب منه الغدوض والسكتان والظهور بغير ما يبعثان يتوهم الناس أن السياسة دسيسة ، ومن لا يعرف الدسيسة من السياسيين منهم بالتفرغ للهو والملاذ . ومنهم من يحسب دور السياسة مسارح تجرى فيها الحوادث بتدبير سابق . وأقدر السياسة عندهم من كان ما كيا فى الطبع يحكم تدبير النكاية ، ناسين أن ريشليو و بترمرك انفسهما لم يكدكا ناحية الحوادث ، التى تجرى على

ما يريدون وعلى عكس ما يريدون. والقول في ذلك ما قاله فردريك الثاني « ليس فن السياسة اختلاق الحوادث بل الاستفادة منها . »

والفارق بين السفيرين ووزير الخارجية أن هذا يجمع آراء ومعلومات سفرائه يوازن بينها ويرتب عليها مصلحة بلاده . على أنه يعيش في بلاده ، أما السفير فهو يخالط أمة غريبة يتعرف أخلاقها وعاداتها وميولها وقدرتها ، ومهمته أن ينقل ما يرى وما يعلم إلى الوزير لا يتعدى . حقوق منصبه . ولكنه لا يكون أشبه شيء بصندوق البريد فله رأيه وله أن يبدى للوزير . وإلا كان خطراً على بلاده . وعليه ترى مهمة السفير أن يكتسب بصدقه ثقة الحكومة المدين لديها وثقه حكومته . قال ما كيا في الذي لا يعرف الناس حقيقة قدره لسفير فلورنسا لدى شارل دانت « على السفير أن يجهد نفسه ليرى الناس أنه رجل لا يظهر غير ما يبطن » . ومن هنا ترى أن الصفة اللازمة للسفير ليست الخداع . إنما هي المهارة الحقة . وقد عرفها شوازل بقوله هي أن تقول الحقيقة أحياناً في شدة . ودائماً في لطف ، ومعنى ذلك أنه يتعين على السفير لاداء مهمته ألا ينضب أحداً وأن تكون له منزلة في كل ناد من نوادي الأمة التي يعيش بين أهلها

والتعرف بأمة معناه النفوذ إلى روحها والعيش في جو أفكارها وفهم المصاحبة بين سياستها الخارجية وحالتها الداخلية . ولا يصل السفير إلى ذلك بمحادثة الوزراء ورجل السياسة ، فقد يعلم حديث طائش ما لا يعلم من مناقشة جدية ، ولا يدلّه على حقيقة الحال ومواقف الأحزاب أكثر من النوادي ، وقد يفيد من سيادة كبيرة ما لا يفيد من سياسي خبير

وأشد ما يجب أن يحذر السفير هو الاستهتار ، وكفى أن يعرف عنه ذلك حتى تنجم الأذواق وتنكره النفوس وينظر إليه بالارعاية ولا احترام . على أن شدة الحرص والالتزام الجاد ، العبوس . ندعو إلى النفور والحذر ، وقد تقضى على الثقة ، فلم يكن أحد أصرح من تاليران والبراس بزمرك في أحاديثهما انصورية . كذلك من يكثر الهشاشة ويفرط في التعجب والتقرب بحسب أن ذلك يكسبه الثقة والمحبة ، على أنه بتفريطه هذا ، قد يفشى من الأسرار ما لا يجوز افشاؤه .

ليست السياسة الخارجية مسألة عواطف، إنما هي إخضاع الحوادث العارضة للتوانين الدائمة التي تتحكم في مصير الأمم . وهذه القوانين موجودة . وليس حكمها في يدنا، ومصالح الشعوب لا تتغير، الطبيعة والموقع الجغرافي والاخلاق هي التي نقررهما .

ومهما اختلفت سياسة البلاد الداخلية لا بد أن تبقى سياستها الخارجية على حكمها التقليدي لا يغير منها شيء الا اذا اقتضته ضرورة جديدة ، كأن تنشأ الرغبة في الاستعمار، فيقتضى ذلك انشاء الاساطيل . وهذا يوجب النظر فيما يجيد من العلاقات بينها وبين الدول البحرية، ومبلغ ما يكون لهذه العلاقات من الأثر . كما كانت الحال بين ألمانيا وإنجلترا حين قال غليوم . ان مستقبل ألمانيا فوق البحار ، وجد في انشاء المدرعات فأحدثت هذه الحالة الجديدة أثرها في الحرب الكبرى .

يجب ألا يبنى السياسى بشيء سوى النجاح وألا يثير حول نجاحه ضجة، لان انظار كل انظار في استنفاز أنانية الخصم . على أن النجاح لا يدوم الا اذا كان باتفاق الجانبين فيجب أن يتوارى السفير ليرضى الحكومة التي يعمل لديها وحكومته .

ليس هذا فقط ، بل عليه أيضاً أن يكون أملك لنفسه ولسانه من أى كان حتى لا يكشف شخصه عن مقائله

وأعجب ما يعجب له الجمهور اليوم . هو ما يراى من الائتلاف والتقرب بين السفراء . كأنهم يعيشون أصدقاء

المفاوضات

كان بيورك يقول « ان الحكم اعتداء » فليسفیر معلق بالوزير، والمفاوضة تفاهم واتفاق . والسياسة الدولية لا تعتمد على القمانون وصراوته، بل تنظر الى الوقائع والرأى العام، وتنحنى أمام الضرورة . وتخشى النتائج العاجلة والآجلة، وتجتمل خطأ لتجنب ضرراً، وهذا يبعد بالمفاوضة عن الاخذ بالصعوض . ومهما قيل عن القانون الدولى فإنه لا يزال بعيداً عن القوانين المدنية الداخلية، لئن أيدته المعاهدات

وهيئات التحكيم المتفق عليها . ومحكمة لاهاي، فليس له من قوة تكفل تنفيذه .
لذلك تلجأ الأمم إلى السيف وجهد السياسة اجتناب هذا الحكم .

من الاوهام الشائعة في الدوائر السياسية أنه لاحق للأمم سوى ما نصت عنه
معاهدة ، ولكن الشعوب أشخاص أدبية لها حياتها، قد تمحى دولة من خريطة
أوروبا ولكنها تبقى حية، مثال ذلك إيطاليا وبولونيا، فالسياسي الحقيقي من نظر
إلى ذلك وأفسح صدره رحباً في مفاوضاته ولقد رأينا بعض المفاوضين يسمو إلى
التفكير في مصلحة أوروبا عامة لا اعتقادهم أن سمادة دولية جزء من سمادة
المجموع الأوروبي . يغيبون اليوم ما كان معروفاً بسياسة التوازن، على أن جمعية
الأمم ليست سوى أداة لهذا التوازن، ليس السفير حكماً، ولكنه مضطراً إلى احترام
عواطف البلاد التي يفاوضها . ليحتمل مسؤولية ما يعقد من الاتفاقات

ولكن هذه الاتفاقات تذهب أحياناً بكثير أو قليل من الآمال فيحتم عن
ذلك غضب الشعب على المفاوضين . وقال لارشفوكول ، أن الذي يسيئنا من
المفاوضين هو إهمالهم مصلحة أصحابهم في سبيل مصالحة المفاوضة ذاتها التي تصبح
مصالحة المفاوضين أنفسهم بما يكسبوا من المجد بنجاحهم ، وإراى عندى أن
السياسي الحكيم ، هو الذي لا يلتفت كثيراً على تهليل الجمهور بل هو الذي يتذرع
بالصبر والحذر يعمل بذوقه السليم وعقله الحر

ليس القصد من رجل حرم الذوق السليم، على أن حرية العقل وإصالة الرأي
الزام ما يحتاج إليه السياسي يتبين بها مقاصد خصمه ومرايه ، ويسير على صوءها
إلى حقيقة ما يقصد إليه

القدرة على انتظار الغرض لا تقل عن هذه لزوماً. وقد تهب الرياح على غير
ما يشتهي، فلا بد من الف والدوران للدخول إلى الميناء بلا مبالاة بما يقوله من
لا خبرة لهم .

وأخيراً لا بد للمفاوضين من كتمان سره رعاية لرئيسه الوزير وللمقام من يفاوضه
لا تخرج المفاوضة عن حديث لا يجوز افشاءه لأن إفشاء ما يقع اثناءه من تردد وتقلب
وتراجع وعرض ورفض يقطع على المفاوض خط الرجعة، ويعرض المفاوضة للفشل

لقد كره الناس اليوم المفاوضات السرية تساعدهم الصحف على المطالبة بمعرفة تفاصيلها . وأصبحت الحكومات مقيدة . إلا أنها لا تجد مندوحة عن كتمانها . والحقيقة أن المفاوضات ترجع في البلاد الحرة الى برلماناتها . فلا تعقد معاهدة إلا بعد تصديقها عليها . فإذا كانت المفاوضات سرية فإنها متى أفرغت في قالب عهد واتفاق ذهبت سريتها . على أن طبائع الناس لا تزال كما هي منهم الدساسون الذين يتربصون بالمفاوضين الدوائر يكيدون لهم ويفشون ما يعادون عن أحاديثهم فيسيئون الى مصلحة البلاد التي يدعون خدمتها . فمن خبر خدمة وطنه في بلاد أجنبية علم أنه متى بطلت المفاوضات السرية بطلت المفاوضات جملة ، والحال في السياسة مثلها في الآلات الميكانيكية لا تقدر قوتها الدافعة بلا تقدير قوة المقاومة . قل بزمارك ، إذا أردت أن تشتري حصانا فإنك لا تعلن بين الملائم أغلى ثمن تدفعه وإذا أردت أن تبيع حصانك لا تعلن أقل ثمن تطلبه . فلا بد للسياسة من اتباع هذه الحكمة الاولى .

يتوهم البعض أن السفير متى قدم أوراق اعتماده صار في وسعه أن يبدأ البحث في جميع ما يهم حكومة بلاده . على أن أوراق الاعتماد ليست سوى تعارف ينزل به حق الكلام باسم حكومته . ولا يستطيع البت في شأن إلا أن خالص من رئيسه لذلك يذكرون في مقدمة كل اتفاق أن أوراق الاعتماد والتصريح فحجبت ووجدت صحيحة . على أنه قد يكون للسفير شخصية معينة على اكتساب الثقة ، كما حدث في حرب الولايات المتحدة واسبانيا . وكنت سفير فرنسا في واشنطن فعمدت الى اسبانيا بالنيابة عنها في عقد الصلح ، وكان لي الشرف أن وثق لرئيس الجمهورية الأمريكية المسترماك كفل بكلمتي . فأوقف رجلي الحرب قبل وصول التفويض الى من مدبريد بالتوقيع على الاتفاق ..

السفراء والسياسيون

ان رجال السياسة الذين يقضى عليهم صناعتهم كتمان ما يعملون محرومون بذلك وحده مما يخص به المؤرخون رجال الحرب من الاطراء . فكم خدمة صادقة وعمل نافع أدى أولئك لبلادهم . ولكن تلك الخدمات والأعمال بقيت سرا

مكتوماً لا يعرف الناس عنها كثيراً ولا قليلاً. وإذا مضى الزمن واهتدت يد مؤرخ
الى سجلات السياسة وأراد تدوينها، فاته الكثير من ظروف تلك الحوادث
ودقائقها ومقتضياتها فلا ينال السياسى من حقه سوى لمحات خفيفة ناقصة .
فلو أردنا اليوم ذكر أولئك العظماء بأعمالهم الخفية لاضطررنا الى سرد تاريخ
السياسة ومجملاته الضخمة على ما يعوزها من روح زمانها .

من السياسة فيما مضى من دآن يقف عزه على رأى يعتقده الصواب كلمات غير
الظروف . ولا يغير منه شيئاً، وقد يفلح بعض الفلاح ولكن الحوادث الجديدة
تكتسحه وتذهب بجهوده، ومنهم من كان حولاً قلباً يلبس لكل حال أبوسها
ولكنه لا يتزعزع عما وضعه نصب عينه من خطة مرسومة وأمل معقود. فهو مع
الثورة يخدم غاية معينة، وهو مع الامبراطور يخدم تلك الغاية، يتنقل من حزب
الى حزب دون أن يفرط فيما قصد له. يبنى . فاذا هدمت الحوادث ما بنى . يمد يد الى
الانقراض، ويعيد البناء وفق ظرفه على أن يكون واقعياً لغرضه

بفضل هؤلاء الذين لا يشيد التاريخ بذكرهم، أقيمت الممالك واستقرت ونهضت
الى أوج مجدها. هم لها إذا هبت العواصف من الخارج أو اضطراب موجهاً في الداخل قوة
وعدة للكفاح والحياة. ثم أسعد البلاد التي تنجب مثل هؤلاء المفكرين الخاضعين.

الهيئة السياسية

يقولون ان الحكومات اليوم لا تحتاج الى هيئة سياسية أى رجالاً اخصائين
قد ترمسوا بالشئون السياسية . وأن الديمقراطية . تكره هذا النوع من الانتخاب
الصناعى، لذلك يجب الاستغناء عن تلك المهنة . ولكن الحقيقة العملية تثبت
أنه إذا كان هذا الاستغناء ممكناً في عهد الملكية لسير حكومتها فى طريق محدود
على نوع ما . فإن ذلك لا يمكن فى عهد جمهورية ترمبها الحكومات مروراً لا يسمح
للوزراء بترسم سياسة ثابتة، وهذه الولايات المتحدة التي يفصلها عن العالم المحيطان
الاطلنطيقى والهادى، قد بدأت تشعر بالحاجة الى هيئة سياسية، فإذا كانت تجدد
تعيين سفرائها بعد كل انتخاب لرئيس الجمهورية، فقد جعلت من نظامها الثابت
الموظفين الثانويين ثابتين. وجرت العادة فى فرنسا أن يقضى الشاب المرشح للأعمال

السياسية زمنًا طويلاً . للمران في السفارات ، يقضى بعد ذلك امتحاناً يُنهض من اجتيازِهِ الى منصب أسمى بلا مراعاة لمقامه أو نسبه أو شهادته ، ولقد لاحظت « سانت بوف » ان كثيراً من شئون المجتمع والحياة والعالم الجديد ، يتعلمها الانسان من الهواء والجو والعلاقات اليومية ، فالاعتماد فيها على الامتحانات ليس له سوى طاهر من العدل . فلا بد أن يعرف العلم بمعرفة الحياة والتبصر بالأمور وادراك الحقائق الراهنة . لا بد من الفطنة والذكاء ، وهما ليسا مما يلقن في المدارس ، وقد عاب أحد المضطلعين بالشئون السياسية وطبائعها على الحكومات . حصر اختبارها في طبقة من الشعب . قائلاً ان أكثر هؤلاء السادة لا يصلحون الا لسفارة احتفالات ، لا للمفاوضات ، قد يصلحون للخطابة في حفلة ميلاد أو عرس أو تأبين ولكنهم لا طاقة لهم على الاعمال السياسية ومشاقها .

للحكومات الحق في أن تتخير من تشاء لخدمة أغراضها على أن يكون هذا الاختبار حراً بين الحذر والنقد

أما الذين يدعون الى الاستغناء عن الهيئات السياسية فانهم قابعون في منازلهم لا يطلون من نوافذها . إذا كانت الولايات المتحدة تستطيع ذلك فلأنها تعيش بعيداً عن جارات متاخمة ومنافسة ومزاحمة كما هي الحال في أوروبا .

وكفى أن نعلم أن بسمارك لم ين لحظة عن التقرب الى جيرانه والاتصال بهم يعرف دخائلهم فيستغل خيبرهم ويتقى شرهم . وكان هذا دأب نابليون . وان صح فيه القول انه كان يسمى لصداقة وشائفة جيرانه بالسيف . وهذه انجلترا بنظامها العجيب ، تحرص على مكتب السياسي الدائم . فيكل الدبل في حاجة شديدة الى سياسيين محنكين يقف كل منهم دولته على أخبار جيرانهم ودخائل أطماعها ومقدار استعدادها ولا عبرة بتغير أسماء هؤلاء السياسيين سواء كانوا سفراء أو مندوبين المهم أن تبقى المهمة ذاتها

القناصل

قال مونتسكيو في كتابه روح الشرائع « ان للاعمال التجارية علاقة ضرورية بالاعمال العامة . ولقد انتهى عصرنا الحاضر الى ادراك هذه الحقيقة وليس أدل

على ذلك من مشاكل البترول والكاشوك وغيرها مما له أثره في السياسة الدولية . لذلك صار من المتعين على الحكومات أن تختار قنصلها من بين رجال السياسة والاشغال العمومية

وقال تاليران في تحديد وظائف القنصل « إن مهمتهم تختلف الى ما لا حد له ، عليهم أن يكونوا مواطنيهم في دوائرهم قضائية ومحكمين ومعلمين ذات البين ومسجلين شرعيين ومراقبين صحيين وعلمهم بيان كل ما يتعلق بالتجارة والملاحة والصناعة في البلاد التي يعيشون فيها . وارشاد مواطنيهم من تجار وصناع الى موارد الربح الحقيقية ويدونون ما يجب من البيانات في مذكراتهم الخصوصيه . »

ولكن مهمة القنصل في بلاد الشرق قد تجاوزت حدودها الاصلية بما عقد بين الدول الاوربية وبين دول الشرق من الاتفاقات المعروفة بالامتيازات الاجنبية . وأول اتفاق من هذا القبيل هو الذي عقد بين فرنسا والاول ملك فرنسا والامبراطور سليمان في الاستانة سنة ١٥٣٥ بانقضاء الرعايا الفرنسيين من حكم « القاضي » ومن ثم سارت أوروبا على مثال فرنسا وأصبحت لها امتيازات خصوصية في جميع الامم الشرقية بحجة أن العدل في هذه الدول غير مضمون وأن التجارة غير مكفولة ولا ضامن لها .

وبقيت هذه الامتيازات نافذة المفعول الى أن ألقت اليابان غيرها ونهضت تركيا لتخلص منها . والحقيقة أن أعمال القنصل لم تكن دائماً خالصة لحماية العدل والامانة وكثيراً ما نشروا حمايتهم على من لا يستحقون الحماية .

لا يعطى القنصل اعتماداً لدى الحكومة المنتدب اليها . وانما يعطى خطاب تعارف ، فهمته في أصلها ليست سياسية ، ولكنهم في الشرق تحاول أن تكون كذلك حيث يتدخل القنصل في المنازعات الفردية التافهة ، ويتحمس لكل شكوة يرفعها اليه مواطنوه . لذلك كان بزمارك وتاليران وتيير يشددون على القنصل أن يجتنبوا كل مشكلة لا أساس لها بسياسة بلادهم .

الخطوات الرسمية

كانت العادة فيما مضى أن يحتفى بالسفراء احتفاء رسمياً لدى الممالك التي

يرسلون اليها . يحرص فيها السفير على مقام دولته وتظهر به الدولة الموفد اليها اكرامها لها. تجرى ذلك في حفلات غاية في الابهة والفخامة يجتمع فيها السفراء الاجانب وكبار الدولة في قصر الملك . وكثيراً كانت تحدث أثناءها منافسات بين السفراء، وأخطاء من كبار الدولة أو السفير القادم تقضى الى مشاكل. وهكذا كانت الحال عند انقضاء مهمة سفير واستبداله بآخر. حيث كان ملك الدولة يقدم الهدايا والاموال للسفير الراحل .

تبدل كل هذا، وان كان لا يزال أثره ظاهراً عند تقديم أوراق الاعتماد. حيث تتلى الخطب اعلاناً بالمودة والترحيب كما انهم اكتفوا عند توديع سفير أن يمنحه الملك نيشاناً أو يقلده وساماً . على أن الممالك لا تزال حتى الآن على تفاوت فيما يتعلق بهذه التقاليد .

لغة السياسة

استمرت اللغة اللاتينية حتى القرن السادس عشر بين الدول المسيحية لغة السياسة يتحدث بها في المؤتمرات وتكتب بها المعهود والاتفاقات . ومن ثم قامت بين الدول تلك الحدود الادبية التي فرقت بين ميولها القومية كما فرقت الحدود الجغرافية بين مواقعها . غير أن اللغة الفرنسية بفضل لويس الرابع عشر وفولتير. أصبحت لغة السياسة بين جميع الدول بحيث كانت بروسيا وروسيا وانجلترا تكتب وثائقها السياسية باللغة الفرنسية . ولكن الولايات المتحدة كانت على الدوام شديدة الحرص على لغتها فلم تكن تسمح بكتابة ميثاق دولي يتعلق بها الا باللغة الانجليزية، ولذلك كتبت معاهدة فرساي باللغتين الفرنسية والانجليزية .

الديمقراطية والحرب

لم يكن الألمان سنة ١٨٧١ قد جلوا عن سان دانيس وإن كان الحرب الاهلية كانت قائمة بين الفرنسيين، فقال جول سيمون : ان الحروب الاهلية والدينية هي التي يجد لها العتل مبرراً . والحقيقة أنك تجد الجندي أشد صلابه واستبسالاً عند ما يحاول أن يحقق حلماً . وقال مونتسكيو، قبل روسو، متى اجتمع الناس ذهب عنهم الخوف . وبدأت الحرب . فعلى الدول أن تعمل ما كان يقول

به امرسون لكل فرد « من لم يتغلب كل يوم على خوف فهو رجل لم يتعلم شيئاً من دروس الحياة » .

غير أن مما يغتبطله أن الانسانية بدأت تبغض الحروب الدولية . وما اتفاقات التحكيم ومحكمة لاهاى وعصبة الامم سوى أدلة على عاطفة عامة تجعل الحرب نادرة الوقوع . والفضل فى ذلك لرجل السياسة الذين أحدثوا هذا التغيير فى النفوس . لذلك ترى اليوم الحكومات تخاف المعاذير لتبرير ما تقدم عليه من حروب .

من الاوهام ما يعتقده البعض من أن الديمقراطية حامية السلام . ان لهذه شعورها وشرفها وما ورثته عن الارستقراطية من الاهتمام بمصالحها المادية وكفى بهذه أسباباً قد تدعوا الى الحرب . غير أن الحقيقة التى لامراء فيها أن الحرب ستكون نادرة لان اقتياد شعب كامل أبعد نوالاً من اقتياد حكومة . فلو كان حزب المحافظين على رأس الحكومة الانجليزية سنة ١٩١٤ لما تردد فى اعلان عزمه على خوض غمار الحرب وإربما حال اعلانها دون وقوعها . ولكن الشعب الانجلىزى عند ما علم اجتياح الالمانيين حياض بلجيكا لم يطق صبرا . فالنظم الديمقراطية عائق فى سبيل الحروب ومتى كانت الحرب بين الشعب لا بين الجيوش كانت أفضع وقعاً وأشد هولاً .

لقد خرجت السياسة الداخلية والسياسة الدولية من مكتب الوزراء . وأصبح لرجل الشارع بمافيه من أهواء وغرائز وأوهام كاملة فيها . وصار من اصعب الامور على السياسى أن يكبح جماحه فاذا كان للانسانية أمل فى تخفيف ويلات الحرب ان لم يكن منعها فلا ينتظر ذلك من الشعب بل يجب أن ينتظر من عصبة الامم

عصبة الأمم

قال فولتير « ان العالم قائم على متناقضات فماذا يجب لالغائها ؟ لو اجتمعت حكومات الجنس البشرى على مافى طبائع الناس لكان اتفاقهم تناقضاً جديداً » ان فكرة جمعية الامم ليست من مبتكرات ويلسون . فقد فكر فيها من قبل

سوللى وفنلون وسان بيير . ولسكنها لم تتجسم الأوس . ولقد شهدنا ميلاد عصبة الأمم وسمعنا صوتها . على انها لم تنج من سخر أعدائها .

ان عصبة الأمم تمثل الرأى العام وهى تقف به فى سبيل الخطورة والخطارين ولسكن أنصارها أشد خطراً عليها من أعدائها بما يقدمون من مشروعات خيالية توهم أنا سائرون الى حياة تجعل الأرض فردوس النسيم . حيث لا خصام ولا شقاق بين الأمم . يزعم هؤلاء أنه لم تبق حاجة الى السياسة لأن مندوبى الدول سيجمعون فى جنيف . وفهم أن من السخف ما يترددون من انتظام أعمال الحياة الدولية بقوة جمعية غير دائمة . اذا كانت جميع الأمم تستطيع تسوية المعضلات الكبرى فمن الطائعى أنها لا تستطيع أن تفض جميع الاختلافات التى تشجر كل يوم بين الأمم . ولا سبيل لتسويتها بدون واسطة السفراء ورجال السياسة وكان هؤلاء الواهين يحسبون أن المسائل تفض فى جلسات البرلمان . ويجهلون أن جلها ان لم يكن كلها يعد فى أروقة ودهليز البرلمان . لا بأس أن لا يكون للسياسيين مكانا فى عصبة الأمم ولكن الحاجة اليهم لازمة لمناقشة المصالح القومية واتخاذ التدابير لحمايتها .

ويذهب البعض الى ان تصور الشعوب قد أهملت مصالحها واستغنت عن المحالفات اعتمادا على عصبة الأمم التى تعتبر جميع الدول المستقلة فى منزلة واحدة فلا حاجة بهم الى الاتحاد لمقوية ضعفهم . وهذا هوس لا يخفى ومن عقول أصحابه . هب أن الولايات المتحدة انضمت الى جمعية الأمم . أيعقل أن تكون منزلة مثلها كمنزلة مندوب احدى جمهوريات أمريكا الجنوبية ؟ ألا يجتذب العظيم من الاتباع والمؤيدين مالا يجتذب الصغير ؟

كان الشائع فى ألمانيا قبل حرب سنة ١٩١٤ أن لا معنى لبقاء دول صغيرة وأن الواجب إدماجها فى الدول الكبرى . وكانت فرنسا تعارض هذه النظرية . جاءت عصبة الأمم ، ولا يمكن أن تخلو من أحزاب ، فقررت بقاء الدول كبيرها وصغيرها وأباححت التحالف بما نصت عليه من أنه لا بأس أن يعقد بعضها مع بعض اتفاقيات وعهود يكون الغرض منها حفظ التوازن .

ويقول البعض اعتراضاً على هذه الملاحظات أن الحال في أوروبا لن تبقى على ما هي عليه وأن ستنتهى تحت رعاية عصبة الأمم إلى الانضمام والاتحاد تحت علم واحد، وتدعى الولايات المتحدة الأوروبية . ومتى تم لها ذلك استغنت عن المحالفات . ومن تأمل عبارة «الولايات المتحدة الأوروبية» علم أن أمريكا والصين واليابان وانجلترا تبقى خارجة عنها ومتى اصطدمت بمصالح هذه الولايات الأوروبية بمصالح غيرها وقعت الحرب لا بين دولة ودولة بل بين قارة وقارة . وهناك الفرع الأكبر وهما أسباب الخلاف ظاهرة من الآن يشهد بها توتر العلاقات بين أمريكا واليابان بسبب منافسة البéal . على أنا لو فرضنا امكان تحقيق فكرة الولايات المتحدة الأوروبية أيمنع اتحادها الحرب بينها وقد علمنا التاريخ القديم ما كان من الحروب بين الولايات اليونانية رغم اجتماع مندوبيها في مجلس الانفاكتيون الذي لا يختلف في شيء عن مجلس عصبة الأمم . والتاريخ الحديث يعلمنا ما حدث في الولايات المتحدة الأمريكية وفي سويسرا . حيث كادت الحروب الداخلية تمزقها .

وإذا حاولت عصبة الأمم السيطرة المطلقة على الدول أضاعت استقلال هذه الدول . ولا يمكن أن تصل إلى ذلك . وكذلك لن نجد سبيلاً للتسوية بين الممالك العظمى والصغيرة . وكفى عصبة الأمم اضياعاً للسلام العامي أن تعنى بالحافظة على المعاهدات واحترام الاتفاقات الدولية والوقوف بكل دولة عند حدودها المقررة . إن عصبة الأمم لا تعتمد على قوة السلاح بل على قوة الرأي العام . فهي في حاجة إلى تمضييد جميع الأمم . فكل ما ترجو أن يقف الرأي العام على حقائق الأمور وأن يكون عوناً لعصبة الأمم على صيانة السلام أو على الأقل لتفسيح للشعوب النائرة مجال التفكير والعودة إلى الصواب .

سياسة الغد

علمنا مما تقدم أن مهمة السيانسي الدولي ستكون في المستقبل غيرها في الماضي . فقد تغيرت العلاقات بين السفراء والوزراء عما كانت عليه . كانت العادة فيما مضى أن يعطى السفير تعليمات مكتوبة تتضمن الحالة العامة في أوروبا ويخلص

سياسة حكومته والاغراض التي ترمى اليها ولم يكن في وسع السفير أن يجيد عنها في زمن لم تكن المواصلات بينه وبين رئيسه ميسورة . لذلك كان يضطر عند مفاجأة الحوادث أن يبذل مافي مقدوره من قوة ودهاء .

ولكن التليفون والتلغراف قد يسرا المواصلات وسهلا المخاطرة بين الوزير والسفير وبدأت رغبة الوزير في العمل بنفسه مباشرة ولكن هذه الطريقة لا تخلو من خطر في الحوادث المستعجلة ، إن الغرض من وجود وسطاء لا يستطيعون الفصل في الامور بأنفسهم بين الحكومات هو اكتساب الوقت لاحكام الروية والامعان في التفكير . على أنه مهما تكن رغبة الوزير في تناول الاعمال الدولية بنفسه لا يستطيع النظر في جميعها وعليه لا بد له من رقيب هنالك ينقل اليه دقائق وتفصيلات الحوادث . لذلك نحسب أن مهمة السياسي الدولي لم تنته . غير أنه مطالب اليوم أن يعنى بالحالة الماضية وما تنطوي عليه من أغراض .

وليس معنى هذا الغاء سياسته قديمة وإيجاد سياسة جديدة . أن جوهر السياسة باق وانما يتغير منها الظاهر . وسيكون الكلمات الفضلاء من السفراء أثرها في الحوادث . قال تيير . لا توجد مسائل خطيرة ومسائل غير خطيرة . لا يوجد سرى مسائل . إن التاجر الصغير يحتاج في تجارتها الى ما يحتاج اليه المفاوض من الدقة والمعرفة . وقال لورد جرين أن حرب سنة ١٩١٤ أحدثت هوة سحيقة بين عهدين للسياسة الدولية . إن الذين عاشوا وعملوا قبل سنة ١٩١٤ يجدون اليوم أنفسهم أمام حوادث وشؤون جديدة يلتبس عليهم فهمها . لقد انتقل جانب من ادارة الاعمال الى الشباب وستنقل اليهم كلها وهؤلاء اقدر منا على فهمها . لا يجب ان نعتقد انا لما نعرف من شئون الماضي احد منهم نلجأ الى المستقبل . وكل ما نستطيع عمله هو ان تقدم اليهم خبرتنا وآراءنا لعلمهم يفيدون منها شيئاً .

ان الذي يتقدم بالانسانية اليوم هو روح الديمقراطية لا تدابير السياسيين وخطبهم فعلها ان تعرف الى اين تسير .

لقد أدت الهيئات السياسية للانسانية اجل الخدم . أما النظم التي أسست في جنيف ولاهاي فمن شأنها أن تجعلنا على تمجيد ذكرى الذين دعوا وأقاموا أسسها

أسماء

قصة واقعية منتزعة من الحياة الاجتماعية

في منتصف الساعة الثامنة كل صباح سوى أئيم الجمعة يرى أصحاب الحوנית وغلمان القهاوى في شارع فتاة متقنة الهندام وشيقة القوام. تسير رزينة بخطى مبتدئة في هنة جدية. تحمل بضع كراريس وكتاباً كأنها تقصد الى مدرسة الا أنها فيما يرى الناظر قد تجاوزت سن الطالبة . وكان يرى جميع هؤلاء مضافاً اليهم تلك الفتاة ، شاباً متأنقاً يحمل كتاباً لا أظن القارىء يعنى بما فيه ولا أظن حامله كان يعنى به لان نظره لم يكن منصرفاً الا الى تلك الفتاة .

تكرر هذا اللقاء الصامت الذى يلوح كأنه عن ميعاد مضروب؛ فالتفتت اليه الانظار؛ وكان طبيعياً أن تشتبك أنظار المتلاقين. وما أبوا أن ينال بعد ذلك ستمجالاً للحوادث واقتصاداً في روايتها .

نظرة فابتسامة فسلام ، فكلام فوعد فلقاء .

ولكنى أرجو الى القارى أن يسمح فأقف به قليلاً في منتصف الطريق . جاءت النظرة عفواً والابتسامة سماحة والسلام كرمًا أو أدباً لا بأس به. أما الكلام فلا بد للوصول اليه من تفكير وعزم وإقدام . لذلك وقف الفتى أمام هذه المحطة من مرحلة غرامه ، موقف الحائر . أيستوقفها في الطريق فيحادثها . لا . هذا لا يابق بأدابه عدا خوفه من أنظار الناس . وهي ! من يدري كيف تقابل هذه الجرأة . لا . لا . أيرسل اليها من يعرض عليها الامر . من وكيف ؟ أيتعقبها في السير أو يرصد عودتها فيعرف منزلها . أخذ يعذب نفسه بهذه الوسوس الى أن انتهى الى العزم أن يكتب اليها وأن يتبعها الى حيث تخف الانظار عن مراقبته فيعطىها الرسالة . وعلى هذا العزم كتب فعلاً يقسم لها بشرفه وإيانه أنه يحبها وأنه باسم هذا الحب يرجو اليها أن تقابله ولو بضع دقائق . وأنه سيكون صباح يوم الجمعة في حديقة الاسماك في انتظار سعادته أو القضاء عليها . الامضاء رشيد لم يكن من السهل على صاحبتنا أسماء (ان لم تكن تعلم أنها تدعى أسماء

فليكن في علمك ذلك .) أن تلبى رجاء رشيد أو تثق بما جاء في رسالته التي لم تشعر إلا وهي ملقاة بين دفاترها وكتابتها . فلم تجسر على الالتفات الى من ألقاها كأنها خشيت أنظار الرقباء أو كأنها كانت تعلم ملقها على أنها لو التفتت لما رأت أحداً لأن الذي ألقاها كان أسرع الى الانزواء من أن تأخذه الانظار . هل تذهب الى الحديقة ؟ ولماذا لا تذهب ؟ ولماذا لا تقابل رشيد ؟ أليست بحكم صناعتها (وأرجو الى القارىء أن يعلم أنها مدرسة) تحدث الرجال ؟ أليس لها من علمها الادبي ما يدعوها الى الثقة بنفسها . ولكن من يدري كيف ينظر رشيد الى سرعة تلبيتها رجاءه . أليظنها طواعة تلبى كل نداء أو يقدر أنها لم تخرج في ذلك عن حدود الآداب واللياقة .

قضت ليلتها مترددة بين الحياء الملائم للعادات والتقاليد . أو اطاعة الحب ملازم الحياة الجديدة الذي فتحت النهضة الجديدة السبيل أمامه .

ملاح صباح يوم الجمعة حتى نهض صاحبنا رشيد . وحاق لحيته وهذب شاربه وارتدى أجمل مالدیه من ثياب وتأبط عصا وكتاباً وانطلق الى حديقة الاسماك وكأنه النحلة تسرع الى الزهرة اليانعة . أسرع فطاف جوانبها وتفقد أقبيتها لما لم يجد أحداً أخذ يخطو الهويناء يستروح النسيم ويقف أمام كل مقصورة ليتأمل ما فيها من السمك وكلها جميل في نظره ؛ كلها رشيقة كلها محبوب . مضت الساعة التاسعة . فأعاد الكرة متجولاً باحثاً متطالعاً الى كل داخل . رابه غيابها ولاح امامه شبح الشك ولكنه بقي يدافع ما يتسرب الى نفسه وما يلوح أمامه بقوة ايمانه بالحب . انتصفت الساعة العاشرة فتجسم الشك ولكنه بدل ان ييأس لم يدخل الحديقة وشخصت عيناه الى الداخلين . وفي هذا الوقت المتوطن على الجود كان فكره في شغل شاغل : هل سخرت من رسالتي ؟ لا ؛ إن صفاء وجهها وصدق نظراتها ادعى الى الرجاء . انها آتية . آتية ؛ لا محالة لتأت ولتقل ماتشاء ..

دقت الساعة العاشرة واحس رشيد بخفوق قواده خفوقاً شديداً بشره الحظ والامل بأن اورد على ذكرته قول الشاعر .

ما للقلب الا داره دقت له فيها البشائر

ما هي الا نظر يتداوله حتى هتفت اجزاء نفسه كل يبشر الآخر هاهي !
 هاهي ! جاءت أسماء وجاءت وحدها . كنسمة السحر او نجمة الفجر وطلعة الصباح
 فذب الامل المرجو . جاءت في أبهى مايزدان به الفتاة ، وجه كله طلاقة ووسامة
 وجسم كله رقة ورشاقة ونفس كلها وقار وثقة .

أسرع رشيد اليها في شيء كثير من الورع كأنه مؤمن يتقدم للعبادة . مد
 اليها يده باسم متواضعاً ولسكنها تقدمته . سارت وهو يتبعها الى قمة تلك الربوة
 العالية ثم استوت هناك على مقعد كلها الآلهة . دنا منها يقدم اليها قلبه قرباناً ، جرى
 بينهما حديث العاشقين الذي يعرفه ويعرف مافيه من طرب وسرور ولذة ، كل
 من حادث حبيباً ، غير أن حديث صاحبينا امتاز عن سواه بأثره في نفسيهما
 ذلك انه لم يثر فيهما تلك الشهوة الجنسية المتفكرة وراء كلمات الحب الخيالي
 او ما يدعونه الهوى العذري . بل كان اثره الاحترام ونوع من التقديس لا تدري ما
 سببه حتى كأنهما جاءا للاتفاق على التنسك والعبادة لا لحياة الحب وشهواته . انلك
 السكتب التي كانا يحملانها او صناعة التعليم وما تقتضيه من التزام الجد والحشمة
 أم هو شيء آخر ، لذلك كان اقصى مافاه به رشيد قوله « ثقي أنى أمامك عابد
 فاسمحي لى أن أدعوك . معبودتى »

تكررت المقابلة وتكرر اليقين . وتقدمت الدعوة الى الحياة المشتركة وما
 ينتظران من سعادة كأنهما وجدوا في ذلك الحب القدسي لذة تستحق ان تقضى
 فيها الحياة . ادركت الوالدتان على ابنيهما هذا التغير وعرفتيا سببه ، فلم تمض ايام حتى
 صحب رشيد والدته لزيارة اسماء في منزلها

علمت والدته رشيد ان والد اسماء يدعى الحاج حسنين وانه من تجار طنطا
 وكان يزور القاهرة مرة او اثنتين كل اسبوع ، وعلمت والدته اسماء ان والد رشيد
 تاجر في الحزاوى . سرت الوالدتان لهذا التعارف وارتاحت كل منهما لعروس
 ولدها . واتفقتا على بمحادثة زوجيهما في موضوع الزواج .

ما رأت أم رشيد زوجها حتى أبلغته الخبر قائلة : لقد زرتيها وحادثتها وهي
 فتاة جميلة مهيبة « بنت حلال » عاقلة . ولم تخف عليه ما بين ابنيها والفتاة

من الحب . وبالطبع كل ما عرفته عن أسماء ووالدتها ووالدها ومنزلها . وبينما كانت تتوقع في ختام حديثها كلمة الرضى من زوجها رأتها قد تقطب جبينه وأعلن عدم رضاه عن ذلك الزواج في غلظة وعنف .

حارت الزوجة وأرادت معرفة السبب فلم تظفر من زوجها بغير قوله . لا . لا يمكن . لم يحن وقت زواج ابنك بعد . سأبحث له عن زوجة غنية . أملت الزوجة في اقناعه وألح في الرفض فلم تر خيراً من الانتظار .

ومن الغريب أو مما لا غراب فيه ، أن لقيت أم أسماء من زوجها هذا الاعراض والنفور ، وكان الجواب واحداً . أريد لا بنتنا زوجاً غنياً ، وفهمت الزوجتان أن سبب النفور هو حب زوجيهما للمال وخوفه من نفقات العرس فكانت هذه تقول سأعطى ابنتى جميع حلاى . وتقول تلك سأبيع فدائين أزواج بهما ابنى وأفرح به . ولكن هذه التصريحات أو التسميمات لم تصل بهما الى الغاية . اشتمل المنزلان على القلق وأدرك العاشقان حقيقة الحال فلم يطيقا صبراً . ازدادت أواصر اللفة بينهما ارتباطاً واشتدت رغبتهما فى ان يسكنوا مع بعض فعهداً الى التفكير في طريقة يحتملان بها سعادتهما وأحست الودتان بذلك فما هى الا أيام حتى دار بين والدة رشيد وزوجها الحديث الآتى .

أم رشيد — ان نتيجة اصرارك على منع ابنى من حبيبته أنه سيترزوج بها بعيداً عنها .

الزوج — لا يمكن .

أم رشيد — بل ممكن جداً وأحسبه قريباً جداً .

سخر منها الزوج وقال متهمكاً . قريب جداً ! قلت لا يمكن . وكفى .

أم رشيد — وأنا أقول لك . انى لأستطيع حرمان نفسى من الفرح بابنى

وها أنا ذاهبة لحضور عقد كتابه .

نظر اليها الزوج غاضباً — تحضرين عقد كتابه . أبلغ الامر الى هذا الحد؟

أم رشيد — وانتهى الامر فقد أبلغنى رشيد أنه استأجر شقة من منزل

وفرشها واتفق مع الفتاة ووالديها . ودعا المأذون الشرعى وسيعقد عليها الليلة .

انتفض الزوج — هذا غير صحيح . أعرف أن والدها لم يقبل هذا الزواج

أم رشيد — ماذا يهم رضى أولم يرض . كفى أن العروسين راضيان .
 الزوج — الليلة . بدون علمي وبدون حضوري . قلت هذا لا يكون . هذا
 لا يكون . حذار . حذار أن يقع ذلك .

كان في صوت الزوج هزة خوف عميقة . فكان رنينه في أذنيها رنين توسل
 إلا أنها هزت كتفيها وقالت ساخرة — اذا كنت تريد ألا يقع هذا فهيا معي
 نحضر عقد الكتاب . أوكد لك أنك ستسر برؤية العروسين . وتفرح وتدعو
 لهما بالزواج السعيد . ما أجملها وما أوفر أدبها . انتظرنى حتى ألبس ونذهب معاً .
 ثم انشلت أم رشيد الى غرفة هندامها . وبقي الزوج جامداً لا يتردد في خاطره
 سوى شيء واحد . لا يمكن . لا يمكن . عادت أم رشيد وقد لبست ثياب الزيارة
 وتجهّأت للذهاب . رأت زوجها جامداً في مكانه فقالت مازحة « شاورت عقلك »
 « الله يهديك » هيا بنا .

قال الزوج؛ وكأنه لم يسمع كلمات زوجته — وهل يعقدون الكتاب إذا لم تذهبي؟
 أم رشيد — لقد انقلب رشيد فما هو ذلك الابن البطائح اللطيف الهادى
 لقد جاءنى في هيئة المتعنت المستبد . وقل بعنف لم أعرفه فيه . اسمى يا والدتى .
 لقد انتهت الامر سأعقد كتابي على الآسنة أسماء الليلة . فإذا حضرت كان سرورى
 عظيماً . حاولت بعد أن عرفت منزله الجديد أن أكلمه أو أمسك به ولكنّه أفلت
 من يدي وطار كالصقور قائلاً . الليلة الساعة الثامنة ستكون أسماء زوجتى .
 تملل الرجل بمن يحس المأدب جلياً يحاول ألا يبدو على وجهه ثم غالب نفسه وقال .
 ابقى أنت وسأذهب أنا .

أم رشيد — إنه ليس ابنك وحدك . انى ذاهبة لا محالة .

الزوج — ابقى . ابقى أنت .

عصيت أم رشيد وأبت سماع كلمات زوجها فانطلقت مسرعة ولم يسمع الحاج
 حسنين سوى الجرى وراءها . وهو يردد في نفسه . لا يمكن . لا يمكن . لقد اتفقت
 معه والدته اللعينة . هذا انتقام مؤلم .

مادت الساعة الثامنة من مساء يوم الجمعة حتى كانت أسماء ووالدتها

ورشيد في المنزل الجديد . والى جانب رشيد اثنان من خير أصدقائه . وقد حضر
 المأذون وقدمت القهوة وتبلاها شراب الورد وفتح الشيخ دفتري .
 في هذه اللحظة دخلت السيدة أم رشيد مسرعة . وهي تقول . رشيد . رشيد
 انتظر . لقد رضى والدك وجاء معي . فهتفت أسماء بصوت خافت . آه ليت والدي
 أيضاً يحضر معه .

انتفض رشيد سروراً وأسرع الى والدته يقبلها في غيروي — والدتي .
 والدتي ..! أين أبي ! أين أبي !

ماظهر الحاج حسنين عند مدخل الغرفة حتى أسرع اليه رشيد وأسماء وكلاهما
 يصيح . والدي ! والدي !

بهتت السيدتان ونظرت كل منهما الى الاخرى نظرة استغراب واستفهام
 بمازجهما شيء غير قابل من نظرة الضرة الى الضرة ثم حولتا أنظارهما الى
 الحاج حسنين .

ولما هدأت سورة المفاجأة قالت أم رشيد لزوجها . هل أنت والد أسماء ؟
 وقالت ضرتها . هل أنت والد رشيد ؟

.. لا أريد أن أثقل على نفس القاريء في هذا الموقف بالافاضة في بيان
 ما كان يجول بنفس ذلك الزوج الذي عاش بين الضرتين يكذب على كل منهما
 بأنه يعيش لها وحدها . وقد رأى نتيجة ذلك السكتان التي كادت توقعه في نكبة
 لا تشرف والدأ .

ان نظرة واحدة الى ذلك الرجل تكفي لتعرف ثورة نفسه التي رقرقت
 الدمع في عينه ثم أجرت منها دمة لا تدرى أدمعة الندم والاضطراب ؟ أم دمة
 الألم والحزى .

أسرع رشيد الى أخته أسماء واجماً يتردد الفزع في نفسه من هول ما كان
 . مقدما عليه . ضم أخته الى صدره وهو يقول . ستيقين يا أسماء معيودة أخيك .
 فأجابته أسماء في الجملة الموتر الحائق . على أن تقسم لي بشرقك إلا تخون زوجتك
 بمثل هذا النفاق .

البعد الرابع

THE FOURTH DIMENSION

أُرقب فيك (الله) والنعمة الكبرى
 وهل منك أستوحى الملاحه و (الشعرا) ؟
 لن كان ما حجبت كوناً مصرداً (١)
 من الناس أجساماً ، فهل تخذل الفكر ؟
 ون كان لا يدريك قوم حياتهم
 ممات فهل وافاك من قاتم حرا ؟
 أليس لأرباب (الفنون) ألوهة
 وفي كونك المستور تستودع السرا ؟
 وما كنت مخشى العرام (٢) كالم
 نعيش به طحناً ونتركه ذعراً
 وهوب (٣) لمن ناجاك ، بالوحى مسعداً
 فليس الذى ناجاك من يشتكي الفقرا
 إذا اندمج الفنان فيك تمثلت
 له نعمة (الدنيا) كما بانث (الأخرى)
 فيسمع أنعاماً ويبصر جنة
 وحسناً وسحراً لم يكن أبداً سحراً
 وما الموت الا نقلة لآنهاية
 ومبدأ عمر فيك قد دام واقترا
 شعاع وأمواج يقصر حبنا
 بعالمنا عن أن يشق لها سنا
 إلى أن نعلی (للسبرمان) بالحجى
 فتعشق أرواح لنا فيك مستذرى

(١) . مصرداً : مجنوعاً مقطوعاً ، (٢) العرام : الغرسة والاذى : (٣) وهوب : كشيء الهبة

وايست تناصي (١) الشمس بل قد تفوتها
 دوامج (٢) تغزو الكون أجمعه طر
 مصاليت (٣) أبطال نجوب بلا وفي
 يكون سلام لانعام به ضر
 لنا غزوات (للمادة) دائما
 كما قد عرفنا البعث والخالد الدهرا !

*

* *

وقلت لمن قد عير (الشعر) حاسبا
 به الوهم مسطورا وغفلتسا الكبرى !
 « وهمت فليس الشعر في صدق روحه
 سوى صلة بالكون لاهبة صغرى
 وكل . خيال فيه حس محقق
 لدى الشاعر الفنان يبذله نشر
 يترجمه لكن يفوت أجله
 فما لغة الدنيا سوى لغة الاسرى
 وما اتسعت للوصف عن غير ما بها
 وللشرح عما قد سما نيرا قدرا
 وما الشعر الا مجمع الفن كله
 فكان لسان الخلد لا الناشر الكفرا
 فن شئت عش عيش الجسوم مضللا
 أسيرا ، تظن الاسر للمادة الخيرا
 ولا قلق تثريرا على الشعرا بينا

يقود نفوسا في ظلام الاسى حيرى ! »

أبوشادى

الاسكندرية في ١٤ مايو سنة ١٩٢٨

(١) تناصى الشمس : تبلى ناصيتها أى مستوى رفعتها (٢) دوامج : متظفلة من دمج
 بمعنى دخل في الشيء واستحكم فيه (٣) مصاليت : جمع مصالات وهو الجاد الماضى في أموره

تأملات في الأدب والحياة

يحاول أحد أساتذة الجامعة المصرية وهو أستاذ اللغة العربية والآداب . أن يقول ، بل هو يعتقد بأن القرآن ليس بكتاب منزل ، وأنه من وضع محمد بن عبد الله بز به العرب بلاغة تعبير وقوة بيان وحسن سبك وفصاحة أسلوب ، فغلبت عليهم فكرة أنه معجز وصحت لديهم من هذه الطريق نبوته ، فكان واضح الدين الاسلامي الذي لا يكمل الاسلام من غير أنه يذكر اسمه بجانب اسم الله فيقول المسلم أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

يعتقد الشيخ طه حسين هذا الاعتقاد ويحاول أن يبلغ الى بث فكرته بمحاولات عديدة منها محاضراته التي يلقيها في القرآن يورى فيها تورية ، ومنها أحاديثه الخاصة يبوح فيها بما يعتقد . غير أنه لا يجراً على أنه يجهر برأيه هذا بين الناس ويذيعه على رؤوس الاشهاد ، فيدور في محاضراته تلك الدورات الغريبة ويلف تلك اللغات البعيدة التي لا تنتهي الى غاية ولا تصل الى قصد معين . ولست أدري لماذا لا يجاهر الاستاذ برأيه ؟ أظن أن السبب في هذا قلة إيمانه بصحة ما يرى وضعف عقيدته بصلاحية النظرية التي يعتقد بها . والا لكان من الواجب عليه أن يذيع رأيه بشجاعة ويدافع عنه بصلاية ، اذا كان تام الاعتقاد بصحته .

تقوم في ناحية أخرى فكرة مشابهة لفكرة الاستاذ هي فكرة الشيخ علي عبد الرازق في أصول الحكم في الاسلام . هو في الواقع يريد أن يقول ان حكومة الاسلام لم تقم على قواعد اجتماعية صحيحة وانها كانت حكومة مستبدة اجتمعت فيها السلطة الدينية والزمانية في شخص واحد . وان هذه القاعدة لا يصح أن تكون أساساً لقيام حكومة فيها من النظام الديمقراطي قسطاً يضمن صلاحية الحكم وقيام العدل بين الناس

يريد هذا فيلف ذلك اللف البعيد . ويدخل بنا في مناقشات شبيهة بالمناقشات التي دارت في مجمع افسوس وخلفيدنية ونيقية ويقذف بنا في بحث مسألة الحكم

في الاسلام من ناحية التوكيل الالهي لشخص محمد عليه السلام . ولماذا لا يقول بأن أصول الحكم في الاسلام بائر وأن القاعدة الديمقراطية أصح منها ؟ السبب في هذا أن اثشجاعة في ابداء الرأي تنقصه والايمان بصحة نظريته ناقص غير كامل

قال الاستاذ يكر بعد بحث طويل في مدلول لفظة « الاسلام » ما يلي :
« وقد تستعمل لفظة « الاسلام » في النهاية لتدل على ذلك النظام العمراني الذي يجمع في تضاعيفه بين الحكومة والدين . لان قيام مدنية ما ؛ على الرغم من كل اختلافات الموضوعية ؛ وعلى الرغم من قيام تلك الاختلافات في كثير من عصورها المتفرقة ، إنما يدل ظاهراً على أن فيها كثيراً من صفات التماسك والبقاء . انما انما نبحت في حقيقة التبعية للدين ، فنجد أن حكومة الاسلام ومدنيته عبارة عن وحدة تامة شاملة كاملة الأوصاف ، حتى أن أكثر الناس قد يضمون أمماً بلغت الفروق بين بعضها وبعض ، مبلغ الفروق الكائنة بين الآريين والساميين والزنوج تحت ذلك الاسم الجامع — « الاسلام »

هذه هي الحقيقة . الحقيقة أن الاسلام كان ديناً وحكومة وأمة عظمى . والحقيقة أيضاً أن هذد الحكومة كانت من أسباب الضعف الاولى في الاسلام وفي مدنية الاسلام . ولماذا لا تقول بانك تفضل الحكومة الديمقراطية على هذه الحكومة ، ولا تلف اللف البعيد ، وتقيم من النظريات ما يقذف بنا في ذلك التيه الجدلي لذي لا نصل فيه الى نهاية ؟

* * *

الخطأ الاكبر الذي وقعت فيه الاديان قولها بان الله منفصل عن المادة وانه ذات متخيزة منفصلة عن الماديات تدير الاكوان والعناصر المادية بقوة ترسلها على الموجودات كما ترسل الكهرباء تياراتها على اللواح القابلة من التلغراف اللاسلكي . وكان هذا الخطأ سبباً في أن يعجز أهل الدين عن مجازاة أهل العلم في تفسير المادة ، ومن في يعجز أهل العلم عن ادراك الله في تفسير النصوص المنزل . وكانت أكبر المشكلات التي وقع فيها أهل الاديان البحث في قدم المادة

قالوا بأن الله قديم يخالف للحوادث . آمنا بذلك وصدقنا . ولكن كيف تذكر على المادة قدمها . والعقل لا يسلم بخلق شيء من لا شيء أو فناء شيء الى لا شيء ؟ وكيف نوفق بين حدوث المادة وقدم الله ، اذا اعتقدنا بأن الله علة كاملة وأن العلة الكاملة لا يتخلف عنها معلولها بحال من الاحوال ؟

وعندى أن المتصوفين والباطنيين أصحاب القول بوحدة الوجود قد حلوا أكبر اشكال صادفه العقل البشري خلال كل العصور . قالوا بأن الله هو المادة والمادة هي الله . أى أن في المادة مبدأ مديراً هو الله . وان عنصر النظام الذى تعثر عليه فى نواح المادة هو الله . وأن القدم للمادة لا يترتب عايه الاعتقاد بحدوث الله . ولا قدم الله يترتب عليه حدوث المادة

المادة فى الله والله فى المادة . هذا هو المبدأ الذى يخيل لى أنه صحيح . والذى يحل مشكلات أهل الدين وأهل العلم فى هذه المسألة الكبرى بل يكون معه الدليل على وجود الله ملموساً محسوساً لا يحتاج الى تلك الجدليات العقيمة التى لا تنتهى الى غاية ولا تنف عند نهاية . جدليات أقل ما كان فيها من الضرر انها أبعدت الانسانية عن الله ، وأبعدت الله عن الانسانية ، بقدر ما كان فيها من التصيب لفكرة القدم وتخالفه الحوادث .

* *

دارت حول البهائية معركة حامية على صفحات «العصور» . وعلى الرغم من أن المعركة قد دارت حول تاريخ البهائية ونشأتها وبعض منازع يظهر بها أنصار هذا المذهب الجديد أو الدين الجديد أو الخرافة الجديدة أو ماشئت من الاسماء ، فإن المناقشة قد أخذت تتطور من بحث تاريخى الى بحث فى اصل العقيدة البهائية ، وفى نشأتها وفى أنها دين . منزل وفى أن الله حل فى عبد البهاء وفى عباس افندى من بعده . وانه يحل الآن فى شوقى افندى خليفة لهما الاخير ، كأن الله لا شغل له عند البهائيين الا أن يتقمص تلك الاجسام البشرية التى لا تخرج عن أيها ماء وطن ، وان هذا المزيج سوى ذواتاً ندعوها البشر .

ولا جرم أن هذا الدين أجراً الاديان على الافتراء . فى الازمان القديمة

يختار الله بعض الشعوب دون بعض ، ويميز بعضها على بعض برسالاته ، وخصها بعطفه . أما اليوم وعن طريق البهائية فانه يختار النوع البشرى برمته . فكان اختياره لليهود في الازمان السالفة كان عبثاً تريد البهائية اليوم تقويمه

ولا يضرنا اليوم أن يضاف الى الاديان التي تنشر بين سلالات البشر ديناً جديداً ، ولا يضير الانسانية أن تزيد الخرافات الذائعة بينها خرافة جديدة ولكن الذي يضرنا ويضير كل الآخذين بمبادئ الطريقة العقلية الحديثه أن يقف نفر من الناس ينادون بالشعوب هاهنا الى الخلاص الاخرى من طريق البهائية فانها آخر ما أوحى به للناس . كأن الناس لم يكفهم أن ينال منهم الوحي ذلك المنال القاسى خلال كل العصور الغابرة ، فأخذوا اليوم بمحيطهم من الخيال خرافة جديدة يسمونها البهائية

ولعمرك لئن كان الدين عبارة عن قوة مما فوق العقل ولا علاقة له بشيء مما في طبيعة الانسان سوى مشاعره وعواطفه وانفعالاته ، فكيف بالبهائية تكون ديناً وهي تناول بابحاثها الاقتصادية والعمرانيات ومشاكل الاجتماع الانساني ، بل ولا تتأخر عن أن توحى اليك بما تفعل في بناء القناطر والجسور ؟

لا شك في أن هذا الدين نسيج وحده في تاريخ الانسانية

يحاول فلاسفة الهند أن يخرجوا الانسان من الطبيعة بان يجردوا الروح من اغلال الجسم . فاذا اعتبرنا الروح قوة تمثل في الاجسام الحية كان لامندوحة لنا عن الاعتقاد بأنهم انما يحاولون في الحقيقة أن يقللوا جهد المستطاع من تأثير الجسم في الروح ، لا أن يجردوا الروح من الجسم تجريداً تاماً

الروح والجسم ، وما تقصد بالروح الاسر الحياة المودع في الاجسام الحية ، مثلها كمثل المادة والقوة . فاذا استطعنا أن نبرهن على أن هنالك مادة يقوم وجودها بغير قوة ، أو ان قوة من المستطاع ان توجد في غير مادة ، أمكننا أن نبرهن على أن الروح قد توجد في غير جسم حي ، أو أن جسماً حياً من المستطاع أن يوجد بلا روح . فالروح اذن يجب أن تحمل في جسم أى في مادة

وماذا يكون من أمر الروح بعد أن تموت الاجسام ؟ ذاك سر لم ينض عنه الحجاب .

* * *

من الأكاذيب المتفق على أنها صحيحة أ كذوبة أن الانسان ولد حراً .
أول ما في هذه النظرية من بطلان أن الانسان لم يختار أن يوجد في هذه الحياة . فكيف به يكون حراً ؟ وكذلك هو يتحمل عن هذه الحياة غير راض عنها ولا عن الارتمال من ببثتها ؟ فكيف به يكون حراً ؟
ثم هو عند حد قول بشار

خلقت على ما في غير مخير هواي ولو خيرت كنت المهذبا
أريد فلا أعطى وأعطى ولم أرد وأمسى وما أعقت إلا التعجبا
فكيف به يكون حراً ؟

أفهم ان تكون الحرية معقولا نسبياً لا غير . أما الحرية المطلقة التي نشدها خيالو الزعماء في الثورات الكبرى ، فهي أكبر الأكاذيب التي استغوت الجماعات منذ أبعد العصور .

فيلوبونس

شجرة الغار

اسطورة قديمة فيها ادب وعلم (١)

حدث في عصر من العصور أن فيضانا عظيما غشى الارض من جميع أطرافها . وكان السبب في هذا الفيضان أن شعبا من الشعوب الانسانية قد أغضب الآلهة ، فما كان من جوبيتر إلا أن يجعل المياه الكائنة في بطن الارض تفور من تنانيرها كما أرسل عليها من السماء حسباناً فتركها قاعا صفصفاً . ولم يشأ جوبيتر أن تجف الارض قبل أن يموت كل من عليها من الاحياء . ولأجل أن يصل الى غرضه هذا حبس كل الرياح التي تهب على الارض ماعدا الرياح الجنوبية وهي التي كانت تسمى « رسل الامطار » فبعث جوبيتر « رسله » هذه لتعصف على الارض من كل جهاتها مرسله عليها زعازع تجلب الامطار والدمار .

ولقد كانت الرياح الجنوبية في ذلك العصر من أفظع آلات التدمير والتخريب اذ كانت كلما تهب تفرغ من السحب مياهها فيتصب مدرارا . وكان وجه ذلك الريح مغشى بقناع كقناع الليل ، ولحية تفيض بالمياه تنصب كأنها من أفواه القرب ، وأجنحته وأطرافه تقطر ماء . ولقد ساعدته في ذلك آلهة البحار والانهار ، ولم يمض زمان قصير حتى كانت الارض قد غابت عن الانظار تحت مد ذلك الموج العظيم . وغرق بذلك كل الاشقياء الذين زهدت في وجودهم الآلهة أسف جوبيتر بعد ذلك إذ رأى الارض خاوية على عروشها ، فحبس الرياح الجنوبية في سجونها الازلية ، وأطلق على الارض الرياح الاخرى . فهبت الرياح الشمالية المنعشة تعاونها الرياح الشرقية والغربية على الارض حتى جففتها وأحييت مواتها . وبعد أن صاحت الارض لان تعضد الحياة أرسل اليها شعوبا أخرى من رجال ونساء لتعمرها .

غير أن المياه بعد ما غمرت الارض زمانا طويلا قد غيبت من عناصرها

(١) جاء ذكر الطوفان في كل الكتب المقدسة تقريبا . وهنا نجد أن هذه الاسطورة ترجع باصاها الى أساطير روما واليونان وربما تكون هذه الاسطورة قد نقلت بنصها اليهم من معتقدات الامم التي سبقتهم في مدارج المدنية

فأخرجت حيوانات عجيبة الخالقة ؛ وكان من بينهم مسخ عظيم الجثة هائل المنظر كربه المخبر حتى انى لا أعجز عن أن أضرب لك بقبحه مثلاً يقربه من مخيلتك . وكان فوق ذلك كثير العناد ذا قسوة وشدة ؛ فارسل الرعب والفرع في قلوب الناس الذين عاشوا بالقرب من مجاهله التي كان فيها ؛ حيث أقام بين الحراج الملتفة الاعشاب المترعة بالماء .

ولقد بلغ الفرع بالناس من هذا الحيوان حداً لم يجزأ معه أى انسان من أن يقرب ذلك المسكان الذى كان يعيش فيه . وفي ذات يوم حضر الرامى « أبولون » ويده أقواسه وسهامه اللامعة وقتله بعد موقعة شديدة . ففرح الناس وأخذهم المرح ؛ وأقاموا عيداً أولموا فيه الولايم لآبولون . غير أن أبولون كان قد أخذ الزهو وملأته الخيلاء ؛ فلم يغادر هذه الارض حتى كان الكبر قد فعل بنفسه فعلا ذريعاً ولم يمض في سبيله غير بعيد حتى التقى بكوييدوس حاملاً قوسه وسهامه المسددة . وكوييدوس هو إله الحب الصغير ؛ وكان يسمى في بعض الاحيان آله « القوس » واليك ما يظهر على ما كان فى أقواس كوييدوس من عجب عجاب .

كانت بعض أقواسه مدببة الاطراف مصوغة من الذهب الخالص . وكان الذى يسدد اليه سهام من هذه السهام فيصيبه ؛ يقع فى شرك الهيام والحب . وكان البعض الآخر مصبوباً فى صرغان تارز شديد ؛ فاذا أصاب أحدها ؛ غرس بذور العداء والبغضاء . وسترى الآن ماذا كان يعمل كوييدوس بهذه السهام الغريبة .

فلما التقى أبولون بكوييدوس وهو مسلح بهذه السهام ؛ أخذ كوييدوس يسأله : ماذا تصنع بهذه السهام ؛ ودل عليه مكتبراً فى غير تواضع ولا احترام . فأجابه أبولون . — « ان هذه هى أسلحتى ، ولقد قتلت بها مسخاً هائلاً مخيفاً . تقدم الى كوييدوس وسلمنى هذا القوس الذى ليس لاحد من حق فى ان يحمله غيرى . »

كان كوييدوس آلهاً صغيراً سريع الانفعال شديد التأثير ؛ فصاح أبولون

صبيحة الغضب قائلاً — « إن سهامك إن كانت تخترق كل الأشياء، فإن سهامى
في استطاعها أن تجرحك جراحاً لا يبرء لك منها . »

واختفى كوييدوس بسرعة البرق . وهو يفكر في طريقة تجعل أبولون يعرف
أيهما أحد سهاماً وأهدى مرمى . وبعد قليل اهتدى الى مكان كانت تقطنه
حورية جميلة ؛ وتظل تطوف بارجائه ليلاً ونهاراً . وهنا اهتدى كوييدوس إلى
ضالته ؛ فسدد الى قلبها سهماً من الصرغان ؛ فشعرت الفتاة أن قشعريرة ملأت
جسمها ، ونظرت لترى السبب فيما حدث ، فرأت ثياب أبولون الذهبية تتدلى
في فرع شجرة باسقة . وراه كوييدوس ؛ وبحركة تحاكي حركة البرق سدد الى
قلب أبولون سهماً من السهام الذهبية . واختفى فجأة مشبعاً في نفسه
تهمة الانتقام .

وفعل السهم الذهبى فعله من قلب أبولون . فانه لم يكد ذلك الآله الكبير
يرى « دفنى » تلك الحورية الحسناء ؛ حتى وقع من شراك غرامها . أما « دفنى »
فقد قابلت ذلك الحب المحرق ببغض شديد وكرهية ؛ وهضت تفر من وجهه كما
تبعها تطوف أنحاء الغاية المتسعة المترامية الاطراف .
وأخذ أبولون يتبعها أينما سارت مهيباً بها أن لا تخاف ولا تجزع ؛ وقد أخذه
عليها الوجل أن يصيبها من الاشواك والغصون الملتفة مايؤلمها .
« لا توجل ولا تفرى منى . انى أحبك ولست بمنزل بك ضراً . انى الآله
ابن الشمس . أنا أبولون . »

غير ان دفنى لم تزد مع سماع هذه الكلمات الا وجلاً ؛ وأسرعت في الاختفاء
عن نظره ؛ بينما كان أبولون يتبعها أينما سارت

وكاد أبولون أن يلحق بها ؛ فمدت ذراعيها مستنجدة بأيها آله ذاك النهر الذى
كانت تعيش دفنى على ضفافه . « يا أبى أنقذنى . أنقذنى فشق الارض واجعلها
تبتلعنى ؛ أو بدلنى من صورتى هذه صورة أخرى يبغضها أبولون »

ولم تكد دفنى تنتهى من ابتهالها حتى ثقلت أطرافها وأخذت بشرتها تكسى بمادة
أشبه باللحاء . وبدأ شعرها يستحيل الى أوراق أشجار ؛ وسواعدها الى أغصان ؛

سبطورة شجرة النسي



أبو له ودني

وأقدامها التي كانت تحملها هرباً من أبولون إلى جذور غاصت في الأرض ، فقد أجاب أبوها ابتهالها، وسخها فكانت شجرة الغار

ولما رأى أبولون أن دفنى محبوبته الجميلة قد استحالت شجرة بكي . وأخذ يرمي جذعها بسهامه قائلاً :

« أما وقد استحالت على أن تكوني لي زوجاً ، فلا أقل من أن تكوني شجرتي وأن تكون أغصانك تاجاً تتوج به رؤوس الغزاة والفاتحين، وأن تظل مخضرة يانعة صيفاً وشتاء »

وكان ما شاء أبولون . فاصبحت شجرة الغار منذ ذلك اليوم رمز الشرف والانتصار . فاذا سمعت بعد اليوم أن رأساً توج بأغصان الغار ، فارجع بذاكرتك إلى أبولون ودفنى ، وأرسل تحية إلى ذكرى الحب يقابله البغض ، وإلى ذكرى الانتصار، تقابله الذلة والانكار.

تمثال النهضة

الامتنان بالزراعة السارة عنه في ٢٠ مايو سنة ١٩٢٨

مهما قيل في تمثال نهضة مصر ، وهما كان من أمر اختلاف الاحزاب على تحديد معنى النهضة ، بان التمثال قطعة فريدة من الفن الناطق بعظمة الفكرة التي تقوم في نفس الشعب المصري وتطلعه إلى أن يتبوأ مكاناً يليق بتاريخه الخالدين شعوب الأرض . وليس لنا أن نزيد هنا من شيء على ما جاء في خطبة صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا . فقد ألم فيها بأسمى المعاني التي من أجلها تكونت الفكرة من إقامة التمثال . ونحن ننقل هنا هذه الخطبة بحروفها تسجيلاً لذكرى ذلك اليوم المشهود :

خطبة رئيس الوزارة

يا صاحب الجلالة .

إن في تفضاكم يامولاي بتشريف هذه الحفلة لمعنى سامياً جليلاً ؛ جدير بجلال شخصكم ومجد بلادكم ، فانه لتوفيق من الله تعالى ونعمة منه على مصر وشعبها أن يكشف النقاب عن تمثال نهضتها أول ملك دستوري رقى عرشها وأرفع صانع من صنائع مجدها ، وأن تحتفل الأمة المصرية على اختلاف طبقاتها حكومة وبرلماناً وشعباً بتخليد نهضتها في تمثال أصبح منذ اليوم مثلاً حياً مجيداً ، يوحى وحي النهضة الى المصريين مهما تعددت طوائفهم ، وتعاقبت أجيالهم .

مولاي .

لم يكن بد للتمثال المصري ، وقد أراد أن يرمز بفنه الى مصر الخالدة من أن يجمع في فكرته بين العصور متعددة ، والازمنة متعاقبة ؛ ليمثل أمة ولد التاريخ في أحضان مجدها ؛ وما كان التمثال في مظهره الفني ، ومعناه الوطني إلا صلة تجمع بين أدوار التاريخ المصري ؛ غايه وحاضره وقابله ممثلاً من الماضي بمجده ومن الحاضر جده ، ومن المستقبل أملة ؛ ومصوراً مصر الفتاة وهي تهم بأبى الهول لينهض بها وتنهض به بملقية يبصرها الى قديم صولاتها بمترسمة ذكرى العلاء في

وثبتها، ولا عجب، فإن كان لامة من غابرها ما يبرر حاضر نهضةها؛ فهذه الامة هي مصر.

مولاي

ان نهضة مصر لا تقرأ في صفحة واحدة من كتاب الدهر، بل هي كتاب صفاته السنون والاجيال؛ فتد نهضت مصر والدهر لا يزال في طفولة عمره، وانبثق فجرها والتاريخ لا يزال حائراً بين ليله وفجره؛ فكانت منذ القدم مهد المدنية؛ ومنبع الحكمة البشرية؛ وظلت تتابع مجدها مع تتابع الأحقاب حتى أصبحت سيده يهاب العالم سلطانها؛ ومعلمة يستمنحها عرفانها. ثم انتشرت الحضارة والحكمة منها الى اليونان فروما فدولة العرب الزاهرة فلوروبا، وهما مصر الحديثة تسترد بعض ما أضاعت وتستفيد كما أفادت؛ مثبتة أن تلك الحيوية العجيبة التي ظلت نامية ألوفا من السنين لا تزال كامنة في نفوسنا؛ وان المجد القديم الذي لم تقوיד الحادثات على محو آثاره لا يزال رابضاً في مطاحنا، متحفزاً في جهودنا.

ولقد أتاح الله لمصر الحديثة عظيماً من عظماء التاريخ في شخص ساكن الجنان مؤسس العائلة العلوية الكريمة محمد علي الكبير، فنفت من روحه في روحها، وتعهد بعقريته بعقريتها؛ حتى أصبحت مصر الحديثة مدينة له بكيانها ورفاهيتها. وتلاه أسلافكم الأكرام مترسمين آثاره في التجديد والاصلاح؛ وفي مقدمتهم والد جلالكم ساكن الجنان اسماعيل باشا خديو مصر؛ الذي كان له أكبر الفضل في نشر التمدن الحديث وما استتبعه من أفكار ونظم حديثة؛ فصديق على مصر قوله الماثور «ان بلادى لم تعد جزءاً من أفريقية بل هي قطعة من أوروبا» لقد سارت الامة من ذلك العهد في سبيل التطور والرقى الى أن لاحت بشائر عهدكم السعيد، فخطوتم بامتكم خطوات واسعة في سبيل الحرية والدستور؛ وما تطمح اليه من رقى أدبي ومادى معاً، مما جعل عهدكم عهد حرية وعدالة ونهوض.

مولاي

بعد أن وضعت الحرب أوزارها. وأدركت الشعوب أن أعلى وأسمى

ما تظاهرت من أجله هو استقرار العدالة في مقرها ؛ نهضت مصر نهضتها الرائعة
فهيبت تطلب الحرية والاستقلال لابنائها ؛ والهناء والرفاه لأبنائها ؛ مطالبته
بالدخول في حظيرة الأمم على قاعدة المساواة والود معلنة كلمتها سلاماً لا خصاماً ؛
معتزدة بتلك الحقيقة الخالدة وهي أنه مامن أمة تشقى لنفسها وتسعد لنفسها ؛ بل
هي جزء من كل يشقى بشقوقها ويبناً بهنائها .

ومن أول يوم أهاب بالامة المغفور له سعد باشا زغلول داعي النهضة وحامل
لوائها وهو يقرر تلك الحقائق الخالدة بما أوتي من قوة الحجة وبلاغة التعبير ؛ حتى
لاحت فكرة النهضة متلاثلة باهرة ؛ وظهرت الامة نفسها موقفة مظفرة ؛ تيمش
في تاريخ عظمته ؛ رافعة تمثال نهضتها ، متفيسة ظلال مليكها .

ولم يكن عجباً أن اقترنت النهضة السياسية بنهوض في جميع الحياة المصرية
فما كانت الحرية — وهي روح من عند الله — لتقبل تجزئة أو تحتل أغلالي في
أى ميدان من ميادين نشاطها ، ولقد تراحم المصريون فعلاً رجالاً ونساء ؛ حول
مورد الحرية العذب وانتبلوا منه كفايتهم ؛ فتحررت عقولهم وميولهم وكبرت
مطالبهم ، مما كان له أثر بالغ في كل مرافق الحياة الاجتماعية والاقتصادية ؛
والعلمية والفنية . فبلغت مصر الناهضة في سنوات معدودات ما لم تبلغه في
عشرات من السنين .

ولم يكن لينقص تلك النهضة الفيحاء الافنان من أبنائها ؛ بخلد بفنه ما يوحيه
اليه شعوره من جمال النهضة وروائها . فكان المثال محمود مختار خريج مدرسة
الفنون الجميلة العليا بباريس هو ذلك المصرى الذى وفق إلى تخليد النهضة بوحى
فنه ، فأبرز الفكرة تمثالا ، وألبسها جمالا وجلالا .

وما كادت فكرة مختار تبرز في صورة مادية هي النموذج الذى وضعه في
باريس في سنة ١٩٢٠ حتى عرض النموذج المذكور في معرض الفنانين الفرنسيين
فحاز الاعجاب وأجازته عليه لجنة المحكمين في المعرض المذكور .

وعلى أثر ذلك تألفت لجنة برئاسة المغفور له حسين رشدى باشا وعضوية
حضرات أصحاب المعالي والسعادة والفرز .

الاستاذ ويصا واصف ، واصف غالى باشا ، محمد محمود خليل بك ، الدكتور حافظ عفيفى بك ، الدكتور فؤاد سلطان ، عبد القوى أحمد افندى ، المرحوم أمين الرافعى بك .

ودعت تلك اللجنة الى اكتوبر عام لأقامة التمثال فى أحدياديں العاصمة فكان إقبال المصريين عليه مظهراً للشعور الوطنى والاهتمام الذى أثاره هذا المشروع فى جميع الطبقات . ثم سعت اللجنة لدى الحكومة المصرية فقررت منذ سنة ١٩٢١ إقامة التمثال فى ميدان باب الحديد ومنحته الحكومات متعاقبة والبرلمان ، الاعتمادات اللازمة لانجازه .

ولقد وقع اختيار الممثل بالاتفاق مع اللجنة على حجر الجرانيت المستخرج من اسوان لنحت التمثال عليه ، فكان أول مثال نحت من الجرانيت من عهد الفراعنة الى الآن ، إذ أن صلابه ذلك الحجر حملت الفنانين منذ العصر الرومانى على أن يعدلوا عنه الى غيره من المواد المرنة . وبالرغم من ذلك فقد كان المصريون لا ينحتون تماثيلهم الكبيرة الا من ذلك الحجر مما دل على استعداد يكاد يكون معجزاً فى فن النحت وأدواته .

والتمثال منحوت من حجر الجرانيت ذى اللون الوردى ومقام على قاعدة من الجرانيت الاسود ، وبعد اعداد هذه الاحجار الضخمة فى اسوان نقلت الى القاهرة فى شهر يونية سنة ١٩٢٢ وفى شهر نوفمبر سنة ١٩٢٢ انتهت عملية نقل الكتلة الكبيرة منها بطريق النيل ، وقد بلغت زنة الكتلة الواحدة منها خمسة وأربعين طناً .

وفى صيف سنة ١٩٢٧ تم الاتفاق بين وزارة الاشغال والمثال مختار على إتمام الاثر وتسليمه فى شهر سبتمبر سنة ١٩٢٨ ، الا أن الجهد الذى بذله الممثل أمكنه من البر بتمهيد قبل الميعاد المحدد بنحو ستة شهور ، وهما هوالىوم فى مظهره الرائع الجميل دليل ناطق على نهوض الفن المصرى وعلى عظمة النهضة المصرية وتعدد نواحيها .
مولاي .

ان أمتكم الأمانة قد أقامت نهضتها على أركان وعمد من الاخلاص والعزم

وستبقى تلك النهضة المقدسة بعون الله وفضل رعايتكم موحدة الارادة في الامة
أفرادا وجماعات ! طوائف وديانات مبيدة لاصول الفرقة والشتات وانا لنتمهد
أنفسنا بتذكر ماسهل الله لنا من صعاب وذل من عقبات ، شاكرين له تعالى
نعمة هذا اليوم الذى أقيم فيه تمثال النهضة علماً على الحق الغالب ، ومثالاً للشعب
الناهض ، ورمزاً للحرية والاستقلال .

كلاًكم الله يامولاي بعنايته ، وأبقاكم للامة ذخراً وللنهضة فخراً ، وأقر عينكم
بولى عهدكم وأيد الامة في ظلكم .

وصف الحفلة

منذ الساعة الثالثة والنصف بعد ظهر يوم الاحد حشدت قوات الجيش
والبوليس المنتدبة للمحافظة على النظام في ميدان محطة العاصمة أثناء الاحتفال
بازاحة الستار عن تمثال نهضة مصر موزعة في جوانب هذا الميدان وعند مفترق
الطرق المؤدية اليها وعلى طول الطريق المؤدى الى قصر عابدين .

ومنذ هذه الساعة أيضاً صارت حركة قطارات الترام الآتية من العتبة
الخصراء عن طريق شارع كاوت بك إلى السبئية وشبرا وروض الفرج معطلة
وكذلك حركة ترام مصر الجديدة من محطة كبرى الليمون الى قلب القاهرة .
ووقف بأبواب السراى الكبير الاربعة بعض ضباط البوليس . ووقف بالباب
الاول المواجه لقسم الازبكية فريق من رجال الحرس المكي ؛ لاستقبال صاحب
الجلالة الملك .

وأشرف على النظام سعادة اللواء رسل باشا حاكمدار العاصمة . وهو ممتط جوادا
وواضعا فوق رأسه قبعة طاف بها أنحاء السراى ماشياً فاستاء الكثيرون من
وجود حاكمدار بوليس مصر متقبلاً في حفلة مصرية يحضرها جلالة ملك مصر
وزرائه وأعضاء البرلمان . وأبدى بعض كبار المدعويين هذه الملاحظة لموظف
كبير في وزارة الداخلية . وكأنه لفت نظر الحاكمدار الى ذلك ، فغاب عن الاعين
وقتاً عاد بعده متطرباً .

وقبل حضور صاحب الجلالة الملك طاف صاحب السعادة محمود باشا فهمى

القيسى مدير الامن العام ومعه أصحاب العزة اسماعيل شيرين بك وكيل محافظة العاصمة بانحاء السراشق .

ولم يحضر الحفلة أحد من أصحاب السمو الامراء ولا من أصحاب المجد النبيل ، وكذلك لم يحضرها أحد من أصحاب الدولة رؤساء الوزارات السابقة . وحضر من الوزراء السابقين أصحاب السعادة توفيق دوس باشا ومحمود عزمى باشا وتوفيق رفعت باشا ، ولبى الدعوة ستة من العلماء .

وفى الساعة الخامسة والثلاث حضر صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا فوقف الجميع لدولته إجلالا واحتراما وقد صافح الكثيرين من كبار المدعوين وفى مقدمتهم وزراء الدول المفوضون ، وعقيلاتهم .

وفى الساعة الخامسة والدقيقة الـ ٢٥ حضر صاحب الفخامة للورد لويد ، وفى معيته الكابتن فلوريد ياوره الخاص ، فصافح دولة الرئيس وأصحاب المعالى الوزراء مصافحة ودية ، ثم حيا المدعوين وصافح باليد فضيلة الشيخ بنخيت مفتى الديار المصرية سابقا .

وفى الساعة السادسة والدقيقة الـ ٣٥ سمع تصفيق حاد فى خارج السراشق فكان ذلك إيذانا بقدوم صاحب الجلالة الملك . ونزل جلالته من سيارته أمام المقعد الذهبى الكبير المعد لجلالته . وقد صافح جلالته أصحاب الدولة والمعالى الوزراء والاستاذ رئيس مجلس النواب هاشا باشا ثم جلس وخوله جميع كبار موظفى القصر وعلى رأسهم دولة نسيم باشا وجميع رجال ديوان كبير الامناء وعلى رأسهم معالى سعيد ذى الفقار باشا ومعهم صاحب السعادة محمود شوقى باشا سكرتير جلالته الخاص .

واعتلى صاحب الدولة رئيس الوزراء منصة الخطابة التى أقيمت فى الجهة اليسرى على بعد مترين من المقعد الملكى . وما كاد دولته يعتلى منصة الخطابة حتى تفضل جلالة الملك بالاعتدال فى جلسته وانجه اليه بكليته ، وساد السكون التام إذ أنصت المدعوون باسماهم الى دولته ، حيث ألقى خطبته بصوت قوى ، ولسان عربى فصيح

ولما ذكر دولته اسم الفقيه الكريم المغفور له سعد زغلول باشا محيي النهضة المصرية وزعيمها، سرت بين الجميع لواعج الحزن والأسى على فقدته قبل هذا اليوم ؛ يوم تخليد ذكرى النهضة ، بتمثال النهضة ؛ ولما انتهى دولته من خطبته التاريخية الوطنية دوى السراشق بالتصفيق الحاد وتفضل جلالة الملك فصافح دولته مرة ثانية وشكره

وتقدم بعد ذلك الى منصة أخرى على بعد ثلاثة أمتار أمام المقعد الملكي الأستاذ على أفندي الجارم وألقى قصيدة صاحب العزة أحمد شوقي بك وبعده تقدم صاحب المعالي إبراهيم فهمي بك وزير الأشغال بين يدي جلالة الملك وتلقى من جلالاته أمراً بازاحة الستار عن التمثال. فأعطيت الإشارة بذلك إلى رجال مطافئ الحريق الذين تولوا ازاحة الستار بشد الجبال وقد علا التصفيق الحاد في داخل السراشق وخارجه عند ظهور التمثال

وتفضل جلالة الملك فامر باستدعاء الأستاذ محمود مختار. وكان جالساً بين مندوبي الصحف. وقد قدمه صاحب المعالي على الشمسي باشا وزير المعارف الى جلالتة. فصافح الأستاذ مختاراً وقال له : « أهنتك يا أستاذ مختار »

وانصرف على أثره صاحب الدولة رئيس الوزراء في سيارة مفتوحة فاستقبلته بالهتاف العالي والتصفيق الحاد الجماهير الغفيرة المزدحمة في خارج السراشق . وقد حيت هذه الجماهير وزراء الشعب ورئيس مجلس النواب تحية صادقة مخلصه وانصرف المدعوون وبذلك انتهى الاحتفال الرسمي وتدفق سيل الجماهير على السراشق لمشاهدة التمثال، وكان الأستاذ مختار واقفاً عنده مع بعض أصدقائه فهتف الشعب بحياته

وقد استغرق العمل في ازاحة الستار بضع دقائق والسبب في ذلك يرجع الى أن المحل التجاري الذي عهدت وزارة الأشغال أمر اسدال ستار حريري على شكل مربع حول التمثال اذا ما شد شريطه ظهر التمثال. لم يحسن المهمة التي عهدت اليه فضلاً عن تأخره في أدائها وقد اعتذر بعدم وجود عماله في يوم الاحد وعلى الرغم من كل هذا كله فقد كان الاحتفال بالغاً منتهى الرونق والبهاء

بين الصحف والمجلات

١ — مجلة الحديث — حاب سوريا — من مقال بعنوان الفلسفة ودراستها
للدكتور منصور فهمي معيد دروس الفلسفة في الجامعة المصرية :
الظاهر أننا لانزال ننظر في الفلسفة تلك النظرة التي تبعدنا عن حقيقةها بعداً
تاماً . فقد ننظر فيها على اعتبار أنها من الامور الجدلية الصرفة التي تنزع
بنا دائماً الى عالم من الغيبيات والسلب . وقد ننظر فيها كأنها مسائل عملية صرفة
تبعد عن الفلسفة بقدر ما يبعد العلم عن الفنون . نقول هذا بعد أن قرأنا لمنصور
افندى فهمي كلاماً في الفلسفة أخرج به مفهوم الفلسفة عن التأمل وهو مدارها
وسنادتها ، وأدخله في منطقة العلوم الاختبارية الصرفة . ولم يقم على حقيقة منزهه
من داييل ، بل ولم يشرح مذهب اليه شرحاً يظهر حقيقة ما يفهم من الفلسفة .
واليك ما قال :

« الفلسفة يجب أن تدرس من غير تفريط في الجهة العلمية التطبيقية ، وفي
استطاعة الفلاسفة أن يكون لهم مختبراتهم ومعاملهم Laboratories ان العلماء
مختبرات ومعامل . تجد هذه المختبرات في مستشفيات الامراض العقلية وفي كثير
من التجارب على الانسان ، وهو في شؤون عيشه العادي من حبه وبغضه وانتقامه
وحزنه الى آخر ذلك من الحالات النفسية . »

« ويستطيع الفيلسوف — كما يستطيع الدكتور بالطبع — أن يجد لعمله
مختبراً ذا خطر في مظاهر الفنون الجميلة المختلفة من موسيقى وتصوير ونحت الى غير
ذلك وفي كل ما يحدثنا عن الجمال . ولقد رأيت آي لجأت الى الموسيقى عند دراسة
الفيلسوف نيتشة وفاجنرومن فهمهما لمعنى الفن الجميل ما بررت به الحانه وبعض
التوقيعات الموسيقية في بعض الدروس . ويمكن لمدرس الفلسفة أن يجد فرصاً كثيرة
لربطه دراسته بمظاهر الفنون المختلفة . وعندى أن هذا المحاولة التي أحاولها من توثيق
النضامن بين الموضوعات الفلسفية والمظاهر الفنية لى من أبرك المحاولات وأنفع

التجارب التي تمكن للفلسفة مكانها اللائق في نفوس الاحياء الذين يريدون أن يشعروا بالحياة من جمالها ويصلوا بين هذا الشعور وبين فهم الامور ، وما لفهم الحقيقة من عظمة وقوة . »

*
* *

وكيف لا يكون للدكتور منصور فهمي مذهب في الفلسفة يسميه تواضعاً وانكساراً محاولة ، مادام للدكتور طه حسين في الادب مذهب ديكرتي ؟ ولماذا لا يكون لمنصور في الفلسفة ما لطفه في الادب ؟ هل ما كتب منصور في تاريخ محمد يقل عما كتب طه في بن خلدون ، وكلاهما نال ببخشته الدكتوراه ؟ ألم يتفقا في « الدكتور » ؟ فلماذا ينفرد أحدهما بأنه صاحب مذهب ، ويبقى الآخر غفل من « المذهبية » ؟

ولماذا يخطيء طه حسين في مذهب الادبي فيعتمد على ديكرت وينقل مذهبه ممسوخاً فيأخذ بظاهره دون لبه ، ويماشي شك ديكرت من غير أن يميز أحكامه الوقتية التي أسماها « أحكاماً وقتية لضبط النفس » أقل اهتماماً ، ولا يخطيء الدكتور منصور فهمي في نقل مذهب برجسون الذي ينشره من بين جدران السوربون فيقول بأن من الواجب أن يكون للفلسفة معامل ومختبرات يبحث الجمال فيها في أنابيب وتحت عدسة الميكروسكوب ، ويحلل فيها الفن بشتى الاحماض الكيماوية ؟ أليس كلاهما دكتور ؟ فلماذا يخطيء أحدهما ولا يخطيء الآخر ؟

ولماذا تظل الفلسفة كما كانت وكما ستكون راجعة الى قوة التأمل في الانسان ، ولا يرجعها الدكتور الكبير لقوة التجربة والاختبار ؟ لماذا ؟ وأي مانع يمنع هذا وأي حدث ينال كفايات العقل الانساني اذا اختلط فيه التأمل بالتجربة ليخرج من المزيج فلسفة يقول فيها منصور فهمي إنها محاولة « من أبرك المحاولات »

يا لله ! ! كيف يكون لكثير من الجامعات مذاهب فلسفية يقصر الغرض منها على هداية النوع البشري ولا يكون لجامعتنا المصرية مذهب يقصده به هداية جميع الاحياء ، من الاميبا الى الشمبزي والانسان ؟ ألم يقل الاستاذ إن محاولته

في الفلسفة من « أترك المحاولات وأنفع التجارب التي تمكن للفلسفة مكانها اللائق من نفوس (الاحياء) الذين يريدون أن يشعروا بالحياة ؟

نأمل أيها الباحث قليلا في الاحياء الذين يريدون أن يشعروا بالحياة ! ألا تشمل كلمة الاحياء ، في عرف العلماء الذين يحاول الدكتور أن يتشبه بهم في فلسفته ، كل ما اتصف ببضعة صفات أولية تكون في مجموعها الحياة ؟ إذن ففلسفة الدكتور الحديثة يصح أن يقصد بها هداية الاميبا الحية في حياتها الدنيا كما يصح أن تكون نبراسا يهتدى به النوع البشري .

الحمد لله !! لقد أصبح لجامعتنا مذهباً فلسفياً جديداً ، نفاخر به برجسون في السوربون وديوي في جامعات أمريكا . مذهب يرشد كل الاحياء الذين يريدون أن يشعروا بالحياة !

على أني أريد أن أسأل الدكتور الكبير هل هنالك أحياء يريدون أن يشعروا بالحياة وأحياء لا يريدون أن يشعروا بها ؟ فليأتنا بمثال زادنا الله من فضله فضلا ، ومن علمه علماً ، ومن محاولاته محاربة جديدة تعيد عماء الفلسفة الى نظام ، وتغير مجرى العقول والافهام

على أني ياسيدي الاستاذ قرأت لغيرك من أساتذه الفلسفة مذهباً لا صرية في أن مذهبك أو محاولتك سوف تبزها وتقضى عليها قوة حجة وهتانة أسلوب . ولكن هل تسمح لي ياسيدي أن أسرد لك شيئاً مما يفهم استاذ من كبار أساتذة العصر الحاضر الذين كُتبتوا في معنى الفلسفة وتحديد مراميها ، ولا يزال قوله الى الآن عمدة - غيرك بطبيعة الحال - من أساتذة جامعات أوروبا ، الذين لم يصلهم نبأ محاولتك حتى الآن ؟

الاستاذ الذي أنقل اليك عنه هذا الكلام يدعى « جون تيودور مورتز » كتب تاريخاً في « الفكر الاوروبي » - وحاول - أن يحدد معنى الفلسفة فقال

« يقال إن العلم ذا صفات ثلاث . تام ، ايجابي موضوعي . وأن الفرق بينه وبين سمور الفكر الاخرى ان هذه غير تامة ، مبهمه ، ذاتية .

Subjective ان العلم يؤدي للعقل نواتجه أو فكراته في اصطلاحات محدودة بالتعريف ، رمزي في قوامه ، غير مباشر المعنى والتعبير . ان العلم ليسلم بأن ليس له من دعامة الادعامة المعرفة على أن تكون بيئة جليلة تامة الوضع . لهذا تجده معانداً في طبيعته لنواحي الفكر المرتكزة على الآراء والاعتقاد والايمان . ولا يغيب عنا أن هذه المصطلحات أما أن تشير الى الاسلوب الذي ينتجى في البحث . وأما أن تشير الى موضوع البحث ذاته . أما العلم فيعترف بأن له أسلوباً ثابتاً لا يحتمل الجدل ولا يسمع التورط في المسائل الخلافية النظرية . وأما بقية فروع الفكر ، فأما أن تستعير أساليبها من الأساليب العلمى . وأما أن تطبق أساليب متغايرة لم يجمع عليها الاجماع كله ، أو تأبى الخضوع لأسلوب ما على وجه عام .»

« اذا بلغنا هذا المبلغ أمكننا أن نقول بأن وضع حد للتفريق بين موضوعات بحثنا أصبح مستطاعاً . قاله يتناول كل الاشياء أو الموضوعات التي تطرأ على أذهان السواد الاعظم من الناس أو تمس مصالحهم ، وهي موضوعات قد يبالغ الى الاحاطة بها كثير من الناس . ولهذا يفخر العلم بأن مشاهداته واستنتاجاته خاضعة دائماً للتحقيق والبحث آناً بعد آن . لذلك تجد أن شطراً عظيماً من المشاهدات والاستنتاجات العلمية قد تؤخذ في أكثر الاحيان على انها حقائق تامة أجمع على صحتها وثباتها ، فيمضى الذين لا يأنسون من أنفسهم القدرة على تمحيصها وبحوثها ، أو الذين تقعد بهم الهمة دون فحص براهينها ، قائلين بأنها أشياء بديهية ثابتة لا مبدل لها . غير أن هنالك أشياء كثيرة تقوم في عقل كل فرد من الافراد ، شخصية في طبيعتها ، ذاتية في مبعثها . وهذه الاشياء في أنفسنا من الشأن والخطار ما لغيرها من مطالب الحياة وحاجاتها . ان هذه الاشياء تكون المادة الحقيقية التي يتركب منها الفكر الخارج عن ميدان العلم ، وهي في جوهرها ومظهرها مناظرة للعلم اليقيني . وفي هذا الشطر من الفكر لا يستطيع شخص بذاته أن يقوم بعمل ينتفع به الكثيرون ، على نفس الطريقة التي تحتذى في العلم . فالاخذ بالبرهان في ذلك الشطر مستحيل . والاجماع على شيء فيه لا يضم تحت

لوائه الا عدداً قليلاً من الناس. فالاقوال والنظريات لا يمكن أن تؤخذ في هذا الشطر على أنها حقائق ضرورية لا تحتل الجدل كما هي الحال في العلم ؛ بل ان كل شخص لابد من أن يجتاز فيها السبيل الذي اجتازه الذين تدموه ، قبل أن يأنس من نفسه القدرة ؛ أو يجد لنفسه حقاً ؛ في قبول ما أتى اليه أو الانتفاع بشعراته .

« ان الصفة الوحيدة التي تلازم ذلك الشطر من الفكر انه فردى ذاتي ؛ في حين أن العلم ؛ مهما كانت صبغته ؛ ومهما كان أصله ؛ عام موضوعي . فاذا تمثلت الفكر بشيء ذي طرفين متناظرين ألفت أن العلم الرياضي في أحد طرفي الفكر ؛ وان الدين في الطرف الآخر . وانك لتجد أن الاتفاق في الطرف الاول صفة ملازمة ؛ كالاختلاف في الطرف الثاني . تلحظ أن وحدة الفكر صفة ثابتة في الطرف الاول . في حين أنك ان تقع لها على ظل في الطرف الثاني . انها لم تعرف في الدين وان تعرف . وانك اذا أردت أن تعبر عن ذلك بالكلام الدارج لاستطعت أن تقول ان المعرفة والتحقيق لزام الطرف الاول وأن الايمان والاعتقاد لزام الطرف الثاني . على أنك فيما بين الطرفين تقع على مسافة كبيرة من الخلف تفصل بينهما . ان هذه المسافة لينشأها من الفكر صور تصل بين الطرفين ؛ تبرز حيناً في هيكل من المعرفة ؛ وآخر في مثال من الايمان ؛ فيختلط فيها قليل من الأشياء المحققة ؛ بكثير من الايمان والاعتقاد المبهم . تلك المسافة الكبيرة ؛ وهذه المفارقة المترامية الاطراف ، والتي تتوارد عليها صور التغير والاختلاف سريعة متعاقبة ، هي سكن الفلسفة الحقيقي ، ومنبتها الاصلى . الفلسفة التي تتناول الحقائق ، ولا تأنف من الايمان . الفلسفة أصل المعرفة ، ومنبع الاعتقاد واليتين . الفلسفة حلقة الوصل الواقعة بين الطرفين ، طرف العلم اليقيني ، وطرف الدين . »

« ولو كانت كل فكراتنا قائمة على الرياضة الصرفة ، راجعة الى العدد والقياس والتقدير الحسابي ، أو كانت دينية صرفة ، لاتنظر الا في مصالحنا الذاتية و معتقداتنا الخاصة ، لما كان لنا من حاجة الى وسيط يقوم بعبء التوفيق بين الطرفين ويصل

بين المتناظرين ، ولما قام في عقولنا خلاف بين الاشياء المحققة ، وبين المعتقد الذاتي . غير أننا لانبث أن نعكف على القواعد الرياضية ، أو نعمل على إبراز معتقداتنا الى حيز العمل ، حتى تدركنا صورتا الفكر الاخرتين وتلزم الاحتكاك بمصالحنا ، فنشعر اذ ذاك بضرورة الكشف عن نظرية أو مذهب يمنع التصادم بين الاطراف المتباينة ، ويسير كل الاطراف في طريق يمتنع فيه احتكاك بعضها ببعض . على أن الظروف التي تنتج مثل هذا الاحتكاك اذ تختلف باختلاف حاجات الحياة العملية ومطالبها ، وتتباين بتقدم العلم العملي ، كان تغير تلك النظريات والمذاهب ومضيقها ممعنة في التطور والتباين أمراً محتوماً بحكم ذلك .»

* * *

هذا ما تعلمته من ذلك الاستاذ « مرتز » ولكن كيف تكون الفلسفة عبارة عن تأمل هو بمثابة حلقة وصل بين العلم والدين ؟ كلا . إنها مسائل تجريبية اختبارية مدارها المعامل التي يشرح فيها الجمال ويحلل الفن في الانايب ؟ أليس كذلك ياسيدى الاستاذ ؟

لا شك في ان تيودور مرتز ومن تلقى عنهم مخرفون . ولا شبهة في أن كمنجهم وروسل وديوى وبرجسون افاكون مسترزقون ؟ والا فكيف يقولون بأن التأمل منبت الفاسفة ، وينكرون معامل الفلسفة وتشرريح الجمال وتحليل الفن كياوياً وميكروسكوبياً ؟

قيل بأن مدينة من المدن جن أهلها جنوناً أدى بهم الى الاعتقاد بأن شرب الماء مفسد للصحة مبيد للحياة . فسأل الملك أحد وزرائه ، ولم تكن طيفة الجنون قد لحقت به بعد « أيهما الجنون ؟ مخالفة الناس والرجوع الى الحق او التمشي معهم في الباطل » فقال له أيها الملك « الحقيقة ان الشرب ضرورى للحياة . ولكن من ذا يستطيع أن يقول للناس أنتم في جنون » ؟

وحاشا لله أن يكون مثلنا مع الاستاذ كمثل الملك مع مدينته . بل نرغب من كل جوارحنا أن يكون مثلنا كمثل المدينة التي جنت مع ملكها العاقل ، على شرط أن يقيم لنا الدليل على صحة دعواه

٢ — السبوعية (١) تحت عنوان « تقرير من أكاديمية العلوم » بين عنوانين مهمين هما مقال « من أعمال المرأة في الغرب » و « خاطره في الضمير الانساني » نرى عدد ١٩ مايو قد رصع بهذا العنوان « العلم الفني » واقسم لك بأنه لولا اني قرأت تقرير الاكاديمية هذا في جميع الجرائد بين مختلف الاعلانات وعلى أبواب البارات لظننت أن البيرة الوطنية ضرورية للحياة كيف لا وقد ضنت الاسبوعية حتى بتذييل « مقالها العلمي » برقم الاعلان ولم تضعها بين اطار مثل « أول مصنع للنظارات في الشرق »

اعرف أن اغفال التنبيه على أن المقالة العلمية المذكورة ليست غير اعلان عن ماء شعير يخمر بين نعال قديمة في براميل يعود على السياسة بمال اكثر مما لو وضعت المقالة بصورة تبين انها اعلان. ولكن هل سمعة مجلة محترمة تساوى عند محرريها اثنتين شلن زيادة ؟

(٣) السياسة الاسبوعية: تحت عنوان رجال التاريخ المصري الحديث حقيقة ابداع الذي حرر تاريخ محمد علي أي ابداع وكان بحثه وافياً . وبالطبع لا نعلم هذا من الفاتنا لنظره الى قوله « (ان محمد علي تمكن) من أن ينشئ في أربع سنوات أسطولاً حربياً وآخر تجارياً يضارع أكبر أساطيل الدول العظمى » وذلك في نفس المقال الذي يقول فيه « بنخلو مصر من المعادن والصناع ... وأصبح في مصر ... عشرون الف عامل (فقط) » وعن قوله في مكان آخر ان الاسطول المصري بعد « أن رأى ضعف الاسطول العثماني وتخاذله عند كل موقعة اضطرر للالتجاء الى جزيرة كريد وبقى فيها مدة حتى أصلح أحواله » فكيف يمكن التوفيق بين ما سبق خصوصاً وان الذي كان يتعقب الاسطولين المصري والعثماني هو الاسطول اليوناني ؟

وقال حضرة الكاتب في مكان آخر « يأخذ بعض المؤرخين محمد علي بأن تجارة الرقيق في عصره كانت مباحة. وقد قلنا إن الحكم على حوادث ماضية بعقلية الزمن الحاضر لا يتفق مع الانصاف في شيء على ان محمد علي كان شاعراً

بأن هذه التجارة ليست من المسائل الانسانية. وأكبر دليل على ذلك الخطاب الذي بعث به الى حاكم السودان يقول فيه ليكن معلوما لك أن نظام الرقيق يحط من قدرى في نظر الحكومة الانجليزية التي بين حكومتى وبينها علاقات ودية وانى لا أريد أن أكسب من تجارة لا تشرفنى، وإذا كان الغاؤها يتطلب بعض توضيحات فأنا مستعد لتحملها » وأظن أنه سبى عن بال الكاتب الفاضل ذكر الحقيقة وهى أن الدافع على استنكار محمد على لتجارة الرقيق ليس له من سبب آخر الا رغبته فى عدم حط الحكومة الانجليزية من قدره. فهو يريد أن تبقى العلاقات الودية بينه وبين الحكومة الانجليزية ولا يكون هذا الا على أساس تثبيت فكرة انه لا يكسب من تجارة لا تشرفه في نظر الانجليز. وانى لا اكون قد نهيت حضرة الكاتب الى مالا يعلمه اذا قلت ان فكرة معارضة الاتجار بالرقيق لم تستسغها انجلترا ولا شمال اميريكاجا فى الانسانية بل عند ما شعرت كل منهما بأنها ليست فى حاجة الى فن تربية الرقيق فكل يعلم أن الحركة لتحرير العبيد كانت موجودة قبل العهد الذى عمات انجلترا فيه كحماية الانسانية ولم يشمئز منها الناس والسبب بسيط بسيط هو أن الثورة الصناعية كانت قد قلت من قيمة اليد العاملة فى الاوساط الصناعية وأصبح الطلب أقل من المعروض ولذلك، حينما لم تكن هناك فائدة من الاكثار من الرقيق، تنبه الراى البريطانى الى وجود مبدإ انسانى اسمه تحرير العبيد المضطهدين. فكيف يتوصل الى ذلك محمد على الذى كان تاجر مصر الوحيد وزارعها وصانعها ومع ملاحظة أن الصناعة المصرية كانت فى عهده فى فجرها ولم يزد عدد الصناع عن عشرين الف كما تفضل حضرته بقوله وكانت مصر زراعية تحتاج الى الايدى العاملة وكان هذا فى الوقت الذى لم تغز فيه الا اكتشافات بعدساحة الزراعة وحينما كان الفلاح يجر للحرب وانى أنه حضرة الكاتب الفاضل الى حرب اميريكاجا الداخلية لتحرير العبيد وأذكره بأن المدافعين عن الحرية كانوا سكان المقاطعات الشمالية الصناعية بعكس الجنوبيين الزراعيين فلهم بذلوا جهداً عظيماً فى الدفاع عن نظام الرق لانه كان لازماً لهم بعكس الاولين

فمحمد على لم يكن والحالة هذه مشبعاً بالروح الانسانية لسبب بسيط هو أن ظروفه لم تسمح له بالاستغناء عن الاسترقاق حتى كان يصغى لصوت الانسانية كما فعلت إنجلترا بعد ان لم تجد من عملية توالدهم فائدة لها ومن الغريب أن حضرة الكاتب الفاضل يحاول ايجاد الماذير لمحمد على لوضعه نظام الاستئجار للفلاحين ومنعهم عن امتلاك الارض ويحذرنا أن نحكم على ذلك النظام متأثرين بما يحيط بنا اليوم من الدوامل فهل نسي حضرته أن نظام محمد على هذا قد اقتبسته حكومة إنجلترا واتبعته في السودان ، فالاراضي هناك لا تزال ملك الدولة تؤجرها الى الشركات الانجليزية وهو المستحب أو للأفراد وهو القاعدة، على أساس نظام العشور وان ما كان يفعله محمد على من الاتجار بمحاصيل الفلاح تفعله في الوقت الحاضر إحدى الامم المتقدمة وليس بعيداً عنا بل في في حدود أرضنا ؟

فكرة الولاية كانت فكرة اقطاعية بمعنى أن مصر كانت ملكاً لحاكم تركيا الذي كان لا يعترف ببرلمان ولا بمجلس وزراء فإذا كان قد أقطع أرضنا لأحد عماله نظير جزية معلومة دائماً يكون قد صرح لأحد اتباعه باستثماره زراعة نخصة نظير ايجارة سنوية. فمحمد على كان يفعل ما تفعله انكلترا في القرن العشرين على أسس قانونية منطقية

أريد دفعة أخرى أن أكرر بأن مقال محمد على لهو مقال جيد متين نود لو تحفتمنا السياسة الاسبوعية بمثله كثيراً
ع.....ع

مِثَارُ الْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ

مِراجِعَاتٌ وَمُلَخِصٌ عَنْ أَحَدِ الْمَوْلَفَاتِ الْأَوْرُوبِيَّةِ

نَهْرُ الْحَيَاةِ

تلخيص عن جوليان هكسلي

غيرت الاكتشافات البيولوجية التي تمت خلال المائة سنة الأخيرة كثيراً من طرق تفهمنا للحياة الانسانية. ويكاد التغيير الحادث ينحصر في أمرين: الوراثة، والمسائل الجنسية. وهما موضوعان لم نعرهما التفاتاً كافياً في الماضي بعكس الآن إذ بناهنا برهننا اهتماماً عظيماً. فقد بدأ الناس بفهمون ان ازادة المعرفة لاشك ستوصلهم إلى ما فيه سيادة مستقبلهم ومستقبل الجنس البشري أيضاً، وذلك بالقياس على اختباراتهم السابقة، فبعد ما كنا نستسلم أي القضاء والقدر، صار همنا منحصر في العمل لتغيير المتدر ليتطابق مع ما فيه صالحنا.

ليس المقصود من هذا البحث الدخول في موضوع معنى الحياة لأن شرحه يطول. فانا أسلم بوجودها على أساس أنه ليس من المتعذر علينا التفريق بين الحى واللاحي. حتى بين أصغر الخلوقات التي لانراها الا من عدسة الميكروسكوب ذلك لأن أهم مظاهر الحياة هو التوالد الذي يتجلى بصور متشابهة بالرغم من

١ — إن الحيوانات الدنيا تتوالد بالانقسام أي ينمو الواحد منها ثموا كبيرا ثم ينقسم إلى قسمين يصبح كل منها وحدة قائمة بذاتها، وهكذا يجرى التوالد بالتتابع. ففي هذه الحالة يفقد الأب شخصيته (ويموت بطريقة ما ولو أن رمته لا ترى).

٢ — ومن الحيوانات من تتوالد بطريقة التبرعم budding (أو التزوير بالنتوء) إذ يحدث فيها تنوعات تتمدد ولا تلبث حتى تصير أصولاً تتبرعم بدورها كالمرجان مثلاً.

٣ — ثم توجد حيوانات تتوالد عن الطريق الجنسي الامر الذي يشاهد في النبات أيضا. وتكاد تختص الحيوانات العليا بهذه الطريقة . وما عليك الا مراقبة الدجاج والشعابين (والناس لتقتنع بذلك) ويتم التوالد الجنسي باجتماع وحدتين حيتين بعد انفصالهما من أصابهما وهما لا أكثر من خائيتين لا تختلفان عن بقية الخلايا التي تتكون منها الاجسام . فخلية التي تنفصل عن الاب هي الحيوان المنوي Sperm والتي تنفصل عن الام هي البويضة Ovum وتختلف هاتان الخليتان عن بعضهما في الشكل . فالحيوان المنوي مستطيل وحركته ايجابية بعكس البويضة فهي أكبر حجما واقتبالها سابي . ولكن هذا لا يفي أن كليهما حي وكليهما خلية . انفصلتا عن الاصل . وكانتا برعتين فاندجحتا في بعضهما . فالتوالد يكون اذن عبارة عن نمو جسم منفصل مستقل .

وكان القدماء يظنون إمكان نشوء الحي من اللاحي . ولذلك قالوا إن الدود يولد من الجبن . ولكن باستير أثبت أن تعقيم الابن يزيل تفاعل البكتريا فيه . فهو يفسد و بمعنى آخر لا تتكون فيه جراثيم الا اذا هي نشأت عن حياة سابقة . هذا هو أساس علم الطفيليات bacteriology

من هذا نرى أن اهتمام علم الحياة ينحصر في اثبات أن كل حي سواء كان حيوانا أو نباتا ليس أكثر من مجرى لمادة حية يتسم في مجال ويضيئ في آخر والاتساع دليل على مبلغ النمو والضيئ ريز خلايات التوالد وهكذا يمتد المجرى الى ما لا نهاية له .

والحيوان أو النبات دائم الامتصاص للمادة اللاحية ، عن طريق الاكل والشرب والتنفس . فية تنصرف عمله اذن في طبع ما يمتصه بطابع نوعه . وبعد أن يأخذ ما يحتاج اليه يقذف فضله مرة أخرى الى العالم اللاحي فهو في عمله هذا كالمطابخون التي تسخر المادة لصالحها أي لا يباد طواحين أخرى مماثلة لها .

يقول دارون في كتابه « أصل الأنواع » ان نظرية التطور من ملازمات التوالد . فجميع أنواع الطيور التي نراها نشأت عن أنواع كانت موجودة في سابق العصور . وأن نوع الطائر تطور عن حيوان كان أشبه بنصف طائر

ونصف زاحف . كذلك جميع الحشرات نشأت عن حشرة بدائية . فملايين
 مجارى الحياة التى لكل منها اسم مخصوص كلها تفرعت من مجرى واحد تفرع
 بدوره من غيره وهلم جرا . فاذا ما نزلنا نحو البداءة قليلا نجد أن الحيوانات الفقارية
 (التى لها هيكل عظمى) والحيوانات الرخوة تطابق القاعدة السابقة كما تطابقها
 الأسماك والطيور مثلا . ولكن مع امكاننا مشاهدة صلة الفرعين القريبين مناء
 ليس من الممكن الوصول الى أصل تفرع الفروع النائية الا بالقياس المنطقي
 فقط . ولذلك يصح لنا التمسك بنظرية أن الحياة الحيوانية . نشأت من خلية
 واحدة جعلها التطور متعددة الانمايات ثم اتخذ كل منها اتجاها وشكلا مخصوصين
 وتنتج عن ذلك وجود الديدان والانبج والحشرات وذوات الفقار . وذلك حدث
 عن طريق التوالد والتنوع المتلازمين . فالفقارية مثلا كانت مائية فاعتاد بعضها
 الحياة فوق اليابسة وبذلك كسب حرارة الدم كما وأن التطور أنمى في البعض
 ما نسميه العقل . فعند ما ينساب نهر الحياة من منبعه على مدى الزمان يتشعب
 وتتباعد شعابه عن بعضها . لننتقل الآن الى موضوع الوراثة . يشبه الاطفال
 بوجه عام آبائهم ولكن ليس معنى الشبه التطابق لان الطفل قد يشبه تارة عمه أو
 جده أكثر من والديه . وقد لا يشبه أحداً من أقربائه فيتكون له شكل مفرد .
 كذلك قد يتشابه الاشقاء والشقيقات فيطبعون بطابع العائلة ولا يكتسبون
 أبداً صورة طبق الاصل لبعضهم البعض . اللهم الا في حالات نادرة بين بعض
 التوائم . والمقصود من الشبه العائلي يمكن تفهمه بالملاحظة أكثر مما يفهم من الشرح
 فالاطفال ليسوا أكثر من قطع حية انفصلت عن أصولها . وليس السؤال هو
 ما السبب في وجود التشابه لان هذا ما كان ينتظر بل يجب أن يكون السؤال
 ما هو السبب في عدم التطابق .

إذا فرض أن الجينة (الجريفيرا) كانت قابلة للنمو إذا انقسمت فلمنتظر
 أن تصبح القطع المقطعة منها جينة من نفس الصنف وليس من صنف آخر (حلوم
 أو استرالى مثلا) ولكن فى الحياة لا يتم النمو على هذه الصورة المفترضة . وقد
 أدلى القس النمساوى مندل بدواعى الاختلاف عند ما سبق غيره فى اكتشاف

قانون الوراثة الذي نسب اليه . وقد أشاد مئات من علماء الحياة نظرياتهم خلال الربع قرن الاخير على هذا القانون. وبذلك تجلت لنا حقيقة مارمت اليه نظرية مندل . وأنه لمن الصعب الدخول هنا في التفاصيل خصوصاً وأنه لم يتم شرح بعض نقط النظرية شرحاً وافياً . فوالحالة هذه أجسد نفسى مجبراً على التكلم إجمالياً وعلى الذين يرغبون التعمق الرجوع الى المطولات . وقد أوصلنا درس قانون مندل الى أن المادة الحية يتوارثها الابن عن الاب عن طريق وحدات من الصعب رؤيتها حتى تحت عدسات المجهر القوية. ولكل من هذه الوحدات أثر في عملية الوراثة فينحصر عمل البعض مثلاً في تكوين البويضة في حين يعمل غيرها في أشياء أخرى هي التي تفرق ما بين نوع من المخلوقات ونوع آخر وتسمى هذه الوحدات عوامل الوراثة Genes ويجب ملاحظة أن كل عامل منها يختلف في تكوينه الكيماوى عن بقية العوامل مع أن لكل واحد منها قوة معينة .

عمر عنایت

توارث الكفايات

Studies in Hereditary Ability

منذ أن نشر العلامة الكبير شارلز روبرت داروين كتابه الخالد في أصل الأنواع سنة ١٨٥٩ اتجهت العقول الى البحث فيما يمكن أن يقوم عليه النشوء من الدعام الطبيعية . وكان البحث في الوراثة من أول البحوث التي اتجهت إليها عقول العلماء . وبعد أن استكشف العلامة مندل قوانينه المعروفة في الوراثة وبدأ البحث في هذا العلم يأخذ الصبغة العلمية الصرفة ويخضع للتجارب والاختبارات نشط جماعة من العلماء الى بحث الكفايات العقلية وهل هي مورثة أو غير مورثة عن عدد غير محدود من الاجيال ترجع بصفاتهما تلك الى أصل أولى عنه تنسأت .

وفي سنة ١٨٧٢ نشر العلامة فرنسيس غالتون كتابه المعروف « النبوغ المتوارث » Hereditary Genius منتحياً في البحث نحواً علمياً صرفاً ، مثبتاً أن النبوغ يورث جيلاً بعد جيل . وأثبت أن وراثة الكفايات العقلية قد تورث على نفس الصورة التي تأصلت في الأصل الذي عنه تورث الكفايات . فإذا كان النابغ

قاضياً مثلاً غلب نبوغ التشريع والقضاء في أعقابيه . وإذا كان قائداً غلب في أعقابيه نبوغ القيادة وحب الجاد والمنافسة . وهكذا في بقية الصفات التي تورث عن جد أصلي تنتقل منه الصفة إلى الاجيال التي تنسل عنه .

أما موضوع الكتاب الذي نحن بصددده اليوم وهو « توارث الكفايات » تأليف الاستاذ (جن) Gun فلا يخرج موضوعه عن كتاب العلامة غالتون الكبير . وبمقدار ما يمكنني أن أتذكر من كتاب غالتون وقد قرأته منذ عشر سنين أستطيع أن أحكم بأن مستر (جن) يخالف غالتون في بعض أحكام خاصة بتوارث الصفات الفنية من أجيال تناسلت عن فنان نابغ في الأصل . واليك تلخيص مجمل من هذا الكتاب :

يقول مستر جن في مقدمه كتابه ان ما يتكون منه الفرد انما هو الصفات التي يرثها عن آباءه ، تلك الصفات التي له رسم قسراً عنه خطة من الحياة فاما أن تؤدي إلى النجاح أو الاخفاق ، على حسب الكفايات التي يرثها عن أسلافه . خير أن الأقوال التي يلجأ إليها مستر (جن) عندما يحاول أن يثبت نظريته هذه ، قد تظهر لنا بوضوح أن النظرية لا أساس لها من الصحة . ولا تقصد بالطبع نظرية الوراثة وتوارث الكفايات ولكن نظرية النجاح والافخاق في الحياة . فليس لدينا في الواقع أي أساس من البحث العلمي التجريبي يمكننا أن نعلم عليه في الحكم على أي العناصر الطبيعية أو أي التراكيب كان له الأثر الأكبر في تكوين عبقرية شكسبير أو شيلي أو موزارت ، بما ينتج مثل ما أنتج هؤلاء من الآثار الخالدة التي بلغت حد الإعجاز . والحقيقة أننا لا نستطيع أن نشكر أن باحثاً مهماً أوتي من قوة الملاحظة والحكم على الأشياء مهما تمكن من دراسة زوج وزوجة أن يحكم على نوع النبوغ الذي سوف يظهر في أعقابهما . والواقع أن مستر (جن) قد أدرك هذه الحقيقة فقال في ختام كتابه — « ان دراسة توارث الاسر قد أثبتت أن الفرق بين الانبغ والاقل نبوغاً منه قلة ما يكون ضئيلاً . وأنه كثيراً ما يحدث أن يفوز الاقل نبوغاً بظروف قد يكون للحظ فيها نصيب — ويكثر أن يكون سببها قليل من النشاط وحب العمل فيتميز على الانبغ ويحتل مكانه الذي كان من الواجب

أن يشغله في نظام الاسرة . وأن الواقع أن قلائل هم الذين يفوزون بأن يشغلوا من النبوغ مكانة عليا في أية أسرة من الأسر .

أما اتصاف بضعة أسر بقدر من الكفايات الطبيعية والعقلية يكون دائما في أفرادها تتفوق به على كثير من الأسر الأخرى ، فحقيقة لا ريب فيها . بيد أن كثيرا من المشاهدات ومن أقوال الاقدمين تؤيد هذه الحقيقة تأييدا تاما . غير أنه من أصعب الصعب إذا أردت أن تتأمل من المؤهلات الانسانية التي تؤدي الى النبوغ والتفوق في الافراد الذين يكونون جماعات العصر الحاضر في المدنية الحديثة وظروفهم التي تحيط بهم في الاجتماع ؛ أن تحكم في تفوقهم حكما مقطوعا بصحته بحيث يكون بعيدا عن مؤثرات البيئة كالتربية والتعليم والعلاقات الشخصية والمحسورية في الاجتماع والسياسة ، وأن تجعل الحكم على الفرد ونبوغه ونجاحه في الحياة واستعلائه على بقية الذين ينشئون معه نشأة واحدة بعيدا عن حكم هذه المؤثرات في مجموعها .

على أنه لا يجوز لنا أن نحكم في نوابع الفنانين حكما عاما كحكمنا على غيرهم من النوابع . ويكفي أن نذكر أن مؤلف الكتاب قد حكم على أهل الفن حكما جديداً بعيداً عن الاحكام التي وضعها سابقوه في بحث هذا الموضوع . فقال بأن « التفوق الفني من الصعب أن يعلله الانسان بالوراثة عن أصل أولى تنسأت عنه أسرة ما » . بل يقول بأن هنالك « قاعدة عامة تثبت لنا أن الذين حازوا أكبر قسط من النبوغ الفني كان لهم من الاعقاب النابضين عدداً أقل مما يعقبه الرجال الذين اتصفوا بالنبوغ في الاعمال العامة والآداب والعلوم . ويظهر أن الهبة الفنية لسبب من الاسباب ، ويصعب غالبا أن نعيته ، غالب ماتكون محصورة في فرد من الافراد ، في حين أن الصفات الأخرى تكون موزعة على كثير من أفراد الاسرة الواحدة » .

والكتاب على وجه العموم خلو من المنفعة العلمية الصرفة غير أن فيه كثيرا من الابحاث التي تمهد للمبتدئين في بحث هذا الموضوع سبيل الدراسات العميقة في وراثة النبوغ وفي الطرق العلمية التي يجب أن يكب عليها الباحثون

في هذا الموضوع . ذلك لان كثرة ما لجأ اليه المؤلف من النظريات قد يفقد الباحث العلمى كثيرا من الاسباب التى يجب أن يتركز عليها ليكون أحكاما ثابتة أساسها البحث العلمى الصرف .

آدم سميث فيلسوف أخلاقى

Adam Smith and his moral Philosophy :—

تأليف الدكتور فون وولتر اكشتين :

أعاد الدكتور وولتر اكشتين الالماني بابحاثه الحديثة وترجمته لكتاب العلامة الكبير آدم سميث ذكرى تلك الثورة الكبيرة التى أحدثتها كتابات سميث فى أوروبا فى الاقتصاد . فان آدم سميث قد عرف فى أوروبا وفى أنحاء العالم أجمع بأنه مؤلف كتاب ثروة الأمم The Wealth of Nations ولم يعرف أبداً بأنه مؤلف ذلك الكتاب القيم «العواطف الادبية» أو «الميل الادبية» Moral Sentiments وهو كتاب أحدث فى عهد نشره ضجة كبرى فى دوائر الفلسفة وطبع عدة طبعات متوالية فى حياة مؤلفه

والحقيقة أن كتاب سميث الاقتصادى قد عرف فى القارة الاوروبية أكثر مما عرف كتابه الفلسفى . على أنه كان يمجد الاخير أضعاف ما يمجد الاول . وكان له فى نظره من الاعتبار ما يجعل كتاب ثروة الأمم فى المحل الثانى بعده . ولم يكن الامر على تقيض هذا فى انجلترا نفسها . فان كتابه الاخلاق قد طبع عدة طبعات خلال القرن التاسع عشر وطبع مرتين فى خلال القرن العشرين . ولكن ظل سميث معروفاً فى انجلترا نفسها بأنه مؤلف كتاب ثروة الأمم الذى يعتبر أساس علم الاقتصاد الحديث ، مع أن كثيرين من المشتغلين بالعلم يعرفون أن سميث كان أستاذ الفلسفة الادبية فى جامعة غلاسكو .

أما السبب فى أن كتاب الفلسفة الادبية ذاع انتشاره أولاً ثم أغفل أمره الآن، فظاهر جلى . فان الفلسفة الادبية قد جرت خلال العصر الاخير فى سبل تخالف تلك السبل التى جرى فيها تيارها خلال زمن سميث ومن عاشره من

العلماء والفلاسفة . على أن هنالك سبباً آخر . فإن كتاب سميث في الفلسفة الأدبية كان آخر ما جاد به عقل سميث في بحث أدبي كاد أن يبلغ منتهاه ، في حين أن كتابه في الاقتصاد كان جهد الرائد المبتكر .

غير أن الدكتور اكشتين يدفع عن كتاب سميث الفلسفي . ويقول بأن هذا الكتاب على الرغم مما فيه من النقائص والاختصاص التي لا تنكر ، فإن فيه من الجمال والفائدة ما يضعه في مصاف الكتب الأدبية العليا في تاريخ الفكر الحديث . هذا فضلاً عن أن الكتاب تحفة أدبية لمن يريدون أن يضعوا أبحاثاً في تاريخ الفكرة الأدبية وتطورها على مر العصور . فالكتاب في ناحية من نواحيه ينظر إلى الماضي نظرة يحاول من ناحيتها أن يصارع الآداب الميثولوجية التي لم تكن ناصية الناس من طريق الدين ، ومثلها ذلك الفريق الذي سمي أفرادهم أنفسهم بالافلاطونيين في كبردج خاصة مضافاً إلى ذلك فلسفة « الفردية » التي مثلها هيومسه ومنه فيل في إنجلترا عامة . ورمي المؤلف في ناحية أخرى من نواحي الكتاب إلى المستقبل نظرة كلها استقلال في الرأي وحرية في النظر أدت إلى وضع تلك القواعد التي أخذها من بعد كانت Kant الفيلسوف الألماني قاعدة من قواعد مذهبه الأخلاقي . ولقد أظهر الدكتور اكشتين أن « كانت » قد قرأ كتاب سميث الأخلاقي وانتفع به في وضع مذهبه وكان للكتاب عنده قيمة كبيرة . ويرى دكتور اكشتين فوق هذا نظرية سميث في « العواطف الأدبية » أنها تعتبر حلقة وصل بين نظريات الماضي البعيد وبين النظريات التي وضعها من بعده . أمثال « كانت » الكبير وأخذت فيما بعد قاعدة لهذه النظريات الحديثة .

ولقد مضى الدكتور اكشتين بعد ذلك يقارن بين نظريات سميث الأدبية وبالأحرى بين كتابه في « العواطف الأدبية » وبين كتاب نزوة الأمم ، وعلى الأخص في التناقض الواقع بين النظريات التي يتبعها في الكتابين . في كتابه الأدبي يقول بأن قاعدة الأخلاق الإنسانية هي العواطف أو الميل مع ما يبني على هذه النظرية من أن الإنسان « غيري » — Altruistic — عقلياً ونفسياً ،

في حين أن كتابه الاقتصادي يرمي الى أن الانساني « اناني » بطبعه، أو على الأقل في حياته الاقتصادية

يقول دكتور أكشتين إن التناقض الواقع بين نظريات سميث الادبية وبين مذهبه الاقتصادي ظاهرية فقط ، وأنه استنتجها من ابحاث بعض الكتاب الذين ترجعوا عن حياته . ويذكر بعد هذا أن طول البحث والاكباب عليه قد أثبت له أن لاتناقض مطلقا بين مذهبي الفيلسوف في الاخلاق والاقتصاد . لهذا ينكر على سميث أنه مؤسس مدرسة منشستر الاقتصادية ويقول بأنه لم يدافع الا عن العمال الذين مسهم الفقر وفعلت بهم الحاجة ، وأن القاعدة التي جرى عليها في بحث العلاقة الواقعة بين الحلة الاقتصادية والحالة الاجتماعية تنحصر في قوله بأن الأمة لا يمكن أن تنال شيئا من السعادة في الوقت الذي تكون فيه أغلبيتها العظمى غارقة في الفقر والبؤس ، محوطة بأسباب الشقاء . ولهذا يقول فيه مسيو « جيد » الاشتراكي الفرنسي أنه من أول المدافعين عن فكرة الاشتراكية . وكذلك يقول إن طبيعة العواطف ومعناها يمكن أن يفهم فهمها مستقيا بالاكباب على بحث مذهب سميث فيها

وبعد أن حلل دكتور أكشتين مذهبه سميث في الأخلاق مثبتاً أن لاتناقض بين مذهبي الرجل في الأخلاق والاقتصاد ، تناول حياته فقال فيه أن سميث عاش عيشاً هادئاً بعيداً عن مفاصد الحياة واضطراباتهما

ولد في سنة ١٧٢٣ بعد موت ابيه وكان محاميا ذا شهرة وصيت . وشغل بعض مناصب الدولة بصدق وأمانة . ونشأ في كركلدي مع والدته التي قطعت معه من عمرها واحداً وستين عاماً ، حيث ماتت في سنة ١٧٨٤

وفي سنة ١٧٣٧ التحق آدم سميث بجامعة غلاسكو حيث درس على الاستاذ روبرت سمسون وكان يدرس الرياضيات ، ثم حضر من بعد ذلك على الاستاذ فرانسيس هتشسون وكان يدرس الفلسفة الادبية فأثر في عقلية سميث أبلغ الاثر وفي سنة ١٧٤٠ ذهب الى كلية باليول باكسفورد . ولم يكد يستقر به المقام في هذه الكلية حتي أدرك ما كان في جامعة اكسفورد من سوء الادارة والنظام

إذ ذاك ، وما غشى جوها من محسوبيات وفاسد . ولكنه على الرغم من ذلك استمر فيها ست سنوات متوالية . ثم رجع بعد ذلك — سنة ١٧٤٦ — عن حياة الجامعات ليدرس في بيته وليكب على الاستفادة مما انصرفت اليه ميوله من فروع المعرفة . وفي سنة ١٧٤٩ — ١٧٤٨ التي في جامعة أدنبرج محاضرات في تاريخ الأدب الانجليزي ، وتبع ذلك محاضرات في الاقتصاد السياسي . وفي سنة ١٧٥١ انتخبه مجمع الاساتذة في جامعة غلاسكو ليكون استاذاً للمنطق ، ثم استاذاً للفلسفة الأدبية في سنة ١٧٥٢ . وطبع كتابه « نظرية في العواطف الأدبية » — أو الاخلاقية ، سنة ١٧٥٩ فذاع بعد نشره اسمه في دوائر العلم والفلسفة ووضع حداً لصالاً بين عهد استدبره سميث وعهدا استقبله . ولقد كان لهذا الكتاب من التأثير في عقلية « شارلز توزند » ماحله على ان يطلب من سميث أن يرافق تبنيه الدوق « بوكلوك » في رحلة الى القارة الأوروبية . وقبل سميث أن يقوم بهذه المهمة ، بعد أن ضمن « توزند » أن يجري عليه معاشاً طول حياته . لهذا ترك أستاذيته ، ورحل عن إنجلترا في بداية سنة ١٧٦٤ مستصحباً تلميذه . ولم يعودا الى إنجلترا الا بعد ثلاث سنوات ، قضيا أكثرها في فرنسا حيث صادق الانسيكاوبيديين والفرز يوقراطيين وغيرهم من الأشخاص الذين اشتهروا بين جنبات العالم بانعلم والفلسفة . وبعد أن عاد الى إنجلترا سنة ١ٷ٦٦ أقام في كركالدي ليكتب مؤلفه « ثروة الامم » الذي طبع ونشر سنة ١٧٧٦ فنال به أوسع شهرة في العالم كله .

وتوفي في شهر يولية سنة ١٧٩٠ بعد أن أتم مراجعة كتابه الاخلاقي في طبعته السادسة التي طبعت حال حياته والتي كان من نتائجها أن جددت الكتاب تجديداً زاد من قيمته العلمية والتاريخية

فصول مصورة في التاريخ الطبيعي

البنغوين

البنغوين طير يشابه الغطيس Grebe في وضع أرجله أذ تكون في مؤخر الجسم ، وفي انتصابه عند الوقوف على اليابسة . ويعيش هذا الطير في نصف الكرة الأرضية الجنوبي ، ويختلف عن بقية أجناس الفصيلة في اعتبارات تشريحيه ذات بال تتناول تكوين الأجنحة والارساخ .
واليك تقسيم هذه الأسرة حسب الآراء الأخيرة المعول عليها في كتب التاريخ الطبيعي :

Family الأسرة

Penguins—Spheniscidae

البنغوين — واصطلاحاً الأسفينيسيدا

Genus 1. الجنس الأول

Aptenodytes — الابتينوديت

Species — أنواعه

King penguin—Aptenodytes pennanti الابتينوديت بنانتي

Empror penguin— “ foresteri فورستري »

Genus 2. الجنس الثاني

Pygoscelis البيوغوسيلس

Species — أنواعه

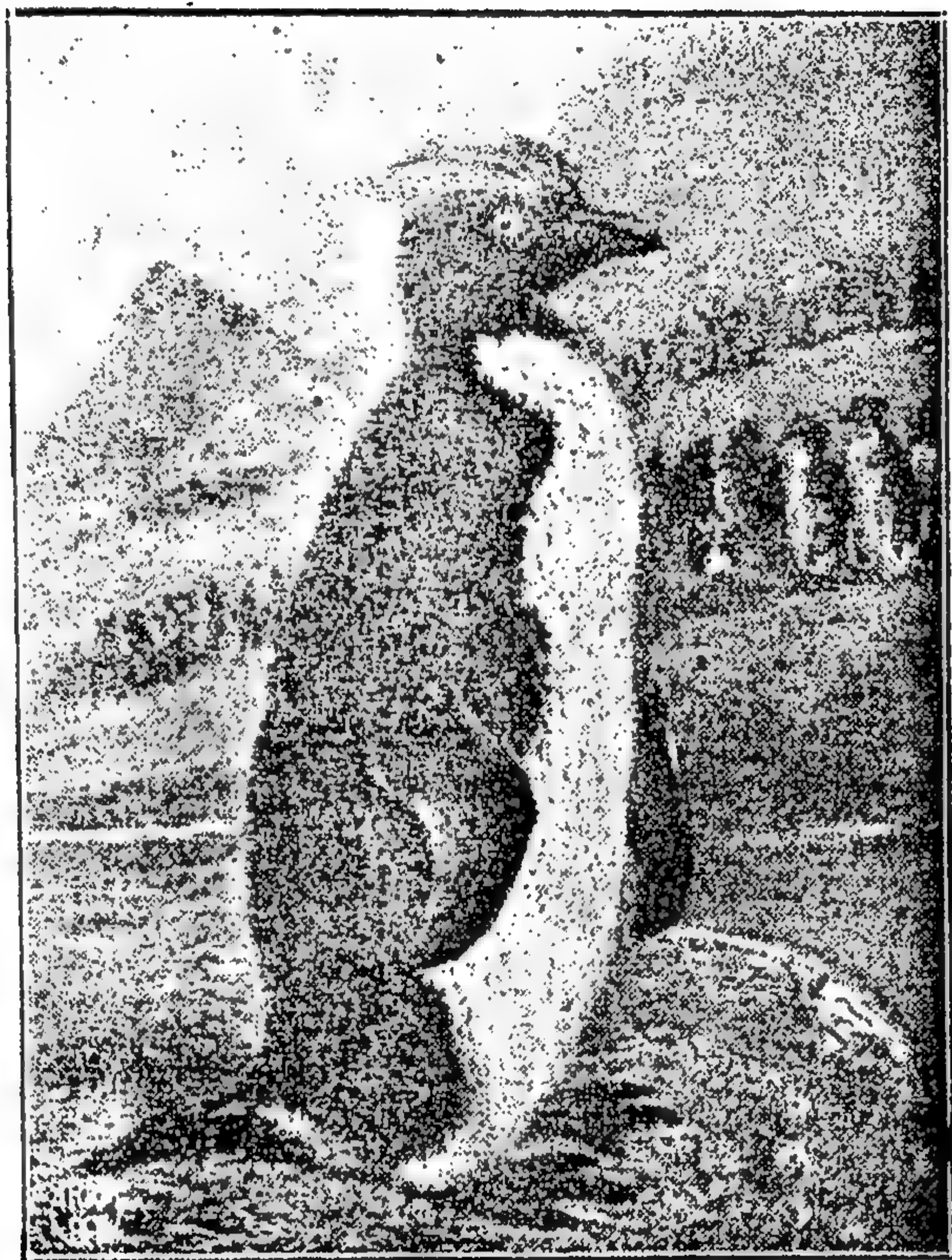
Gentu penguin—Pygoscelis Taeniata البيوغوسيلس تنياتا

Adélie-Land penguin—pygoscelis Adéliea البيوغوسيلس أدليا

المصور - عدد ١٠ - مجلد ٢



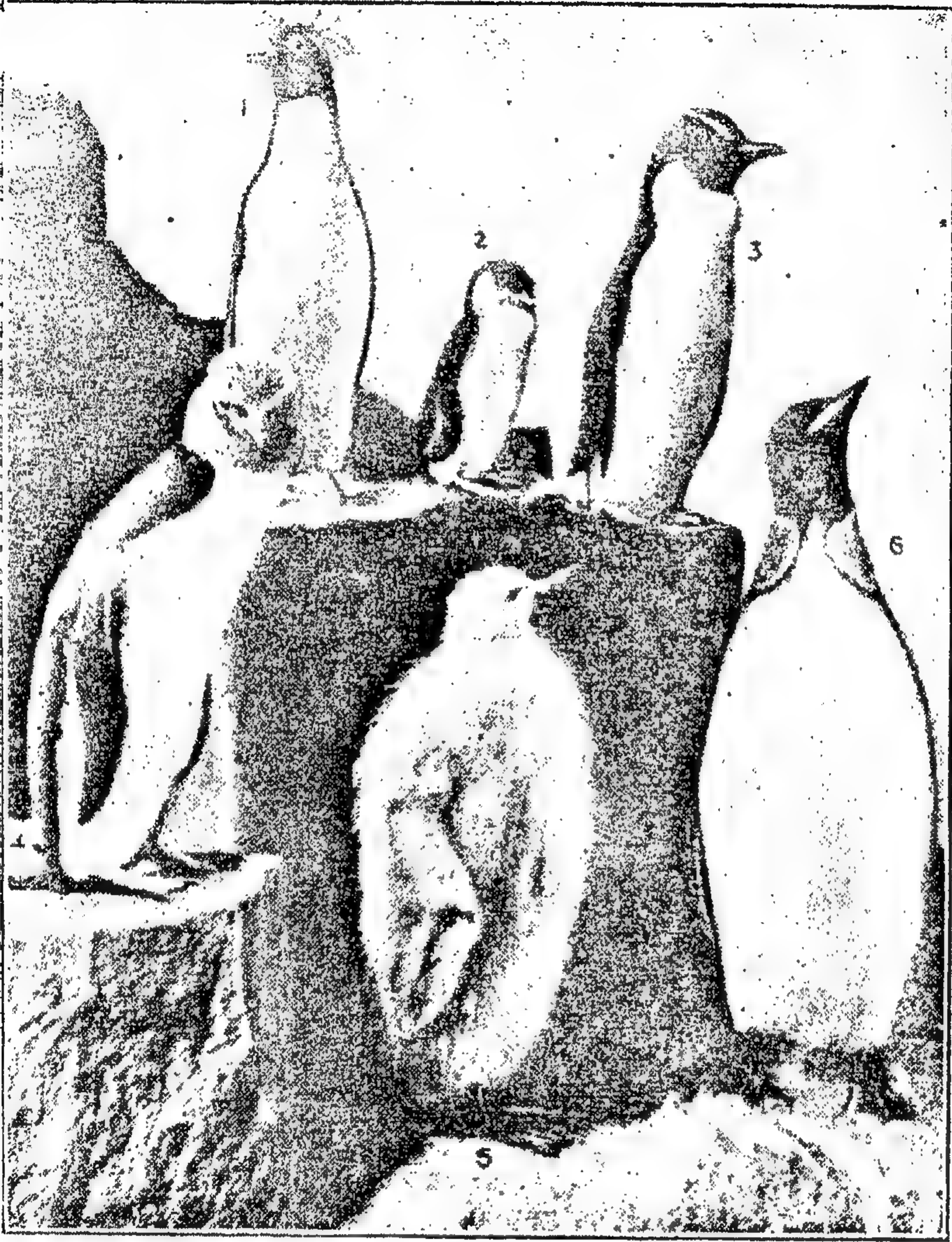
بنفون همبولد



البنزوين القافر



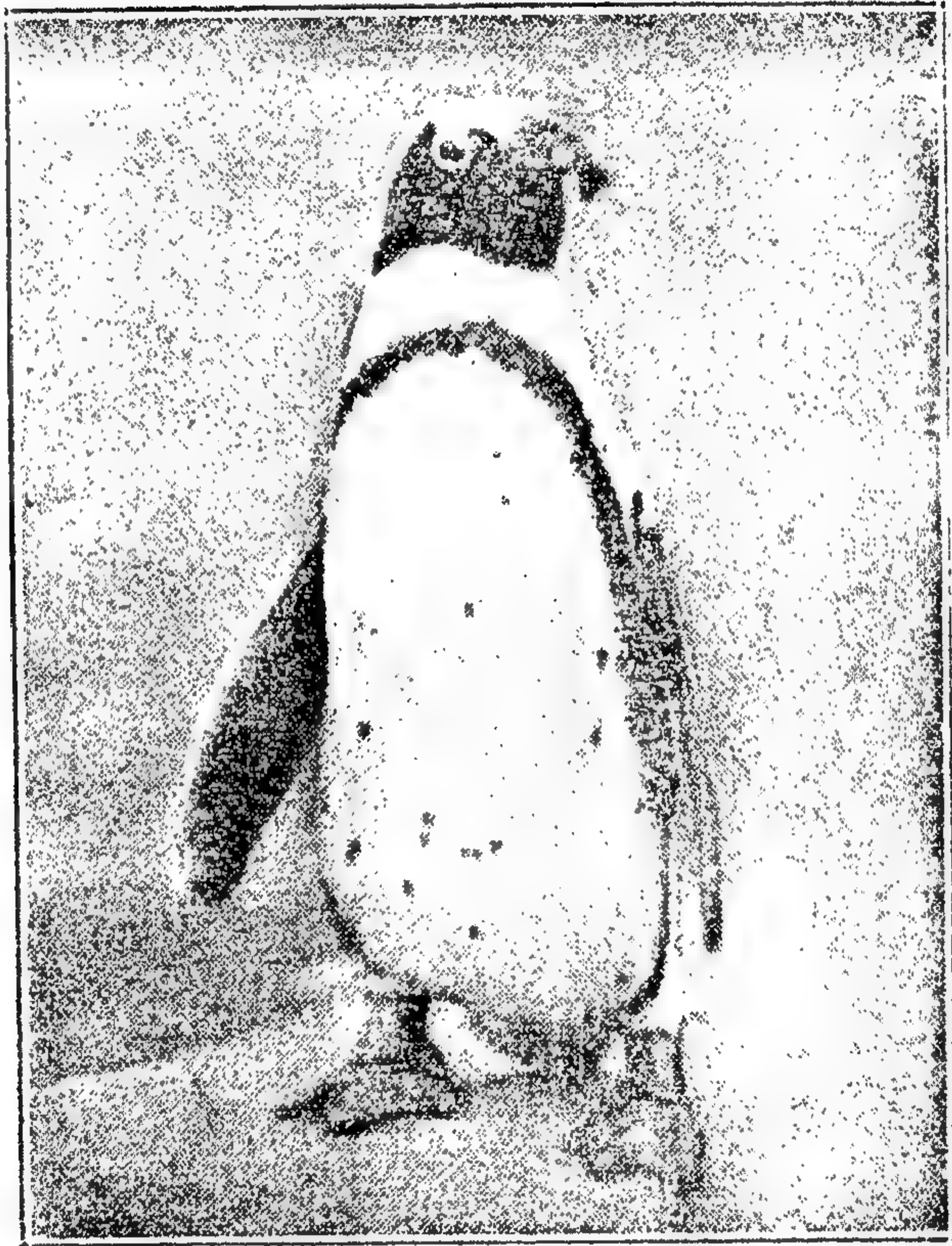
جمع من طيور البنغوين السوداء الاقدام في مجاهها الأصلية حيث
تقطن بالقرب من حوافي الماء تحيط بها الصخور



جميع من البينغوين

(١) البينغوين القماز (٢) البينغوين الازرق (٣) البينغوين القماز المنقار (٤) البينغوين
الاصفر الصدر (٥) البينغوين انالكي (صغير) (٦) البينغوين المالكي (كبير)

المصور — عدد ١٠ — مجلد ٢



بنشوين بلاد الكاب

الجنس الثالث — Genus 3.

Crested penguins-Eudyptes الأيوديبيت

Species — أنواعه

Rock hopper—Eudyptes chrysocoma الأيوديبيت كريسونكوما

Yellow-crested penguin - pachyrhynchus « باشيرينكوس

الجنس الرابع — Genus 4.

Eudyptula — الأيودبتولا

Species — أنواعه

Blue penguin—Eudyptula minor الأيودبتولا مينور

الجنس الخامس — Genus 5.

Spheniscus — الاسفينوسكوس

Species — أنواعه

Black-footed penguin — Spheniscus demersus

الاسفينوسكوس ديمرسوس

Humboldts penguin -- spheniscus humboldti

الاسفينوسكوس همبولديتي

Jackass penguin -- spheniscus magellanicus

الاسفينوسكوس ماجيلانيكوس . .

ولطير البنغوين حسب هذا التقسيم سبعة عشر نوعاً كلها تعيش في نصف الكرة الجنوبي . وهذا الطير لا يبلغ مدى انتشاره شمالاً لا أكثر من المدار الجنوبي . غير أن بعض الأنواع التي تعيش في جزر الغالا باغوس قد تباع في انتشارها شمالاً إلى خط الاستواء وتمتد مآهلها إلى الدرجة ٨٠ جنوباً . وعلى هذا لا يوجد طير البنغوين في المناطق المنجمدة الجنوبية وحدها بل يوجد أيضاً في جنوب افريقية وجنوب امريكا واستراليا ونيوزيلاندا وفي كثير من الجزر الصغيرة التي تغشاها مياه المحيطات الجنوبية وعلى الاخص جرر فوكلاند وكرداين وترسان دي كونها .

الزولوجيا

أو

مبادئ علم الحيوان

— ٦ —

تابع تقسيم الحيوانات .

النمرتينيا *Nemertinea* - هذا الاصل تدعى أعضاؤه «بالديدان» . وفي هذه الحيوانات تقع على هيكل عضوى يتكون من بشرة أو جلد وأنبوبة داخلية للمضم ، وبين البشرة والأنبوبة الهضمية ، نجد كمية من الانسجة العضائية وكذلك نغز على جهاز عصبي مركزى يتكون من عقدتين كبيرتين تدعيان اصطلاحا « بالمش » وتران جانبيان . غير أن هذه الحيوانات تختلف عن البلاتيهاينثوس *Platyhelminthes* في أنها تتقدمها في سلم الرقى التركيبى . فإن للأنبوبة الهضمية فيها ثقبان أو فتحتان ، أحدهما فى المقدمة وتدعى « الفم » وتستعمل لاذرداد الطعام ، والاخرى فى المؤخرة وتدعى « المخرج » *Anus* أو الشرج ، ووظيفتها تنحصر فى اخراج فضلات الطعام التى لم تهضم . وكذلك تمتاز الديدان النيمرتية بأن لها خراطيم قابلة للامتداد *Protrusible* تكون فى نهاية جسمها من الامام ، وتنكمش فى داخل « غمد » إذا كان الحيوان فى غير حاجة الى استخدامها . وهذا الخرطوم يسمى اصطلاحا *Proboscis* وفي استطاع الدودة أن ترسله فى سرعة عجيبة وتلقفه حول فرائسها التى تغتذى بها . ومن خصائص النيمرتيات أنها ذات نشاط محبة للسلب والاقتراس .

(١) كتب اليها الكثيرون من قراء العصور يطلبون المضى فى نشر . بقية الفصول التى كنا بدأنا بنشرها فى مبادئ علم الحيوان ووقفنا عن نشرها ظنا منا بأن قراء العصور لا يهتمون بمثل هذه الابحاث العلمية الجافة . ونحن تلبية لنداء قرائنا نعود الى نشر بقية هذه الابحاث فاذا انتهينا منها بدأنا فى غيرها من فروع العلوم الحديثة (راجع عدد ديسمبر سنة ١٩٢٧ فقيه آخر بحث نشر)



ولدينا أصل (١) Phylum آخر تدعى أعضاؤه بالديدان أيضاً هو ما يسمى اصطلاحاً « بالنيماتودا » Nematoda وترجمة بالديدان الخيطية Thread-worms. وهذه الحيوانات في أغلب حالاتها من الطفيليات Pa'sites التي تعيش على أجسام غيرها من الاحياء . وهذه الديدان موجودة في كل مكان على وجه التقريب ولها أهمية كبرى من الوجهتين الاقتصادية والطبية . وهي كالديدان النيمرتية ، وككل الجدوع التي سوف نأتى على وصفها ، لها فم ومخرج . وأهم صفاتها العلمية المعروفة أن تشريحها بسيط جداً البساطة بحيث لا يعتورك في بحثها التشريحى أى تعقيد . فالقناة الهضمية بسيطة مستقيمة ليس فيها شئ من التركيب المعقد المهوش . والجهاز العضوى يتكون من طبقة واحدة من العضلات الطولية . ومن خارج هذين الجهازين يكون الجلد الخارجى ، ويتكون من طبقة سيتوبلاسمية واحدة ، تتخللها أنوية عديدة متناثرة تناراً يتعذر غمد الخرطوم عليك معه أن تميز بين الخلايا التي تكونها . ومن هذا الجلد يتكون أظهر مافي هذه الحيوانات وأضرابها من الصفات. اذ منه تتكون « بشرة » هي عبارة عن مادة قرنية أو جلوتينية تدعى اصطلاحاً (٢) Cuticle تكون بمثابة غمد يتركب من افراز ميت ويحدث من انقلاب عضوى يقع على المادة السيتوبلاسمية (٣) التي تكون في الجلد الخارجى . وهذه البشرة Cuticle كثيرة المرونة . فعندما يبتدىء الحيوان

دوده نيمرتية
منظورة من
الجهة العليا «خ»
الخرطوم — غ
غمد الخرطوم

(١) ورد على خاطرننا ونحن نكتب هذا المثال أن نسمى اصطلاح Phylum بجذع. والراجع عندى أن هذه الترجمة صحيحة وأكثراً انطباقاً على المعنى المراد من أصل قال الشاعر

ولم أر مثل جذعك قط جذعا تأصل في صميم المكرمات

على انى عثرت على بعض المؤلفين الكبار ومنهم العلامة كارل فون زيتل بصرف اصطلاح phylum في كتابه في البالنتولوجيا على الفقرات مثلاً في حين أن مكبريد الانجليزى يصرفه على صور ليست من الرئيسيات.

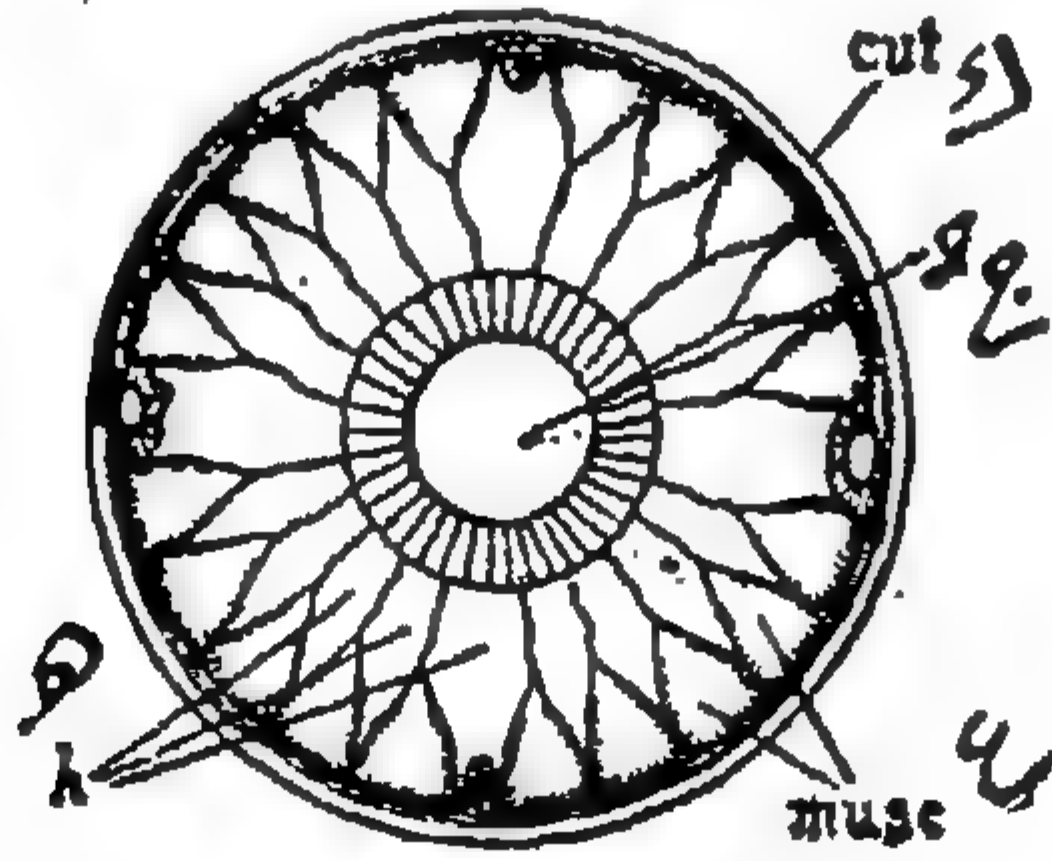
(٢) راجع ص ٢٤٤ جزء ٣ مجلد ١ من العصور س ٣٤١ .

(٣) مادة النواة .

الصغير في النمو من حيث الطول تمتد مع امتداد جسمه . غير أن لمروثها حداً تقف عنده . فقد يحدث في بعض الحالات أن تنفجر هذه البشرة وتلقى بعيداً (١) . وعندئذ يأخذ الحيوان في النماء من حيث الطول سريعاً ، ومن ثم يفضى في تكوين « ثوب » آخر يتجدد بتجدد الافراز

وهذه العملية التي تدعى غالباً « التبديل » Moulting واصطلاحاً Ecdysis تحدث أربع مرات أو خمس في خلال حياة الحيوان .

من بين الطبقة العضلية والقناة الهضمية وتدعى اصطلاحاً Gut يكون فراغ أو بالاحرى نظام من الفقاعات المفرغة تتصل بعضها ببعض تسمى اصطلاحاً التجويف الجسمي Body-cavity وهذه التجاويف تمتلئ بسائل شفاف يفيض ويطمو اذا تحرك الحيوان حركته الالتوائية . وهذا السائل يحتوى على الفضلات لهضمية التي تكون قد ترشحت Exuded من انخلايا الهضمية . وهذا السائل هو « النموذج الاصلى » prototype الذي يتكون على مثال الدم في الحيوانات العليا ومن أجل أن نفرق علمياً بين التجاويف الجسمية في صورها المختلفة ، ندعو هذه « بالتجاويف الجسمية الاولى » Primary body-cavities أو « تجاويف الدم الاولى » Blood body-cavities واصطلاحاً Hoemocoelae والديدان النياتودية تختلف من حيث الحجم ، فتكون ديداناً ميكروسكوبية



صغيرة جهد الصفر ،
أو ديداناً قد تبلغ
ياردة انجليزية طولاً .
وهذه الديدان
وتسمى اصطلاحاً

« ديدان غينيا » قطع عبري لدودة نيماتودية (ك) ثوب (م) القنوات الهضمية (و) موضع الفم
ديدان غينيا (هـ) التجاويف الجسمية الاولى (ع) خلايا عضلية

(١) كما يحدث على وجه التقريب في ثوب الثعبان ، وأظن أن قايلاً من القراء هم الذين لم يرووا ثوباً من هذه الثياب . وأظن أننا اذا اصطالحنا على تسمية Cuticle بثوب تكون أقرب للمقصود من بشرة أو جلد وهو ما يسمى اصطلاحاً Epidermis

Guinea Worms تعيش في المناطق الحارة تغزو البشرة والخلايا التي تكون تحتها في الحيوانات العليا والانسان ، وتحدث هنالك قرحاً خطيرة قد تقضى على الحياة. وقيل إن هذه الديدان هي التي عثر عليها في أجسام اليهود، وزعم القدماء أنها ثمايين طيارة كانت تغزو أجسامهم انتقاماً وهم في التيه .

وتظهر أعراض المرض في الجسم أولاً ، ثم يتسكون في خارج الجسم قرحة صغيرة لا تجف أبداً . وأسلم طريق لإخراج هذه الديدان هو أن تلف طرفها الذي يكون حيث تظهر هذه القرحة على عصا رفيعة ثم تلوى العصا برفق وابن شيئاً فشيئاً فتلتف عليها الدودة وتسحب من داخل الجسم حتى تخرج كلها . فإذا جذبت دفعة واحدة فقد يتمزق جسمها ويتقطع ، والجزء الذي يتخلف في جسم المريض يموت ثم يبدأ في الانحلال ويحدث تسهما عاماً تكون نتيجته الموت . وكثير من الديدان الخيطية تغزو أجسام الخنازير . وقد يحدث أن إحدى هذه الديدان — وتكون ميكروسكوبية عادة — قد تفلت إلى جسم من يأكل لحم الخنزير ثم تعيش في الأمعاء . ومن ثم تأخذ في اختراق أغشية المعدة وجدرانها ويحتمل أن تحدث لدى اختراقها هذه الجدران مرضاً قاتلاً يسمى اصطلاحاً « تريخينوزيس » Trichinosis . ولقد أحدث هذا المرض كثيراً من الأضرار في ألمانيا ، حيث كان الناس يأكلون لحم الخنزير قبل أن ينضج بالطبخ تماماً .

الازعين الدينى والادبى

أيهما يجب اللفظ به

قال محدثى — إن نشر الاتحاد جريمة كبيرة

قلت — وكيف كان ذلك ؟

قال — إذالم يكن هناك رادع دينى فعلى الدنيا السلام . اذتعمها الفوضى والمذابح

قلت — وكيف عاش بعض الناس اذن قبل انتشار الاسلام والمسيحية

واليهودية وغيرها من الاديان

قال — كان لهم اديان سابقة

قلت — ما هو الدين ؟

قال — هو على الاقل الاعتراف بوجود خالق

قلت — وهل كل الاديان تعترف بوجود خالق ؟

قال — كلا . ولكن لكل منها نظام أخلاقى

قلت — فأذن يصح لى أن أستنتج بان أساس الدين ليس واحدا بل هو قائم

فى اعتقادك على الاخلاق أولا ثم على فكرة وجود الله أيضا (وذلك فى الغالب)

قال أصبت .

قلت — وأنى أنمىف الى ذلك أساساً ثانياً للاديان هو علم الدين أو فلسفة الدين

أو اللاهوت أو الخزعبلات ، فيمكننا أذن أن نقول إن الدين هو عبارة عن

١ — التسليم بوجود الموجد الاول

٢ — وجوب اتباع نظام أخلاقى

٣ — حشو

قال — وهل تشك فى وجود الله ؟ وهل يمكن أن تتصور موجوداً

بدون واجد ؟

قلت — البينة على من ادعى . وأما تصورى امكان وجود واجد لكل

موجود فهو بالاستنتاج لن يقف عند حد فبدلاً من أن تقول ان الله خلق العالم

مثلاً ثم تضرب من يسألك عن خلق الله ، اختصر الطريق واضرب من يسألك عن خالق العالم .

قال — ولكن الكرسي له صانع ، والمنزل له صانع ، أفليس من الجاهل أن تقول إن هذا العالم الفخم العظيم لا صانع له ؟

قلت — أجل . الكرسي له صانع (صنعه من مواد أولية) والمنزل له صانع وليس صانعاً واحداً وقد استعملوا في أشادته مواداً أولية أيضاً بالقياس على ما سبق يكون استنتاجي منطقياً لو قلت إن صانع العالم لا شك كانوا كثيرى العدد جداً وبالطبع صنّفوه من مواد أولية . هل ينجيك هذا الاستنتاج الذى يتهكم بالشرك ويقاب نظريتك القائلة بأن الله قول للارض كونى فكانت رأساً على عقب ؟

قال — ولكن ألا ترى ان فكرة وجود الله جذابة جميلة ؟ أليست أحسن من فكرة النشوء والارتقاء

قلت — لا بأس بها . ولكنى لا أرى وجهاً للتفضيل بينهما وبين فكرة النشوء . فإذا ما اقتنعت بصحة الفكرة الثانية فلا تخف . فان باب الخيال أمامك لا يوصد . وتصوير الله على صورتك لا تعارض مع فكرة التطور مطلقاً .
قال — اذن تسلم معى بأن الاحسن لنا التسليم بوجود الله

قلت — الاحسن ؟ لماذا ؟ ان فكرة وجود الله خيال جميل لا بأس به ولكن يجب أن لا تستنتج من ذلك أنه أثبت وجوده لنا بالفعل .
قال — اذن أنت لا تسلم بأنه قادر وأنه

قلت — ألا تظن الاجدر بنا أن تناقش البرنامج نقطة بعد أخرى بالتسلسل .
فالنقطة الثانية المطلوب بحثها هى الاخلاق فهل تعتقد أن الدين هو الاخلاق ؟
قال — بالطبع الدين هو الذى يفرق بين الخير والشر ويأمرك بانبايع الاول وترك الآخر

قلت — وهل الاخلاق دائماً جامدة . أعنى هل فكرة الاخلاق واحدة عند كافة الأمم في كافة الأزمان ؟ ومثل ذلك . كان السلف يتزوجون بأربع نساء

ويحتفظون لذواتهم بقطيع من الحايا دون أن يشعر أحدهم بأنه يفعل منكراً. فهل إذا حزت أنا عشرين امرأة في الوقت الحاضر لا تحكم على بالاستهتار والاستسلام للملاذ الحيوانية؟

قال — ولكن هذا مثل من الفرعيات . فانتكلم عن موضوع أساسى مثل القتل أو السرقة

قلت — انتظر قليلا . كان الواجب عليك أن تقول لى ردأ على سؤالى السابق. ان عقلية الوسط والظروف لم تظهرها سابقاً فكرة التمدد والتسرى بما يظهرها به لنا الوسط والعقلية الحاليتين . ألا توافق على ذلك؟

قال — دون شك . فان للعقلية والوسط دخل كبير فى الموضوع
قلت — اذن فلاخلاق ليست ثابتة بل متغيرة . فلننتقل الآن الى السرقة
فهل تظن أن الناس كانوا يسرقون دائماً بمناسبة و بغير مناسبة قبل أن ينزل عليهم الرسل؟

قال — ولكن العرب كانوا يثدنون بناتهم
قلت — اسمع يا صديقى . اننى لو سلمت ملك ارضاء لماطرك بان قبل نزول النبي محمدا كان العرب يثدنون بناتهم (دائماً) لما أمكنهم التناسل . فمن أين كانوا يأتون بالنساء اللاتى كانوا يتزوجون بهن ؟ ربما كن من الأسيرات . فهل فى إمكانك ذلك ؟ وهل كانت غارات العرب قبل الاسلام تقع بين العرب وبين الاعاجم ؟ أم بين قبائل العرب وبعضها ؟ اصغ إلى جيداً يا صديقى . إن جرائم وأد البنات كانت فردية تماماً يرتكبها بعض الذين يخشون على أعراضهم ، فكما كان الرجل يفكر بأن ابنته سوف يمتلكها رجل كان يشتر . وفكرة التناسل احتقرها العرب كما احتقرها العجم ولا يزال يحتقرها بعض الناس الفطريين الذين يحدون غضاضة فى المساعدة على التناسل بطريقة سلبية ؛ ألا ترى مثلاً بعض رجال العصر الحالى فى مصر يوقفون ريع أموالهم على بناتهم مادم غير متزوجات ؛ وفي هذا ارهاق لمن ؛ فهل اذا نهبت الحكومة الى وجوب ازالة هذا الحيف بعد حملة الجرائد والبرلمان عليها فسنت قانوناً لحايتهم يصح لنا الاستنتاج بان المصريين فى

القرن العشرين كانوا يجبرون بناتهم على الترهّب والافيعحرموهن من الاستفاده من الميراث ؟

ان ايجاد تشريع مخصوص لا يتم عفواً بل يوجد فقط عند ما يشعر الناس كافة بان النظام السارى سيؤدى الى افناء الجماعة . ولذلك تهب الجمعية للدفاع عن كيانهها مسوقة بالغريزة . ولماذا لم يحدث الوأد فى الامبراطورية الرومانية مثلاً ؟ أليس لان وجهة النظر كانت تخالف وجهة نظر العرب على خط مستقيم فكان لدى الرومان ميل الى تقديس الجمال ؟

لا يمكنك أن تتصور وجود وسط متحفز يقتل بعضه البعض . لأنه اذا وجد هذا الوسط فى زمن من الازمان لكانت النتيجة الغير مشكوك فيها هو اندثار ذلك الوسط وانك ولا شك تسامع بآن قوى الناس متفاوتة . فالهيمنة تكون دائماً للاقوى . فاذا مات تسلط فرد وضع الانظمة لا تباعه ودون شك يكون من صالحه نشر السلام والآلفه بين الناس على قدر الامكان حتى يتيسر لهم العمل على خدمته دون شوشرة وهل كل انسان ميال الى سفك الدماء ؟ أليس هذا الميل منحصر فى طبقة مخصوصة من الناس فقط هى المشبعة بروح المقت أو المطالبة للنار أو التى بعقلها شىء من الخلل ؟

كانت العرب قبائل صغيرة تقوم بالغارات على بعضها تقتل وتتهب فهل تغير هذا الآن عن قبل ؟ أليست الحرب الكبرى مثل مجسم من تلك الغارات . ثم فيها القتل والنهب بنظام أوسع يختلف فى شدته ومدته باختلاف الاستعداد وباختلاف العقلية ؟

اذن أظن أن من حق مطالبتك بالتسليم بان الاخلاق دائماً التغير ، وأن (الدين) يأتى فيعزز الحسن الذى وافق الجميع على صلاحيته من قبل أن يكون (ديناً) وكذلك يعزز نظرية القائلين بوجوب تغير ما رأوا فيه نقصاً أو ضرراً . وبالطبع يساعد قدم الفكرة الجديدة لأن لهم من ورائها مغنماً فى حين يناهضها آخرون يشعرون بمزايا النظام المتبع الذى عمل الدين على متابعة الرأى المخالف له والحسن إما أن يكون قد تقرر حسنه بالاختبار ، والدافع على هذا التقرير هو

الغريزة كالسرقة والقتل والزنا ؛ واما أن يكون قد تقرر على أساس فكرة خيالية طارئة. وهذه تكون عرضة للتغيير والتبديل الى أن نلائم العقلية والوسط. أو الى أن يذبذبا فتصبح في خبر كان. وفي هذه الحالة اما أن يخفف المجتمع من غلوائه فيحذفها من قائمته الدينية أو الاخلاقية المختارة أو يفتكك الناس حرمة ذلك مدفوعين بدوافع لا قبل لهم بها. مثلاً فكرة تنظيم العائلة . فهو في اعتقادي نتج عن أن النظم الاقتصادية الحالية تجبرنا على تغيير أفكارنا فيها. فوالحالة هذه ان يتيسر لنا في المستقبل تنظيم العائلة على أساس أن الرجل هور بها وعائلها. وعلى أن المرأة يجب أن تكون عالة عليه تأتمر بأمره. فلا نظمة الاقتصادية الحديثة تدفع المرأة لتتحرر اقتصادياً عن الرجل. ويستتبع ذلك بالطبع انه مادام لا يهيمن على مرافقها الحيوية فان يكون لها سيداً مطاعاً

بقي أن تسألني الآن عن النقطة الثالثة وهي علم الدين أو الفلسفة أو اللاهوت أو الخزعبلات. فقد قلت ان الله قادر وربما تقول انه يسمع ويقضى وو
قال — أجل. فما رأيك؟

قلت — انني سلمت معك جدلاً بأن وجود موجد أول فكرة لا بأس بها ومعنى هذا أنها لم تثبت ولكن لا مانع من التمسك بها حتى يثبت ما ينفيهان أين لك أن تصف ذلك (المجهول العظيم) بصفات كذا وكذا

قال — وما قولك اذا قلت لك ان وصفى له بذلك يتم عن طريق الاستنتاج والاقتناع ليس الا . فما الذي يمنعك مثلاً أن تقول ان هذه القوة قادرة ومحيطه بكل شيء ؟

قلت — لا مانع من ذلك . ولكنك تقول ايضاً انها تقدر وانها تحرص على اتباع وجهة نظر أخلاقية مخصوصة وعلى عدم اتباع وجهة أخرى أليس كذلك ؟
قال — بالطبع أقول ذلك لاني أرى أن الله يرغب الناس في اتباع ما اتفق الرأي العام على وجوب نشره الآن على حد قولك فائدة عامة

قلت — ولكن لا يتسنى ذلك يا صديقي لان الاخلاق دائماً التطور فما يتفق الرأي العام على أنه حسن في وقت من الاوقات يتفق الرأي العام على سوءه في

وقت آخر ، والذي ترى أمة من الأمم فيه الخير تراه أمة أخرى عين الشر . فما قولك دام فضلك في فكرة تعدد الزوجات التي حرض عليها القرآن وقت ان كان التعدد لازماً للعرب . ذلك حين كان عدد النساء عندهم يزيد زيادة كبيرة على عدد الرجال . كان الرجال قديماً كانوا أكثر تعرضاً للموت مما هم عليه الآن . ولذلك كانت نساء العرب أكثر عدداً من رجالهم . أضف اليهن السراري اللاتي كان يقتل الجيش الظافر رجالهن وآباءهن ويرجع بهن غنيمة باردة . فهل كان يعقل أن يبقين الناس دون فائدة؟ أم كان يستولوهن رجالاً ينضمون الى قوات القبيلة المقاتلة ؟ فهل يمكن تطبيق هذه النظرية التي كانت قديماً صالحة على أى قطر فى الوقت الحاضر . مع العلم بأن عدد الجنسين يكاد يتساوى ؟ وان فكرة الاستعباد أو التسرى قد عدت الآن غير انسانية . وخصوصاً بعد أن ظهر للناس أن قتل المغلوب ليس من الشهامة فى شيء ؟

قال — ولكنك تهم القرآن بما لم يقله فهو لم يقرر حق التعدد بل قيده بالعدل .

قلت — أما إنه لم يقرر حق التعدد فهذا كلام لا أساس له من الصحة . فمذكور « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » . وهذا اطلاق قيده بعد ذلك بقوله « وان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة » « وان تعدلوا » فالتقييد أذن فرعى للاطلاق والا فلم يكن هناك داع للاطلاق بالمرّة . ولكن النص قد وضع بصورة أخرى مثلاً وبما أنه من المستحيل عليكم أن تعدلوا بين النساء فاقصر واعلى زوج واحدة واذا رجعنا الى التاريخ . نجد النبي والصحابة وغيرهم كانوا يتخذون من النساء مثنى وثلاث ورباع . يضاف الى ما سبق « أو ما ملكت ايماهم » أفليس من المعقول اذن أن « وان تعدلوا » هذه اذا كان معناها نفي العدل بتاتاً ، الامر الذى يستوى أمامه كل البشر ، لما أقدم عليه الذين كانوا فى صدر الاسلام ؟ فاذا كان للظروف دخل فى الموضوع لقدرت هذه الظروف بتقدير كل شخص فى كل وقت . ثم لماذا قصر عدد الزوجات بأربعة ولم يعم ؟ وذلك رداً على بعض الناس الذين يدعون بأن البلاغة تقتضى التصريح نفي التعجيز ؟ أفليس معنى التحديد بأربعة هو وقف

الزواج عند حد؟ وما معنى العدل؟ اعتقد أن العدل بين الزوجات في وسط
الاعراب تنحصر في حقوق الزوجية الطبيعية أى كان يجب على الرجل تقسيم
وقته بين نسائه تقسيماً عادلاً. أظنك الآن وقفت مثلى موقفاً تتجاذبك فيه الحيرة
بين الجزم تارة والدينية أخرى؟

قال — وما قولك في القضاء والقدر

قلت — ومن أين وقفت على أن الله يقضى ويقدر بالمعنى الذى تذكره؟ فهل
يقدر على شخص الشقاء؟ هو اذن ليس بعادل؟ وهل يقضى على آخر بالكفر
والالحاد. فاذن يعاقبه على أمر لم يتبعه بمطلق ارادته بل كان مسوقاً اليه جبراً؟ واذا
فرض اننى كفرت بالله اجتهاداً وبحسن نية فلهذا ينحشرنى في النار حشراً لمدة كما
يقولون لا نهاية لها؟ ان المحاكم التى تكون من البشر ترتكن عن اصدار أحكامها على
ما يسمونه سبق الاصرار وعلى مركز وعقلية الشخص. وكذلك على الدوافع التى
تدفعه الى ارتكاب الجريمة. ولاشك أن المحكمة تقدر حسن النية حق قدرها قبل
اصدار الحكم

قال — ولكن الشرع يقول

قلت — الشرع ومن أراكه ساقطاً من السماء. عندك سلسلة من الادعاءات
مرتبطة ببعضها رباطاً متيناً. فاذا حاولت الاستفهام عن أحداها أتوك بالبرهان
من نفس السلسلة فالله موجود لأن ذلك مذكور في الكتب المقدسة. والكتب
مقدسة لان فيها ما يفيد أنها منزلة من عند الله فالموضوع كله كالحلقة المفترقة يجب
أن تأخذها كلها او تتركها كلها. واذا أخذتها على علامتها فلا يمكنك انتقاد مركز
الضعف منها ولو كان غير معقول تماماً لك

والذى يزيد الطين بله. هو انهم يعتمدون في التفسير على أساس ما قاله
المتقدمون. أولئك الجهلة قليلوا الاختبار المنحطون عقلاً. وأخلاقاً عما نحن
عليه اليوم

قال — وهل تظن أن الوازع الادبى كفيل بالحلول محل الوازع الدينى؟

قلت — ومن قال لك أن الوازع الدينى قد أفلح في صد الشر من أن يحدث؟

فالشركان موجوداً قبل الأديان وكان موجوداً في عهد الأديان (والبرهان على ذلك تحريم الأديان اقترافه على متبعيها) ولا يزال الشر موجوداً في وقتنا الحاضر؟ ولكنه بالطبع دائم التغير ومعناه دائماً يتطور. فينتابه العجز والزيادة . أليس أول ما يخيف الإنسان إذا أقدم على قتل رفيقه هو فكرة حبل المشنقة أو انتقام عائلة القتيل؟ وهل إذا قتل الإنسان شخصاً وهو ثائر يكون هناك مجال للقول أنه تغاضى عن أوامر الدين. أو لم يهتم بالقانون الوضعي في حين أنه يكون قد قتل في حالة شبه جنونية.

والسرقة هل لها معنى محدود؟ أليس للرجل الذي يريد أن يعمل من أجل العيش ولا يجد من يعطيه عملاً أحق بأن يعيش كأحد العجاوات على الأقل. فهل يصلح أي رادع مهما كانت قوته في تفهيم هذا الشخص المشرف على الموت أن الواجب عليه أن يموت ذلك كلب على قارعة الطريق بينما غيره يأكل أمامه حتى التخمة؟

وهلا تظن أن الاشرف لنا كبشر أن ننظر الى الحقيقة مجردة، فننتعلم أن نقيم تعاملنا على أساس تبادل المنفعة بدلاً من اشادتها على أساس من الخوف اذا ظهر للمجرم دون سبق اصرار. لا أثر لهذا الاساس المفرع من الصحة . والركن الذي نعتد عاياه هو الاخلاق. مثلاً الرجل منا قد يرى شخصاً يرتكب جرماً معيناً ثم يجده ناجحاً في حياته. أليس معنى هذا أن الله لا ينتقم من المسيء بل يحسن اليه سكت مناظري قليلاً. ثم قال بعد ذلك ولكن يجب أن يكون لدينا ايمان يخفف عنا مشقة الحياة

قلت — لك أن تعتقد ماشئت وأن تستسلم الى القدر قدر ماشئت، وأن تصرح بأفكارك لمن حولك بأية طريقة تشاء. وإنما أنصحك فقط أن لا تضطهد الذين ينظرون الى الحياة بمنظار يختلف عن منظارك. فقد يكونون أرق منك فهماً وادراكاً.

ساؤو باولو

بندلي البيلوني

الاحافيرولوجى

عتب علينا اتباع مدرسة المتأدين العصرية (١) اقتباس مقالين عن شابوب الزاجل عن بلاد العراق وارض مأجوج ورمونا بالجود والتقهر فدفعنا لهذه التهمة ، نقتبس لقرائنا هذا المقال من كتاب الفيلسوف الاستاذ الاكثركبرا (٢) والاديب المتتبع 'رب الاحافيرولوجى وهو أشهر من أن يعرف .

الاحافيرولوجى .موضوع لم يسبق لقراء العربية الوقوف عليه قبل الآن . لذلك أحاول أن أزيل كل الصعوبات التى قد تعترض فهم القارى للموضوع . وأولها بالطبع الابتعاد عن الاصطلاحات الفنية . وبدلاً من أن أترجم كتاباً للناطقين بالضاد (وهو أمر مستحيل) فكرت في تأليف كتاب سهل المأخذ وليس على الذين تعمقوا في درس الموضوع الا الرجوع الى مقالى المعنون « مبادئ الاقتصاد ونوسى » وأما الذين لم يدرسوا الموضوع فعليهم الرجوع الى دائرة المعارف البريطانية للاطلاع على علم العظامولوجى والصخورولوجى حتى يتيسر لهم قراءة هذا الموضوع فى كتاب الفردوس المفقود لفردريك نيتشه الاديب الروسى وفى كتاب الترنية لادم سميث الحياتولوجى الهندى فهذه كلها ضرورية لمن يريد الوقوف على هذا العلم الذى يعد من مسببات المدنية والرقى .

معنى الاحافير

جمع حافر وكلنا يعرف معناها وللفرس أربعة حوافر وكذلك للحمار أربعة حوافر .

سبب التسمية

السبب بسيط ولو كنا نتهذبنا ولم نكن أمة شرقية جاهلة حقيرة لكان لدينا ولو بعض آثار العلم أو بمعنى آخر أحافيره .

« ١ » متأدبو العصر هم الذين يقرأون قصور العلوم فى دائرة معارف الاطفال ومطالعات علمية للمدارس الأولية ثم يؤلفون من عندياتهم كتباً علمية عويصة لا تفهم . ولذلك تقدرهم المامة حق قدرهم وأما الخاصة فيندبون سوء حظهم

« ٢ » لقب الاستاذ له مكانة فى الغرب تغرى الواقف على معناها بالضحك اذا علم ان راقصات البارات « اصبحن استاذات ومحردى العرائض اصبح كل منهم » استاذاً كبيراً ولا بد من ان يكون المؤلف فى علم عويص كهذا المبحث لقب « الاكثركبرا » بالاقبل

التطبيق

وكما نعرف من متابعة النظر الى الارض اذا كان السائر حماراً أو جحشاً .
كذلك يتيسر لنا بملء السهولة معرفة قيمة المؤلف من كتابه .

وإننى أظن أن هذه الديباجة لازمة قبل الدخول فى الموضوع . وليعلم القارىء
أننى قرأت مائة كتاب فى الموضوع (١) وأتيت بأمثلة رأيتها شخصياً كما رآها
الغير . ولكنى أعلمت الروية والعقل فى تفهمها بعكس كافة الخلق . فلنهم لا يلاحظون
بأنفسهم شيئاً وهذا ناتج بالطبع من عدم وقوفهم تمام الوقوف على أسرار العلوم
كما وقفت عليها فى جامعة (نسيت الاسم) . كنت مرة أسير مع صديق فوجدت
التمل يتقاطر متوجها نحو ثقب فى الارض فالتفت نظره الى هذه الظاهرة العجيبة
فهز رأسه استخفافاً بالامر . ولكنى لم أقدر على مقاومة ميلى الغريزى للبحث
والاطلاع فنبشت الارض بمصاى فوجدت أوكاراً متراصة بين كل واحد منها
والآخر حديقة غناء مملوءة بالطحلب الزكى الرائحة فعلمت من هذا أن فى العصر
الماقبل الجالندى كان الناس يقطنون الاوكر الصغيرة الحجم وبالطبع يستدل من
هذا أنهم كانوا صغار الاجسام بعكس ما ادعاه السلف الجاهل وبالطبع كنتيجة
طبيعية لنظرية المندلزم التى قال بها شوبنهاور الحياتولوجى الانسكلينزى الشهير
كانت الطحالب أشجاراً باسقة نسبياً فى ذلك الوقت . كذلك وجدت دبورناً
ملقى بقرب جدار احدى الاوكر . فعلمت أن الترهوايات كانت معروفة قبل ذلك
العهد بمدة طويلة مستنتجاً ذلك من سمك طبقة الصدا . وما دامت هذه الاشياء
كانت معروفة لاقوام كان مقياس جماعهم أقل من مقياس جماعتنا يكون استنتاج
لامارك المصريولوجى خطأ فى خطأ وكذلك سياحته الى جزائر الهند الغربية
حديث خرافة .

بحثت أيضاً وبحثت فلم أجد أثراً لاعمدة التليفونات فتيقنت أن التلغراف
اللاسلكى كان معروفاً . أما الطيارات فتثبت لى وجودها من مشاهدة ثقب فى أعلا

١- يلاحظ أن عدد الكتب المطبوعة فى جميع اللغات لا تزيد عن العشرين . ولكن هناك
كتب أرسلت لنياسوف الشرق لنقدها قبل أن تطبع ولذلك نرى استناده تقول انها قرأت
مائة كتاب والله أعلم كم من الدقائق انقضت فى قراءة كل منها

محوطه ساحة منبسطة كانت ولا شك مهبطاً للطائرات. وأما أين ذهبت بواقى
الطائرات فأمر لا يحتاج الى سؤال. لان الثلج لما نزل دقها. واذا بحثنا جيداً فقد
نجدها وعلى هذا الاساس العلمى الاستنتاجى سرت فوجدت هيكلا خشبياً
مدفوناً على بعد متر من سطح الارض. بالقرب من علة ثقاب وكان طرف الهيكل
الخشبى محروقاً وبالطبع حدث انفجار مريع

الخاصة

إذا لم يفهم المبتدئون ماقامته وجب عليهم أن لا يندبوا سوء حظهم لفقدانهم
العشرة قروش التى دفعوها ثمناً لهذا الكتاب الثمين فلو اشتروا عدة نسخ منه
لتمكنوا من فهم محتوياته. لان مائة صفحة فقط لا تثبت هذا العلم الواسع فى دماغ
من يظن أنه خسر عشرة قروش فليشتر خمس نسخ على الاقل وبذلك يمكنه أن
يفهم من الخمسة صفة شيئاً أكثر .

تقرىظ

كتب اليها الاستاذ حنين الاديب المشهور يقول إن هذا الكتاب
يستحق أن يطبع على نفقة وزارة المعارف فى عموم البلدان الشرقية لتوزيعه على
طابة الكليات العالية الفنية ونحن مستعدون للاتفاق مع المهاددة العظيمة .

تلخيص ومراجعة الاستاذ الصغير

ط. ه. حنين

فهرست

ص	
١٠٤١	مبادئ الفلسفة الحديثة فيلوزوف
١٠٤٧	غننى ياطير أنشودة حسن كامل الصيرفى
١٠٤٨	جولة فى أرض يأجوج حسين محمود
١٠٥٣	مدى الحياة أو حديث الظلام — شعر الصيرفى
١٠٥٥	مذكرات أنا
١٠٦١	الى الاستاذ جبر ضومط — قصيدة ابراهيم دادا
١٠٦٣	حول البابية أيضاً عمر عنایت والسيد عبد الرازق الحسنى
١٠٧٦	الانيميا الخبيثة
١٠٧٨	النقد والتأليف
	(١) تاريخ نجد الحديث وملحقاته للريحانى
	(٢) بهجة الافراح فى مناجاة الارواح عريلى
	(٣) بين المد والجزر مى
	(٤) التعريف بالنبي والقرآن الشريف البيلابى
	(٥) العقل الباطن سلامة موسى
١٠٩٢	السياسى الدولى — تلخيص ميخائيل بشاره داود
١١٠٥	أسماء — قصة واقعية من الحياة الاجتماعية
١١١١	البعد الرابع — قطعة شعرية أحمد زكى أبوشادى
١١١٣	تأملات فى الادب والحياة فيلوبونس
١١١٨	شجرة الغار — أسطورة قديمة فيها أدب وعلم
١١٢٢	تمثال النهضة — خطبة النحاس باشا — وصف الحفلة
١١٢٩	بين الصحف والمجلات
	(١) مجلة الحديث عن حديث لمنصور افندى فعلى
	(٢) ، (٣) السياسة الاسبوعية

تابع الفهرست

ص	
١١٣٨	ثمار الفكر الغربي
	(١) نهر الحياة . لجوليان هكسلي
	(٢) توارث الكفايات للاستاذ (جن)
	(٣) آدم سميث كفيلسوف أخلاقي عن وولتر اكشتين
١١٤٨	فصول مصورة في التاريخ الطبيعى — البنغوين
١١٥٠	الزولوجيا أو مبادئ علم الحيوان
١١٥٤	الوازعين الدينى والادبى — أيهما يجب الاخذ به بندلى
١١٦١	الاحافير ولوجى . ه . ط . حنين

أصل الأنواع

﴿ ونشورها بالانتخاب الطبيعي وحفظ الصفوف الغالبة ﴾

(في التنافر على البقاء)

تأليف العلامة معلم القرن التاسع عشر

شارلز روبرت داروين

ونقله الى العربية

اسماعيل مظهر

صاحب مجلة العصور ومحررها



ستشرع دار العصور للطبع والنشر في طبع هذا الكتاب واقعا
في خمسة مجلدات ضخام . وتسيلا لاقتناء هذا الكثر الثمين ستجعل
توزيعه بطريقة الاشتراك بحيث يجعل ثمنه قبل الانتهاء من طبعه بقيمة
توفر على المشترك عشرين في المائة على الاقل من ثمنه الاصلى وسيعلن
قريبا عن ذلك وعن تقبل لديه الاشتراكات من أصحاب المكاتب
الكبرى بمصر فارتقب ذلك لتفوز بهذه الفرصة السانحة

العظماء

تأليف بلوطر فرانس

الكاتب اليوناني المعروف

ترجمة ميخائيل بشارة داود

يشاهر هذا الكتاب الكبير في أجزاء متوالية وقد شرعت دار المصور في طبع الجزء الأول منه ويعتبر هذا الكتاب من أهم الكتب الأدبية التاريخية في الآداب القديمة فتلقت إليه الأنظار سلفاً .

العقائد

تأليف عمر عنایت

يظهر هذا الكتاب في أوائل شهر يولية المقبل . وقد تناول فيه مؤلفه الكلام في العقائد الأكثر شيوعاً بين الناس وقسمه تقسيماً علمياً وتكلم فيه عن الأديان غير الكتابية والأديان الكتابية بأسلوب سهل ينتفع به كل عالم ومتعلم . فارتقب صدوره .

العصور — عدد ١٠ — مجلد ٢



المرحوم الدكتور يعقوب صروف
بمناسبة تأيينه في دار الأوبرا الملكية في شهر ابريل سنة ١٩٢٨



Bibliotheca Alexandrina



0531766